

(٧٣٥)

مسالة اللفظ والمعنى

من مصنفات العقيدة

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٤هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

https://t.me/dralhoshan تليجرام

"الثاني: أن نقول (١) لهم: كل ما كان له أول جاز (٢) أن يكون له آخر، لأنه لا يصح أن يوجد لنفسه، وما أوجده غيره، جاز (٣) أن يعدمه، ولما وقف النظر إلى هذا الموضع الذي لا بد منه أنكروا العدم في (٤) الأول، و (٥) أنكروا الإعدام، وجوزوا وجود شيء لا (٦) من شيء، وأحالوا عدمه منه، أو من غيره، وكان في ذلك كلام طويل، ليس هذا موضعه. هذا القول يسكتهم عنه، ويجريهم (٧) معكم.

ومن الغرائب (٨) أن صاحب الجيم (٩) عندهم قال: لو كانت الشمس فانية لأدركها الذبول بطول البقاء (١٠)، فيقال له: هذا فاسد على مذهبك، وعلى طريق الحق. أما فساد ذلك على مذهبك، فالذبول عندك إنما يكون بنضب المادة، ولعل مادة الشمس لم تنضب، وأما على مذهبنا، فلأن العدم إنما يكون عن قطع الأعراض وذلك مبين (١١) على التحقيق في الأصول بجميع وجوهه.

وقد قال الشيخ أبو الحسن [و ٣٤ ب]: معرفة الصانع ضرورة (١٢)، وتحقيقه أنه إن كان العالم صنعة فهي صادرة عن صانع قطعا، ضرورة **المعنى واللفظ**، وأما الفناء الذي أحالوه فهو مشاهد في بعض العالم، وهو معلوم فيما لم يشاهد بالدليل المتقدم، حسبما سطر في كتب الأصول.

---

(١) ب: يقال.

(٢) د: جائز، ز: علق في الهامش: قوله: جاز احتراز منه ليدخل في الحقيقة نعيم الجنة.

(٣) د: جائز

(٤) ب: وفي، د: نعم وفي الأول.

(٥) د: – و.

(٦) ب، د، ز: – لا، وصحح في هامش ز هكذا: صوابه لا من شيء.

(٧) د: يجزيهم.

(٨) ب، ج، ز: الغريب.

(٩) يقصد به جالينوس. ج: الحكم.

(١٠) ب، ج، ز: الفناء. وهذا النصف مأخوذ من: (كتاب تهافت الفلاسفة للغزالي تحقيق سليمان دنيا، ص ١٢٦)، ونصه: ما تمسك به جالينوس إذ قال: لو كانت الشمس مثلا تقبل الانعدام لظهر فيها ذبول في مدة مديدة.

(١١) د: بين. يرى الأشاعرة أن فناء الجواهر يكون بان لا يخلق الله تعالى فيها الأعراض من حركة وسكون (تهافت الفلاسفة، ص ١٣٠).

(١٢) ز: كتب على الهامش: قف معرفة الصانع ضرورية.." [1]

---

(١) النص الكامل لكتاب العواصم من القواصم، ابن العربي ص/٩١

"الفائدة الثانية: أن إعادة القصة الطويلة في مواضع مع اتحاد معناها، واختلاف لفظها طولا وقصرا، أدل على الإعجاز وقدرة المتكلم على الكلام. وأما ما ذكر من التكرار في بقية السور، فالقول المفصل فيه قد ذكرته في" الاكسير" مستوفى «١»، وذكره الناس كثيرا، فلا يخف علي ذكره «٢» هنا.

ولكن أذكر فيه قولا مجملا، وهو أن التكرار كما يستغنى عنه في بعض المواطن قد يحتاج إليه في بعضها للتأكيد والتقرير والتنبيه على الاهتمام بالأمر،/ فيكون تركه، حيث ينبغي كذكره حيث لا ينبغي. والله أعلم.

قال:" ونجده أيضا غير خارج على نظام متناسب كقوله في سورة النساء:

وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ... (٣) «٣».

قال:" ولا مناسبة بين العدل في اليتامى «٤»، وبين نكاح النساء، ولهذا وغيره يتبين أنه كلام منثور، لا نظام له، ولا تأليف".

---

(١) تحدث- رحمه الله- في الاكسير ص ٢٤٥ - ٢٥٨، عن التكرير في القرآن وهو ذكر الشيء مرتين فصاعدا وبين فائدة ذلك سواء تكرار اللفظ والمعنى جميعا أو تكرار المعنى دون اللفظ وما يفيد كل منهما. وشمل حديثه التكرار في المواضيع كالقصة وغيرها أو التكرار في السور كسورة الكافرون، وسورة الرحمن وغيرهما.

(٢) في (م): ذكرها.

(٣) سورة النساء، آية: ٣.

(٤) عبارة: (أ):" قال: ولا مناسبة بين العدل في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم ... ورباع" قال ولا مناسبة بين العدل ... الخ".." [1]

"لأن التعريف فيها من حيث هي لا فائدة فيه إلا من جهة أعمالها التي نجت بها. فالمتقدم في الاعتبار هو العمل لا العامل، فلو سألوا: ما وصفها؟ أو ما عملها؟ أو ما أشبه ذلك لكان أشد مطابقة في اللفظ والمعنى، فلما فهم عليه الصلاة والسلام منهم ما قصدوا أجابهم على ذلك.

ونقول: لما تركوا السؤال عما كان الأولى في حقهم، أتى به جوابا عن سؤالهم، حرصا منه عليه الصلاة والسلام على تعليمهم ما ينبغي لهم تعلمه والسؤال عنه.

ويمكن أن يقال: إن ما سألوا عنه لا يتعين، إذ لا تختص النجاة بمن تقدم دون من تأخر، إذ كانوا قد اتصفوا بوصف التأخير.

ومن شأن هذا السؤال التعيين، وعدم انحصارهم بزمان أو مكان لا يقتضي التعيين، وانصرف القصد إلى تعيين الوصف الضابط للجميع، وهو ما كان عليه هو وأصحابه.

وهذا الجواب بالنسبة إلينا كالمبهم، وهو بالنسبة إلى السائل معين، لأن أعمالهم كانت للحاضرين معهم رأي عين، فلم يحتج

---

(١) الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية، الطوفي ٢/٥٩٣

إلى أكثر من ذلك، لأنه غاية التعيين اللائق بمن حضر، فأما غيرهم ممن لم يشاهد أحوالهم ولم ينظر أعمالهم فليس مثلهم، ولا يخرج الجواب بذلك عن التعيين المقصود. والله أعلم. انتهى.." [1]

"الآية، أي للذين اتقوا استقر لهم عند ربهم جنات تجري (من تحتها الأنهار. الآية) (١).

فأعطى مضمون الكلام معنى الجواب على غير لفظه. وهذا التقرير على قول جماعة من المفسرين.

وقال تعالى: ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن﴾ (٢) الآية، فقوله: (مثل الجنة) يقتضي المثل لا الممثل. (كما قال تعالى) (٣): ﴿مثلهم كمثل الذي استوقد نارا﴾ (٤) (ولكن) (٥) (لما) (٦) كان المقصود الممثل جاء به بعينه.

ويمكن أن يقال: إن النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر الفرق وذكر أن فيها فرقة ناجية كان الأولى السؤال عن أعمال الفرقة الناجية، لا عن نفس الفرقة. لأن التعريف (بها) (٧) من حيث هي لا فائدة فيه إلا من جهة/ أعمالها التي نجت بها. فالمقدم في الاعتبار هو العمل لا العامل، فلو سألوا (فقالوا) (٨): ما وصفها؟ أو ما عملها؟ أو ما أشبه ذلك لكان أشد مطابقة في **اللفظ والمعنى**، فلما فهم صلى الله عليه وسلم (منهم) (٩) ما قصدوا/ أجابهم (على) (١٠) ذلك.

أو نقول: لما تركوا السؤال عما كان الأولى في حقهم، أتى به جوابا عن سؤالهم، حرصا منه صلى الله عليه وسلم على تعليمهم ما ينبغي لهم تعلمه والسؤال عنه.

/ويمكن أن يقال: إن ما سألوا عنه لا يتعين، (إذ) (١١) لا تختص

---

(١) في (غ): الآية، وفي (ت): "من تحتها الأنهار".

(٢) سورة محمد: الآية (١٥).

(٣) في (غ) و (ر): "فقال".

(٤) سورة البقرة: الآية (١٧).

(٥) في (م): "ولأن". وفي (ط) و (خ) و (ت): "ولأنه".

(٦) في سائر النسخ ما عدا (غ) و (ر): "كلما".

(٧) في سائر النسخ ما عدا (غ) و (ر): "فيها".

(٨) زيادة من (غ) و (ر).

(٩) ساقط من (غ) و (ر).

(١٠) ساقط من (غ) و (ر).

(١١) في (م): "إذا".." [2]

---

(١) الاعتصام للشاطبي ت الهلالي، الشاطبي، إبراهيم بن موسى ٨٠٠/٢

(٢) الاعتصام للشاطبي ت الشقير والحميد والصيني، الشاطبي، إبراهيم بن موسى ٢٤٦/٣

"الْوَجْهِ الْمَذْكُورِ وَإِنْزَالِهِ، أَيْ هَذَا قَوْلُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَهُمُ السَّلَفُ الصَّالِحُ، وَأَنَّ هَذَا حَقٌّ وَصِدْقٌ.
وَقَوْلُهُ: وَأَيْقَنُوا أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى بِالْحَقِيقَةِ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ كَكَلَامِ الْبَرِيَّةِ، رد عَلَى الْمُعْتَزِلَةِ وَغَيْرِهِمْ بِهَذَا الْقَوْلِ ظَاهِرٌ، وَفِي قَوْلِهِ: بِالْحَقِيقَةِ رَدٌّ عَلَى مَنْ قَالَ: إِنَّهُ مَعْنًى وَاحِدٌ قَامَ بِذَاتِ اللَّهِ لَمْ يُسْمَعْ مِنْهُ وَإِنَّمَا هُوَ الْكَلَامُ النَّفْسَانِيُّ؛ لِأَنَّهُ لَا يُقَالُ لِمَنْ قَامَ بِهِ الْكَلَامُ النَّفْسَانِيُّ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ: أَنَّ هَذَا كَلَامٌ حَقِيقَةً، وَإِلَّا لَلَزِمَ أَنْ يَكُونَ الْأَخْرَسُ مُتَكَلِّمًا، وَلَزِمَ أَنْ لَا يَكُونَ الَّذِي فِي الْمُصْحَفِ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ هُوَ الْقُرْآنُ وَلَا كَلَامَ اللَّهِ، وَلَكِنْ عِبَارَةٌ عَنْهُ لَيْسَتْ هِيَ كَلَامَ اللَّهِ، كَمَا لَوْ أَشَارَ أَخْرَسُ إِلَى شَخْصٍ بِإِشَارَةٍ فَهِمَ بِهَا مَقْصُودَهُ، فَكَتَبَ ذَلِكَ الشَّخْصُ عِبَارَتَهُ عَنِ الْمَعْنَى الَّذِي أَوْحَاهُ إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَخْرَسُ، فَالْمَكْتُوبُ هُوَ عِبَارَةُ ذَلِكَ الشَّخْصِ عَنْ ذَلِكَ الْمَعْنَى، وَهَذَا الْمَثَلُ مُطَابِقٌ غَايَةَ الْمُطَابَقَةِ لِمَا يَقُولُونَهُ، وَإِنْ كَانَ اللَّهُ تَعَالَى لَا يُسَمِّيهِ أَحَدٌ "أَخْرَسَ"، لَكِنْ عِنْدَهُمْ أَنَّ الْمَلَكَ فَهِمَ مِنْهُ مَعْنًى قَائِمًا بِنَفْسِهِ، لَمْ يَسْمَعْ مِنْهُ حَرْفًا وَلَا صَوْتًا، بَلْ فَهِمَ مَعْنًى مُجَرَّدًا، ثُمَّ عَبَّرَ عَنْهُ، فَهُوَ الَّذِي أَحْدَثَ نَظْمَ الْقُرْآنِ وَتَأْلِيفَهُ العربي، وأن اللَّهَ خَلَقَ فِي بَعْضِ الْأَجْسَامِ كَالْهَوَى الَّذِي هُوَ دُونَ الْمَلَكِ هَذِهِ الْعِبَارَةَ.
وَيُقَالُ لِمَنْ قَالَ: إِنَّهُ مَعْنًى وَاحِدٌ: هَلْ سَمِعَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ جَمِيعَ الْمَعْنَى أَوْ بَعْضَهُ؟ فَإِنْ قَالَ: سَمِعَهُ كُلَّهُ، فَقَدْ زَعَمَ أَنَّهُ سَمِعَ جَمِيعَ كَلَامِ اللَّهِ! وَفَسَادُ هَذَا ظَاهِرٌ، وَإِنْ قَالَ: بَعْضَهُ، فَقَدْ قَالَ: يَتَبَعَّضُ. وَكَذَلِكَ كُلُّ مَنْ كَلَّمَهُ اللَّهُ أَوْ أَنْزَلَ إِلَيْهِ شَيْئًا مِنْ كَلَامِهِ.
وَلَمَّا قَالَ تَعَالَى لِلْمَلَائِكَةِ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [الْبَقَرَةِ: ٣٠]. وَلَمَّا قَالَ لهم: ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾. وَأَمْثَالُ ذَلِكَ، هَلْ هَذَا جَمِيعُ كَلَامِهِ أَوْ بَعْضُهُ؟ فَإِنْ قَالَ: إِنَّهُ جَمِيعُهُ، فَهَذَا مُكَابَرَةٌ، وَإِنْ قَالَ: بَعْضُهُ، فَقَدِ اعْتَرَفَ بِتَعَدُّدِهِ.
وَلِلنَّاسِ فِي مُسَمَّى الْكَلَامِ وَالْقَوْلِ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: أَنَّهُ يَتَنَاوَلُ **اللَّفْظَ وَالْمَعْنَى** جَمِيعًا، كَمَا يَتَنَاوَلُ لَفْظُ الْإِنْسَانِ الرُّوحَ وَالْبَدَنَ مَعًا، وهذا قول السلف. الثاني: اسم اللفظ فَقَطْ، وَالْمَعْنَى لَيْسَ جُزْءَ مُسَمَّاهُ، بَلْ هُوَ مَدْلُولُ مُسَمَّاهُ، وَهَذَا قَوْلُ جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ وَغَيْرِهِمْ. الثَّالِثُ: أَنَّهُ اسْمٌ "لِلْمَعْنَى" فَقَطْ، وَإِطْلَاقُهُ عَلَى اللَّفْظِ مَجَازٌ؛ لِأَنَّهُ دَالٌّ عَلَيْهِ، وَهَذَا قَوْلُ ابْنِ كِلَابٍ وَمَنِ اتَّبَعَهُ.." (١)
"الرَّابِعُ: أَنَّهُ مُشْتَرَكٌ بَيْنَ **اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى**، وَهَذَا قَوْلُ بَعْضِ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ الْكِلَابِيَّةِ، وَلَهُمْ قَوْلٌ خَامِسٌ، يُرْوَى عَنْ أَبِي الْحَسَنِ، أَنَّهُ مَجَازٌ فِي كَلَامِ اللَّهِ، حَقِيقَةٌ فِي كَلَامِ الْآدَمِيِّينَ لِأَنَّ حُرُوفَ الْآدَمِيِّينَ تَقُومُ بِهِمْ، فَلَا يَكُونُ الْكَلَامُ قَائِمًا بِغَيْرِ الْمُتَكَلِّمِ، بِخِلَافِ كَلَامِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ لَا يَقُومُ عِنْدَهُ بِاللَّهِ، فَيَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ كَلَامَهُ، وَهَذَا مَبْسُوطٌ فِي مَوْضِعِهِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ إِنَّهُ مَعْنًى وَاحِدٌ، وَاسْتَدَلَّ عَلَيْهِ بِقَوْلِ الْأَخْطَلِ:
إِنَّ الْكَلَامَ لَفِي الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا ... جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الْفُؤَادِ دَلِيلَا
فَاسْتِدْلَالٌ فَاسِدٌ، وَلَوِ اسْتَدَلَّ مُسْتَدِلٌّ بِحَدِيثٍ فِي الصَّحِيحَيْنِ لَقَالُوا هَذَا خَبَرٌ وَاحِدٌ! وَيَكُونُ مِمَّا اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى تَصْدِيقِهِ وَتَلَقِّيهِ بِالْقَبُولِ وَالْعَمَلِ بِهِ! فَكَيْفَ وَهَذَا الْبَيْتُ قَدْ قِيلَ إِنَّهُ مَوْضُوعٌ١ مَنْسُوبٌ إِلَى الْأَخْطَلِ، وَلَيْسَ هُوَ فِي دِيوَانِهِ؟! وَقِيلَ إِنَّمَا قَالَ: "إِنَّ الْبَيَانَ لَفِي الْفُؤَادِ وَهَذَا أَقْرَبُ إِلَى الصِّحَّةِ، وَعَلَى تَقْدِيرِ صِحَّتِهِ عَنْهُ فَلَا يَجُوزُ الِاسْتِدْلَالُ بِهِ، فَإِنَّ النَّصَارَى قَدْ ضَلُّوا فِي مَعْنَى الْكَلَامِ، وَزَعَمُوا أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ نَفْسُ كَلِمَةِ اللَّهِ وَاتَّحَدَ اللَّاهُوتُ بِالنَّاسُوتِ! أَيْ: شَيْءٌ مِنَ الْإِلَهِ بِشَيْءٍ

---

(١) شرح الطحاوية – ط دار السلام، ابن أبي العز ص/١٨٣

مِنَ النَّاسِ! أَفَيُسْتَدَلُّ بِقَوْلِ نَصْرَانِيٍّ قَدْ ضَلَّ فِي مَعْنَى الْكَلَامِ عَلَى مَعْنَى الْكَلَامِ، وَيُتْرَكُ مَا يُعْلَمُ مِنْ مَعْنَى الْكَلَامِ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ؟! وَأَيْضًا: فَمَعْنَاهُ غَيْرُ صَحِيحٍ، إِذْ لَازِمُهُ أَنَّ الْأَخْرَسَ يُسَمَّى مُتَكَلِّمًا لِقِيَامِ الْكَلَامِ بِقَلْبِهِ وَإِنْ لَمْ يَنْطِقْ بِهِ وَلَمْ يُسْمَعْ مِنْهُ، وَالْكَلَامُ عَلَى ذَلِكَ مَبْسُوطٌ فِي مَوْضِعِهِ، وَإِنَّمَا أُشِيرُ إِلَيْهِ إِشَارَةً.

وَهُنَا مَعْنًى عَجِيبٌ، وَهُوَ: أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ لَهُ شَبَهٌ قَوِيٌّ بِقَوْلِ النَّصَارَى الْقَائِلِينَ بِاللَّاهُوتِ وَالنَّاسُوتِ! فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ: كَلَامُ اللَّهِ هُوَ الْمَعْنَى الْقَائِمُ بِذَاتِ اللَّهِ الَّذِي لَا يُمْكِنُ سَمَاعُهُ، وَأَمَّا النَّظْمُ الْمَسْمُوعُ فَمَخْلُوقٌ، فَإِفْهَامُ الْمَعْنَى الْقَدِيمِ بِالنَّظْمِ الْمَخْلُوقِ يُشْبِهُ امْتِزَاجَ اللَّاهُوتِ بِالنَّاسُوتِ الَّذِي قَالَتْهُ النَّصَارَى فِي عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَانْظُرْ إِلَى هَذَا الشَّبَهِ مَا أَعْجَبَهُ!

وَيَرُدُّ قَوْلَ مَنْ قَالَ: بِأَنَّ الْكَلَامَ هُوَ الْمَعْنَى الْقَائِمُ بِالنَّفْسِ، قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم: "إن

---

١ في الأصل: مصنوع. وانظر "مختصر العلو للذهبي" ص٢٨٥ طبع المكتب الإسلامي.." [(١)]

"أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَعْرِفَ كَيْفَ مَنْزِلَتُهُ عِنْدَ اللَّهِ، فَلْيَنْظُرْ كَيْفَ مَنْزِلَةُ اللَّهِ فِي قَلْبِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يُنَزِّلُ الْعَبْدَ مِنْ نَفْسِهِ حَيْثُ أَنْزَلَهُ الْعَبْدُ مِنْ قَلْبِهِ"١. فَقَوْلُهُ: "مَنْزِلَةُ اللَّهِ فِي قَلْبِهِ". هُوَ مَا يَكُونُ فِي قَلْبِهِ مِنْ مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَمَحَبَّتِهِ وَتَعْظِيمِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَإِذَا عُرِفَ أَنَّ الْمَكَانَةَ وَالْمَنْزِلَةَ: تَأْنِيثُ الْمَكَانِ وَالْمَنْزِلِ، وَالْمُؤَنَّثُ فَرْعٌ عَلَى الْمُذَكَّرِ فِي **اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى**، وَتَابِعٌ لَهُ، فَعُلُوُّ الْمِثْلِ الَّذِي يَكُونُ فِي الذِّهْنِ يَتْبَعُ عُلُوَّ٢ الْحَقِيقَةِ، إِذَا كَانَ مطابقا كان حقا، وإلا بَاطِلًا. فَإِنْ قِيلَ: الْمُرَادُ عُلُوُّهُ فِي الْقُلُوبِ، وَأَنَّهُ أَعْلَى فِي الْقُلُوبِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. قِيلَ: وَكَذَلِكَ هُوَ، وَهَذَا الْعُلُوُّ مُطَابِقٌ لِعُلُوِّهِ فِي نَفْسِهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَالِيًا بِنَفْسِهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، كَانَ عُلُوُّهُ فِي الْقُلُوبِ غَيْرَ مُطَابِقٍ، كَمَنْ جَعَلَ مَا لَيْسَ بِأَعْلَى أَعْلَى.

وَعُلُوُّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَمَا هُوَ ثَابِتٌ بِالسَّمْعِ، ثَابِتٌ بِالْعَقْلِ وَالْفِطْرَةِ، أَمَّا ثُبُوتُهُ بِالْعَقْلِ فَمِنْ وُجُوهٍ: أَحَدُهَا: الْعِلْمُ الْبَدِيهِيُّ الْقَاطِعُ بِأَنَّ كُلَّ موجودين، إِمَّا أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمَا سَارِيًا فِي الْآخَرِ قَائِمًا بِهِ كَالصِّفَاتِ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ قَائِمًا بِنَفْسِهِ بَائِنًا مِنَ الْآخَرِ. الثَّانِي: أَنَّهُ لَمَّا خَلَقَ الْعَالَمَ، فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ خَلَقَهُ فِي ذَاتِهِ أَوْ خَارِجًا عَنْ ذَاتِهِ، وَالْأَوَّلُ بَاطِلٌ: أَمَّا أَوَّلًا: فَبِالِاتِّفَاقِ، وَأَمَّا ثَانِيًا: فَلِأَنَّهُ يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ مَحَلًّا لِلْخَسَائِسِ٣ وَالْقَاذُورَاتِ تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ علوا كبيرا. والثاني يقتضي كون العلم وَاقِعًا خَارِجَ ذَاتِهِ، فَيَكُونُ مُنْفَصِلًا، فَتَعَيَّنَتِ الْمُبَايَنَةُ، لِأَنَّ الْقَوْلَ بِأَنَّهُ غَيْرُ مُتَّصِلٍ بِالْعَالَمِ وَغَيْرُ مُنْفَصِلٍ عَنْهُ غَيْرُ مَعْقُولٍ. الثَّالِثُ: أَنَّ كَوْنَهُ تعالى لا داخل

---

١ لا أعرفه.

ثم وجدته بدلالة بعض الإخوان جزاه الله خيرا في "مستدرك الحاكم" "١/ ٤٩٤ - ٤٩٥" بنحوه وصححه، وتعقبه الذهبي بأن فيه عمر بن عبد الله مولى غفرة، ضعيف، ومن طريقه أخرجه أبو يعلى وغيره وهو مخرج في "الضعيفة" "٥٤٢٧" وهو من الأحاديث الكثيرة، من الضعيفة والموضوعة، التي سود بها المدعو عز الدين بليق "منهاجه" وهي قرابة أربعمائة حديث ما بين ضعيف وموضوع، ومع ذلك زعم في مقدمته أن أحاديث "منهاجه" كلها صحيحة! وعسى أن ييسر لي نشرها في

---

(١) شرح الطحاوية - ط دار السلام، ابن أبي العز ص/١٨٤

رد عليه ومع ذلك أرجو أن أنتهي منه قريبا إن شاء الله تعالى.

٢ في الأصل: يقع على.

٣ في الأصل: للحشائش.." (١)

"فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾، فَ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ مَنْصُوبٌ عَلَى أَنَّهُ صِفَةُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، أَوْ بَدَلٌ مِنْهُ، أَوْ بِإِضْمَارِ أَمْدَحُ، أَوْ مَرْفُوعٌ بِإِضْمَارِ "هُمْ"، أَوْ خَبَرٌ ثَانٍ لِ"إِنَّ"، وَأُجِيزَ فِيهِ الْجَرُّ، بَدَلًا مِنْ ضَمِيرِ عَلَيْهِمْ، وَعَلَى هَذِهِ الْوُجُوهِ كُلِّهَا فَالْوِلَايَةُ لِمَنْ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ، وَهُمْ أَهْلُ الْوَعْدِ الْمَذْكُورِ فِي الْآيَاتِ الثَّلَاثِ، وَهِيَ عِبَارَةٌ عَنْ مُوَافَقَةِ الْوَلِيِّ الْحَمِيدِ فِي مَحَابِّهِ وَمَسَاخِطِهِ، لَيْسَتْ بِكَثْرَةِ صَوْمٍ وَلَا صلاة، ولا تملق وَلَا رِيَاضَةٍ. وَقِيلَ: الَّذِينَ آمَنُوا مُبْتَدَأٌ، وَالْخَبَرُ: لَهُمُ الْبُشْرَى، وَهُوَ بَعِيدٌ، لِقَطْعِ الْجُمْلَةِ عَمَّا قَبْلَهَا، وَانْتِثَارِ نَظْمِ الْآيَةِ.

وَيَجْتَمِعُ فِي الْمُؤْمِنِ وِلَايَةٌ مِنْ وَجْهٍ، وَعَدَاوَةٌ مِنْ وَجْهٍ، كَمَا قَدْ يَكُونُ فِيهِ كُفْرٌ وَإِيمَانٌ، وَشِرْكٌ وَتَوْحِيدٌ، وَتَقْوَى وَفُجُورٌ، وَنِفَاقٌ وَإِيمَانٌ. وَإِنْ كَانَ فِي هَذَا الْأَصْلِ نِزَاعٌ لَفْظِيٌّ بَيْنَ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَنِزَاعٌ مَعْنَوِيٌّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ الْبِدَعِ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي الْإِيمَانِ، وَلَكِنَّ مُوَافَقَةَ الشَّارِعِ فِي **اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى** أَوْلَى مِنْ مُوَافَقَتِهِ فِي الْمَعْنَى وَحْدَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يُوسُفَ: ١٠٦]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الْحُجُرَاتِ: ١٤]، الْآيَةَ. وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا مُنَافِقِينَ عَلَى أَصَحِّ الْقَوْلَيْنِ. وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ منهن كانت فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ" ١. وَفِي رِوَايَةٍ: "وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ" بَدَلَ: "وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ". أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ. وَحَدِيثُ: شُعَبِ الْإِيمَانِ تَقَدَّمَ. وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ" ٢. فَعُلِمَ أَنَّ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الْإِيمَانِ أَقَلُّ الْقَلِيلِ لَمْ يُخَلَّدْ فِي النَّارِ، وَإِنْ كَانَ مَعَهُ كَثِيرٌ مِنَ النِّفَاقِ، فَهُوَ يُعَذَّبُ فِي النَّارِ عَلَى قَدْرِ [مَا مَعَهُ] مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ. فَالطَّاعَاتُ مِنْ شُعَبِ الْإِيمَانِ، وَالْمَعَاصِي مِنْ شُعَبِ الْكُفْرِ، وَإِنْ كَانَ رَأْسُ شُعَبِ الْكُفْرِ الْجُحُودَ، وَرَأْسُ شُعَبِ الْإِيمَانِ التَّصْدِيقَ. وَأَمَّا مَا يُرْوَى مَرْفُوعًا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قال: "ما

---

١ متفق عليه وقد تقدم.

٢ متفق عليه.." (٢)

"وَيُقَالُ لِمَنْ قَالَ إِنَّهُ مَعْنًى وَاحِدٌ: هَلْ سَمِعَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ جَمِيعَ الْمَعْنَى أَوْ بَعْضَهُ؟ فَإِنْ قَالَ: سَمِعَهُ كُلَّهُ، فَقَدْ زَعَمَ أَنَّهُ سَمِعَ جَمِيعَ كَلَامِ اللَّهِ وَفَسَادُ هَذَا ظَاهِرٌ. وَإِنْ قَالَ: بَعْضَهُ، فَقَدْ قَالَ يَتَبَعَّضُ. وَكَذَلِكَ كُلُّ مَنْ كَلَّمَهُ اللَّهُ أَوْ أَنْزَلَ إِلَيْهِ شَيْئًا مِنْ كَلَامِهِ.

وَلَمَّا قَالَ تَعَالَى لِلْمَلَائِكَةِ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (١). وَلَمَّا قَالَ لَهُمْ. ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ (٢). وَأَمْثَالُ ذَلِكَ: هَلْ

---

(١) شرح الطحاوية – ط دار السلام، ابن أبي العز ص/٢٩٠

(٢) شرح الطحاوية – ط دار السلام، ابن أبي العز ص/٣٥٩

هَذَا جَمِيعُ كَلَامِهِ أَوْ بَعْضُهُ؟ فَإِنْ قَالَ: إِنَّهُ جَمِيعُهُ (٣)، فَهَذَا مُكَابَرَةٌ، وَإِنْ قَالَ: بَعْضُهُ، فَقَدِ اعْتَرَفَ بِتَعَدُّدِهِ.
وَلِلنَّاسِ فِي مُسَمَّى الْكَلَامِ وَالْقَوْلِ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ: أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ:
أَحَدُهَا: أَنَّهُ يَتَنَاوَلُ **اللَّفظ وَالْمَعْنَى** جَمِيعًا، كَمَا يَتَنَاوَلُ لَفْظُ الْإِنْسَانِ الرُّوحَ وَالْبَدَنَ مَعًا، وَهَذَا قَوْلُ السَّلَفِ.
الثَّانِي: اسْمٌ لِلَفْظِ فَقَطْ، وَالْمَعْنَى لَيْسَ جُزْءَ مُسَمَّاهُ، بَلْ هُوَ مَدْلُولُ مُسَمَّاهُ، وَهَذَا قَوْلُ جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ وَغَيْرِهِمْ.
الثَّالِثُ: أَنَّهُ اسْمٌ لِلْمَعْنَى فَقَطْ، وَإِطْلَاقُهُ عَلَى اللَّفْظِ مَجَازٌ، لِأَنَّهُ دَالٌّ عَلَيْهِ، وَهَذَا قَوْلُ ابْنِ كِلَابٍ وَمَنِ اتَّبَعَهُ.
الرَّابِعُ: أَنَّهُ مُشْتَرَكٌ بَيْنَ **اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى**، وَهَذَا قَوْلُ بَعْضِ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ الْكِلَابِيَّةِ، وَلَهُمْ قَوْلٌ خَامِسٌ (٤) يُرْوَى عَنْ أَبِي الْحَسَنِ، أَنَّهُ مَجَازٌ فِي كَلَامِ اللَّهِ، حَقِيقَةٌ فِي كَلَامِ الْآدَمِيِّينَ لِأَنَّ حُرُوفَ الْآدَمِيِّينَ تَقُومُ بِهِمْ، فَلَا يَكُونُ الْكَلَامُ قَائِمًا بِغَيْرِ الْمُتَكَلِّمِ، بِخِلَافِ كَلَامِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ لَا يَقُومُ عِنْدَهُ بِاللَّهِ، فَيَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ كَلَامَهُ. وَهَذَا مَبْسُوطٌ فِي مَوْضِعِهِ. وَأَمَّا مَنْ قَالَ إِنَّهُ مَعْنًى وَاحِدٌ، وَاسْتَدَلَّ عَلَيْهِ بِقَوْلِ الْأَخْطَلِ:
إِنَّ الْكَلَامَ لَفِي الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا ... جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الْفُؤَادِ دَلِيلَا: فَاسْتِدْلَالٌ فَاسِدٌ. وَلَوِ اسْتَدَلَّ مُسْتَدِلٌّ بِحَدِيثٍ فِي الصَّحِيحَيْنِ لَقَالُوا

---

(١) سورة الْبَقَرَةِ آية ٣٠.

(٢) سورة الْبَقَرَةِ آية ٣٤.

(٣) في المطبوعة (جميع) بدون الضمير. وإثباته أجود.

(٤) في المطبوعة (ثالث)، وقد سبقه أربعة، فهو خامس.." [1]

"فَإِنْ قَالُوا: بَلْ عُلُوُّ الْمَكَانَةِ لَا الْمَكَانِ؟ فَالْمَكَانَةُ: تَأْنِيثُ الْمَكَانِ، وَالْمَنْزِلَةُ: تَأْنِيثُ الْمَنْزِلِ، فَلَفْظُ"الْمَكَانَةِ وَالْمَنْزِلَةِ"تُسْتَعْمَلُ فِي الْمَكَانَاتِ النَّفْسَانِيَّةِ وَالرُّوحَانِيَّةِ، كَمَا يُسْتَعْمَلُ لَفْظُ"الْمَكَانِ وَالْمَنْزِلِ"فِي الْأَمْكِنَةِ الْجُسْمَانِيَّةِ، فَإِذَا قِيلَ: لَكَ فِي قُلُوبِنَا مَنْزِلَةٌ، وَمَنْزِلَةُ فُلَانٍ فِي قُلُوبِنَا وَفِي نُفُوسِنَا أَعْظَمُ مِنْ مَنْزِلَةِ فُلَانٍ، كَمَا جَاءَ فِي الْأَثَرِ: "إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَعْرِفَ كَيْفَ مَنْزِلَتُهُ عِنْدَ اللَّهِ، فَلْيَنْظُرْ كَيْفَ مَنْزِلَةُ اللَّهِ فِي قَلْبِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يُنَزِّلُ الْعَبْدَ مِنْ نَفْسِهِ حَيْثُ أَنْزَلَهُ الْعَبْدُ مِنْ قَلْبِهِ". فَقَوْلُهُ: "مَنْزِلَةُ اللَّهِ فِي قَلْبِهِ": هُوَ مَا يَكُونُ فِي قَلْبِهِ مِنْ مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَمَحَبَّتِهِ وَتَعْظِيمِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَإِذَا عُرِفَ أَنَّ"الْمَكَانَةَ وَالْمَنْزِلَةَ": تَأْنِيثُ الْمَكَانِ وَالْمَنْزِلِ، وَالْمُؤَنَّثُ فَرْعٌ عَلَى الْمُذَكَّرِ فِي **اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى**، وَتَابِعٌ لَهُ، فَعُلُوُّ الْمِثْلِ الَّذِي يَكُونُ فِي الذِّهْنِ يَتْبَعُ عُلُوَّ الْحَقِيقَةِ، إِذَا كَانَ مُطَابِقًا كَانَ حَقًّا، وَإِلَّا كَانَ بَاطِلًا.
فَإِنْ قِيلَ: الْمُرَادُ عُلُوُّهُ فِي الْقُلُوبِ، وَأَنَّهُ أَعْلَى فِي الْقُلُوبِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ - قِيلَ: وَكَذَلِكَ هُوَ، وَهَذَا الْعُلُوُّ مُطَابِقٌ لِعُلُوِّهِ فِي نَفْسِهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَالِيًا بِنَفْسِهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، كَانَ عُلُوُّهُ فِي الْقُلُوبِ غَيْرَ مُطَابِقٍ، كَمَنْ جَعَلَ مَا لَيْسَ بِأَعْلَى أَعْلَى.
وَعُلُوُّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَمَا هُوَ ثَابِتٌ بِالسَّمْعِ، ثَابِتٌ بِالْعَقْلِ وَالْفِطْرَةِ. أَمَّا ثُبُوتُهُ بِالْعَقْلِ، فَمِنْ وُجُوهٍ:

---

(١) شرح الطحاوية - ط الأوقاف السعودية، ابن أبي العز ص/١٤٧

أَحَدُهَا: الْعِلْمُ الْبَدِيهِيُّ الْقَاطِعُ بِأَنَّ كُلَّ مَوْجُودَيْنِ، إِمَّا أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمَا سَارِيًا فِي الْآخَرِ قَائِمًا بِهِ كَالصِّفَاتِ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ قَائِمًا بِنَفْسِهِ بَائِنًا مِنَ الْآخَرِ.

الثَّانِي: أَنَّهُ لَمَّا خَلَقَ الْعَالَمَ، فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ خَلَقَهُ فِي ذَاتِهِ أَوْ خَارِجًا عَنْ ذَاتِهِ، وَالْأَوَّلُ بَاطِلٌ: أَمَّا أَوَّلًا: فَبِالِاتِّفَاقِ، وَأَمَّا ثَانِيًا: فَلِأَنَّهُ يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ مَحَلًّا لِلْخَسَائِسِ وَالْقَاذُورَاتِ تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا. وَالثَّانِي: يَقْتَضِي كَوْنَ الْعَالَمِ وَاقِعًا خَارِجَ ذَاتِهِ، فَيَكُونُ مُنْفَصِلًا، فَتَعَيَّنَتِ الْمُبَايَنَةُ؛ لِأَنَّ الْقَوْلَ بِأَنَّهُ غَيْرُ مُتَّصِلٍ بِالْعَالَمِ وَغَيْرُ مُنْفَصِلٍ عَنْهُ – غَيْرُ مَعْقُولٍ.

الثَّالِثُ: أَنَّ كَوْنَهُ تَعَالَى لَا دَاخِلَ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَهُ –: يَقْتَضِي نَفْيَ وُجُودِهِ." (١)

"وَتَجْتَمِعُ فِي الْمُؤْمِنِ وِلَايَة مِنْ وَجْه، وَعَدَاوَة مِنْ وَجْه، كَمَا قَدْ يَكُونُ فِيهِ كُفْرٌ وَإِيمَانٌ، وَشِرْكٌ وَتَوْحِيدٌ، وَتَقْوَى وَفُجُورٌ، وَنِفَاقٌ وَإِيمَانٌ. وَإِنْ كَانَ فِي هَذَا الْأَصْلِ نِزَاعٌ لَفْظِي بَيْنَ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَنِزَاعٌ مَعْنَوِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَهْلِ الْبِدَعِ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي الْإِيمَانِ. وَلَكِنَّ مُوَافَقَة الشَّارِعِ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى – أَوْلَى مِنْ مُوَافَقَتِه فِي الْمَعْنَى وَحْدَه، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ (١). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ (٢)، الْآيَةَ. وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا مُنَافِقِينَ عَلَى أَصَحِّ الْقَوْلَيْنِ. وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصلة مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصلة مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، [وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ] (٣)، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»، وَفِي رِوَايَة: «وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»، بَدَلَ: «وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ». أَخْرَجَاه فِي الصَّحِيحَيْنِ. وَحَدِيثُ"شُعَبِ الْإِيمَانِ"تَقَدَّمَ. وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِه مِثْقَالُ ذَرَّة مِنْ إِيمَانٍ».

فَعُلِمَ أَنَّ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الْإِيمَانِ أَقَلُّ الْقَلِيلِ لَمْ يُخَلَّدْ فِي النَّارِ، وَإِنْ كَانَ مَعَهُ كَثِيرٌ مِنَ النِّفَاقِ، فَهُوَ يُعَذَّبُ فِي النَّارِ عَلَى قَدْرِ مَا مَعَهُ مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ.

فَالطَّاعَاتُ مِنْ شُعَبِ الْإِيمَانِ، وَالْمَعَاصِي مِنْ شُعَبِ الْكُفْرِ، وَإِنْ كَانَ رَأْسُ شُعَبِ الْكُفْرِ الْجحودَ، وَرَأْسُ شُعَبِ الْإِيمَانِ التَّصْدِيقَ.

وَأَمَّا مَا يُرْوَى مَرْفُوعًا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَا مِنْ جَمَاعَة اجْتَمَعَتْ إِلَّا وَفِيهِمْ وَلِي لِلَّهِ، لَا هُمْ يَدْرُونَ بِهِ، وَلَا هُوَ يَدْرِي بِنَفْسِه» –: فَلَا

---

(١) سورة يُوسُفَ آية ١٠٦

(٢) سورة الْحُجُرَاتِ آية ١٤

(٣) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل. واستدركناه من صحيح مسلم (١/ ٧٨)." (٢)

"نعت لـ ﴿عوجا﴾، وإنما هو حال من ﴿الكتاب﴾.

ومنه قوله: ﴿والراسخون في العلم﴾، إلا أن المتبادر في هذه الآية هو الصواب كما قدمنا، بخلاف قوله: ﴿عوجا * قيما﴾.

---

(١) شرح الطحاوية – ط الأوقاف السعودية، ابن أبي العز ص/٢٦٩

(٢) شرح الطحاوية – ط الأوقاف السعودية، ابن أبي العز ص/٣٤٧

الثاني: المتشابه من جهة اللفظ والمعنى جميعا، وذكر له خمسة أضرب أيضا:

من جهة الكمية، كالعموم والخصوص، نحو: ﴿فاقتلوا المشركين﴾

من جهة الكيفية، كالوجوب والتحريم في قوله: ﴿اعملوا ما شئتم﴾.

من جهة الزمان، كالناسخ والمنسوخ.

من جهة المكان والأمور التي نزلت فيها الآيات، نحو: ﴿وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها﴾، وقوله ﴿إنما النسيء زيادة في الكفر﴾.

قال: فإن من لا يعرف عادتهم في الجاهلية يتعذر عليه معرفة تفسير هذه الآية.." [(١)]

"١- أن جمهور أهل السنة وافقوا الكتاب والسنة في اللفظ والمعنى فتأدبوا مع النصوص ، ومرجئة الفقهاء وافقوا الكتاب والسنة معنا وخالفوهما لفظا ، ولا يجوز للمسلم أن يخالف النصوص لا لفظا ولا معنى . قال الله تعال : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ فبين الله تعالى أن هذه الأعمال كلها من الإيمان ، فوجل القلب عند ذكر الله هذا عمل قلبي ، وزيادة الإيمان عند تلاوة القرآن عمل قلبي ﴿ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ عمل قلبي ويشمل أيضا أعمال الجوارح من فعل الأسباب والإنفاق مما رزقهم الله ، كل هذه الأشياء سماها إيمانا . وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا ." [(٢)]

"ولا يعني القول باشتراط دلالة الاسم على الوصف أن نشتق لله من صفاته وأفعاله أسماءه ؛ لأن ذلك مرجعه إلى النص الشرعي دون القياس اللغوي ، وليس مراد من قال من أهل العلم أن أسماء الله مشتقة من الصفات والأفعال سوى أنها تلاقي مصادرها اللغوية في اللفظ والمعنى ، لا أنها متولدة منها وصادرة عنها صدور الفرع عن أصله ، وتسمية النحاة المصدر والمشتق منه أصلا وفرعا ليس معناه أن أحدهما تولد من الآخر ؛ وإنما هو باعتبار أن أحدهما متضمن للآخر وزيادة ، فالاشتقاق هنا ليس هو اشتقاقا ماديا أو تشبيها عقائديا يحكمه ما يحكم المخلوق ، وإنما هو اشتقاق لغوي متلازم بين الاسم والفعل والوصف ؛ ولا محذور في القول باشتقاق أسماء الله الحسنى على هذا المعنى مع التنبيه على أن حق التسمية تكون المرجعية فيه إلى تسمية الله لنفسه أو تسمية نبيه ؟ ، وأن الأسماء الحسنى أزلية أولية بأولية الذات (٦٨) .

وعلى ذلك فإن الاسم إذا أطلق على الله عز وجل جاز أن يشتق منه المصدر والفعل فيخبر به عنه فعلا ومصدرا ، نحو السميع البصير القدير ؛ يطلق عليه منه السمع والبصر والقدرة ، ويخبر عنه بالأفعال من ذلك نحو قوله تعالى : ؟ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير ؟ [المجادلة:١] ، وقوله : ؟ فقدرنا فنعم القادرون ؟ [المرسلات:٢٣] ، هذا إن كان الفعل متعديا ، فإن كان لازما لم يخبر عنه به نحو الحي بل يطلق عليه

---

(١) رسالة في حقيقة التأويل، عبد الرحمن المعلمي اليماني ص/٩٥

(٢) أسئلة وأجوبة في الإيمان والكفر، ص/١٤

الاسم والمصدر دون الفعل (٦٩) .

* الشرط الخامس من شروط الإحصاء :." [1]

"الجانب الثالث : إذا نظرنا إلى اشتقاق الأسماء والصفات من الجانب اللغوي ، فمن جهة اللغة واشتقاق الألفاظ يصح القول بأن الأسماء الحسنى مشتقة من الصفات والأفعال ، وأنها ملاقية لمصادرها في **اللفظ والمعنى** ، وتسمية النحاة المصدر والمشتق منه أصلا وفرعا ليس معناه أن أحدهما تولد من الآخر ، وإنما هو باعتبار أن أحدهما متضمن للآخر وزيادة ، لا أن العرب تكلموا بالأسماء أولا ثم اشتقوا منها الأفعال ؛ فإن التخاطب بالأفعال ضروري كالتخاطب بالأسماء لا فرق بينهما ، فالاشتقاق هنا ليس اشتقاقا ماديا ، وإنما هو اشتقاق تلازم يسمى المتضمن فيه مشتقا ، والمتضمن مشتقا منه ، ولا محذور في اشتقاق أسماء الله تعالى بهذا المعنى (١٢٠) .

قال ابن القيم : (زعم السهيلي وشيخه ابن العربي أن اسم الله غير مشتق ؛ لأن الاشتقاق يستلزم مادة يشتق منها ، واسمه سبحانه قديم لا مادة له فيستحيل الاشتقاق ولا ريب أنه إن أريد بالاشتقاق هذا المعنى فهو باطل ، ولكن من قال بالاشتقاق لم يرد هذا المعنى ولا ألم بقلبه ، وإنما أراد أنه دال على صفة له تعالى وهي الإلهية كسائر أسمائه الحسنى من العليم والقدير ؛ فإنها مشتقة من مصادرها بلا ريب ، وهي قديمة والقديم لا مادة له ، فما كان جوابكم عن هذه الأسماء كان جواب من قال بالاشتقاق في الله تعالى ، ثم الجواب عن الجميع أنا لا نعني بالاشتقاق إلا أنها ملاقية لمصادرها في **اللفظ والمعنى** ، لا أنها متولدة منها تولد الفرع من أصله) (١٢١) .." [2]

"والله عز وجل لما علم آدم الأسماء فقال : ؟ وعلم آدم الأسماء كلها ؟ [البقرة:٣٢] علمه الأسماء كألفاظ تدل بالمطابقة على تمييز الأشياء والعلم بخصائصها والتعرف على حقائقها ذاتا وصفة مطابقة وتضمنا والتزاما ، وليس الذي تعلمه آدم كما يفهم البعض هو مجرد ألفاظ أو كلمات يستعملها هو وأبناؤه ؛ بل إنه تعلم الشيء واسمه وخاصيته وأنواع دلالته مطابقة وتضمنا والتزاما ، فالذي عرضه الله سبحانه على الملائكة أعيان الأشياء بذواتها وصفاتها وليست معاني أو كلمات لا مدلول لها ولا حقيقة ، وإنما علم الله آدم الشيء المادي المحسوس الذي يمكن أن يحمل الاسم المعين ، وكذلك تأثير كل شيء في غيره ، وما ينشأ عن ذلك من المعاني والعلوم ، وهذا واضح بين بدليل أن الله عز وجل قال بعد ذلك : ؟ ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ؟ [البقرة:٣٢] ، قال ابن القيم : (فكانت حكمة ذلك التعليم تعريف مراد المتكلم ، فلو لم يحصل له المعرفة كان في ذلك إبطال لحكمة الله ، وإفساد لمصالح بني آدم ، وسلب الإنسان خاصيته التي ميزه بها على سائر الحيوان) (١٤١) .

ودلالة المطابقة هي الدلالة الأصلية في الألفاظ التي وضعت لمعانيها ، وهي تكشف عن نية القائل بمجرد صدور اللفظ ؛

---

(١) أسماء الله الحسنى، ٤٧/٣١

(٢) أسماء الله الحسنى، ٨٠/٣٣

فلا يستفصل فيها عن مراده ، وسميت بالمطابقة لمطابقة المعنى للفظ وموافقته ، كقولهم طابق النعل النعل إذا توافقا ، والمراد من تطابق **اللفظ والمعنى** هو عدم زيادة اللفظ على المعنى أو قصوره عنه (١٤٢) .." (١)

" وكذلك قالت طائفة منهم إن هذا إلا أساطير الأولين كما قال جهم والمريسي سواء لا فرق بينهما في **اللفظ والمعنى** إن هذا إلا مخلوق فأنكر الله عليهم قولهم فقال للوحيد سأصليه سقر لما قال إن هذا إلا قول البشر وقال للذي قال لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ولن يفعلوا ." (٢)

"وأصل مذهب ابن كلاب في هذه المسألة أنه توسط ما بين قول أهل الحديث -لأنه خالط أهل الحديث- وما بين قول المعتزلة فأتى بهذا الشيء الذي هو: أن القرآن معنى لأن الذي من أجله قيل إن القرآن مخلوق هو أن كلام الله ؟ أصوات وحروف وأنه يسمع .

فقال: ننفي هذه ونبقي كلام الله ؟ غير مخلوق وأنه على حقيقته؛ ولكن نقول هو معنى دون لفظ، دون سماع.

إذا تبين ذلك فنأخذ من هذا تفصيل وهو: أن دلالة الكلام في اللغة على **اللفظ والمعنى** فيها مذاهب:

؟مذهب أهل السنة والجماعة وأهل الحديث والأثر:

أن الكلام والقول إذا أطلق، يعني إذا قيل الكلام كلام فلان ،قول فلان ،قول الله ؟ فإنه يراد به شيئان معا دون تفريق بين والواحد والآخر؛ يراد به **اللفظ والمعنى** جميعا.

؟مذهب المعتزلة:

وهو أن الكلام هو في المعنى وفي اللفظ مجاز.

؟مذهب الكلابية:

وهو أن الكلام للمعاني ولكن الحديث إخراجه هذا دليل عنه.

واستدلوا على هذا بقول الأخطل في الشعر المشهور المعروف عندهم في الاستدلال:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما

جعل اللسان على الفؤاد دليلا

والكلام على هذا البيت ورد الإحتجاج به إلى آخره مر معنا في الواسطية فنحيلكم عليها؛ لأنه معروف مشهور كررناه أكثر من مرة.

نرجع على أصل المسألة وهو أن الكلابية والأشاعرة قالوا إن الكلام معنى.

كلام الله ؟ معنى، ألقاه في روع جبريل.

وهذا لأجل أنهم أصلوا تأصيلات، ومنها أن الكلام لا يدل على الإخراج وإنما يدل على ما قام في النفس، كما استدلوا

---

(١) أسماء الله الحسنى، ٩٢/٣٣

(٢) نقض الدارمي، ٥٢٩/١

بهذا البيت.
لهذا ذكرت لكم في أول الكلام تعريف كلم وكلم وهذه المادة واشتقاقها ليبطل معه قول من قال إن الكلام معنى، فإن اللغة دلت على أن الكلام لابد أن يكون لفظا ومعنى.
وحتى كلمة لفظ تدل على شيء ملفوظ مفرد.
وما أحسن قول المعري وإن كان ليس مجال احتجاج قال:
من الناس من لفظه لؤلؤ
يبادره اللقط إذ يلفظ." (١)

"وهذا القول لما قال به الجرجاني وهو مسبوق إليه من جهة الخطابي وغيره يعني في كلمة، هو أراد به الرد على عبد الجبار المعتزلي في كتابه المغني، فإنه ألف كتاب المغني وجعل مجلدا كاملا في إعجاز القرآن، ورد عليه بكتاب دلائل الإعجاز وأن الإعجاز راجع إلى **اللفظ والمعنى** والروابط؛ يعني إلى النظم ،نظم القرآن جميعا، المقصود بالنظم يعني تآلف الألفاظ والجمل مع دلالات المعاني البلاغية واللفظية وما بينها من صلات نحوية عالية.
وهذا القول قول جيد؛ ولكن لا ينبغي أن يقصر عليه إعجاز القرآن.
(القول الخامس:
من قال إن إعجاز القرآن فيما اشتمل عليه.
فالقرآن اشتمل على:
* أمور غيبية لا يمكن أن يأتي بها النبي ؟؛ بأمر الماضي وبأمر المستقبل.
* واشتمل القرآن أيضا على أمور تشريعية لا يمكن أن تكون من عند النبي ؟.
* واشتمل القرآن على هداية ومخالطة للنفوس لا يمكن أن تكون من عند بشر.
وهذا قول لبعض المتقدمين وجمع من المعاصرين بأن القرآن محتمل على هذه الأشياء جميعا.
ولكن هذا القول يشكل عليه أن إعجاز القرآن الذي تحديت به العرب، والعرب حينما خوطبوا به ،خوطبوا بكلام مشتمل على أشياء كثيرة، وكان التحدي واقعا أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو بمثل سورة أو بعشر سور مثله مفتريات كما زعموا، وهذا يؤول إلى ما تميزت به العرب، وهو مسألة البلاغة وما تميزوا به من رفعة الكلام وفصاحته وبلاغته.
والعرب لم تكن متقدمة عارفة بالأمور الطبية ولا بالأمور الفلسفية ولا بالأمور العقدية ولا بالغيبيات، وليس عندهم معرفة بالتواريخ على تفاصيلها ونحو ذلك، حتى يقال إن الإعجاز وقع في هذه الجهة؛ لكنهم خوطبوا بكلام من جنس ما يتكلمون به -يعني من جهة الألفاظ والحروف-؛ لكنهم عجزوا عن الإتيان بذلك لأنه كلام الله ؟.
(القول الأخير -والأقوال متنوعة؛ لأن المدارس كثيرة-:." (٢)

(١) إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل، ١٥/٨
(٢) إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل، ١٤/٩

" يكون مؤثرا في عدم استوائهما في الحكم ولم يقم دليل قاطع على أنه وصف ملغى لا تأثير له وبيان ذلك أنهم قالوا أن المبتدعة حين غلطوا في صفات الله تعالى فقد عبدوا غير الله فيكون قياسا على المشركين فان بعضهم عبد الرب الذي يشبه العباد وهم المشبهة وبعضهم عبد الرب الذي يجبرهم وهم المجبرة ونحو ذلك

والجواب أنهم عبدوا الرب الذي خلق الخلق وغلطهم في بعض صفاته لا يخرجهم عن عبادته ويصيرهم كمن يعبد الاصنام لوجهين أحدهما أن علماء الكلام يختلفون في كثير من الصفات كالمدرك والوصف الأخص والمريد بل كالسميع والبصير ولم يلزم بعضهم بعضا ذلك ولو كان حقا لزمهم وثانيهما أن من شهد أن محمدا رسول الله وغلط في بعض صفات جسده أو نسبه لم يكفر قطعا فدل على أن من غلط في وصف شيء لم يكن مثل جاحده وربما قالوا إن ذلك نقص له فيكون كفرا قياسا على من تعمد انتقاصه بما هو نقص بالاجماع قلنا الخطأ فارق مؤثر شرعا كالاكراه والنسيان كما سيأتي ومن اعتقد حسن القبيح وأضافه اليه لحسنه عنده لا لقبحه لا يكون كمن عكس ودليله اختلافهم في الاعراض وفي الوجه فيها من غير تكفير وبعضهم يلزمه نسبة الظلم اليه وبعضهم يلزمه نسبة العبث اليه عز و جل عن ذلك وقد جود الرد عليهم صاحبهم الشيخ مختار في المسألة التاسعة من التكفير من كتابه المجتبى وفيما قبلها وبعدها فليطالع فيه وقد نقلته بألفاظه أو معظمه إلى مواضعه من العواصم

قلت وأما بقية أدلتهم السمعية فلا تخلو من الظن في معانيها إن لم تكن ظنية **اللفظ والمعنى** معا كما يعرف ذلك النقاد من أهل الأصول الفقه لأنها إما عمومات وظواهر ومعناها ظني وإن كانت ألفاظها قرآنية معلومة ولها أو لأكثرها أسباب نزلت عليها تدل على أنها نزلت في المشركين المصرحين وتعديتها عن أسبابها ظنية مختلف فيها أو نصوص جلية لكن ثبوتها ظني لا ضروري ثم لا تخلو بعد ذلك مما يعارضها أو يكون أظهر في المعنى منها من الأحاديث الدالة على اسلام أهل الشهادتين أو الاكتفاء بهما حتى في أحاديث فتنة القبر مع كثرتها وصحتها وتلقيها بالقبول واتفاق الفرق على ." (١)

"قال ابن عباس : الصَّمَدَ الذي تُصمَد إليه الأشياء إذا أنزل بهم كربة أو بلاء ؛ قال الخطابي : أصح الوجوه أنه السَّيِدُ الذي يُصمد إليه في الحوائج لأن الاشتقاق يشهد له . وجمع أبو هريرة بين القولين فقال : المستغنى عن كل أحد المحتاج إليه كل أحد . ؛ وقال أبو بكر بن الانبارى : لا خلاف بين أهل اللغة في أنه السَّيِدُ الذي ليس فوقه أحد الذي يُصمَد إليه الناس في حوائجهم وأمورهم ؛ قال شيخ الإسلام : الاشتقاق يشهد للقولين جميعاً ، قول من قال الذي لا جوف له ، وقول من قال : أنه السَّيِدُ ، وهو على الأول أدل ؛ فإن الأول أصل للثاني ولفظ الصَّمَدَ يُقال على من لا جوف له في اللغة ، قال يحيي بن أبي كثير : الملائكة صمد والآدميون جوف ..

سابعاً: بيان اشتقاق اللفظ وأصل مادته وكذا الألفاظ المتناسبة معه (الصَّمَدُ – السَّيِدُ – المَقْصُوُد – المُصْمَتُ – الجَامِعُ) واستعمالها في اللغة في اللسان العربي ؛ وبيان المناسبة بين **اللفظ والمعنى** . فهذا البند هام جداً في فهم المعاني وتصورها

---

(١) إيثار الحق على الخلق، ص/٣٧٨

وترسخها في الأذهان ؛ مع التعرف على جمال وقوه وإحكام اللغة العربية في إبانتها للمعاني المطلوبة . .

١- حرف الميم :." [١]

"المبحث الرابع

الإيمان بالقرآن وخصائصه

تعريف القرآن والحديث القدسي والحديث النبوي والفرق بينهما :

القرآن الكريم : هو كلام الله منه بدا بلا كيفية قولا ، وأنزله على رسوله وحيا ، وصدقه المؤمنون على ذلك حقا ، وأيقنوا أنه كلام الله حقيقة ، سمعه جبريل عليه السلام من الله عز وجل ، ونزل به على خاتم رسله محمد صلى الله عليه وسلم بلفظه ومعناه المنقول بالتواتر المفيد للقطع واليقين المكتوب في المصاحف المحفوظ من التغيير والتبديل . (١) .

والحديث القدسي : هو ما رواه النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه **باللفظ والمعنى** ونقل إلينا آحادا أو متواترا ولم يبلغ تواتر القرآن (٢) .

ومثاله حديث أبي ذر الغفاري عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال : « يا عبادي ، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا » (٣) .

والحديث النبوي : ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو وصف . (٤) .

---

(١) الطحاوية ١ / ١٧٢ . مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ، ص٢١ ، وقواعد التحديث لجمال الدين القاسمي ص٦٥ .

(٢) انظر قواعد التحديث لجمال الدين القاسمي ص٦٥ .

(٣) رواه مسلم برقم (٢٥٧٧) .

(٤) مصطلح الحديث لابن عثيمين ص٧ ، وقواعد التحديث للقاسمي ص٦١-٦٢ .." [٢]

"قطعا لقوله عليه الصلاة والسلام: أمرت أن أحكم بالظاهر والله يتولي السرائر، أو كما قال عليه الصلاة والسلام، ولقوله عليه الصلاة والسلام تبكيتا وزجرا لسيدنا خالد بن الوليد في قضية الصابي: هلا شققت صدره أو كما، قال فلم يكونوا أربابا لمن تبعهم، وننزه أتباعهم أيضا عن أن يكونوا مثل اليهود والنصارى للفارق البين، وهو أن اليهود والنصارى اتبعوا من ذكر في دين مغير مبدل، فصح ما قيل في حقهم، وأما أتباع المجتهدين فإنما تبعوهم في دين غير مبدل ولا مغير فلم يخذوهم أربابا من دون الله بل لا رب لهم إلا الله تعالى.

فقوله: وذلك معنى قوله تعالى ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ كذب وافتراء وجريمة عظيمة ارتكبها بالنسبة للتابع والمتبوع ما أقبح التهور خصوصا على عظماء المسلمين، اللهم احفظ سمعنا وبصرنا وخاطرنا وجميع جوارحنا من أن

---

(١) اسم الله الصمد، ص/١٣

(٢) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، ص/١٨٤

نتطاول على من لا يستحق التطاول عليه، وانصر المحقين على المبطلين، ومن رام تنقيص علماء المسلمين من هؤلاء الفرق الباغية الطاغية التي تريد الدين أن يكون على حسب هواها، بل بعضهم يود محوه بالمرة ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله ألا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾.

قوله: فعدم المجتهدون وغلب المقلدون وكثر التعصب (فيه تفصيل) في الحكم فقوله: فعدم المجتهدون صدق، وقوله: وغلب المقلدون فيه ركة من جهة **اللفظ والمعنى**، أما من جهة اللفظ فلأن الذي يقابل العدم البقاء فحقه أن يقول: وبقي المقلدون، وأما من جهة المعنى فلأن قوله: وغلب المقلدون يقتضي وجود بعض المجتهدين إلا أن الغالب المقلدون، وقد حكم قبل بانعدام المجتهدين بتاتا تأمل إن كنت ذا فهم.

قوله: وكثر التعصب فيه تفصيل فإن كان." (١)

"المشار إليه صفات مخصوصة به، وصفات يشاركه فيها غيره من الموجودات، وهو من أمحل المحال، فإن المختص بالشيء المعين والذي يشاركه غيره فيه واحد بالنسبة إلى ذلك المعين المشار إليه. فإن الوجود إذا تخصص بالفرضية فهو بعينه عرض، والعرضية إذا تخصصت باللونية فهي بعينها لون، وكذلك اللونية بالسوادية. والسوادية بهذا السواد المشار إليه فليس من المعقول أن توجد صفة لشيء معين هي بعينها توجد لشيء آخر كسواد واحد في محلين، وجوهر واحد في مكانين، ثم لا يكون ذلك في الحقيقة عموما وخصوصا، فإن مثل هذا ليس يقبل التخصيص؛ إذ يكون خاصا في كل محل، ولا يكون ألبتة عاما. وإذا لم يكن عاما لم يكن خاصا أيضا فيتناقض الكلام.

والخطأ الثاني: أنهم قالوا: الحال لا توصف بالوجود ولا بالعدم، والوجود عندهم حال فكيف يصح أن يقال الوجود لا يوصف بالوجود ولا بالعدم؟

وهل هو إلا تناقض في **اللفظ والمعنى** جميعا؟ وما لا يوصف بالوجود ولا بالعدم كيف يصح أن يعم أصنافا وأنواعا؛ لأن العموم والشمول يستويان، أولا وجودا محققا وثبوتا حتى يشمل ويعم ويخص ويتعين، وأيضا أثبتوا العلّة والمعلول، ثم قالوا: العلّة توجب المعلول وما ليس بموجود كيف يوجب غيره، والعلمية والعالمية عندهم حال، والموجب حال، والموجَب حال، والحال لا توجب الحال للحال؛ لأن ما لا يتصف بالوجود الحقيقي لا يتصف بكونه موجبا.." (٢)

"فالقول على الله بلا علم في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، أعظم من القول عليه بلا علم في أوامره ونواهيه، وشرعه ودينه، وتحليله وتحريمه، وأعلى مرتبة في التحريم، وإن كان في الثاني ما يرجع إلى تنقصه في أسمائه وصفاته ، ومعلوم أن من أثبت لله صفة ، أو اسمًا ما أثبته لنفسه، أو نفى عنه ما اتصف به ، فهو قائل عليه بلا علم، وهو مخالف للكتاب والسنة والشرع والقدر، كاذب ضال عن الصراط المستقيم.

[أهل السنة والجماعة يؤمنون **باللفظ والمعنى** جميعًا]:

فإن قُوى العباد لا تقدر أن تصل إلى شيء من ذلك بعقولها ولا بأفهامها، ولا طريق إلى ذلك إلا بالكتاب والسنة ، والسالم

---

(١) الأجوبة الكافية عن الأسئلة الشامية، ص/١١٢

(٢) التحف الربانية في جواب الأسئلة اللمدانية، ص/٦٤

الناجي يوم القيامة ، هو الناطق بما نطق به الكتاب والسنة والواقف حيث وقفًا، فنؤمن بما جاء عن الله وبما جاء عن رسول الله، نؤمن **باللفظ والمعنى** جميعًا، ونعتقده حقيقة على ما يليق بجلال الله وعظمته.

وبهذا تعرف أن طائفتي الضلال والانحراف من نفاة الصفات، هم أعظم القائلين على الله بلا علم، سواء بجحد أو تعطيل، أو تكييف أو تمثيل.

وإنما سلم من القول على الله بلا علم ، من اتبع النبي الكريم وأصحابه والتابعين، المقتفين لهديه الكريم.

وَقَوْلُهُ : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه : ٥] . فِي سَبْعَةِ مَوَاضِعَ

[إثبات استواء الله على عرشه استواء يليق بجلاله لا كاستواء المخلوقين]:." (١)

"ومذهب أهل السنة والجماعة أن الله موصوف بالكلام، وأنه متعلق بمشيئته وقدرته، لم يزل متكلمًا إذا شاء، ومتى شاء ، فكما أنه تعالى لا يشبهه شيء من مخلوقاته في ذاته، ولا في أسمائه وصفاته، فكذلك في كلامه.

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللَّهِ ﴾ [التوبة : ٦] . ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٧٥] . ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ ﴾ [الفتح : ١٥] . ﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾ [الكهف : ٢٧] ،

[القرآن كلام الله]:

(﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ ﴾) المراد به القرآن ، فيه إثبات صفة الكلام. وفيه إضافة الكلام إلى الله، والكلام إنما يضاف إلى من قاله مبتدأ ، لا إلى من قال وبلَّغ مؤديًا. الإضافة إنما تكون لمن صدر منه الكلام، وجاء ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ وإضافته إلى الرسول إضافة تبليغ.

(﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾) فيه إثبات صفة الكلام كالتي قبلها فدل على أنه كلام الله حقيقة حروفه ومعانيه ، بدليل ما في هذه الآية أنهم يحرفون **اللفظ والمعنى**.

(﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ اللهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللهُ مِنْ قَبْلُ ﴾) فيه إثبات صفة الكلام، وفيه إضافته إلى الله ، فدل على أن القرآن العزيز كلام الله حروفه ومعانيه ، ليس كلام الله الحروف دون المعاني ، ولا المعاني دون الحروف.." (٢)

"اشتمال آية الكرسي على عشر جمل، منها ما هو نفي ،

ومنها ما هو إثبات: ... ٦

إثبات الكرسي لله: ... ٦

---

(١) شرح العقيدة الواسطية - ابن إبراهيم، ص/٥٥

(٢) شرح العقيدة الواسطية - ابن إبراهيم، ص/٦٨

أعظم المحرمات وأقسامه: ... ٦

أهل السنة والجماعة يؤمنون **باللفظ والمعنى** جميعًا: ... ٦

إثبات استواء الله على عرشه استواء يليق بجلاله لا كاستواء المخلوقين: ... ٦

معنى الاستواء معلوم والكيف مجهول: ... ٦

قاعدة في جميع الصفات: ... ٦

الرد على من حرف الاستواء بالاستيلاء: ... ٦

حجة دامغة على منكري الصفات: ... ٦

فائدة بديعة: ... ٦

الفرق بين الاستواء والعلو: الاستواء أمر زائد على مطلق العلو، وهو أخص منه ودل عليه السمع فقط: ... ٦

طرق إثبات العلو: ... ٦

إثبات علو الله وفوقيته على مخلوقاته: ... ٦

إثبات معية الله لخلقه: ... ٦." (١)

"فقال الإمام أَحْمَد رَحِمَهُ اللَّهُ: أقول في ربي عَزَّ وَجَلَّ أنه كما قَالَ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ [الإخلاص:١-٤] وأما الجسم وأمثاله فلا نقول فيه لا نفياً ولا إثباتاً؛ لأن هذا شيء لم يأت لا في الكتاب ولا في السنة ولم يبلغنا عن السلف فلا يلزمني شيء، ولا يلزمني أنه جسم، وهكذا استمر الأمر في أكثر المناظرات. فهذه قاعدة عظيمة أرساها الإمام أَحْمَد رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد أخذها عمن قبله من العلماء ونقلوها لنا، وهي: أننا في كل المعاني المحدثة أو الألفاظ التي تحتها معاني محدثة، فإننا لا ننفي ولا نثبت إلا ما جاءَ في الكتاب أو السنة أو أقوال السلف هذا هو الذي نستخدمه، وما عدا ذلك فإننا نستفصل: ماذا تريد أيها المثبت؟ وماذا تريد أيها النافي؟ فإن ذكر معنىً حقاً، وقَالَ: أنا أريد بنفي الحدود نفي الجهة، أنا أنزه الله تَعَالَى عن الحلول عن الحركة، وأقصد تنزيه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن أن يشبه المخلوقات، قلنا: المراد صحيح ولكن عبارتك خاطئة، فعليك أن تنزه الله بما نزه به نفسه أو نزهه به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا تتعدى ذلك ولا تخرج عنه.

وإن قَالَ: أنا أقصد بنفي الانتقال ونفي الحركة به أن الله لا ينزل إِلَى السماء الدنيا في الثلث الأخير من كل ليلة، قلنا له: أخطأت وهذا كلام أهل البدع: يردون الحديث الصحيح الثابت المتواتر بأمثال هذه الجدليات والعقليات التي لا أصل لها من الشرع، فلفظك مبتدع ومعناه مبتدع، فنرد **اللفظ والمعنى** معاً.." (٢)

---

(١) شرح العقيدة الواسطية - ابن إبراهيم، ص/١٩٦

(٢) شرح العقيدة الطحاوية / الحوالي، ص/٣٥٠

"يقول شَيْخ الإِسْلامِ ابْن تَيْمِيَّةَ : إن الفرق بين هَؤُلاءِ –أي الأشعرية – الذين يقولون إن القُرْآن له معنيان: المعنى النفسي غير المخلوق، والثاني الذي في المصاحف، فهو مخلوق من كلام البشر، أو من كلام جبريل أو مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبين الكفار الذين قالوا: إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ ، بمعنى: أن معناه وحروفه من كلام البشر، أي أن الله لم ينزل هذا القُرْآن ولم يتكلم به.

الفرق أن هذا القول من الأشعرية فيه مضاهاةٌ للمشركين في نصف قولهم، إذ أن الْمُشْرِكِينَ قالوا: **اللفظ والمعنى** من كلام البشر، وهَؤُلاءِ قالوا: اللفظ من كلام البشر، فقالوا نصف ما قاله الْمُشْرِكُونَ، ومعلوم باتفاقأهل السنة والأشعرية وغيرهم أن الْمُشْرِكِينَ كفار؛ لأنهم أدعوا أن هذا القُرْآن هو من كلام البشر، يقول الشيخ فمن جعله قول مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمعنى: أنه هو الذي أنشأه وتكلم به من عنده فقد كفر، ولا فرق بين أن يقول إنه قول بشر أو جني أو ملك.

ثُمَّ انتقل الْمُصَنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ إِلَى الاستدلال بما هو معروف في كلام العرب، وهو: أن الكلام إنما هو كلام من قاله مبتدئاً لا كلام من قاله مُبلّغاً، فمن قَالَ: كلام مَنْ هذا؟ فإنّما يسأل عن الذي أنشأه وتكلم به وأستأنفه وابتدأه، لا من بلغه أو حكاه أو نقله، ويضرب لذلك أمثلة يقول ممثلاً بالمعلقة المشهورة التي هي أشهر الشعر عند العرب معلقة امرئ القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

إلى آخر هذه المعلقة، فمن سمع قائلاً يقول هذا البيت، فإنه يقول هذا شعرامرئ القيس ، وإن كَانَ معروفاً أن امرئ القيس توفي في الجاهلية، وإنما هو يعبر عما يسمعه الآن من قول، ولكن المقصود: أن هذا ليس هو كلام من ينطق به الآن، وإنما هو كلام من ابتدأه وقاله أولاً.." (١)

"فيريد الْمُصنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ أن يقول إن الذين قالوا: إن كلام الله مخلوق بدون تحفظ، هم مخالفون لمجموع الأمة كلها، فإن أكثر الأمة يقولون: إن القُرْآن غير مخلوق، وإنما اختلفوا في مفهوم القُرْآن هل هو المعنى القائم بالذات، أو هو الألفاظ والمعاني معاً، أو الحروف والأصوات معاً، أو أنه بدا له الكلام بعد أن لم يكن متكلماً كما هو مذهب الكرامية .

ففي هذه العبارة إجمال: لأن أتباع الأئمة الأربعة وغيرهم قد انقسموا إِلَى من يقول إن القُرْآن مخلوق **اللفظ والمعنى**، وهَؤُلاءِ هم المعتزلة ، وإلى الذين يتبعون السلف والأئمة الأربعة وهَؤُلاءِ يقولون: إن القُرْآن كلام الله ألفاظه ومعانيه غير مخلوق، ثُمَّ حدث الرأي الثالث.

وقد نص العلماء عَلَى أنه إذا اختلف السلف الصالح فقالوا قولاً وخالفهم رجل أو طائفة فأحدثت قولاً بخلاف ما كَانَ عليه السلف ، وأصبحت المسألة عَلَى قولين، فإنه لا يصح لأحد أن يأتي فيحدث قولاً ثالثاً.

ولهذا نقول: إن الذين قالوا بالفرق بين الكلام المعنوي أو النفسي، وبين الكلام اللفظي إنما هم مبتدعة أحدثوا بدعة جديدة، لكن الْمُصنِّفُ –رَحِمَهُ اللهُ– كأنه يريد أن يقول: إن أهل السنة هنا بمعنى ما يقابل المعتزلة كذا، وتطلق بما يقابل الشيعة ، فيُقَالُ:: قالأهل السنة كذا، وقال الشيعة كذا، وذلك كما ذكر شَيْخ الإِسْلامِ ابن تيمية في منهاج السنة وفي غيره، لاشتهار

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية / الحوالي، ص/٦٦٠

الشيعة في مخالفة الحق وعدم اتباع السنة، فأصبح من لم يكن شيعياً فإنه من أهل السنة مع أنه قد يكون فيه من البدع ما الله به عليم.." (١)

"فيقولون: العبارات مخلوقة، سواءً كانت خلقاً خلقه الله منفصلاًُ، أو من كلام جبريل أو محمد، فهي مخلوقة، ويقولون: سميت كلام الله؛ لأنها دالة عليه ومؤدية لمعناه، فيفهم كلام الله الذي هو المعنى النفسي القائم به من خلال هذه العبارات والحكايات والألفاظ الدالة عليه، وتسميتها كلام الله من قبيل المجاز، فالكلام شيء واحد، والعبارات مختلفة، وكلها مخلوقة، ويطلق عليها كلام الله على سبيل المجاز؛ لأنها تدل على كلام الله عز وجل، هذا ملخص مذهب الحنفية المتأخرين، وهو مذهب غيرهم كالأشاعرة وأمثالهم .

الرد على من يقول بأن كلام الله معنى واحد

لقد رد المُصَنّف هنا عليهم بردود سهلة لكل ذي عقل وبصيرة، فَيَقُولُ: [وهذا الكلام فاسد فإن لازمه أن معنى قوله وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى هو معنى قوله: وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ ومعنى آية الكرسي هو معنى آية الدين، ومعنى سورة الإخلاص هو معنى تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَب [المسد:١].

وهذا القول لا يقول به عاقل ولا دليل عليه مطلقاً، فليس هناك من داع يدعو إِلَى هذا القول إلا مأزق كلامي أو أغلوطة ألقاها الشيطان في أنفسهم وعجزوا عن جوابها؛ حتى لا يثبتوا أن الحوادث تحل بالله وهذا يقتضي المماثلة والمشابهة وغيرها من التعليلات؛ فهل معنى آية الكرسي هو معنى آية الدين؟! من المعلوم أن آية الكرسي أفضل وأعظم آية في كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، وهي تتعلق بصفات الله تعالى، وآية الدين تتعلق بالأحكام، وكذلك هل معنى سورة الإخلاص قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ هو نفس معنى تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ وبينهما من الفرق ما يعرفه كل عاقل! فهما مختلفتان تماماً في **المعنى واللفظ**، فلا حاجة إِلَى هذا القول الذي يظهر لمن تأمله سقوطه وبطلانه.." (٢)

"وكذلك مخاطبة الله عز وجل للملائكة: إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ولما قال لهم: اسْجُدُوا لِآدَمَ وعندما يُخاطبُ الله عز وجل، عيسى يوم القيامة عليه السلامأَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ [المائدة:١١٦] .

هل هذا الكلام هو كل كلام الله عز وجل؟

لا يقول ذلك عاقل؛ لأن هذا بعض كلام الله، ومعناه واضح والحمد لله، ويسمعه عيسى عليه السلام، ويجيب عليه السلام بما ذكر الله –عز وجل– في القرآن، إذاً فالقول بأنه معنى واحد قائم بالنفس لا يتصور سماعه، مكابرة للعقول ومن يقرأ في الحواشي العضدية والنسفية في التعليق على هذا الكلام يجد الألغاز المعماة المعقدة في شرح معنى أن الله تكلم، ومعنى الكلام، ومعنى كلام نفسي، يجد أشياء غريبة جداً، ولو أن هذا هو ديننا الذي أنزله الله والذي يجب أن نعتقده، لما دخل الجنة أحد إلا هؤلاء أصحاب الألغاز، وهم أيضاً متناقضون مختلفون، فلا ندري من يدخل الجنة منهم، سبحان الله!

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية / الحوالي، ص/٦٦٣

(٢) شرح العقيدة الطحاوية / الحوالي، ص/٦٩٢

فالله –عز وجل– أنزل إلينا الدين واضحاً جلياً، فكل ذي فطرة وعقل سليم يفهم من معنى الكلام أن الكلام منه بدأ، وهو الذي تكلم به على الحقيقة، أما كيفية كلام الله –عز وجل– فشأنها كشأن سائر الصفات لا نخوض في الكيفية، ولن تدركها عقولنا بأية حال من الأحوال هذا غاية ما يمكن أن يقال في هذا الموضع .

قَالَ المُصنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

[وللناس في مسمى الكلام والقول عند الإطلاق أربعة أقوال:

أحدها: أنه يتناول **اللفظ والمعنى** جميعاً، كما يتناول لفظ الإنسَان للروح والبدن معاً، وهذا قول السلف .

الثاني: أنه اسم للفظ فقط، والمعنى ليس جزء مسماه، بل هو مدلول مسماه، وهذا قول جماعة من المعتزلة وغيرهم.

الثالث: أنه اسم للمعنى فقط، وإطلاقه عَلَى الفظ مجاز؛ لأنه دالٌ عليه، وهذا قول ابن كلاب ومن اتبعه.

الرابع: أنه مشترك بين **اللفظ والمعنى**، وهذا قول بعض المتأخرين من الكلابية.." (١)

"ولهم قول خامس يروى عن أبي الحسن أنه مجاز في كلام الله حقيقة في كلام الآدميين؛ لأن حروف الآدميين تقوم بهم فلا يكون الكلام قائماً بغير المتكلم بخلاف كلام الله، فإنه لا يقوم عنده بالله، فيمتنع أن يكون كلامه، وهذا مبسوط في موضعه] اهـ.

الشرح:

هذا الكلام استطراد لكن لا بأس أن نعرفه وإن كَانَ ليس مهماً لأنه من فضول العلم وهو في الحقيقة خوض في أمور فلسفية وذلك أنهم تأملون فَقَالُوا: هل الكلام –حقيقة– هو اللفظ، أي: هل هذه الألفاظ (ك، ت، ب) مجردة عن المعنى هي الكلام؟ أو أن الكلام يطلق عَلَى اللفظ بمعناه مع بعض دون فصل بينهما، أو يطلق عَلَى واحد منهما؟ هذا من التفصيل الذي خاض فيه المتأخرون، والأقوال فيه أربعة، وذكر المُصنِّفُ قولاً خامساً في ذلك.

القول الأول: ما عليه السلف الصالح ، وعليه العقلاء من النَّاس أجمعين أن الكلام يتناول **اللفظ والمعنى** بغير فصل، كما أن كلمة إنسان تتناول البدن والروح، أي الجانب الظاهر منه والجانب الباطن فالكلام يشمل الصوت الذي يصدر من الحلق أو الحرف مع المعنى أيضاً المقترن به ولا انفكاك بينها.

والقول الثاني الذين قالوا: الكلام في الحقيقة هو اللفظ فقط، أي: مجرد الحروف أو مجرد الهواء الذي يخرج من الأجهزة الصوتية، وأما المعنى فهو يطلق عليه بالمجاز أو هو مدلوله، وهذا مذهب جماعة من المعتزلة .

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية / الحوالي، ص/٧٣٠

والقول الثالث: قول الأشعرية وهو ضد قول المعتزلة أن الكلام في الحقيقة هو المعنى وأما الألفاظ التي تخرج فهذه لا تسمى كلاماً إلا مجازاً.." (١)

"والقول الرابع قول طائفة من الأشعرية الكلابية أنه مشترك بين اللفظين؟ والفرق بين قول السلف وقول الكلابية أنه مشترك بين **اللفظ والمعنى**، أن السلف يقولون: إنه يتناول **اللفظ والمعنى** معاً بدون انفصال: فإذ قال متكلم كلمة فإنه قال بحرف وصوت مع المعنى الذي يقصد ذلك المتكلم معاً بلا انفصال بينها، لكن هَؤُلاءِ يقولون هو مشترك بين **اللفظ والمعنى**، أي: يطلق عَلَى مجرد الألفاظ أنها كلام ويطلق عَلَى المعنى الواحد أنه كلام بخلاف مذهب السلف فإن الكلام يطلق عَلَى الاثنين، ولا يطلق عَلَى مجرد الكلام النفسي كلاماً في مذهب السلف ولا العقلاء جميعاً إلا إذا جَاءَ مقيداً كَانَ تقول: تكلمت في نفسي فنفهم منه أنك أسررت شيئاً في نفسك ولكن لم تبح به.

القول الخامس: يروى عن أبي الحسن الأشعري أنه مجاز في كلام الله حقيقة في كلام الآدميين.

قَالَ المُصنِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ-:

[وأما من قال إنه معنىً واحد، واستدل عليه بقول الأخطل :

إنَّ الكلامَ لفِي الفؤادِ وإنَّما جُعْلِ اللسانُ عَلَى الفؤادِ دليلاً

فاستدلال فاسد، ولو استدل مستدل بحديث في الصحيحين لقالوا: هذا خبر واحد، ويكون مما اتفق العلماء عَلَى تصديقه وتلقيه بالقبول والعمل به.

فكيف وهذا البيت قد قيل: إنه موضوع منسوب إِلَى الأخطل وليس هو في ديوانه.

وقيل: إنما قَالَ: " إن البيان لفي الفؤاد"، وهذا أقرب إِلَى الصحة.

وعلى تقدير صحته عنه فلا يجوز الاستدلال به، فإن النَّصارَى قد ضلوا في معنى الكلام وزعموا أن عيسى عَلَيْهِ السَّلام نفس كلمة الله، واتحد اللاهوت بالناسوت أي شيء من الإله بشيء من الناس؛ أفيستدل بقول نصراني قد ضل في معنى الكلام ويترك ما يعلم من معنى الكلام في لغة العرب؟!

وأيضاً: فمعناه غير صحيح إذ لازمه أن الأخرس يسمى متكلماً لقيام الكلام بقلبه، وإن لم ينطق به، ولم يسمع منه، والكلام عَلَى ذلك مبسوط في موضعه، وإنما أشير إليه إشارة.." (٢)

"وأيضاً ففي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم به أو تعمل به) فقد أخبر أن الله عفا عن حديث النفس إلا أن تتكلم ففرق بين حديث النفس وبين الكلام وأخبر

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية / الحوالي، ص/٧٣١

(٢) شرح العقيدة الطحاوية / الحوالي، ص/٧٣٢

أنه لا يؤاخذ به حتى يتكلم به والمراد حتى ينطق به اللسان باتفاق العلماء فعلم أن هذا هو الكلام في اللغة لأن الشارع إنما خاطبنا بلغة العرب وأيضاً في السنن أنمعاذاً رضي الله عنه قال: يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال: (وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم) .

فبين أن الكلام إنما هو باللسان، فلفظ القول والكلام وما تصرف منهما من فعل ماض ومضارع وأمر واسم فاعل إنما يعرف في القرآن والسنة وسائر كلام العرب إذا كان لفظاً ومعنى ولم يكن في مسمى الكلام نزاع بين الصحابة، والتابعين لهم بإحسان وإنما حصل النزاع بين المتأخرين من علماء أهل البدع ثم انتشر.

ولا ريب أن مسمى الكلام والقول ونحوهما ليس هو مما يحتاج فيه إلى قول شاعر فإن هذا مما تكلم به الأولون والآخرون من أهل اللغة وعرفوا معناه كما عرفوا مسمى الرأس واليد والرجل ونحو ذلك] اهـ

الشرح :

يستمر المصنف -رحمه الله- تعالى في بيان هذه الحقيقة وهي: أن القول أو الكلام وما يتفرع عنه من الفعل أو المصدر أو اسم الفاعل، إذا قلنا: قال فلان أو يقول أو قولاً أو تكلم كلاماً كل هذا فإن المراد به الكلام المعروف المعهود عند الناس وهو المنطوق باللسان أي: يشمل **اللفظ والمعنى** معاً ولم يعهد عن أحد من السلف من التابعين أو الصحابة -رضوان الله تعالى عليهم- أنه قال بالفرق بينهما كما تقدم بيانه وأن هذا إجماع منهم.." (١)

"الحافظ النسفي يقول في المنار : إن القرآن اسم للنظم والمعنى، فهو يردُّ هنا على أصحابه القائلين بالكلام النفسي، وقال: [وما يُنسب إلى أبي حنيفة -رحمه الله- أنه قال: من قرأ في صلاته بالفارسية أجزأه] إذا قرأ بمعنى القرآن بلغة غير العربية فإن ذلك يجزئه في صلاته، فالإمام أبو حنيفة رجع عن هذا القول كما يقول الإمام المصنف ابن أبي العز وهو من أئمة المذهب، وهو يعلم المذهب ويعلم الأقوال فيه، وقد يسلم الإنسان في هذه اللحظة، وهو لا يجيد اللغة العربية، فلا نلزمه أن يصلي باللغة العربية، وهو إلى الآن لم يتعلمها، ولكن ينبغي أن يتعلمها في أسرع ما يمكن.

ثم قال الأئمة الحنفية: ما حكم من قرأ بغير العربية؟

قالوا: إما أن يكون مجنوناً فيداوى -يُعالج حتى يشفى- أو زنديقاً فيُقتل -إنسان ساخر هازل زنديق فهذا يقتل- لأنه قرأ بغير اللغة العربية، قال: لأن الله تكلم بالقرآن، وأنزله بهذه اللغة بلسان عربي مبين كما قال تعالى: إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً [الزخرف:٣] والإعجاز حصل بلفظه ومعناه، فإذا غير إلى لغة أخرى فإن ذلك إبطال للإعجاز والتحدي فهؤلاء الأئمة في الفقه لم يفرقوا بين **اللفظ والمعنى**، فيقولون: إن المعنى قائم بالنفس، وأن اللفظ مخلوق أو مصنوع أو عبارة وحكاية عنه.

فهذا مما يَستدِلُ به المصنف -رحمه الله- على الماتريدية وقد نبهنا لماذا نقول ذلك؛ لأن العقيدة الطحاوية شرحها ماتريديون

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية / الحوالي، ص/٧٤٣

ينتسبون إلى نفس المذهب الحنفي لكنهم على مذهب أبي منصور الماتريدي فأولوها وحرفوها كما أولوا كلام الله، فهو هنا يَرُدُّ عليهم: أن هذا الذي قاله أبو جعفر الطحاوي هو الصحيح وهو الذي عليه الإمام أبو حنيفة وهو الذي عليه النسفي وهو الذي عليه نفسه رحمه الله، وكل علماء المذهب الحقيقين هم على هذا المذهب وعلى هذا القول الصواب الذي كان عليه السلف في مسمى الكلام وفي مسمى القول .." (١)

"فالمسالة في أصلها تعود إِلَى التلقي إما من كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو من الفهم لها كما فهمها الصحابة وكما فهمها العلماء الثقات الذين يؤخذ عنهم هذا العلم ويؤخذ منهم الدين، فالصحابة رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُم، والسلف لم ينقلوا نظم القُرْآن وحده، -يعني الألفاظ وحدها- وإنما نقلوا **اللفظ والمعنى**، ولم يكونوا يتعلمون كتاب الله كما يتعلم الصبيان الذين لا يستطيعون أن يستوعبوا المعاني، وإنما يحفظون الألفاظ؛ فهذا سوء ظن بأفضل جيل.

وذكر المُصَنِّف أن من لا يسلك سبيلهم فإنما يتكلم برأيه وبالهوى المجرد، ومن يتكلم برأيه وما يظنه دين الله ولم يتلق ذلك من الكتاب فهو مأثوم وإن أصاب، وبالعكس من أخذ من الكتاب والسنة فهو مأجور وإن أخطأ، لأنه ليس كل إنسان يوفق للفهم الصحيح في كتاب الله وفي سنة رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل قد يفهم خطأ، كما وقع ذلك حتى في جيل الصحابة رضوان الله تَعَالَى عليهم، لكن إن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد وخطؤه مغفور، أما من أخذ من غير الكتاب والسنة فهو آثم، وإن أصاب، فلو جَاءَ أحدهم وقَالَ: أنا أثبت العلو لله كابن رشد مثلاً فإنه يثبت كثيراً من الصفات التي تنكرها الأشعرية -وكان عدواً شديداً للأشعرية .

يقولون: نثبت بالعقل وبالرأي أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فوق العالم.

ولو قيل: ما رأيكم في الكتاب والسنة؟

لقالوا: لا، هذه تحتمل وظاهرها فيه تشبيه، نَحْنُ نثبت بالعقل.

فيقال لهم: هذا أثم، وإن كَانَ الكلام صواباً؛ لأنه لم يتبع الحق من منبع الحق ومن مصدر الحق وهو الكتاب والسنة، فنقول: ليس عقلك هو مصدر التلقي ولا مصدر الإثبات إلا في المجالات التي هي من شأن العقل وهي المجالات الاجتهادية لكن كلامنا في الدين وفي الاعتقاد، وفي الصفات، فلا يستطيعها العقل وليس في مجاله ولا من اختصاصه.

قال المصنف رحمه الله :." (٢)

"ومسمى الكلام اختلفوا فيه هل اللفظ أو المعنى؟ قال بعضهم: إن مسمى الكلام حقيقة في المعنى مجاز في اللفظ وهم الأشاعرة، والأصل في الكلام المعنى، وأما اللفظ مجاز.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية / الحوالي، ص/٧٥٢

(٢) شرح العقيدة الطحاوية / الحوالي، ص/١٧٧٥

وقيل: إن الكلام حقيقة في اللفظ مجاز في المعنى، وهذا مذهب المعتزلة، وقيل: إن الكلام حقيقة في كل من **اللفظ والمعنى** فإطلاقه على المعنى وحده حقيقة وإطلاقه على اللفظ حقيقة، وهذا مذهب ابن علي الجويني: وقيل إن الكلام حقيقة في **اللفظ والمعنى** على سبيل الجواز فإطلاقه على أحدهما إطلاقه على جزء معناه، وإطلاقه عليهم على سبيل الجمع إطلاق على كل معناه.

وهذا هو الذي عليه أكثر العقلاء وهو: الصواب مسمى الكلام **اللفظ والمعنى** ، ليس مسمى الكلام اللفظ فقط ، كما تقول المعتزلة، ولا مسمى الكلام المعنى كما تقول الأشاعرة ، ولا مسمى اللفظ وحده والمعنى وحده كما يقول ابن علي الجويني فمسمى الكلام **اللفظ والمعنى**.

بسم الله الرحمن الرحيم

وقيل: إن الكلام حقيقة في كل من **اللفظ والمعنى**، فإطلاقه على المعنى وحده حقيقة، وإطلاقه على اللفظ حقيقة، وهذا مذهب أبي علي الجويني، وقيل: إن الكلام حقيقة في **اللفظ والمعنى** على سبيل الجمع، فإطلاقه على أحدهما إطلاق على جزء المعنى، وإطلاقه عليهما على سبيل الجمع إطلاق على كل المعنى.

وهذا هو الذي عليه أكثر العقلاء، وهو الصواب أن مسمى الكلام **اللفظ والمعنى**، ليس مسمى الكلام اللفظ فقط كما تقول المعتزلة، ولا مسمى الكلام المعنى كما تقول الأشاعرة، ولا مسمى اللفظ وحده والمعنى وحده كما يقول أبو علي الجويني.

فالمسمى الكلام **واللفظ والمعنى** ، لكي أتكلم أو كلام أو هذا الكلام اسم للفظ والمعنى.

حقيقة مذهب أهل السُّنة والجماعة في كلام الرب عز وجل أن كلام الله محفوظ في الصدور مقروء بالألسن مكتوب في المصاحف محفوظ في الصدور معلوم في القلوب ، مقروء مسموع بالآذان، وهو في هذه المواضع كلها حقيقة.

فإذا قيل في المصحف كلام الله فُهم منه معنًى حقيقي، وإذا قيل فيه مداد كتب به فهم منه معنى حقيقي، وإذا قيل: في المصحف خط فلان الكاتب فهم منه معنى الحقيقية.

وإذا قيل المداد في المصحف فالظرفية فيه غير الظرفية المفهومة من قولك: فيه السماوات والأرض وفيه محمد وعيسى، وهي غير الظرفية المفهومة من قولك: فيه خط فلان الكاتب، وهي غير الظرفية المفهومة من قولك: فيه مداد كتب به، وهي غير الظرفية المفهومة من قولك: في المصحف كلام الله.

هذه كلها حقائق فالمصحف فيه كلام الله، وفيه خط فلان، وفيه مداد كتب به وفيه محمد وعيسى يعني ذكر محمد وعيسى وفيه السماوات والأرض أي ذكر السماوات والأرض.

ومن لم يتنبه لهذه الفروق ضل ولن يهتدي إلى الصواب، وكذلك لا بد من الانتباه للفرد بين القراءة والمقروء فالقراءة فعل القارئ والمقروء كلام الرب.

وقد استدل الإمام البخاري –رحمه الله– في كتابه الصحيح على أن أفعال العباد مخلوقة في نصوص التبليغ على أن أفعالهم –ومن ذلك كلامهم وأفعالهم وأصواتهم– كلها مخلوقة، استدل بنصوص التبليغ كقوله سبحانه: ﴿* يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا

أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ وقوله: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ وهذا من رسوخه في العلم، فإن ذلك يتضمن أصلين عظيمين ضل فيها أهل الزيغ:

الأصل الأول: أن المبلغ ليس له من الكلام إلا مجرد التبليغ فليس مُنْشِئًا ولا محدثًا للكلام؛ إذ لو كان الكلام من عنده لكان مُنْشئًا محدثًا للكلام ولم يكن مبلغًا؛ فالمبلغ إنما يبلغ كلام غيره إذا قرأت: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى) تقول هذا كلامك أو كلام الرسول؟ كلام الرسول.

وإذا قرأت قول امرئ القيس:-

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل *** بسقط اللوى بين الدخول فحومل

تقول هذا كلام امرئ القيس ، أنت مبلغ عنه ، والكلام لامرئ القيس ليس لك . (إنما الأعمال بالنيات) – الكلام للرسول ليس لك ، فالمبلغ إنما يبلغ كلام غيره.

الأصل الثاني: أن التبليغ فعل المبلغ وحقيقته أن يورد إلى الموصل إليه ما حمله إليه غيره فله مجرد التبليغ ، قد ترجم الإمام البخاري –رحمه الله– في الصحيح في كتاب التوحيد باب قراءة الفاجر والمنافق لا تجاوز حناجرهم، أراد من ذلك أن أفعال العباد وقراءتهم وأصواتهم مخلوقة، هم يقرءون كلام الله بأصواتهم فأصواتهم وقراءتهم هي أفعالهم، والمقروء كلام الله.." (١)

"الأسئلة:

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على رسول الله ، يقول السؤال: فضيلة الشيخ

س– أليس من الغلط أن تبين الحوادث للربط جملة لاحتمال هذا البحث معنى حق كما يحتمل معنى باطلًا، وعلى هذا فعلى من ينتسب إلى مذهب أهل السنة أن يستفصل عن المراد فإن أريد بحلول الحوادث أن الرب يشبه المخلوقين فإن هذا المعنى يحمل على الرب سبحانه ، وإذا أريد يشبه المخلوقين فإن هذا المعنى يحمل على الرب سبحانه، وإن أريد بحلول الحوادث اتصاف الرب بصفات اختيارية فإن هذا المعنى يحمل بكون الرب سبحانه يتصف بصفات اختيارية متى شاء؟ .

ج – نعم هذا قلناه ، قلنا: إن قولهم يلزم من ذلك حلول الحوادث بالرب ارتبط بكل هذا في الدرس الماضي ذكرنا كل هذا أنه يستفسر إن أردتم أنه يتصف بقيام الحوادث وأنه يحل في شيء من مخلوقاته هذا باطل، وإن أردتم أنه يتصف بالصفات الاختيارية مثل الخلق والتصوير والطي والاستواء والنزول فهذه المعاني ثابتة لله ومتصف بها، ولا يضرنا تسميتكم إياها بأنها حوادث، نعم هذا التفصيل لا بد منه وبيَّنَّا هذا.

س– يقول السائل: كيف أجمع بين أن آحاد كلام الله حادثة كما في قصة المجادلة، وأن كلام الله حدث بعد سماع التي تجادل في زوجها، وبين أن القرآن نزل جملة واحدة في اللوح المحفوظ، ثم نزل منجمًا للحوادث ؟

ج– أنت أجبت على السؤال نزل منجمًا على الحوادث منجم يعني نجومًا منجمًا على حسب الحوادث، وهذه من الحوادث، أما القول هذا مروي عن ابن عباس أن الكلام نزل جملة واحدة إلى اللوح المحفوظ هذا قول ابن عباس، وقد يقال إن هذا

(١) شرح العقيدة الطحاوية – عبدالعزيز الراجحي، ص/٨٨

يتمشى مع مذهب الأشاعرة؛ لأن الأشاعرة كما سيأتي يقولون: إن الكلام معنى قائم بنفس الرب، وأن جبريل ما سمع كلام الله لكن الله اضطر جبريل ففهم المعنى القائم بنفسه فعبر عنه وأحيانًا يقولون: إن جبريل أخذه من اللوح المحفوظ فالقول فيه كلام.

ورد عن ابن عباس أن القرآن أنزل جملة واحدة إلى بيت العزة، ثم أنزل منجمًا على حسب الحوادث فهذا فيه نظر. قول ابن عباس: وقوله ثم نزل منجمًا على حسب الحوادث هذا هو الجواب يعني أنه إذا حدثت حادثة تكلم الله كما في قصة المجادلة هذا هو التنزيل ، التنزيل نزوله شيئًا بعد شيء كلام الله نزول القرآن شيئًا بعد شيء على حسب الحوادث نعم أحسن الله إليكم.

س – هل كلام الأنبياء الموجود في القرآن مخلوق أو غير مخلوق؟

ج– مثل ما سبق عن الإمام أبي حنيفة يقول ما ذكر الله في القرآن عن موسى وعن الأنبياء هذا كلام الله إخبارًا عنهم ما في القرآن قال الله عن موسى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ هذا كلام الله إخبارًا عن موسى أما كلام موسى الذي يتكلم به مخلوق لكن ما أخبر الله في القرآن عن موسى فهذا كلام الله إخبارًا عن موسى ما أخبر الله في القرآن عن فرعون أنه قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (٢٤)﴾ هذا كلام الله إخبارًا عن فرعون ما أخبر الله عن إبليس أنه قال امتنع عن السجود لآدم هذا كلام الله إخبارًا عن إبليس، أما كلام فرعون في زمانه هذا مخلوق ، وكلام إبليس حينما يتكلم مخلوق، لكن ما ذكر الله في القرآن هذا كلام الله إخبارًا عنهم لا يلتبس الأمر.

س – يقول السائل: هلا بينتم لنا الفرق بين قول السالبية في القرآن وقول الكلابية إذ إن ظاهرهما التشابه.

ج– هناك فرق واضح ، السالبية يقولون: القرآن كلام الله ألفاظ ومعان وحروف وأصوات ، حرف وصوت موجود في الأزل لا يتعلق الكلام بقدرته ومشيئة تقول لم يزل الرب يتكلم ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ﴾ قد سمع الله قول التي تجادلك في الأزل مستمر الكلام هكذا يقولون ألفاظ ومعان وحروف وأصوات تسمع.

أما الكلابية فهناك فرق بينهم من جهتين: الكلابية لا يقولون: إن كلام الله **اللفظ والمعنى** بس المعنى فقط ، وكذلك الأشاعرة والسالبية يقولون **اللفظ والمعنى**.

ثانيًا: أن الكلابية يقولون: إن كلام الله حرف وصوت يسمع والكلابية والأشاعرة يقولون: كلام الله ليس بحرف ولا صوت الحروف والأصوات هذه مخلوقة، والكلام معنى قائم بنفس الرب لا يسمع خبط خبط واضح نعم. أحسن الله إليك.

س– يقول السائل: من المعروف أن القول بأن الكلام صفة ذاتية فعلية من كلام المتأخرين وكان المتقدمون يقولون بأنه صفة فعلية فهل هم مخطئون ؟

ج – ما قالوها، ما قالوا هذا المتقدمون لم يبتلوا بأهل البدع فهم يقولون القرآن كلام الله ويسكتون لكن لما جاء أهل البدع وتكلموا بكلام الباطل بيّن العلماء أن كلام الله قديم النوع وهو صفة ذاتية وحادث الآحاد نعم. أحسن الله إليكم

س– يقول السائل ما معنى أن أفراد كلام الله حادثة ؟." [١]

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية – عبدالعزيز الراجحي، ص/٩٣

"فإذن حقيقة مذهب الأشاعرة أن كلام الله معنى قائم بنفسه، وأما النظم المسموع المقروء في المصاحف فهو دليل على القرآن مخلوق فعلى هذا يكون القرآن من شيئين أو كلام الله من شيئين ، شيء له نصفان، نصفه غير مخلوق وهو المعنى القائم بنفس الرب والحروف والكلمات مخلوقة فيقولون نصفه مخلوق ونصفه غير مخلوق نصفه مخلوق وهو الحروف والكلمات التي يقرؤها القارئ ونصفه غير مخلوق وهو المعنى القائم بنفس الرب كيف عرف جبريل ما في نفس الله قالوا: لهم أقوال في ذلك بعضهم يقول: إن الله اضطر جبريل ففهم المعنى القائم بنفسه اضطرارًا فعبر عنه فهذا عبارة عبر بها جبريل، الله اضطره ففهم المعنى القائم بنفسه فعبر عنه يعني مثل، مثال ذلك أن يكون عندك أخرس لا يتكلم فيشير إليك بالإشارة ثم تكتب إشارته تفهم إشارته وتكتبها هذا ، والعياذ بالله، جعل الله كالأخرس نسأل الله العافية عاجز عن الكلام.

وبعضهم يقول: إن جبريل أخذه من اللوح المحفوظ وبعضهم يقول: فهمه من الرب؛ لأن الله اضطره ففهم المعنى القائم بنفسه؛ فإذن حقيقة مذهب الأشاعرة أن نصفه مخلوق، وهو الحروف والكلمات ونصفه غير مخلوق، وهو المعنى القائم بنفسه، وهذا يوافق نصف مذهب المعتزلة ، المعتزلة يقولون: القرآن مخلوق لفظه ومعناه **اللفظ والمعنى** مخلوق، والأشاعرة يقولون: معناه غير مخلوق، ولفظه مخلوق.

فهم يوافقون المعتزلة في نصف مذهبهم كما أن الأشاعرة يشابهون النصارى في مسألة اعتقادهم في عيسى، فإن النصارى يعتقدون أن عيسى مكون من شيئين جزء من الإله وجزء من الناس اتحدا وامتزجا فصارا شيئًا واحدًا يقال له المسيح المسيح عيسى ابن مريم فيه جزء من الإله وجزء من الناس امتزجا وصارا هذا هو المسيح عندهم.

والأشاعرة له شبه بهذا المذهب ، فإن الأشاعرة يقولون: إن كلام الله معنى قائم بنفسه، وأما الألفاظ والحروف والكلمات دليل يفهم بها المعنى القائم بنفس الرب فإفهام المعنى القديم الذي هو في نفس الرب بواسطة الألفاظ والحروف والكلمات يشبه امتزاج اللاهوت بالناسوت الذي قالته النصارى في عيسى، عيسى النصارى قالوا: امتزج اللاهوت بالناسوت والأشاعرة قالوا: إن القرآن معنى قائم بنفس الرب لكنه لا يفهم إلا بواسطة الألفاظ التي يتكلم بها الآدميون فإفهام المعنى القديم بواسطة اللفظ الذي يتكلم به الآدميون يشبه امتزاج اللاهوت بالناسوت الذي قالته النصارى في عيسى.

كما أن قول الأشاعرة: إن محمدًا أحدث لفظ القرآن؛ لأنهم يقولون إما أحدثه جبريل أو محمد يشبه قول الوليد بن المغيرة عن القرآن إنه قول البشر قال: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥)﴾ ويتناولهم هذا الوعيد فإن الوليد بن المغيرة قال: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥)﴾ والأشاعرة قالوا: هذا الذي في المصحف قول البشر فيدخلون في هذا الوعيد من أدلة الأشاعرة على أن القرآن معنى قائم بالنفس لا يُسْمَع ليس بحرف ولا صوت ولا لفظ استدلوا بقول الله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٨)﴾ .

قالوا: وجه الدلالة أن الله قال: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ فدل على أن القول إنما يكون في النفس وأما الألفاظ والحروف والأصوات فليست من القول؛ لأن الله قال: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ فدل على أن كلام الله معنى قائم بنفسه.

وأجيب عن هذا الاستدلال بجوابين: الجواب الأول جواب بالمنع والجواب الثاني جواب بالتسليم.

الجواب الأول جواب بالمنع، وهو أن نقول: نمنع أن يكون المراد في الآية في قوله: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ المعنى القائم

بالنفس، وإنما المراد القول سرًا ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ يعني يقولون سرا يتكلمون بألسنتهم سرا كما قاله أكثر المفسرين، وذلك أن اليهود كانوا يأتون النبي ويقولون سام عليك، والسام الموت، وهم يظهرن أنهم يلقون السلام فيحلفون لله ويقولون سام عليك يعني الموت ثم إذا خرجوا من عند النبي صلى الله عليه وسلم قال بعضهم البعض سرًا لو كان نبيًا عذبنا بقولنا له ما نقول، فأنزل الله ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ يعني يقولون سرًا فيما بينهم وبين بعضهم إذا خرجوا من عند النبي صلى الله عليه وسلم لو كان نبيًا لعذبنا بقولنا؛ لأننا نقول سام عليك وهذا هو الذي عليه أكثر المفسرين ويؤيده ما ثبت في الصحيحين في الحديث القدسي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم من ذكرني في نفسه) معناه تكلم سرًا ذكر الله سرًا بدليل قوله: (ومن ذكرني في ملأ) (من ذكرني في نفسه) يعني سرًا ذكرته في نفسي (ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه) .." [1]

"وقد أجمع العلماء على أن الإنسان المصلي لو تكلم عامدًا بغير مصلحتها بطلت صلاته، وقد أجمعوا أيضًا على أنه لو حدث نفسه بشيء في صلاته، وأن ما يقوم في القلب من تصديق بأمور دنيوية وطلب لا يبطل الصلاة فحديث النفس الذي يكون في القلب من تصديق بأمور دنيوية وطلب لا يبطل الصلاة وإنما يبطله عندما يتكلم بلسانه عامدًا لغير مصلحتها ، فدل على أن الكلام إنما هو لفظ ومعنى، والكلام الذي يتكلم به اللسان بلسانه دل على أن كلام الله لفظ ومعنى وأن الله تكلم به بحرف وصوت يسمع.

ومن الأدلة أيضًا ما ثبت في الصحيحين عن النبي–صلى الله عليه وسلم– أنه قال: (إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم به أو تعمل) ففرق النبي صلى الله عليه وسلم بين حديث النفس وبين الكلام، وأخبر أن الله عفا عن حديث النفس وأن ما تكلم به الإنسان بلسانه لا يعفى عنه فدل على أن الكلام لفظ ومعنى حروف وأصوات.

ومن الأدلة أيضًا ما ثبت في السنين من حديث معاذ – رضي الله عنه – لما قال النبي صلى الله عليه وسلم (ألا أدلك على ملاك ذلك كله ...) في حديث معاذ الطويل لما سئل النبيَّ صلى الله عليه وسلم فسأله الرجل (... عن عمل يدخله الجنة ويبعده عن النار قال: لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه تعبد الله لا تشرك به شيئًا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله ثم أخذ بلسان نفسه ثم قال: كف عليك هذا قال معاذ فقلت يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوهم أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم) .

فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الإنسان إنما يؤاخذ بما يتكلم به بلسانه فدل على أن الكلام ألفاظ ومعاني حروف وأصوات وكذلك كلام الله عز وجل تكلم به كلام الله اسم للمعنى واللفظ جميعًا والله تكلم به وحرف وصوت يسمع بهذا يتبين أن مسمى كلام الله **المعنى واللفظ** جميعًا، وأن كلام الله بحرف وصوت يسمع والحق أن التوراة والإنجيل والزبور والقرآن كلهم من كلام الله وكلام الله لا يتناهى، ولو كان البحر ومد بسبعة أبحر وجعل ما في الأرض من الأشجار كله أقلام والبحار مداد يكتب به لتكرث الأقلام ونفذت مياه البحر وما نفذت كلمات الله:

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية – عبدالعزيز الراجحي، ص/٩٨

﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا (١٠٩)﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٧)﴾ .

فهذه المسألة مسألة الكلام مسألة عظيمة اشتد النزاع فيها بين أهل السنة وبين المخالفين لهم، والتبس الأمر على كثير من الناس، ولا سيما مذهب الأشاعرة ثم مذهب المعتزلة فينبغي لطالب العلم أن يعتني بهذا الأمر، وأن يعتني بالنصوص، وأن ينبغي لطالب العلم أن يعتني بهذا الأمر، وأن يعتني بالنصوص، وأن يتأمل حينما يقرأ في الكتب حتى لا يلتبس عليه معتقد أهل السنة والجماعة المأخوذ من نصوص الكتاب والسنة من كتاب الله وسنة رسوله في مذهب المعتزلة والأشاعرة المبني على الأراء والأهواء والشهوات. نعم اقرأ وإن القرآن كلام الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال الإمام الطحاوي –رحمه الله تعالى-: "وإن القرآن كلام الله منه بدا بلا كيفية قولًا".

وإن القرآن كلام الله، الطحاوي الآن يقرر مذهب أهل السنة والجماعة أن القرآن كلام الله يعني لفظه ومعناه، هذا هو الأصل، فالكلام هي لفظة تشمل **اللفظ والمعنى**، وإن القرآن كلام الله لفظ ومعنى منه بدا.

هذا فيه الرد على المعتزلة والرد على الأشاعرة فإن المعتزلة لا يقولون منه بدا يقولون بدا من شيء آخر بدأ من الشجرة أو بدأ من الهواء أو بدأ من اللوح المحفوظ خلقه الله في اللوح المحفوظ فأضافه إليه إضافة تشريف وتكريم وكذلك الأشاعرة لا يقولون منه بدا بل يقولون: لم يبد منه شيء، الكلام معنى قائم بنفسه لم يبد ما سمع منه ما سمع جبريل كلامًا ولا لفظًا ولا حرفًا ولا صوتًا وإنما جبريل هو الذي أحدث لفظ القرآن أو أحدثه محمد لأنه فهم المعنى القائم بنفس الرب اضطره الله ففهم المعنى أو أن الله خلقه في الهواء وأخذه من الهواء.

وأهل السُّنة يقولون: القرآن منزل غير مخلوق منه بدا وإليه يعود، فالقرآن كلام الله منزل نزله الله ﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢)﴾ غير مخلوق كما تقوله المعتزلة منه بدا، بدا من الله ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى﴾ وإليه يعود في آخر الزمان في آخر الزمان. من أشراط الساعة الكبار التي تعقبها الساعة مباشرة أشراط الساعة كما هو معروف عشرة:." [(١)]

"والتفاضل بينهم بالخشية والتقي ومخالفة الهوي وملازمة الأولى

هكذا يقول الطحاوي يقول: التفاضل بين الناس ما هو في الإيمان الإيمان متساوون فيه، التفاضل بينهم بين المؤمنين بأعمال القلوب، وأما التصديق فلا تفاوت فيه، وفي بعض النسخ وأهله في أصله سواء، والتفاضل بينهم بالحقيقة ومخالفة الهوى وملازمة الأولى، يشير إلي أن الكل مشتركون في أصل التصديق، ولكن التصديق يكون بعضهم أفضل من بعض وأثبت، وهذه الأسطر والعبارة في النسخة الثانية، والتفاضل بينهم بالخشية والتقوي، يعني يقول: لا تفاضل بين الناس في الإيمان، وإنما التفاضل يكون بينهم بأعمال القلوب، وهذا من أبطل الباطل، ليس التفاضل بأعمال القلوب فقط، بل التفاضل في

(١) شرح العقيدة الطحاوية – عبدالعزيز الراجحي، ص/١٠١

الإيمان نفس التصديق، نفس الإيمان والتصديق يتفاضل الناس فيه، تفاضل بالتصديق، وفي أعمال القلوب وفي أعمال الجوارح، وعلى هذا هل لهذا الخلاف ثمرة، أو ليس له ثمرة؟ .

الخلاف بين الجمهور وبين الأحناف، هل له ثمرة أو ليس له ثمرة ؟ الشارح ابن أبي العز يقول: الخلاف لفظي ليس له ثمرة، وقال لأن الجمهور ، جمهور أهل السنة والأحناف اتفقوا على أن الأعمال واجبة، والواجبات واجبات، والمحرمات محرمات، وأن من فعل الواجبات، فهو قد أدى ما أوجب الله عليه وهو مثاب وممدوح، ومن فعل المحرمات، فإنه يستحق الوعيد، ويقام عليه الحد إذا كان ارتكب حدا، وهو مذموم، لكن الخلاف هل هذه الواجبات هل هي من الإيمان أو ليس من الإيمان؟ .

قال الجمهور: من الإيمان، وقال الأحناف: ليست من الإيمان، فالخلاف لفظي؛ لأنهم اتفقوا على أن الواجبات واجبات، والمحرمات محرمات، وأن من فعل الواجبات، أثابه الله، وهو ممدوح ومن فعل المحرمات يعاقب، ومستحق للوعيد، ويقام عليه الحد، لكن الخلاف إنما هو في التسمية، هل نسميها إيمانا؟ قال بذلك الجمهور، أولا نسميها إيمانا؟ واجب آخر قال بذلك الأحناف، هكذا قال شارح الطحاوية، يريد أن يجمع بين القولين، يقول: الخلاف في اللفظ ليس له ثمرة، بمعني أنه لا يترتب عليه فساد في العقيدة، صحيح لا يترتب عليه فساد في العقيدة، لكن الصواب أن الخلاف له آثار تترتب عليه غير اللفظ .

من هذه الآثار أولا : جمهور أهل السنة والجماعة وافقوا الكتاب والسنة في **اللفظ والمعنى**، فإن نصوصا كثيرة أدخلت الأعمال في مسمى الإيمان، جمهور أهل السنة وافقوا الكتاب والسنة في **اللفظ والمعنى**، وأما الأحناف ومرجئة الفقهاء فوافقوا الكتاب والسنة في المعنى، وخالفوهما في اللفظ ولا يجب للإنسان أن يخالف النصوص حتى في اللفظ، بل يجب على المسلم أن يتأدب مع النصوص مع كتاب الله وسنة رسول الله، يتأدب فلا يخالف النصوص لا لفظاً ولا معنى .

فأهل السنة تأدبوا مع النصوص، ووافقوا النصوص لفظا ومعنى، ومرجئة الفقهاء لم يتأدبوا مع النصوص وافقوا النصوص في المعنى، لكن خالفوهما في اللفظ هذه ثمرة .

ومن ثمرة الخلاف فتح الباب للمرجئة المحضة؛ لأن المرجئة كما قلت لكم طائفتان، المرجئة المحضة وهم من ؟ الجهمية يقولون: الإيمان هو المعرفة بالقلب، والأعمال ليست واجبة، والمحرمات ليست محرمات، إذا صدق بقلبه، ولو فعل جميع المحرمات، وارتكب جميع المحرمات، وترك الواجبات لا يضره، هو كامل الإيمان، ويستردها من أول وهلة، مرجئة الفقهاء يقولون: الإيمان هو التصديق، لكن الأعمال واجبة الواجبات واجبات والمحرمات محرمات، يعاقب الإنسان ويذم .

من الثمرة الثانية أن مرجئة الفقهاء، وهم الأحناف فتحوا بابا للمرجئة المحضة، فدخلوا معهم، فتحوا بابا لم يستطيعوا إغلاقه وسده لما قال مرجئة الفقهاء: إن الأعمال ليست من الإيمان، فتحوا الباب للمرجئة المحضة، فقالوا: إن الأعمال ليست مطلوبة من أساسه، الواجبات لا ليست مطلوبة، والمحرمات لا يجب تركها، والواجبات لا يجب فعلها، من الذي فتح لهم الباب ؟ مرجئة الفقهاء هذه من الآثار .

الثمرة الثالثة من آثار الخلاف بين الجمهور والأحناف: أن الأحناف ومرجئة المحضة فتحوا بابا للفسقة والعصاة، فدخلوا

معهم، لما قال الأحناف: الأعمال ليست من الإيمان، قالوا: أن إيمان أهل السماء وأهل الأرض واحد، إيمان الأنبياء وإيمان الفساق واحد، فيأتي السكير العربيد، الذي يفعل الفواحش والمنكرات، فيقول إيماني كإيمان جبريل وميكائيل وكإيمان أبي بكر وعمر، فإذا قلت له أبو بكر يعمل الصالحات ويجتنب المحرمات وأنت تفعل ذلك قال هذا ليس محلا للخلاف محل الخلاف غير هذا ليس في الأعمال أنا مصدق وأبو بكر مصدق، فإيماننا واحد، أما كوني أفعل المحرمات، وأترك الواجبات، هذا شيء آخر، هذه مسألة أخرى غير الإيمان . من الذي فتح الباب لهم ؟ مرجئة الفقهاء.." (١)

"ولا يشبه الأنام:

هذه مثل العبارة التي مضت، ولا شيء مثله، والأنام معناه: الخلق، فالله سبحانه وتعالى منزه عن مشابهة الخلق: (ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير) [الشورى:١١]، (ولم يكن له كفواً أحداً) [الإخلاص:٤] فهو سبحانه منزه عن مشابهة خلقه، وإن كان له أسماء وصفات تشترك مع أسماء وصفات الخلق في **اللفظ والمعنى**، لكن في الحقيقة والكيفية لا تشابه بينهما.." (٢)

"فقال: ننفي هذه ونبقي كلام الله – عز وجل – غير مخلوق وأنه على حقيقته؛ ولكن نقول هو معنى دون لفظ، دون سماع.

إذا تبين ذلك فنأخذ من هذا تفصيل وهو: أنَّ دِلالة الكلام في اللغة على **اللفظ والمعنى** فيها مذاهب:

١ – مذهب أهل السنة والجماعة وأهل الحديث والأثر:

أنَّ الكلام والقول إذا أُطلق، يعني إذا قيل الكلام كلام فلان ،قول فلان ،قول الله – عز وجل – فإنه يراد به شيئان معاً دون تَفْرِيقٍ بين والواحد والآخر؛ يراد به **اللفظ والمعنى** جميعاً.

٢ – مذهب المعتزلة:

وهو أنَّ الكلام هو في المعنى وفي اللفظ مجاز.

٣ – مذهب الكلابية:

وهو أنَّ الكلام للمعاني ولكن الحديث إخْرَاجُهُ هذا دليلٌ عنه.

واستدلوا على هذا بقول الأخطل في الشعر المشهور المعروف عندهم في الاستدلال:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

والكلام على هذا البيت ورد الإحتجاج به إلى آخره مرّ معنا في الواسطية فنحيلكم عليها؛ لأنه معروف مشهور كررناه أكثر من مرة.

نرجع على أصل المسألة وهو أنَّ الكلابية والأشاعرة قالوا إنَّ الكلام معنى.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية – عبدالعزيز الراجحي، ص/٢٤٥

(٢) شرح العقيدة الطحاوية – صالح الفوزان، ص/١٢

كلام الله – عز وجل – معنى، ألقاه في روع جبريل.
وهذا لأجل أنهم أصَّلُوا تأصيلات، ومنها أنَّ الكلام لا يدل على الإخراج وإنما يدل على ما قام في النفس، كما استدلوا بهذا البيت.
لهذا ذكرت لكم في أول الكلام تعريف كَلَّمَ وكَلَمَ وهذه المادة واشتقاقها ليبطل معه قول من قال إنَّ الكلام معنى، فإنَّ اللغة دَلَّت على أَنَّ الكلام لابد أن يكون لفظاً ومعنى.
وحتى كلمة لفظ تدل على شيء ملفوظ مفرد.
وما أحسن قول المعري وإن كان ليس مجال احتجاج قال:
من الناس من لفظه لؤلؤٌ يُبَادِرُهُ اللَّقْطُ إذ يُلْفَظُ
وبعضهم قوله كالحصى يقال فيُلْغَى و لا يُحْفَظُ
يعني (من الناس من لفظه لؤلؤ) اللفظ لابد أن يُلْفَظْ، يُخْرَجْ، فكيف يكون الكلام والقول في الداخل دون الخارج؟
وكيف يكون المعنى يُدَلْ عليه في الإنسان بلا لفظ؟
وإذا كان ثَمَّ لفظ فإذاً ثَمَّ معنى، واللفظ لابد أن يُلْفَظْ ويُخْرَجْ.
فدل ذلك على أَنَّ قولهم بأَنَّ الكلام معنىً وأَنَّ هذا هو الأصل فيه، هذا لاشك أنه مُعَارَضٌ باللغة في تأصيلاتها أو اشتقاقاتها وأيضا مُعَارَضٌ بالنصوص التي سقنا لك بعضا منها.
الكلابية ورثهم أبو الحسن الأشعري والماتُرِيدي في الكلام في هذه المسألة:
– تارة يعبرون عنه بقولهم الكلام صفة نفسية.
– وتارة يعبرون عنه بأن كلام الله – عز وجل – قديم؛ يعني قبل أن يخلق الخلق، قبل أن يوجد شيء، تَكَلَّمَ بكلام قديم وانتهى.
– تارة يعبرون عنه بأنه معنى قائم بالنفس.
– وتارة يعبرون عنه بأنه عبارة، يعني القرآن عبارة عن كلام الله؛ يعني عُبِّر به عن كلام الله.
إذا تبين لك ذلك، فحاصل معتقد هذه الطوائف –الكلابية الأشاعرة والماتريدية– أنّ القرآن قديم كلام الله – عز وجل – قديم.
يعني تَكَلَّمَ الله – عز وجل – به في الأزل ثم لما أراد إنزاله على محمد صلى الله عليه وسلم قام ما تكلم به في الأزل به معنى فألقاه في رُوعِ جبريل فنزل به جبريل وعبّر عنه، وإلاّ فكلام الله عندهم ليس بالعربية وليس بالسريانية وليس إلى آخره لتنزهه عندهم اللغات.
إذا تبين ذلك، فمن أحسن الردود عليهم ما استشكله الآمدي.
و الآمدي من حذاق الأشاعرة المعروفين ومن الأذكياء.
قال: إني نظرت في هذا القول وهو أنَّ كلام الله قديم، وأنَّ القرآن قديم، وأنه حين أوحي إلى محمد صلى الله عليه وسلم إنما أُوحِيَ بالعبارة وبما أُلْقِيَ في نفس جبريل، فأشكل علي أنَّ القرآن فيه آيات كثيرة فيها التعبير عنه بلفظ الماضي ﴿قَدْ سَمِعَ

اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾[المجادلة:١]، وهل كان ثَمَّ مُجَادِلَة؟ وهل كان ثم زوج؟ وهل كان ثَمَّ صوت حتى يسمع الله؟ قال ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ﴾ فإذا كان الله – عز وجل – قال هذا القول في الأزل ولا زوجة ولا مُجَادِلَة ولا قول، فما الذي سمع؟ فيلزم منه أنَّ قوله ﴿قَدْ سَمِعَ﴾ وكل أفعال الماضي في القرآن أنها غير مطابقة للواقع، وهذا هو الكذب.

وهذا لاشك أنه ردٌّ منطقيٌ جميل لأنه يلزمهم على أصولهم ولا فرار لهم منه.

إذا تبين لك ذلك، فنقول خلاصة الرد على هذه الطوائف يكمن في أشياء:

@ الرد الأول:

الاستدلال باللغة في معنى كَلَّمَ في معنى الوحي، هذا واحد.

@ الرد الثاني:

الاستدلال بالنصوص من القرآن والسنة التي فيها الإضافة، والقاعدة الفرق ما بين إضافة المخلوقات وإضافة المعاني.

@ الرد الثالث:

أنه يُرَدْ ما استدلوا به من أنواع الأدلة مثل ما أَصَّلُوهُ في أَنَّ الكلام يدل على المعنى فقط في اللغة، وأنّ الوحي يكون بالمعنى والإلقاء في الروع، وغير ذلك من الاستدلالات، مثل قولهم يلزم التشبيه يلزم التجسيم إلى آخره.

@ الرد الرابع:

بقول الآمدي في التفريق ما بين الماضي والحاضر.." (١)

"مثل ما يقول الجاحظ وغيره؛ يعني فيما ساقه في كتاب الحيوان يقول: الشأن في المعاني أما الألفاظ فهي ملقاة على قارعة الطريق.

يعني أنَّ الألفاظ يتداولها الناس؛ لكن الشأن في الدِلالة بالألفاظ على المعاني.

وهذا لاشك أنه قصور لأنَّ القرآن كما ذكرنا مشتمل على فصاحة الألفاظ وعظمة المعاني جميعاً.(١)

٤ – القول الرابع:

من قال إنَّ القرآن مُعْجِزٌ في نظمه، ومعنى النظم هو الألفاظ المتركبة والمعاني التي دلت عليها الألفاظ وما بينها من الروابط. يعني أَنَّ الكلام يُحْتَاجُ فيه إلى أشياء، يُحْتَاجُ فيه إلى ألفاظ وإلى معانٍ في داخل هذه الألفاظ يُعَبَّرُ بها، يُعَبَّرُ بالألفاظ عن المعاني وإلى رابط يربط بين هذه الألفاظ والمعاني في صور بلاغية، وفي صور نحوية عالية، وهذا المجموع سماه أصحاب هذا القول النَّظم.

وهذا هو مدرسة الجُرجاني المعروفة، العلامة عبد القادر الجرجاني فيما كتب في دلائل الإعجاز وفي أسرار البلاغة.

وهذا القول لَمَّا قال به الجرجاني وهو مسبوق إليه من جهة الخطّابي وغيره يعني في كلمة، هو أراد به الرد على عبد الجبار المعتزلي في كتابه المغني، فإنه ألف كتاب المغني وجعل مجلداً كاملا في إعجاز القرآن، وردّ عليه بكتاب دلائل الإعجاز وأنَّ الإعجاز راجع إلى **اللفظ والمعنى** والروابط؛ يعني إلى النظم ،نظم القرآن جميعا، المقصود بالنظم يعني تآلف الألفاظ والجمل

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية – صالح آل الشيخ، ص/١١٣

مع دلالات المعاني البلاغية واللفظية وما بينها من صلات نحوية عالية.

وهذا القول قول جيد؛ ولكن لا ينبغي أن يُقصر عليه إعجاز القرآن.

٥ – القول الخامس:

من قال إنَّ إعجاز القرآن فيما اشتمل عليه.

فالقرآن اشتمل على:

– أمور غيبية لا يمكن أن يأتي بها النبي صلى الله عليه وسلم؛ بأمر الماضي وبأمر المستقبل.

– واشتمل القرآن أيضا على أمور تشريعية لا يمكن أن تكون من عند النبي صلى الله عليه وسلم.

– واشتمل القرآن على هداية ومخالطة للنفوس لا يمكن أن تكون من عند بشر.

وهذا قول لبعض المتقدمين وجمع من المعاصرين بأنَّ القرآن محتمل على هذه الأشياء جميعاً.

ولكن هذا القول يُشْكِلُ عليه أَنَّ إعجاز القرآن الذي تُحُدِّيَت به العرب، والعرب حينما خوطبوا به ،خوطبوا بكلام مشتمل على أشياء كثيرة، وكان التحدي واقعاً أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو بمثل سورة أو بعشر سور مثله مفتريات كما زعموا، وهذا يؤول إلى ما تميزت به العرب، وهو مسألة البلاغة وما تميزوا به من رِفعة الكلام وفصاحته وبلاغته.

والعرب لم تكن متقدمة عارفة بالأمور الطبية ولا بالأمور الفلسفية ولا بالأمور العقدية ولا بالغيبيات، وليس عندهم معرفة بالتواريخ على تفاصيلها ونحو ذلك، حتى يقال إنَّ الإعجاز وقع في هذه الجهة؛ لكنهم خوطبوا بكلام من جنس ما يتكلمون به –يعني من جهة الألفاظ والحروف–؛ لكنهم عجزوا عن الإتيان بذلك لأنه كلام الله – عز وجل –.

٦ – القول الأخير —والأقوال متنوعة؛ لأنَّ المدارس كثيرة–:

أنَّ القرآن مُعْجِزْ لأنه كلام الله – عز وجل –، وكلام الله – عز وجل – لا يمكن أن يشبه كلام المخلوق.

وهذا القول هو الذي ذكره الطحاوي هنا ،قال (عَلِمْنَا وأَيْقَنَّا أنه قولُ خالقِ البَشرِ، ولا يُشْبِهُ قولَ البشر، وَمَنْ وَصَفَ الله بِمعنَى مِنْ مَعاني البشر، فقدْ كَفَر، فمن أبْصَرَ هذا اعْتَبر، وعَنْ مِثْلِ قول الكفَّارِ انْزَجَر، وعَلِمَ أنَّه بصفاته–التي منها القرآن– ليسَ كالبشر).

وهذا القول الذي أشار إليه لم يَتَفَرَّعْ إليه شارحوا هذه الرسالة سواء من السلفيين أو من المبتدعة من الماتريديين وغيرهم– في تقرير هذه المسألة، وهو من أرْفَع وأعظم الأقوال؛ بل هو القول الحق في هذه المسألة: أنَّ كلام الله – عز وجل – لا يمكن أن يشبه كلام البشر.

خذ مثلاً فيما يتميز به المخلوقات ترى فلاناً فتقول هذا عربي، وترى آخر فتقول هذا أوروبي، وترى ثالثا فتقول هذا من شرق آسيا، لم؟

لأنَّ الصفة العامة دَلَّتْ على ذلك، ولو أَخَذَ الآخِذْ يُعَدِّدُ أشياء كثيرة متنوعة دلته على أَنَّ هذه الصورة هي صورة عربي، وهذه الصورة صورة أوروبي، هذه الصورة الخَلقية صورة من شرق آسيا وهكذا.

فإذاً الصورة العامة بها تتفرق الأشياء، فالذي يدل على الفرقان ما بين شيء وشيء، وأهمها الصورة العامة له.

كلام الناس —إذا انتقلنا من الصورة الخَلقية– كلام الناس يختلف بعضه عن بعض.

قول الصحابة إذا سمعنا كلاما نقول هذا من قول الصحابة أو من قول السلف؛ لأنَّ كلامهم لا يشبه كلام المتأخرين، كما قال ابن رجب (كلام السلف قليل كثير الفائدة وكلام الخلف كثير قليل الفائدة).

فكلام السلف له صورة عامة تعلم أنَّ هذا من كلام السلف، فلو أتينا بكلام إنسان معاصر وبكلمات له كثيرة وقارناها بكلام السلف لاتضح الفرق.

فإذاً المخلوق البشر في كلامه متباين.

---

(١) انتهى الوجه الأول من الشريط التاسع.." [1]

"مسمى الكلام عند الفرق

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وللناس في مسمى الكلام والقول عند الإطلاق أربعة أقوال: أحدها: أنه يتناول **اللفظ والمعنى** جميعا، كما يتناول لفظ الإنسان الروح والبدن معا.

وهذا قول السلف.

الثاني: اسم اللفظ فقط، والمعنى ليس جزء مسماه، بل هو مدلول مسماه.

وهذا قول جماعة من المعتزلة وغيرهم.

الثالث: أنه اسم للمعنى فقط، وإطلاقه على اللفظ مجاز؛ لأنه دال عليه.

وهذا قول ابن كلاب ومن اتبعه.

الرابع: أنه مشترك بين **اللفظ والمعنى**.

وهذا قول بعض المتأخرين من الكلابية.

ولهم قول يروى عن أبي الحسن أنه مجاز في كلام الله حقيقة في كلام الآدميين؛ لأن حروف الآدميين تقوم بهم، فلا يكون الكلام قائما بغير المتكلم، بخلاف كلام الله فإنه لا يقوم عنده بالله، فيمتنع أن يكون كلامه، وهذا مبسوط في موضعه.

وأما من قال إنه معنى واحد واستدل عليه بقول الأخطل : إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا فاستدلال فاسد، ولو استدل مستدل بحديث في الصحيحين لقالوا: هذا خبر واحد.

ويكون مما اتفق العلماء على تصديقه وتلقيه بالقبول والعمل به، فكيف وهذا البيت قد قيل إنه موضوع منسوب إلى الأخطل وليس هو في ديوانه؟! وقيل: إنما قال: (إن البيان لفي الفؤاد) وهذا أقرب إلى الصحة.

وعلى تقدير صحته عنه فلا يجوز الاستدلال به، فإن النصارى قد ضلوا في معنى الكلام، وزعموا أن عيسى عليه الصلاة السلام نفس كلمة الله، واتحد اللاهوت بالناسوت، أي: شيء من الإله بشيء من الناس، أفيستدل بقول نصراني قد ضل في معنى الكلام على معنى الكلام ويترك ما يعلم من معنى الكلام في لغة العرب؟ وأيضا فمعناه غير صحيح؛ إذ

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية – صالح آل الشيخ، ص/١٢٤

لازمه أن الأخرس يسمى متكلما لقيام الكلام بقلبه وإن لم ينطق به ولم يسمع منه، والكلام على ذلك مبسوط في موضعه، وإنما أشير إليه إشارة] .

ذكر الشارح أن الفرق لها في مسمى الكلام عدة تعريفات: فمنهم من يقول: إن الكلام اسم للفظ وللمعنى جميعا، اللفظ الذي هو الحروف، والمعنى الذي اشتملت عليه تلك الحروف وتلك الكلمات.

والنحويون عندهم تعريف الكلام يقولون: إنه ما أفاد وصيغ بالألفاظ العربية وتركب من كلمتين فأكثر، فأما إذا كان من كلمة واحدة فلا يسمى كلاما، وهكذا إذا لم يفد فلا يسمى كلاما، وهكذا إذا كان مركبا ولكن ليس بالألفاظ العربية فلا يسمى كلاما.

وهناك من يقول: إن الكلام هو الحروف والكلمات التي ينطق بها، وأما المعاني التي اشتمل عليها فلا تدخل في مسمى الكلام.

وهذا قول المعتزلة.

وهناك قول ثالث بعكسه، وهو أن الكلام هو المعنى، وأما الحروف فإنما هي دالة عليه.

وهناك قول رابع أنه مشترك بينهما.

وعلى كل حال فهذه الأقوال كلها خطأ إلا القول الأول، وهو أن الكلام اسم للفظ وللمعنى جميعا، لا يسمى كلاما إلا إذا كان له معنى مفيد، وكان بالحروف التي يسمعها المتكلم، ولو كان الكلام مصوغا بغير العربية سميناه كلاما بلغة أهله، فهناك الأعاجم لهم عدة لغات، ونسمي لغاتهم كلاما، فنقول: تكلم بلغته، ولا نفهم كلامه، ونقول له: فسر لنا كلامك، فنسميه كلاما إذا فسره بلغة نفهمها.

فعلى هذا يكون الكلام العربي اسما لموصوف بالحروف وبالكلمات التي استعملتها العرب إذا كانت ذات معان مفهومة عند الذين وضعوا اللغة وعند الذين تكلموا عليها.

فإذا: القرآن كلمات وحروف، وجمل وآيات وسور، وكل جملة لها معنى مستقل، وقد تكون الآية فيها عدة جمل، كآية الكرسي، فقد اشتملت على عشر جمل: الجملة الأولى: قوله: ﴿ الله لا إله إلا هو ﴾ [البقرة:٢٥٥] فيها إثبات الإلهية.

الجملة الثانية: قوله: ﴿ الحي القيوم ﴾ [البقرة:٢٥٥] مشتملة على اسمين من أسماء الله مؤكدين لوصفه.

الجملة الثالثة: قوله: ﴿ لا تأخذه سنة ولا نوم ﴾ [البقرة:٢٥٥] نفي لهذين النقصين، والسنة النعاس، والنوم معروف إلى آخر ما في الآية.

ففيها عشر جمل كل جملة ذات معنى، فتسمى الجملة كلاما، فيقال: هذه الجملة من كلام الله، ويقال كذلك في بقية القرآن: إنه مشتمل على كلمات وجمل ذات معان، كل جملة دالة على معنى يفهمه من تعلمه وعرفه، ويترجم إلى لغة أخرى

لمن لا يفهمه، وهذا القول هو الصحيح؛ فالكلام اسم للفظ والمعنى، وكلام الله اسم للحروف والكلمات مع المعاني التي دلت عليها تلك الكلمات.." (١)

"صلة شعر الأخطل بعقيدة النصارى

ثم يحتج عليهم الشارح بأنه تكلم على عقيدة النصارى؛ وذلك لأن النصارى ضلوا في مسمى الكلام الذي نحن في تعريفه، فعندهم أن عيسى نفس كلمة الله، فيقولون: إنه نفس الكلمة، وإنه هو الكلمة.

والصحيح أنه خلق بها لا أنه هي.

يقولون: إن قوله:(كن) هو نفس الكلمة، فعيسى هو الكلمة، وهو(كن) في قوله تعالى: ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾ [آل عمران:٥٩]، فهو خلقه وقال له: (كن)، كما خلق آدم وقال له: (كن)، وسمي كلمة الله في قوله تعالى: ﴿ إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ﴾ [النساء:١٧١] والكلمة التي ألقاها هي قوله: (كن)، ف(كن) كلام الله، خلق بها كما خلقت سائر المخلوقات بقول: (كن) ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ﴾ [يس:٨٢].

فالنصارى ضلوا في هذا الباب، واعتقدوا أن عيسى نفس الكلمة، وإذا كان هذا شاعرا نصرانيا، فإنه تكلم بالبيت على عقيدة النصارى، فكيف نقلد النصارى فيما اعتقدوا؟ وهذا كله على تقدير أن البيت ثابت.

ثم لسنا بحاجة إلى الاستدلال بأقوال النصارى، وكتاب الله وسنة نبيه وكلام العرب واضح في أنه يسمى المتكلم متكلما، والذي لا يتكلم يسمى أخرس، ومعلوم أنه قد يقوم بقلب الأخرس كلام، وقد يشير إليه، وإذا أشار إليه فهم منه، فمعناه أن الأخرس الذي لا ينطق- وهو الأبكم- يسمى متكلما على قول هؤلاء الأشاعرة، فعرف بذلك أنه لا دلالة لهم في ذلك، وأن القول الثابت والصحيح أن الكلام هو **اللفظ والمعنى** جميعا، ليس هو المعنى الذي يستشهد له بهذا البيت.

قال رحمه الله تعالى: [وهنا معنى عجيب، وهو أن هذا القول له شبه قوي بقول النصارى القائلين باللاهوت والناسوت؛ فإنهم يقولون: كلام الله هو المعنى القائم بذات الله الذي لا يمكن سماعه، وأما النظم المسموع فمخلوق.

فإفهام المعنى (القديم) بالنظم المخلوق يشبه امتزاج اللاهوت بالناسوت الذي قالته النصارى في عيسى عليه الصلاة السلام، فانظر إلى هذا الشبه ما أعجبه].

اللاهوت عندهم الإله، والناسوت: الناس، والنصارى يدعون أن اللاهوت اتصل بالناسوت، فتكون منهما هذا الإنسان، وتبعهم على هذا الاعتقاد أيضا ملاحدة يقال لهم: أهل الاتحاد وأهل الوحدة.

فعندهم أن اللاهوت متصل بالناسوت ومتحد معه، وفي ذلك يقول حلاجهم : سبحان من أظهر ناسوته سر سنا لاهوته الثاقب حتى بدا في خلقه ظاهرا في صورة الآكل والشارب هذا معناه لعنه الله، ولا شك أن هذا أكفر الكفر، ولا شك أن الله تعالى هو الخالق وما سواه المخلوق، وأنه ليس في ذاته شيء من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته، فكلام النصارى في قولهم: إن عيسى هو عين الكلمة، وإن الكلمة جزء من ذات الرب سبحانه وتعالى شبيه بقول الاتحادية الذين

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية - ابن جبرين، ٣/١٨

يزعمون كزعم النصارى أن اللاهوت اتحد بالناسوت، وأصبح شيئا واحدا، وأن من جملة ذلك عيسى، فإنه وجد من أنثى، ولكن بعد اتصال اللاهوت بالناسوت.

وجلود المؤمنين تقشعر من أن يتصور هذا التصور، ولكن قلوب أولئك صدت عن معرفة الحق وزين لهم هذا الباطل والعياذ بالله.." (١)

"وقوع الأشاعرة في القول بخلق القرآن

قال المؤلف رحمه الله: [ولا شك أن من قال: إن كلام الله معنى واحد قائم بنفسه تعالى، وإن المتلو المحفوظ المكتوب المسموع من القارئ حكاية كلام الله وهو مخلوق؛ فقد قال بخلق القرآن وهو لا يشعر؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ﴾ [الإسراء:٨٨].

أفتراه سبحانه وتعالى يشير إلى ما في نفسه، أو إلى المتلو المسموع؟ ولا شك أن الإشارة إنما هي إلى هذا المتلو المسموع؛ إذ ما في ذات الله غير مشار إليه ولا منزل ولا متلو ولا مسموع، وقوله: ﴿ لا يأتون بمثله ﴾ [الإسراء:٨٨] أفتراه سبحانه يقول: (لا يأتون بمثل ما في نفسي مما لم يسمعوه ولم يعرفوه)؟ وما في نفس الله عز وجل لا حيلة إلى الوصول إليه ولا إلى الوقوف عليه].

قول الله تعالى: ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾ [الإسراء:٨٨]، وقوله تعالى: ﴿ فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين ﴾ [الطور:٣٤]، وقوله تعالى: ﴿ فأتوا بسورة من مثله ﴾ [البقرة:٢٣] وقوله تعالى: ﴿ فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ﴾ [هود:١٣] الإشارة هل هي إلى المعنى أو إلى اللفظ؟ لا شك أن الإشارة إلى هذه الكلمات والآيات الموجودة في المصاحف، فهو الذي يسمى سورا وآيات وكلمات وحروفا، ومجموعه هو القرآن، أشار الله إليه بقوله: ﴿ بمثل هذا القرآن ﴾ [الإسراء:٨٨].

هل الإعجاز بالنسبة إلى المعنى الذي في نفس الرب تعالى الذي قام به؟ إنه يستحيل أن يعلم أحد ما يقوم في نفس الرب سبحانه، وقد حكى الله عن نبيه عيسى أنه قال: ﴿ تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك ﴾ [المائدة:١١٦] .

فإذا: الذين يقولون إن كلام الله هو ما يقوم بنفسه، وإن هذا القرآن عبارة أو حكاية عنه، وليس هو عين كلام الله؛ لا شك أنهم قد جعلوا هذا القرآن مفترى ومخلوقا، وجعلوا الإنسان قادرا على أن يأتي بمثله، فجعلوه إما من صياغة الملك، وإما من صياغة محمد صلى الله عليه وسلم، وحاشاه أن يكون منه ذلك، وحكى الله عنه أنه يقول: ﴿ قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله ﴾ [يونس:١٦] لبث فيهم قبله أربعين سنة، فكيف مع ذلك جاء به بعد هذه المدة وافتراه وقاله من قبل نفسه، ولو أنه أوحي إليه المعنى وقيل له وعليك صياغة اللفظ، وعليك صياغة الكلمات لكان ذلك من إنشائه لا من إنشاء الله سبحانه، فعلم بهذا أنه لما نزه نفسه عن أن يقول إنه كلامه، صدق عليه أن **اللفظ والمعنى** كله من كلام الله.

(١) شرح العقيدة الطحاوية - ابن جبرين، ٥/١٨

وهذا هو الصحيح، والإشارة بقوله: ﴿ فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين ﴾ [الطور:٣٤] أي: على أن يأتوا بمثل هذا القرآن، والإشارة إلى الحروف والمعاني، لا على ما يقوم بذات الرب أو بنفسه سبحانه وتعالى؛ فإن ذلك غير ممكن الاطلاع عليه ولا معرفته.." (١)

"من قال: إن القرآن عبارة عن كلام الله فقد قال إنه قول البشر

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وقوله: (ومن سمعه وقال: إنه كلام البشر فقد كفر)، لا شك في تكفير من أنكر أن القرآن كلام الله، بل قال: إنه كلام محمد أو غيره من الخلق، ملكا كان أو بشرا.

وأما إذا أقر أنه كلام الله ثم أول وحرف فقد وافق قول من قال: ﴿ إن هذا إلا قول البشر ﴾ [المدثر:٢٥] في بعض ما به كفر، وأولئك الذين استزلهم الشيطان، وسيأتي الكلام عليه عند قول الشيخ: ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله إن شاء الله تعالى].

صاحب المتن -وهو الطحاوي - عبارته هنا تقتضي تكفير من يقول إن هذا القرآن قول البشر.

وما ذاك إلا أن الله كفر من قال ذلك، فقد حكى الله عن بعض المشركين قوله تعالى: ﴿ إنه فكر وقدر * فقتل كيف قدر * ثم قتل كيف قدر * ثم نظر * ثم عبس وبسر * ثم أدبر واستكبر * فقال إن هذا إلا سحر يؤثر * إن هذا إلا قول البشر ﴾ [المدثر:١٨-٢٥]، فالشاهد قوله: ﴿ إن هذا إلا قول البشر ﴾ [المدثر:٢٥]، فجعله أولا سحرا يؤثر، ثم صرح بأنه قول البشر.

فهؤلاء الذين يقولون: إنه إنشاء محمد قد أشبهوا هذا الكافر الذي قال: إنه سحر يؤثر، إنه قول البشر، وتوعده الله فقال: ﴿ سأصليه سقر ﴾ [المدثر:٢٦]، وهذا وعيد شديد، وهو عام لكل من زعم أن هذا القرآن قول البشر لا أنه قول رب البشر، والذين يعتقدون أنه كلام الله يعرفون أن الله تعالى هو الذي تكلم بما شاء، وأنزله وحيا على نبيه، وأمر نبيه أن يبلغه إلى أمته **باللفظ والمعنى**، فعلى هذا يكون البشر جميعا كلهم يقرءونه على أنه كلام الله، لا على أنه كلام لأحدهم.

فالحاصل أن من ادعى أنه ليس هو عين كلام الله، وأن كلام الله هو المعاني دون الألفاظ ودون الحروف، فقد أبطل هذه النصوص وادعى أن كلام الله إنما هو المعنى.

وهذه الطائفة هي طائفة الأشاعرة، وهم من أكثر الطوائف انتشارا في القرون الوسطى؛ إما لأنهم تمكنوا وكثروا وصار الخلفاء يقربونهم، فصاروا يؤلفون وينصرون بذلك معتقدهم، واشتهر هذا القول وكثرت الكتابة فيه، وتستر الذين يقولون بقول الحق؛ لكونهم قلة وأذلاء فاستخفوا، ولم يستطيعوا أن يصرحوا بما يعتقدونه طوال أكثر القرون؛ في القرن الرابع والخامس والسادس وأغلب السابع، وفي آخر القرن الثامن ظهر من يقول بالحق ويصدع به، فقيض الله للأمة من انتصر انتصارا شديدا لقول الحق، وهو شيخ الإسلام ابن تيمية ، ومن قرأ عليه، ومن انتفع به من تلاميذه وأهل زمانه إلى أن وصل الأمر إلى مؤلف هذا الشرح.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية - ابن جبرين، ١٠/١٨

فهؤلاء الذين في هذه القرون الكثيرة وكذلك من بعدهم لا شك أنهم ذوو منزلة، فلأجل ذلك توقف العلماء في الحكم عليهم، قالوا: هل نحكم على هؤلاء كلهم أنهم كفار؛ حيث إنهم يقولون: إن كلام الله هو المعنى، وليس كلام الله هو الحروف، ويقولون: إن كلام الله معنى قائم بنفسه.

ففي زعمهم أن الكلام إنما يخطر ممن تقوم به الحوادث كما يدعون ذلك، فعند ذلك توقفوا وقالوا: نعذرهم باجتهادهم ونكل أمرهم إلى الله تعالى ولا نكفرهم، ولكن من قامت عليه الحجة وانقطع عذره، ومات مصرا على ذلك، نتبرأ منه وأمره إلى الله تعالى، ولا نصرح بكفره.." (١)

"إعجاز القرآن في **اللفظ والمعنى** دليل على أنه كلام الله

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [قوله: (ولا يشبه قول البشر)، يعني: أنه أشرف وأفصح وأصدق، قال تعالى: ﴿ ومن أصدق من الله حديثا ﴾ [النساء:٨٧]، وقال تعالى: ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ﴾ [الإسراء:٨٨] ، وقال تعالى: ﴿ قل فأتوا بعشر سور مثله ﴾ [هود:١٣]، وقال تعالى: ﴿ قل فأتوا بسورة مثله ﴾ [يونس:٣٨]، فلما عجزوا -وهم فصحاء العرب مع شدة العداوة - عن الإتيان بسورة مثله، تبين صدق الرسول صلى الله عليه وسلم أنه من عند الله.

وإعجازه من جهة نظمه ومعناه لا من جهة أحدهما فقط، هذا مع أنه قرآن عربي غير ذي عوج بلسان عربي مبين، أي: باللغة العربية.

فنفي المشابهة من حيث التكلم ومن حيث النظم والمعنى لا من حيث الكلمات والحروف، وإلى هذا وقعت الإشارة بالحروف المقطعة في أوائل السور، أي أنه في أسلوب كلامهم وبلغتهم التي يتخاطبون بها، ألا ترى أنه يأتي بعد الحروف المقطعة بذكر القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿ الم * ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ﴾ [البقرة:١-٢] ، ﴿ الم * الله لا إله إلا هو الحي القيوم * نزل عليك الكتاب بالحق ﴾ [آل عمران:١-٣] الآية، ﴿ المص *كتاب أنزل إليك ﴾ [الأعراف:١-٢]، وقوله تعالى: ﴿ الر تلك آيات الكتاب الحكيم ﴾ [يونس:١].

وكذلك الباقي، ينبههم أن هذا الرسول الكريم لم يأتكم بما لا تعرفونه بل خاطبكم بلسانكم.

ولكن أهل المقالات الفاسدة يتذرعون بمثل هذا إلى نفي تكلم الله به وسماع جبرائيل منه، كما يتذرعون بقوله تعالى: ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ [الشورى:١١] إلى نفي الصفات، وفي الآية ما يرد عليهم قولهم، وهو قوله تعالى: ﴿ وهو السميع البصير ﴾ [الشورى:١١]، كما أن في قوله تعالى: ﴿ فأتوا بسورة مثله ﴾ [يونس:٣٨] ما يرد على من ينفي الحرف؛ فإنه قال: ((فأتوا بسورة)) ولم يقل: (فأتوا بحرف أو بكلمة) وأقصر سورة في القرآن ثلاث آيات، ولهذا قال أبو يوسف و محمد رحمهما الله: إن أدنى ما يجزئ في الصلاة ثلاث آيات قصار أو آية طويلة؛ لأنه لا يقع الإعجاز بدون ذلك.

والله أعلم].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية - ابن جبرين، ١٢/١٨

هذا رد على هؤلاء الذين يدعون أن هذا القرآن ليس هو كلام الله إنما كلام الله هو المعنى دون اللفظ، وقد عرفنا أن الإعجاز الذي تحدى الله به البشر هو **المعنى واللفظ**، ففي قوله: ﴿ فأتوا بسورة من مثله ﴾ [البقرة:٢٣]، وقوله تعالى: ﴿ فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ﴾ [هود:١٣] يراد بذلك: ائتوا بما يحصل به الإعجاز، وذلك بأقل سور القرآن كسورة الكوثر، وسورة الإخلاص، ولا شك أن هذه السور تتركب من كلمات وحروف، وأن هذه الحروف التي تركبت منها هي من جنس ما يتكلم به العرب، والعرب ينطقون بهذه الحروف، لا ينطقون إلا بثمانية وعشرين حرفا، وهي التي في لغتهم، والحروف التي ينطق بها الأعاجم زائدة عليها لم يعتبروها، وقد سجلوا هذه الحروف، وكتبوا كل حرف وجعلوا له هيكلا وصورة حتى ينطقوا بهذه الكلمات إذا جمعت الحروف بعضها إلى بعض، وإذا كان كذلك فإن أكثر الكلام هو ما جمع **اللفظ والمعنى**.

وقد ذكر النحويون أن الكلام عبارة عما أفاد، وكان مشتملا على بعض الحروف الهجائية، وكان ذا معنى مفيد، وكان مركبا من كلمتين فأكثر، وكانت الكلمات مما وضعته العرب، أي: مما تكلمت به، لا أنه بالكلمات الأعجمية، ولا بالحروف اللاتينية أو بالحروف الأردية أو غير ذلك من الكلمات التي لا تعرفها العرب، فلا شك أن هذه لا تسمى كلاما.

ففي كتاب العقيدة في آخر الكلام على القرآن وأنه كلام الله تعالى الرد على من زعم أنه مفترى، وأن من قال ذلك فإنه كافر، وهكذا من زعم أنه من إنشاء أي بشر.

دليل ذلك قول الله تعالى حكاية عن بعض الكفار: ﴿ فقال إن هذا إلا سحر يؤثر * إن هذا إلا قول البشر ﴾ [المدثر:٢٤-٢٥]، فوعده الله فقال: ﴿ سأصليه سقر ﴾ [المدثر:٢٦] يعني: من قال بهذه المقالة فإنه يستحق أن يصلى بسقر، وهي من أسماء النار، ولا شك أن ذلك إنكار لأن يكون القرآن من كلام الله، وإنكار أن يكون معجزة لنبيه عليه الصلاة والسلام ، وادعاء أنه من كلام محمد أو من كلام غيره من البشر.

وقد حكى الله تعالى عن بعض الكفار أنهم قالوا: ﴿ إنما يعلمه بشر ﴾ [النحل:١٠٣] ادعوا أن الذي يتعلم منه إنسان بمكة كان أعجميا، قال الله تعالى: ﴿ لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ﴾ [النحل:١٠٣] يعني: أن ذلك الذي يدعون أنه هو الذي علم محمدا هذا القرآن ليس فصيحا بالعربية بل هو أعجمي، أما هذا القرآن فإنه كلام عربي فصيح واضح، ليس فيه شيء من العجمة ولا من اللكنة ولا من الوصمة أو العيب، بل هو كلام الله.

وكذلك أيضا حكى الله عنهم أنهم قالوا: ﴿ إن هذا إلا سحر مبين ﴾ [المائدة:١١٠]، وقالوا: إنه لقول شاعر، وقال بعضهم: بل هو قول كاهن.

﴿ وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا ﴾ [الفرقان:٥] و(الأساطير) أي: الأكاذيب التي جمعها الأولون، والتي هي من كلام الأولين، ادعوا أن محمدا جمعها، وأن هناك من يأخذها منه فهي تملى عليه بكرة وعشيا، أي: أول النهار وآخره، فأخبر تعالى بأنه كلام الله حيث قال: ﴿ وقالوا أساطير الأولين ﴾ [الفرقان:٥]، ثم قال: ﴿ قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفورا رحيما ﴾ [الفرقان:٦].

وعلى كل حال فمهما قال الذين لفقوا هذه الأقاويل من الأولين والآخرين، فقد رد الله عليهم، وقد فضح أكاذيبهم، وما بقي إلا القول الحق وهو عقيدة كل مسلم أن يعتقد أن القرآن كلام الله، وأنه أنزله على أنبيائه، وأنه أرسل به رسله، فهو من جنس الكتب التي أنزل بها ملائكته على رسله، وجعلها معجزة لهم وآية لهم تدل على صدقهم، فآخر هذه الكتب هو هذا القرآن الذي من الله ببقائه على هذه الأمة، وجعله معجزة لهذا النبي الكريم، فعلينا أن نعتقد فيه أنه آية ودلالة ومعجزة لنبينا عليه الصلاة والسلام، وأن نتلوه حق تلاوته، وأن نتدبره ونعمل بما فيه حتى نكون من الذين يؤمنون به ويتبعونه ويتلونه حق تلاوته.." (١)

"الأدلة العقلية على علو الله سبحانه

قال الشارح رحمه الله تعالى: [وإنما يثبت هذا المعنى من الفوقية في ضمن ثبوت الفوقية المطلقة من كل وجه، فله سبحانه وتعالى فوقية القهر، وفوقية القدر، وفوقية الذات، ومن أثبت البعض ونفى البعض فقد تنقص.

وعلوه تعالى مطلق من كل الوجوه، فإن قالوا: بل علو المكانة لا المكان، فالمكانة: تأنيث المكان، والمنزلة: تأنيث المنزل، فلفظ (المكانة والمنزلة) تستعمل في المكانات النفسانية والروحانية، كما يستعمل لفظ المكان والمنزل في الأمكنة الجسمانية، فإذا قيل: لك في قلوبنا منزلة، ومنزلة فلان في قلوبنا، وفي نفوسنا أعظم من منزلة فلان، كما جاء في الأثر: (إذا أحب أحدكم أن يعرف كيف منزلته عند الله، فلينظر كيف منزلة الله في قلبه، فإن الله ينزل العبد من نفسه حيث أنزله العبد من قلبه)، فقوله: (منزلة الله في قلبه): هو ما يكون في قلبه من معرفة الله ومحبته وتعظيمه وغير ذلك، فإذا عرف أن (المكانة والمنزلة) تأنيث المكان والمنزل، والمؤنث فرع على المذكر في **اللفظ والمعنى**، وتابع له، فعلو المثل الذي يكون في الذهن يتبع علو الحقيقة، إذا كان مطابقا كان حقا، وإلا كان باطلا.

فإن قيل: المراد علوه في القلوب، وأنه أعلى في القلوب من كل شيء.

قيل: وكذلك هو، وهذا العلو مطابق لعلوه في نفسه على كل شيء، فإن لم يكن عاليا بنفسه على كل شيء كان علوه في القلوب غير مطابق، كمن جعل ما ليس بأعلى أعلى.

وعلوه سبحانه وتعالى كما هو ثابت بالسمع، ثابت بالعقل والفطرة، أما ثبوته بالعقل فمن وجوه: أحدها: العلم البديهي القاطع بأن كل موجودين، إما أن يكون أحدهما ساريا في الآخر، قائما به كالصفات، وإما أن يكون قائما بنفسه بائنا من الآخر.

الثاني: أنه لما خلق العالم، فإما أن يكون خلقه في ذاته أو خارجا عن ذاته، والأول باطل.

أما أولا: فبالاتفاق، وأما ثانيا: فلأنه يلزم أن يكون محلا للخسائس والقاذورات تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

والثاني: يقتضي كون العلم واقعا خارج ذاته، فيكون منفصلا، فتعينت المباينة؛ لأن القول بأنه غير متصل بالعالم وغير منفصل عنه غير معقول.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية – ابن جبرين، ١٣/١٨

الثالث: أن كونه تعالى لا داخل العالم ولا خارجه يقتضي نفي وجوده بالكلية؛ لأنه غير معقول، فيكون موجودا إما داخله وإما خارجه، والأول باطل، فتعين الثاني، فلزمت المباينة].

العلو على ثلاثة أنواع: علو الذات، وعلو القدر، وعلو القهر.

وكذلك الفوقية: فوقية القدر، وفوقية القهر، وفوقية الذات.

وفوقية القدر مثل أن يقال: الذهب فوق الفضة.

يعني: فوقها قدرا، هذه فوقية القدر، وفوقية القهر:كأن يقال: الأمير فوق الرعية.

يعني: فوقية قهر، أي: قاهرا لهم.

وفوقية الذات كأن يقال: الأمير فوق الكرسي.

يعني: أنه فوقه بذاته، فنثبت لله تعالى الفوقية بأنواعها، والعلو بأنواعه، وإذا أثبتنا لله فوقية الذات فإننا نثبت مع ذلك قربه ومعيته ومراقبته لعباده، وكونه لا تخفى عليه خافية، بل هو قريب منهم كما أخبر عن نفسه بقوله: ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب ﴾ [البقرة:١٨٦].

فالذين تأولوا أن قوله تعالى: ﴿ وهو القاهر فوق عباده ﴾ [الأنعام:١٨] ، وقالوا: المراد: فوقية الغلبة، واستدلوا بكلمة (القهر)، يرد عليهم بأن هذا نوع من أنواع الفوقية، وقد دل على النوع الثاني قوله تعالى: ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ [النحل:٥٠] فإن هذه الآية لا تحتمل أنها فوقية القهر، بل هي فوقية الذات.

يعني: أنهم يخافون ربهم، وربهم فوقهم، ومع ذلك فهو مطلع عليهم وقريب منهم.

كذلك (العلو) قد يستعمل بمعنى: الغلبة، كما حكى الله عن فرعون أنه قال: ﴿ أنا ربكم الأعلى ﴾ [النازعات:٢٤] ، فأراد بالعلو هنا: الغالب.

يعني: أنا الغالب، وأنا القاهر، وأنا المتصرف، وأنا المالك، فهذا نوع من أنواع العلو، فالله تعالى وصف نفسه بقوله: ﴿ إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ﴾ [الليل:٢٠] ، فنقول: (الأعلى) علو غلبة، وعلو قهر، وعلو قدر وذات، فله أنواع العلو كلها، ولا يلزم من ذلك أن يكون محتاجا إلى شيء من مخلوقاته، بل هو غني عن العرش وما دونه كما تقدم.

وصفة العلو دل عليها العقل والفطرة، كما دل عليها النقل، فالنصوص التي وردت فيها أكثر من أن تحصر، وكلها دالة على صفة العلو، والفطرة والعقل تدل على صفة العلو عند كل عاقل، أما صفة الاستواء فدل عليها النقل، فدلت عليها النصوص والآيات الصريحة التي لا تحتمل التأويل، وقد ذكر العلماء في تفسير آيات الاستواء ما يدل على أنهم متفقون على دلالتها على العلو، حيث إنها عديت بـ(على) كما في قوله تعالى: ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ [طه:٥] فكلمة (على) تدل على الفوقية، أي: فوق العرش.." (١)

"تفاوت المؤمنين في الولاية

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية - ابن جبرين، ٣/٣٤

قال المؤلف: [والولاية أيضا نظير الإيمان، فيكون مراد الشيخ أن أهلها في أصلها سواء، وتكون كاملة وناقصة؛ فالكاملة تكون للمؤمنين المتقين، كما قال تعالى: ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون * لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ [يونس:٦٢-٦٤].

ف (الذين آمنوا وكانوا يتقون) منصوب على أنه صفة أولياء الله، أو بدل منه، أو بإضمار: أمدح، أو مرفوع بإضمار (هم)، أو خبر ثان لـ (إن)، وأجيز فيه الجر بدلا من ضمير (عليهم).

وعلى هذه الوجوه كلها فالولاية لمن كان من الذين آمنوا وكانوا يتقون، وهم أهل الوعد المذكور في الآيات الثلاث، وهي عبارة عن موافقة الولي الحميد في محابه ومساخطه، ليست بكثرة صوم ولا صلاة، ولا تملق ولا رياضة.

وقيل: الذين آمنوا: مبتدأ، والخبر: لهم البشرى، وهو بعيد؛ لقطع الجملة عما قبلها، وانتثار نظم الآية.

ويجتمع في المؤمن ولاية من وجه، وعداوة من وجه، كما قد يكون فيه كفر وإيمان، وشرك وتوحيد، وتقوى وفجور، ونفاق وإيمان، وإن كان في هذا الأصل نزاع لفظي بين أهل السنة، ونزاع معنوي بينهم وبين أهل البدع، كما تقدم في الإيمان.

ولكن موافقة الشارع في **اللفظ والمعنى** أولى من موافقته في المعنى وحده، قال تعالى: ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ [يوسف:١٠٦] وقال تعالى: ﴿ قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ﴾ [الحجرات:١٤] الآية، وقد تقدم الكلام على هذه الآية، وأنهم ليسوا منافقين على أصح القولين.

وقال صلى الله عليه وسلم: (أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر) وفي رواية (وإذا اؤتمن خان) بدل: (وإذا وعد أخلف) أخرجاه في الصحيحين، وحديث: شعب الإيمان تقدم.

وقوله: (يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان)، فعلم أن من كان معه من الإيمان أقل القليل لم يخلد في النار، وإن كان معه كثير من النفاق، فهو يعذب في النار على قدر ما معه من ذلك، ثم يخرج من النار.

فالطاعات من شعب الإيمان، والمعاصي من شعب الكفر، وإن كان رأس شعب الكفر الجحود، ورأس شعب الإيمان التصديق.

وأما ما يروى مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ما من جماعة اجتمعت إلا وفيهم ولي لله، لا هم يدرون به، ولا هو يدري بنفسه)، فلا أصل له، وهو كلام باطل، فإن الجماعة قد يكونون كفارا، وقد يكونون فساقا يموتون على الفسق]..." (١)

"مذهب الأشعري وابن كلاب في كلام الله ... الأشعري و ابن كلاب أثبتوا صفة الكلام لله إثباتاً غير متصور في العقل، فقالوا: إن الكلام معنى واحد يقوم في النفس، ليس بحرف ولا بصوت، ولا يتعلق بالقدرة والمشيئة، وهذا مذهب شاذ أحدثه عبد الله بن سعيد بن كلاب وتبعه عليه الأشعري وأمثاله، وليس هو قول أهل السنة ولا يعرف عن أحد من سلف الأمة، بل كما قرر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أنه قول مخالف للعقل فضلاً عن مخالفته للشرع. فلما قال ابن

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية - ابن جبرين، ٩/٤٩

كلاب و الأشعري : إن الكلام معنى واحد يقوم في النفس ليس بحرف ولا صوت، جعلوا القرآن الذي هو حرف حكايةً أو عبارةً عن كلام الله، وليس كلاماً له، ولا شك أن هذا تناقض؛ فإن من أثبت الكلام لله، لزمه أن يجعله بحرف وصوت؛ لأن الكلام كذلك. وهذا يقود إلى مسألة، وهي: حقيقة الكلام؛ فإن الذي أجمع عليه أهل السنة أن الكلام يتناول **اللفظ والمعنى** جميعاً، ليس هو اللفظ وحده ولا المعنى وحده، والمشهور عند النحاة أن الكلام هو اللفظ، وإن كان من يطلق ذلك من النحاة، ليس بالضرورة أنه يلتزم بعض النتائج المقولة في أصول الدين، ومن هنا قال ابن مالك : كلامنا لفظ مفيد.... .... وجعلوا المعنى مدلولاً لهذا اللفظ، ولم يجعلوا لفظ الكلام متناولاً له، وغلط ابن كلاب و الأشعري ، فقالوا: إن الكلام هو المعنى وحده، وقال طائفة: إنه مشترك بين اللفظ وبين المعنى على الانفكاك، فيكون اللفظ وحده كلاماً ويكون المعنى وحده كلاماً. والله سبحانه لم يذكر الكلام مطلقاً إلا وأراد به ما كان بحرف وصوت، وأما قوله تعالى: وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ [المجادلة:٨]، فمثل هذا السياق لا يدل على مذهب الأشعري ، لأنه سياق مقيد، فضلاً عن كون طائفة من المفسرين قالوا في تفسيرها: أنهم يقولون فيما بينهم كلاماً لا يسمعه غيرهم. ......
حكم من قال مقالة كفرية." (١)

"المقدمة الثانية: أنه إن كان في اللغة يراد به التصديق لزم أن يكون في الشرع كذلك ولا يتعداه إلى غيره. وكلا المقدمتين مما ينازعون فيه، فإن الإيمان وإن استعمل في كلام العرب مرادفاً للتصديق في بعض السياقات، إلا أنه يقع في بعض السياقات بخلاف ذلك، وبينه وبين التصديق فرق من جهة **اللفظ والمعنى** ذكره جماعة من أهل السنة. والجواب عن المقدمة الثانية من وجهين: الوجه الأول: أنه إذا سلم أن الإيمان في اللغة مرادف للتصديق فإنه لا يلزم أن يكون في سائر موارده في الشريعة كذلك، ومعلوم أن المرجئة يسمون العمل إسلاماً، مع أن هذا مما لا توجبه اللغة، فما كان مسوغاً أو موجباً عندهم لتسمية العمل إسلاماً من جهة اللغة فيمكن طرده على مسمى الإيمان، فإذا قالوا: إن الصلاة لا تسمى في اللغة إيماناً، بل الصلاة في اللغة هي الدعاء، والإيمان هو التصديق، قيل لهم: وهل الصلاة والزكاة والحج والأعمال الظاهرة تسمى في اللغة إسلاماً؟ فالجواب: لا. فيقال: فما الذي سوغ أن تسمى إسلاماً مع أن الإسلام اسم شرعي بالإجماع، كاسم الإيمان من جهة كونه اسماً شرعياً؟ فتبين أن هذا مما لا توجبه اللغة بذاتها، بل لا بد فيه من اعتبار تسمية الشارع، فلما كان الأمر كذلك تعلق اسم الإيمان بسائر الأعمال على هذا الوجه. الوجه الثاني: أن يقال: إن ما استعمله متكلمة المرجئة –لِمَا دخل في أصولهم الكلامية– من تجريد الماهيات إلى صور يفرضها الذهن لا حقيقة لها في الخارج، ومعنى هذا الكلام: أنهم إذا قالوا: الصلاة عمل، والعمل ليس داخلاً في مسمى الإيمان، إذ الإيمان هو التصديق.." (٢)

" تابع قوله : (وإن القرآن كلام الله منه بدا بلا كيفية قولا وأنزله على رسوله وحيا وصدقه المؤمنون على ذلك حقا وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر حيث قال تعالى : ﴿ إن هذا إلا قول البشر ﴾ – علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر ولا يشبه قول البشر)

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ص/٩٢

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، ص/١٨٢

والقرآن في الأصل : مصدر فتارة يذكر ويراد به القراءة قال تعالى : ﴿ وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا ﴾ [وقال صلى الله عليه و سلم : زينوا القرآن بأصواتكم] وتارة يذكر ويراد به المقروء قال تعالى : ﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ وقال تعالى : ﴿ وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ﴾ [وقال صلى الله عليه و سلم : إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف] إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الدالة على كل من المعنيين المذكورين فالحقائق لها وجود عيني وذهني ولفظي ورسمي ولكن الأعيان تعلم ثم تذكر ثم تكتب فكتابتها في المصحف هي المرتبة الرابعة وأما الكلام فإنه ليس بينه وبين المصحف واسطة بل هو الذي يكتب بلا واسطة ولا لسان

والفرق بين كونه في زبر الأولين وبين كونه في رق منشور أو لوح محفوظ أو في كتاب مكنون - : واضح فقوله عن القرآن : ﴿ وإنه لفي زبر الأولين ﴾ أي ذكره ووصفه والأخبار عنه كما أن محمدا مكتوب عندهم إذ القرآن أنزله الله على محمد لم ينزله على غيره أصلا ولهذا قال في الزبر ولم يقل في الصحف ولا في الرق لأن الزبر جمع زبور و الزبر هو : الكتابة والجمع فقوله : ﴿ وإنه لفي زبر الأولين ﴾ أي : مزبور الأولين ففي نفس اللفظ واشتقاقه ما يبين المعنى المراد ويبين كمال بيان القرآن وخلوصه من اللبس وهذا مثل قوله : ﴿ الذي يجدونه مكتوبا عندهم ﴾ أي : ذكره بخلاف قوله ﴿ في رق منشور ﴾ و ﴿ لوح محفوظ ﴾ و ﴿ كتاب مكنون ﴾ لأن العامل في الظرف إما أن يكون من الأفعال العامة مثل الكون والإستقرار والحصول ونحو ذلك أو يقدر : مكتوب في كتاب أو في رق والكتاب : تارة يذكر ويراد به محل الكتابة وتارة يذكر ويراد به الكلام المكتوب ويجب التفريق بين كتابة الكلام في الكتاب وكتابة الأعيان الموجودة في الخارج فيه - فإن تلك إنما يكتب ذكرها وكلما تدبر الإنسان هذا المعنى وضح له الفرق

وحقيقة كلام الله تعالى الخارجية : هي ما يسمع منه أو من المبلغ عنه فإذا سمعه السامع علمه وحفظه فكلام الله مسموع له معلوم محفوظ فإذا قاله السامع فهو مقروء له متلو فإن كتبه فهو مكتوب له مرسوم وهو حقيقة في هذه الوجوه كلها لا يصح نفيه والمجاز يصح نفيه فلا يجوز أن يقال : ليس في المصحف كلام الله ولا : ما قرأ القارىء كلام الله وقد قال تعالى : ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ﴾ وهو لا يسمع كلام الله من الله وإنما يسمعه من مبلغه عن الله والآية تدل على فساد قول من قال : إن المسموع عبارة عن كلام الله وليس هو كلام الله فإنه تعالى قال : ﴿ حتى يسمع كلام الله ﴾ ولم يقل حتى يسمع ما هو عبارة عن كلام الله والأصل الحقيقة ومن قال : إن المكتوب في المصاحف عبارة عن كلام الله أو حكاية كلام الله وليس فيها كلام الله - : فقد خالف الكتاب والسنة وسلف الأمة وكفى بذلك ضلالا

وكلام الطحاوي رحمه الله يرد قول من قال : إنه معنى واحد لا يتصور سماعه منه وأن المسموع المنزل المقروء والمكتوب ليس كلام الله وإنما هو عبارة عنه فإن الطحاوي رحمه الله يقول : كلام الله منه بدا وكذلك قال غيره من السلف ويقولون : منه بدا وإليه يعود وإنما قالوا : منه بدا لأن الجهمية من المعتزلة وغيرهم كانوا يقولون إنه خلق الكلام في محل فبدأ الكلام من ذلك المحل فقال السلف : منه بدا أي هو المتكلم به فمنه بدا لا من بعض المخلوقات كما قال تعالى : ﴿ تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ﴾ ﴿ ولكن حق القول مني ﴾ ﴿ قل نزله روح القدس من ربك بالحق ﴾ ومعنى قولهم : وإليه يعود - : يرفع من الصدور والمصاحف فلا يبقى في الصدور منه آية ولا في المصاحف كما جاء ذلك في عدة آثار

وقوله بلا كيفية : أي : لا تعرف كيفية تكلمه به قولا ليس بالمجاز وأنزله على رسوله وحيا أي : أنزله إليه على لسان الملك فسمعه الملك جبرائيل من الله وسمعه الرسول صلى الله عليه و سلم من الملك وقرأ على الناس قال تعالى : ﴿ وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا ﴾ وقال تعالى : ﴿ نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين ﴾ وفي ذلك إثبات صفة العلو لله تعالى

وقد أورد على ذلك أن إنزال القرآن نظير إنزال المطر أو إنزاله الحديد وإنزال ثمانية أزواج من الأنعام

والجواب : أن إنزال القرآن فيه مذكور أنه إنزال من الله قال تعالى : ﴿ حم * تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ﴾ وقال تعالى : ﴿ تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ﴾ وقال تعالى : ﴿ تنزيل من الرحمن الرحيم ﴾ وقال تعالى : ﴿ تنزيل من حكيم حميد ﴾ وقال تعالى : ﴿ إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين * فيها يفرق كل أمر حكيم * أمرا من عندنا إنا كنا مرسلين ﴾ وقال تعالى : ﴿ فاتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين ﴾ وقال تعالى : ﴿ والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق ﴾ وقال تعالى : ﴿ قل نزله روح القدس من ربك بالحق ﴾ وإنزال المطر مقيد بأنه منزل من السماء قال تعالى : ﴿ أنزلنا من السماء ماء طهورا ﴾ والسماء : العلو وقد جاء في مكان آخر أنه منزل من المزن والمزن : السحاب وفي مكان آخر أنه منزل من المعصرات وإنزال الحديد والأنعام مطلق فكيف يشبه هذا الإنزال بهذا الإنزال ؟ ! فالحديد إنما يكون من المعادن التي في الجبال وهي عالية على الأرض وقد قيل أنه كلما كان معدنه أعلى كان حديده أجود والأنعام تخلق بالتوالد المستلزم إنزال الذكور الماء من أصلابها إلى أرحام الإناث ولهذا يقال : أنزل ولم يقل نزل ثم الأجنة تنزل من بطون الأمهات إلى وجه الارض ومن المعلوم أن الأنعام تعلو فحولها إناثها عند الوطء وينزل ماء الفحل من علو الى رحم الأنثى وتلقي ولدها عند الولادة من علو إلى سفل وعلى هذا فيحتمل قوله ﴿ وأنزل لكم من الأنعام ﴾ - : وجهين : أحدهما أن تكون من لبيان الجنس الثاني : أن تكون من لابتداء الغاية وهذان الوجهان يحتملان في قوله : ﴿ جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا ﴾

وقوله : وصدقه المؤمنون على ذلك حقا الإشارة إلى ما ذكره من التكلم على الوجه المذكور وإنزاله أي هذا قول الصحابة والتابعين لهم بإحسان وهم السلف الصالح وأن هذا حق وصدق

وقوله : وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية رد على المعتزلة وغيرهم بهذا القول ظاهر وفي قوله : بالحقيقة رد على من قال : إنه معنى واحد قام بذات الله لم يسمع منه وإنما هو الكلام النفساني لأنه لا يقال لمن قام به الكلام النفساني ولم يتكلم به - : أن هذا كلام حقيقة وإلا للزم أن يكون الأخرس متكلما ولزم أن لا يكون الذي في المصحف عند الإطلاق هو القرآن ولا كلام الله ولكن عبارة عنه ليست هي كلام الله كما لو أشار أخرس إلى شخص بإشارة فهم بها مقصوده فكتب ذلك الشخص عبارته عن المعنى الذي أوحاه إليه ذلك الأخرس فالمكتوب هو عبارة ذلك الشخص عن ذلك المعنى وهذا المثل مطابق غاية المطابقة لما يقولونه وإن كان الله تعالى لا يسميه أحد أخرس لكن عندهم أن الملك فهم منه معنى قائما بنفسه لم يسمع منه حرفا ولا صوتا بل فهم معنى مجردا ثم عبر عنه فهو الذي أحدث نظم القرآن وتأليفه العربي وأنا الله خلق في بعض الأجسام كالهوى الذي هو دون الملك هذه العبارة

ويقال لمن قال إنه معنى واحد - : هل سمع موسى عليه السلام جميع المعنى أو بعضه ؟ فإن قال : سمعه كله فقد زعم أنه سمع جميع كلام الله وفساد هذا ظاهر وإن قال : بعضه فقد قال يتبعض وكذلك كل من كلمه الله أو أنزل إليه شيئا من كلامه

ولما قال تعالى للملائكة : ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ ولما قال لهم ﴿ اسجدوا لآدم ﴾ وأمثال ذلك - : هل هذا جميع كلامه أو بعضه ؟ فإن قال : إنه جميعه فهذا مكابرة وإن قال : بعضه فقد اعترف بتعدده

وللناس في مسمى الكلام والقول عند الإطلاق - : أربعة أقوال : أحدها : أنه يتناول **اللفظ والمعنى** جميعا كما يتناول لفظ الإنسان الروح والبدن معا وهذا قول السلف الثاني : اسم اللفظ فقط والمعنى ليس جزء مسماه بل هو مدلول مسماه وهذا قول جماعة من المعتزلة وغيرهم الثالث : أنه إسم للمعنى فقط وإطلاقه على اللفظ مجاز لأنه دال عليه وهذا قول ابن كلاب ومن اتبعه

الرابع : أنه مشترك بين **اللفظ والمعنى** وهذا قول بعض المتأخرين من الكلابية ولهم قول خامس يروى عن أبي الحسن أنه مجاز في كلام الله حقيقة في كلام الآدميين لأن حروف الآدميين تقوم بهم فلا يكون الكلام قائما بغير المتكلم بخلاف كلام الله فإنه لا يقوم عنده بالله فيمتنع أن يكون كلامه وهذا مبسوط في موضعه وأما من قال إنه معنى واحد واستدل عليه بقول الأخطل :

(إن الكلام لفي الفؤاد وإنما ... جعل اللسان على الفؤاد دليلا)

: فاستدلال فاسد ولو استدل مستدل بحديث في الصحيحين لقالوا هذا خبر واحد ! ويكون مما اتفق العلماء على تصديقه وتلقيه بالقبول والعمل به ! فكيف وهذا البيت قد قيل إنه موضوع منسوب إلى الأخطل وليس هو في ديوانه ؟ ! وقيل إنما قال : إن البيان لفي الفؤاد وهذا أقرب إلى الصحة وعلى تقدير صحته عنه فلا يجوز الإستدلال به فإن النصارى قد ضلوا في معنى الكلام وزعموا أن عيسى عليه السلام نفس كلمة الله واتحد اللاهوت بالناسوت ! أي : شيء من الإله بشيء من الناس ! أفيستدل بقول نصراني قد ضل في معنى الكلام على معنى الكلام ويترك ما يعلم من معنى الكلام في لغة العرب ؟ ! وأيضا : فمعناه غير صحيح إذ لازمه أن الأخرس يسمى متكلما لقيام الكلام بقلبه وإن لم ينطق به ولم يسمع منه والكلام على ذلك مبسوط في موضعه وإنما أشير اليه إشارة

وهنا معنى عجيب وهو : أن هذا القول له شبه قوي بقول النصارى القائلين باللاهوت والناسوت ! فإنهم يقولون : كلام الله هو المعنى القائم بذات الله الذي لا يمكن سماعه وأما النظم المسموع فمخلوق فإفهام المعنى القديم بالنظم المخلوق يشبه امتزاج اللاهوت بالناسوت الذي قالته النصارى في عيسى عليه السلام فانظر إلى هذا الشبه ما أعجبه !

ويرد قول من قال : بأن الكلام هو المعنى القائم بالنفس - : [قوله صلى الله عليه و سلم : إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الناس] [وقال : إن الله يحدث من أمره ما يشاء وإنما أحدث أن لا تكلموا في الصلاة] واتفق العلماء على أن المصلي إذا تكلم في الصلاة عامدا لغير مصلحتها بطلت صلاته واتفقوا كلهم على أن ما يقوم بالقلب من تصديق بأمور دنيوية وطلب - لا يبطل الصلاة وإنما يبطلها التكلم بذلك فعلم اتفاق المسلمين على أن هذا ليس بكلام

وأيضا : ففي الصحيحين [عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم به أوتعمل به] فقد أخبر أن الله عفا عن حديث النفس إلا أن تتكلم ففرق بين حديث النفس وبين الكلام وأخبر أنه لا يؤاخذ به حتى يتكلم به والمراد : حتى ينطق به اللسان باتفاق العلماء فعلم أن هذا هو الكلام في اللغة لأن الشارع إنما خاطبنا بلغة العرب

وأيضا [ففي السنن : أن معاذا رضي الله عنه قال : يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال : وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم] فبين أن الكلام إنما هو باللسان فلفظ القول و الكلام وما تصرف منهما من فعل ماض ومضارع وأمر واسم فاعل - : إنما يعرف في القرآن والسنة وسائر كلام العرب إذا كان لفظا ومعنى ولم يكن في مسمى الكلام نزاع بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان وإنما حصل النزاع بين المتأخرين من علماء أهل البدع ثم انتشر

ولا ريب أن مسمى الكلام والقول ونحوهما - ليس هو مما يحتاج فيه إلى قول شاعر فإن هذا مما تكلم به الأولون والآخرون من أهل اللغة وعرفوا معناه كما عرفوا مسمى الرأس واليد والرجل ونحو ذلك

ولا شك أن من قال : إن كلام الله معنى واحد قائم بنفسه تعالى وأن المتلو المحفوظ المكتوب المسموع من القارىء حكاية كلام الله وهو مخلوق - : فقد قال بخلق القرآن وهو لا يشعر فإن الله يقول : ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ﴾ أفتراه سبحانه وتعالى يشير الى ما في نفسه أو إلى المتلو المسموع ؟ ولا شك أن الإشارة إنما هي إلى هذا المتلو المسموع إذ ما في ذات الله غير مشار إليه ولا منزل ولا متلو ولا مسموع

وقوله : ﴿ لا يأتون بمثله ﴾ - أفتراه سبحانه يقول : لا يأتون بمثل ما في نفسي مما لم يسمعوه ولم يعرفوه وما في نفس الله عز و جل لا حيلة إلى الوصول إليه ولا إلى الوقوف عليه

فإن قالوا : إنما أشار إلى حكاية ما في نفسه وعبارته وهو المتلو المكتوب المسموع فأما أن يشير إلى ذاته فلا - فهذا صريح القول بأن القرآن مخلوق بل هم في ذلك أكفر من المعتزلة فإن حكاية الشيء بمثله وشبهه وهذا تصريح بأن صفات الله محكية ولو كانت هذه التلاوة حكاية لكان الناس قد أتوا بمثل كلام الله فأين عجزهم ؟ ! ويكون التالي - في زعمهم - قد حكى بصوت وحرف ما ليس بصوت وحرف وليس القرآن إلا سورا مسورة وآيات مسطرة في صحف مطهرة قال تعالى : ﴿ فاتوا بعشر سور مثله مفتريات ﴾ ﴿ بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون ﴾ ﴿ في صحف مكرمة * مرفوعة مطهرة ﴾ ويكتب لمن قرأ بكل حرف عشر حسنات [قال صلى الله عليه و سلم : أما إني لا أقول (آلم) حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف] وهو المحفوظ في صدور الحافظين المسموع من ألسن التالين قال الشيخ حافظ الدين النسفي رحمه الله في المنار : إن القرآن إسم للنظم والمعنى وكذا قال غيره من أهل الأصول وما ينسب إلى أبي حنيفة رحمه الله : أن من قرأ في الصلاة بالفارسية أجزأه - فقد رجع عنه - وقال : لا يجوز القراءة مع القدرة بغير العربية وقالوا : لو قرأ بغير العربية إما أن يكون مجنونا فيداوى أو زنديقا فيقتل لأن الله تكلم به بهذه اللغة والإعجاز حصل بنظمه ومعناه

وقوله : ومن سمعه وقال إنه كلام البشر فقد كفر لا شك في تكفير من أنكر أن القرآن كلام الله بل قال إنه كلام محمد أو غيره من الخلق ملكا كان أو بشرا وأما إذا أقر أنه كلام الله ثم أول وحرف – فقد وافق قول من قال : إن هذا إلا قول البشر في بعض ما به كفر وأولئك الذين استزلهم الشيطان – وسيأتي الكلام عليه عند قول الشيخ ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله إن شاء الله تعالى

وقوله : ولا يشبه قول البشر يعني أنه أشرف وأفصح وأصدق قال تعالى : ﴿ ومن أصدق من الله حديثا ﴾ وقال تعالى : ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ﴾ الآية وقال تعالى : ﴿ قل فاتوا بسورة مثله ﴾ فلما عجزوا – وهم فصحاء العرب مع شدة العداوة – عن الإتيان بسورة مثله تبين صدق الرسول صلى الله عليه و سلم أنه من عند الله وإعجازه من جهة نظمه ومعناه لا من جهة أحدهما فقط هذا مع أنه قرآن عربي غير ذي عوج بلسان عربي مبين أي بلغة العربية فنفي المشابهة من حيث التكلم ومن حيث التكلم به ومن حيث النظم والمعنى لا من حيث الكلمات والحروف وإلى هذا وقعت الإشارة بالحروف المقطعة في أوائل السور أي أنه في أسلوب كلامهم وبلغتهم التي يخاطبون بها ألا ترى أنه يأتي بعد الحروف المقطعة بذكر القرآن ؟ كما في قوله تعالى : ﴿ الم * ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾ ﴿ الم * الله لا إله إلا هو الحي القيوم * نزل عليك الكتاب بالحق ﴾ الآية ﴿ المص *كتاب أنزل إليك ﴾ الآية ﴿ الر تلك آيات الكتاب الحكيم ﴾ وكذلك الباقي ينبههم أن هذا الرسول الكريم لم يأتكم بما لا تعرفونه بل خاطبكم بلسانكم

ولكن أهل المقالات الفاسدة يتذرعون بمثل هذا إلى نفي تكلم الله به وسماع جبرائيل منه كما يتذرعون بقوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ إلى نفي الصفات وفي الآية ما يرد عليهم قولهم وهو قوله تعالى : ﴿ وهو السميع البصير ﴾ كما في قوله تعالى : ﴿ فاتوا بسورة مثله ﴾ ما يرد على من ينفي الحرف فإنه قال : ﴿ فاتوا بسورة ﴾ ولم يقل فأتوا بحرف أو بكلمة وأقصر سورة في القرآن ثلاث آيات ولهذا قال أبو يوسف و محمد : إن أدنى ما يجزىء في الصلاة ثلاث آيات قصار أو آية طويلة لأنه لا يقع الإعجاز بدون ذلك والله أعلم ." (١)

" قوله : (وهو مستغن عن العرش وما دونه محيط بكل شيء وفوقه وقد أعجز عن الاحاطة خلقه)

ش : أما قوله : وهو مستغن عن العرش وما دونه فقال تعالى : ﴿ إن الله لغني عن العالمين ﴾ وقال تعالى : ﴿ والله هو الغني الحميد ﴾ وإنما قال الشيخ رحمه الله هذا الكلام هنا لأنه لما ذكر العرش والكرسي ذكر بعد ذلك غناه سبحانه عن العرش وما دون العرش ليبين أن خلقه العرش لاستوائه عليه ليس لحاجته إليه بل له في ذلك حكمة اقتضته وكون العالي فوق السافل لا يلزم أن يكون السافل حاويا للعالي محيطا به حاملا له [ولا] أن يكون الأعلى مفتقرا إليه فانظر إلى السماء كيف هي فوق الأرض وليست مفتقرة إليها ؟ فالرب تعالى أعظم شأنا وأجل من أن يلزم من علوه ذلك بل لوازم علوه من خصائصه وهي حمله بقدرته للسافل وفقر السافل وغناه هو سبحانه عن السافل وإحاطته عز و جل به فهو فوق العرش مع حمله بقدرته للعرش وحملته وغناه عن العرش وفقر العرش إليه وإحاطته بالعرش وعدم إحاطة العرش به وحصره للعرش وعدم حصر العرش له وهذه اللوازم منتفية عن المخلوق

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ص/١٧٩

ونفاة العلو [أهل التعطيل] لو فصلوا بهذا التفصيل لهدوا إلى سواء السبيل وعلموا مطابقة العقل للتنزيل ولسلكوا خلف الدليل ولكن فارقوا الدليل فضلوا عن سواء السبيل والأمر في ذلك كما قال الإمام مالك رحمه الله لما سئل عن قوله تعالى : ﴿ ثم استوى على العرش ﴾ وغيرها : كيف استوى ؟ فقال الاستواء معلوم والكيف مجهول ويروى هذا الجواب عن أم سلمة رضي الله عنها موقوفا ومرفوعا إلى النبي صلى الله عليه و سلم

وأما قوله : محيط بكل شيء وفوقه وفي بعض النسخ : محيط بكل شيء فوقه [بحذف الواو] من قوله : فوقه والنسخة الأولى هي الصحيحة ومعناها أنه تعالى محيط بكل شيء وفوق كل شيء ومعنى الثانية : أنه محيط بكل شيء فوق العرش وهذه - والله أعلم - إما أن يكون أسقطها بعض النساخ سهوا ثم استنسخ بعض الناس من تلك النسخة أو أن بعض المحرفين الضالين أسقطها قصدا للفساد وإنكار لصفة الفوقية ! وإلا فقد قام الدليل على أن العرش فوق المخلوقات وليس فوقه شيء من المخلوقات فلا يبقى لقوله : محيط - بمعنى : محيط بكل شيء فوق العرش والحالة هذه : معنى ! إذ ليس فوق العرش من المخلوقات ما يحيط به فتعين ثبوت الواو ويكون المعنى : أنه سبحانه محيط بكل شيء وفوق كل شيء

أما كونه محيطا بكل شيء فقال تعالى : ﴿ والله من ورائهم محيط ﴾ ﴿ ألا إنه بكل شيء محيط ﴾ ﴿ ولله ما في السماوات وما في الأرض وكان الله بكل شيء محيطا ﴾ وليس المراد من إحاطته بخلقه أنه كالفلك وأن المخلوقات داخل ذاته المقدسة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وإنما المراد : إحاطة عظمته وسعة علمه وقدرته وأنها بالنسبة إلى عظمته كخردلة كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : ما السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن في يد الرحمن - إلا كخردلة في يد أحدكم ومن المعلوم - ولله المثل الأعلى - أن الواحد منا إذا كان عنده خردلة إن شاء قبضها وأحاط قبضته بها وإن شاء جعلها تحته وهو في الحالين مباين لها عال عليها فوقها من جميع الوجوه فكيف بالعظيم الذي لا يحيط بعظمته وصف واصف فلو شاء لقبض السماوات والأرض اليوم وفعل بها كما يفعل بها يوم القيامة فإنه لا يتجدد به إذ ذاك قدرة ليس عليها الآن فكيف يستبعد العقل مع ذلك أنه يدنو سبحانه من بعض أجزاء العالم وهو على عرشه فوق سماواته ؟ أو يدني إليه من يشاء من خلقه ؟ فمن نفى ذلك لم يقدره حق قدره وفي [حديث أبي رزين المشهور الذي رواه عن النبي صلى الله عليه و سلم في رؤية الرب تعالى : فقال له أبو زرين : كيف يسعنا - يا رسول الله - وهو واحد ونحن جميع ؟ فقال : سأنبئك بمثل ذلك في آلاء الله : هذا القمر آية من آيات الله كلكم يراه مخليا به والله أكبر من ذلك وإذا أفل تبين أنه أعظم وأكبر من كل شيء] فهذا يزيل كل إشكال ويبطل كل خيال

وأما كونه فوق المخلوقات فقال تعالى : ﴿ وهو القاهر فوق عباده ﴾ ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ﴾ [وقال صلى الله عليه و سلم في حديث الأوعال المتقدم ذكره : والعرش فوق ذلك والله فوق ذلك كله] وقد أنشد عبد الله بن رواحة شعره المذكور بين يدي النبي صلى الله عليه و سلم وأقره على ما قال : وضحك منه وكذا أنشده حسان بن ثابت رضي الله عنه قوله :

(شهدت بإذن الله أن محمدا ... رسول الذي فوق السماوات من عل)

(وأن أبا يحيى ويحيى كلاهما ... له عمل من ربه متقبل)

(وأن الذي عادى اليهود ابن مريم ... رسول أتى من عند ذي العرش مرسل)

(وأنا أخا الأحقاف إذ قام فيهم ... يجاهد في ذات الإله ويعدل)

[فقال النبي صلى الله عليه و سلم : وأنا أشهد] [وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش : أن رحمتي سبقت غضبي] وفي رواية : [تغلب غضبي] رواه البخاري وغيره [وروى ابن ماجه عن جابر يرفعه قال : بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا إليه رؤوسهم فإذا الجبار جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم وقال : يا أهل الجنة سلام عليكم ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ سلام قولا من رب رحيم ﴾ فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه] [وروى مسلم عن النبي صلى الله عليه و سلم في تفسير قوله تعالى : ﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن ﴾ بقوله : أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء] والمراد بالظهور هنا : العلو ومنه قوله تعالى : ﴿ فما اسطاعوا أن يظهروه ﴾ أي يعلوه فهذه الأسماء الأربعة متقابلة : اسمان منها لأزلية الرب سبحانه وتعالى وأبديته واسمان لعلوه وقربه [وروى أبو داود عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده قال : أتى رسول الله صلى الله عليه و سلم أعرابي فقال : يا رسول الله جهدت الأنفس [وضاعت العيال] ونهكت الأموال [وهلكت الأنعام] فاستسق الله لنا فإنا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : ويحك ! أتدري ما تقول ؟ وسبح رسول الله صلى الله عليه و سلم فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه ثم قال : ويحك ! إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه شأن الله أعظم من ذلك ويحك ! أتدري ما الله ؟ إن الله فوق عرشه وعرشه فوق سماواته وقال بأصابعه ! مثل القبة [عليه] وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب] [وفي قصة سعد بن معاذ يوم بني قريظة لما حكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم فقال النبي صلى الله عليه و سلم : لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبع سماوات] وهو حديث صحيح أخرجه الأموي في مغازيه وأصله في الصحيحين وروى البخاري عن زينب رضي الله عنها أنها كانت تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه و سلم وتقول : زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سماوات وعن عمر رضي الله عنه : أنه مر بعجوز فاستوقفته فوقف معها يحدثها فقال رجل : يا أمير المؤمنين حبست الناس بسبب هذه العجوز ؟ فقال : ويلك ! أتدري من هذه ؟ أمرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات هذه خولة التي أنزل الله فيها ﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله ﴾ أخرجه الدارمي وروى عكرمة عن ابن عباس في قوله : ﴿ ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ﴾ قال : ولم يستطع أن يقول من فوقهم لأنه قد علم أن الله سبحانه من فوقهم

ومن سمع أحاديث الرسول صلى الله عليه و سلم وكلام السلف وجد منه في إثبات الفوقية ما لا ينحصر ولا ريب أن الله سبحانه لما خلق لم يخلقهم في ذاته المقدسة تعالى الله عن ذلك فإنه الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد فتعين أنه خلقهم خارجا عن ذاته ولو لم يتصف سبحانه بفوقية الذات مع أنه قائم بنفسه غير مخالط للعالم لكان متصفا بضد ذلك لأن القابل للشيء لا يخلو منه أو من ضده وضد الفوقية : السفول وهو مذموم على الإطلاق لأنه مستقر إبليس وأتباعه وجنوده

فإن قيل : لا نسلم أنه قابل للفوقية حتى يلزم من نفيها ثبوت ضدها قيل : لو لم يكن قابلا للعلو والفوقية لم يكن له حقيقة قائمة بنفسها فمتى أقررتم بأنه ذات قائم بنفسه غير مخالط للعالم وأنه موجود في الخارج ليس وجوده ذهنيا فقط

بل وجوده خارج الأذهان قطعا وقد علم العقلاء كلهم بالضرورة أن ما كان وجوده كذلك فهو : إما داخل العالم وإما خارج عنه وإنكار ذلك إنكار ما هو أجلى وأظهر من الأمور البديهيات الضرورية بلا ريب فلا يستدل على ذلك بدليل إلا كان العلم بالمباينة أظهر منه وأوضح وأبين وإذا كان صفة العلو والفوقية صفة كمال لا نقص فيه ولا يستلزم نقصا ولا يوجب محذورا ولا يخالف كتابا ولا سنة ولا إجماعا فنفي حقيقته يكون عين الباطل والمحال الذي لا تأتي به شريعة أصلا فكيف إذا كان لا يمكن الإقرار بوجوده وتصديق رسله والإيمان بكتابه وبما جاء به رسوله - : إلا بذلك ؟ فكيف إذا انضم إلى ذلك شهادة العقول السليمة والفطر [المستقيمة] والنصوص الواردة المتنوعة المحكمة على علو الله على خلقه وكونه فوق عباده التي تقرب من عشرين نوعا : أحدها : التصريح بالفوقية مقرونا بأداة : من المعينة للفوقية بالذات كقوله تعالى : ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ﴾ الثاني : ذكرها مجردة عن الأداة كقوله تعالى : ﴿ وهو القاهر فوق عباده ﴾ الثالث : التصريح بالعروج إليه نحو : ﴿ تعرج الملائكة والروح إليه ﴾ [وقوله صلى الله عليه و سلم : يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم] الرابع : التصريح بالصعود إليه كقوله تعالى : ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب ﴾ الخامس : التصريح برفعه بعض المخلوقات إليه كقوله تعالى : ﴿ بل رفعه الله إليه ﴾ وقوله : ﴿ إني متوفيك ورافعك إلي ﴾ السادس : التصريح بالعلو المطلق الدال على جميع مراتب العلو ذاتا وقدرا وشرفا كقوله تعالى : ﴿ وهو العلي العظيم ﴾ ﴿ وهو العلي الكبير ﴾ ﴿ الله عليم حكيم ﴾ السابع : التصريح بتنزيل الكتاب منه كقوله تعالى : ﴿ تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ﴾ ﴿ تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ﴾ ﴿ تنزيل من الرحمن الرحيم ﴾ ﴿ تنزيل من حكيم حميد ﴾ ﴿ قل نزله روح القدس من ربك بالحق ﴾ ﴿ حم * والكتاب المبين * إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين * فيها يفرق كل أمر حكيم * أمرا من عندنا إنا كنا مرسلين ﴾ الثامن : التصريح باختصاص بعض المخلوقات بأنها عنده وأن بعضها أقرب إليه من بعض كقوله : ﴿ إن الذين عند ربك ﴾ ﴿ وله من في السماوات والأرض ومن عنده ﴾ ففرق بين من له عموما وبين من عنده من ملائكته وعبيده خصوصا [وقول النبي صلى الله عليه و سلم في الكتاب الذي كتبه الرب تعالى على نفسه : أنه عنده فوق العرش] التاسع : التصريح بأنه تعالى في السماء وهذا عند المفسرين من أهل السنة على أحد وجهين : إما أن تكون في بمعنى على وإما أن يراد بالسماء العلو لا يختلفون في ذلك ولا يجوز الحمل على غيره العاشر : التصريح بالاستواء مقرونا بأداة على مختصا بالعرش الذي هو أعلى المخلوقات مصاحبا في الأكثر لأداة : ثم الدالة على الترتيب والمهلة الحادي عشر : التصريح برفع الأيدي إلى الله تعالى [كقوله صلى الله عليه و سلم : إن الله يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرا] والقول بأن العلو قبلة الدعاء فقط - باطل بالضرورة والفطرة وهذا يجده من نفسه كل داع كما يأتي إن شاء الله تعالى الثاني عشر : التصريح بنزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا والنزول المعقول عند جميع الأمم إنما يكون من علو إلى سفل الثالث عشر : الإشارة إليه حسا إلى العلو كما أشار إليه من هو أعلم بربه وبما يجب له ويمتنع عليه من جميع البشر لما كان بالمجمع الأعظم [الذي لم يجتمع لأحد مثله في اليوم الأعظم في المكان الأعظم قال لهم : [أنتم مسؤولون عني فماذا أنتم قائلون ؟ قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت] فرفع أصبعه الكريمة إلى السماء رافعا لها إلى من هو فوقها وفوق كل شيء قائلا : [اللهم أشهد] فكأنا نشاهد تلك الأصبع الكريمة وهي مرفوعة إلى الله وذلك اللسان الكريم وهو يقول لمن رفع أصبعه إليه : [اللهم أشهد] ونشهد أنه بلغ البلاغ المبين وأدى رسالة ربه كما أمر ونصح أمته غاية النصيحة فلا يحتاج مع بيانه وتبليغه وكشفه

وإيضاحه إلى تنطع المتنطعين وحذلقة المتحذلقين ! والحمد لله رب العالمين الرابع عشر : التصريح بلفظ : الأين كقول أعلم الخلق به وأنصحهم لأمته وأفصحهم بيانا عن المعنى الصحيح بلفظ لا يوهم باطلا بوجه : [أين الله] في غير موضع الخامس عشر : شهادته صلى الله عليه و سلم لمن قال إن ربه في السماء - بالإيمان السادس عشر : إخباره تعالى عن فرعون أنه رام الصعود إلى السماء ليطلع إلى إله موسى فيكذبه فيما أخبره من أنه سبحانه فوق السماوات فقال : ﴿ يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب * أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا ﴾ فمن نفى العلو من الجهمية فهو فرعوني ومن أثبته فهو موسوي محمدي السابع عشر : إخباره صلى الله عليه و سلم : أنه تردد بين موسى عليه السلام وبين ربه ليلة المعراج بسبب تخفيف الصلاة فيصعد إلى ربه ثم يعود إلى موسى عدة مرار الثامن عشر : النصوص الدالة على رؤية أهل الجنة له تعالى من الكتاب والسنة وإخبار النبي صلى الله عليه و سلم أنهم يرونه كرؤية الشمس والقمر ليلة البدر ليس دونه سحاب فلا يرونه إلا من فوقهم [كما قال صلى الله عليه و سلم : بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فإذا الجبار جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم وقال : يا أهل الجنة سلام عليكم ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ سلام قولا من رب رحيم ﴾ ثم يتوارى عنهم وتبقى رحمته وبركته عليهم في ديارهم] رواه الإمام أحمد في المسند وغيره من حديث جابر رضي الله عنه ولا يتم إنكار الفوقية إلا بإنكار الرؤية ولهذا طرد الجهمية الشقين وصدق أهل السنة بالأمرين معا وأقروا بهما وصار من أثبت الرؤية ونفى العلو مذبذبا بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ! وهذه الأنواع من الأدلة لو بسطت أفرادها لبلغت نحو ألف دليل فعلى المتأول أن يجيب عن ذلك كله ! وهيهات له بجواب صحيح عن بعض ذلك !

وكلام السلف في إثبات صفة العلو كثير جدا : فمنه : ما روى شيخ الإسلام أبو اسماعيل الأنصاري في كتابه الفاروق بسنده إلى مطيع البلخي : أنه سأل أبا حنيفة عمن قال : لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض ؟ فقال : قد كفر لأن الله يقول : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ وعرشه فوق سبع سماواته قلت : فإن قال : إنه على العرش ولكن يقول : لا أدري العرش في السماء أم في الأرض ؟ قال : هو كافر لأنه أنكر أنه في السماء فمن أنكر أنه في السماء فقد كفر وزاد غيره : لأن الله في أعلى عليين وهو يدعى من أعلى لا من أسفل انتهى ولا يلتفت إلى من أنكر ذلك ممن ينتسب إلى مذهب أبي حنيفة فقد انتسب إليه طوائف معتزلة وغيرهم مخالفون له في كثير من اعتقاداته وقد ينتسب إلى مالك و الشافعي و أحمد من يخالفهم في [بعض] اعتقاداتهم وقصة أبي يوسف في استتابة بشر المريسي لما أنكر أن يكون الله عز و جل فوق العرش - : مشهورة رواها عبد الرحمن بن أبي حاتم وغيره

ومن تأول فوق بأنه خير من عباده وأفضل منهم وأنه خير من العرش وأفضل منه كما يقال : الأمير فوق الوزير والدينار فوق الدرهم - : فذلك مما تنفر عنه العقول السليمة وتشمئز منه القلوب الصحيحة ! فإن قول القائل [ابتداء] : الله خير من عباده وخير من عرشه : من جنس قوله : الثلج بارد والنار حارة والشمس أضوأ من السراج والسماء أعلى من سقف الدار والجبل أثقل من الحصى ورسول الله أفضل من فلان اليهود [ي] والسماء فوق الأرض ! ! وليس في ذلك تمجيد ولا تعظيم ولا مدح بل هو من أرذل الكلام وأسمجه وأهجنه ! فكيف يليق بكلام الله الذي لو اجتمع الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لما أتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ؟ ! بل في ذلك تنقص كما قيل في المثل السائر :

(ألم تر أن السيف ينقص قدره ... إذا قيل إن السيف أمضى من العصا)

ولو قال قائل : الجوهر فوق قشر البصل وقشرالسمك ! لضحك منه العقلاء للتفاوت الذي بينهما فإن التفاوت الذي بين الخالق والمخلوق أعظم وأعظم بخلاف ما إذا كان المقام يقتضي ذلك بأن كان احتجاجا على مبطل كما في قول يوسف الصديق عليه السلام : ﴿ أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ﴾ وقوله تعالى : ﴿ آلله خير أما يشركون ﴾ ﴿ والله خير وأبقى ﴾

وإنما يثبت هذا المعنى من الفوقية في ضمن ثبوت الفوقية المطلقة من كل وجه فله سبحانه وتعالى فوقية القهر وفوقية القدر وفوقية الذات ومن أثبت البعض ونفى البعض فقد تنقص وعلوه تعالى مطلق من كل الوجوه فإن قالوا بل علو المكانة لا المكان ؟ فالمكانة : تأنيث المكان والمنزلة : تأنيث المنزل فلفظ المكانة والمنزلة تستعمل في المكانات النفسانية والروحانية كما يستعمل لفظ المكان والمنزل في الأمكنة الجسمانية فإذا قيل : لك في قلوبنا منزلة ومنزلة فلان في قلوبنا وفي نفوسنا أعظم من منزلة فلان كما جاء في الأثر : إذا أحب أحدكم أن يعرف كيف منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله في قلبه فإن الله ينزل العبد من نفسه حيث أنزله العبد من قلبه فقوله : منزلة الله في قلبه : هو ما يكون في قلبه من معرفة الله ومحبته وتعظيمه وغير ذلك فإذا عرف أن المكانة والمنزلة : تأنيث المكان والمنزل والمؤنث فرع على المذكر في اللفظ والمعنى وتابع له فعلو المثل الذي يكون في الذهن يتبع علو الحقيقة إذا كان مطابقا كان حقا وإلا باطلا فإن قيل : المراد علوه في القلوب وأنه أعلى في القلوب من كل شيء قيل : وكذلك هو وهذا العلو مطابق لعلوه في نفسه على كل شيء فإن لم يكن عاليا بنفسه على كل شيء كان علو في القلوب غير مطابق كمن جعل ما ليس بأعلى أعلى

وعلوه سبحانه وتعالى كما هو ثابت بالسمع ثابت بالعقل والفطرة أما ثبوته بالعقل فمن وجوه : أحدها : العلم البديهي القاطع بأن كل موجودين إما أن يكون أحدهما ساريا في الآخر قائما به كالصفات وإما أن يكون قائما بنفسه بائنا من الآخر الثاني : أنه لما خلق العالم فإما أن يكون خلقه في ذاته أو خارجا عن ذاته والأول باطل : أما أولا : فبالاتفاق وأما ثانيا : فلأنه يلزم أن يكون محلا للخسائس والقاذورات تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا والثاني يقتضي كون العلم واقعا خارج ذاته فيكون منفصلا فتعينت المباينة لأن القول بأنه غير متصل بالعالم وغير منفصل عنه - غير معقول الثالث : أن كونه تعالى لا داخل العالم ولا خارجه - : يقتضي [نفي] وجوده بالكلية لأنه غير معقول : فيكون موجودا إما داخله وإما خارجه والأول باطل فتعين الثاني فلزمت المباينة

وأما ثبوته بالفطرة فإن الخلق جميعا بطباعهم وقلوبهم السليمة يرفعون أيديهم عند الدعاء ويقصدون جهة العلو بقلوبهم عند التضرع إلى الله تعالى وذكر محمد بن طاهر المقدسي أن الشيخ أبا جعفر الهمداني حضر مجلس الأستاذ أبي المعالي الجويني المعروف بإمام الحرمين وهو يتكلم في نفي صفة العلو ويقول : كان الله ولا عرش وهو الآن على ما كان ! فقال الشيخ أبو جعفر : أخبرنا يا أستاذ عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا ؟ فإنه ما قال عارف قط : يا الله إلا وجد في قلبه ضرورة طلب العلو لا يلتفت يمنة ولا يسرة فكيف ندفع بهذه الضرورة عن أنفسنا ؟ قال : فلطم أبو المعالي على رأسه ونزل ! وأظنه قال : وبكى ! وقال : حيرني الهمداني حيرني ! أراد الشيخ : أن هذا أمر فطر الله عليه عباده من غير أن يتلقوه من المرسلين يجدون في قلوبهم طلبا ضروريا يتوجه إلى الله ويطلبه في

العلو

وقد اعترض على الدليل العقلي بإنكار بداهته لأنه أنكره جمهور العقلاء فلو كان بديهيا لما كان مختلفا فيه بين العقلاء بل هو قضية وهمية خيالية ؟ والجواب عن هذا الاعتراض مبسوط في موضعه ولكن أشير إليه هنا إشارة مختصرة وهو أن يقال : إن العقل إن قبل قولكم فهو لقولنا أقبل وإن رد العقل قولنا فهو لقولكم أعظم فإن كان قولنا باطلا في العقل فقولكم أبطل وإن كان قولكم حقا مقبولا في العقل فقولنا أولى أن يكون مقبولا في العقل فإن دعوى الضرورة مشتركة فإنا نقول : نعلم بالضرورة بطلان قولكم وأنتم تقولون كذلك فإذا قلتم : تلك الضرورة التي تحكم ببطلان قولنا هي من حكم الوهم لا من حكم العقل ؟ قابلناكم بنظير قولكم وعامة فطر الناس – ليسوا منكم ولا منا – موافقون لنا على هذا فإن كان حكم فطر بني آدم مقبولا ترجحنا عليكم وإن كان مردودا غير مقبول بطل قولكم بالكلية فإنكم إنما بنيتم قولكم على ما تدعون أنه مقدمات معلومة بالفطرة الآدمية وبطلت عقلياتنا أيضا وكان السمع الذي جاءت به الأنبياء معنا لا معكم فنحن مختصون بالسمع دونكم والعقل مشترك بيننا وبينكم

فإن قلتم : أكثر العقلاء يقولون بقولنا ؟ قيل : ليس الأمر كذلك فإن الذين يصرحون [بأن] صانع العالم شيء موجود ليس فوق العالم وأنه لا مباين للعالم ولا حال في العالم – : طائفة من النظار وأول من عرف عنه ذلك في الإسلام جهم ابن صفوان وأتباعه

واعترض على الدليل الفطري : أن ذلك إنما لكون السماء قبلة للدعاء كما أن الكعبة قبلة للصلاة ثم هو منقوض بوضع الجبهة على الأرض مع أنه ليس في جهة الأرض ؟ وأجيب على هذا الإعتراض من وجوه :

أحدها : أن قولكم : إن السماء قبلة للدعاء – لم يقله أحد من سلف الأمة ولا أنزل الله به من سلطان وهذا من الأمور الشرعية الدينية فلا يجوز أن يخفى على جميع سلف الأمة وعلمائها

الثاني : أن قبلة الدعاء هي قبلة الصلاة فإنه يستحث للداعي أن يستقبل القبلة وكان النبي صلى الله عليه و سلم يستقبل القبلة في دعائه في مواطن كثيرة فمن قال إن للدعاء قبلة غير قبلة الصلاة أو أن له قبلتين : إحداهما الكعبة والأخرى السماء – : فقد ابتدع في الدين وخالف جماعة المسلمين

الثالث : أن القبلة : هي ما يستقبله العابد بوجهه كما تستقبل الكعبة في الصلاة والدعاء والذكر والذبح وكما يوجه المحتضر والمدفون ولذلك سميت وجهة والإستقبال خلاف الإستدبار فالإستقبال بالوجه والإستدبار بالدبر فأما ما حاذاه الإنسان برأسه أو يديه أو جنبه فهذا لا يسمى قبلة لا حقيقة ولا مجازا فلو كانت السماء قبلة الدعاء لكان المشروع أن يوجه الداعي وجهه إليها وهذا لم يشرع والموضع الذي ترفع اليد إليه لا يسمى قبلة لا حقيقة ولا مجازا ولأن القبلة في الدعاء أمر شرعي تتبع فيه الشرائع ولم تأمر الرسل أن الداعي يستقل السماء بوجهه بل نهوا [عن] ذلك ومعلوم أن التوجه بالقلب واللجأ والطلب الذي يجده الداعي من نفسه أمر فطري يفعله المسلم والكافر والعالم والجاهل وأكثر ما يفعله المضطر والمستغيث بالله كما فطر على أنه إذا مسه الضر يدعو الله مع أن أمر القبلة مما يقبل النسخ والتحويل كما تحولت القبلة من الصخرة إلى الكعبة وأمر التوجه في الدعاء إلى الجهة العلوية مركوز في الفطر والمستقبل للكعبة يعلم أن الله تعالى ليس هناك بخلاف الداعي فإنه يتوجه إلى ربه وخالقه ويرجو الرحمة أن تنزل من عنده وأما النقض بوضع الجبهة فما أفسده من

نقض فإن واضع الجبهة إنما قصده الخضوع لمن فوقه بالذل له لا أن يميل إليه إذ هو تحته ! هذا لا يخطر في قلب ساجد لكن يحكى عن بشر المريسي أنه سمع وهو يقول [في سجوده] : سبحان ربي الأسفل ! ! تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا وإن من أفضى به النفي إلى هذه الحال حري أن يتزندق إن لم يتداركه الله برحمته وبعيد من مثله الصلاح قال تعالى : ﴿ ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ﴾ وقال تعالى : ﴿ فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ﴾ فمن لم يطلب الإهتداء من مظانه يعاقب بالحرمان نسأل الله العفو والعافية

وقوله : وقد أعجز عن الإحاطة خلقه – أي لا يحيطون به علما ولا رؤية ولا غير ذلك من وجوه الإحاطة بل هو سبحانه محيط بكل شيء ولا يحيط به شيء ." (١)

" قوله : (والمؤمنون كلهم أولياء الرحمن)

ش : قال تعالى : ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ الآية الولي : من الولاية بفتح الواو التي هي ضد العداوة وقد قرأ حمزة : ﴿ ما لكم من ولايتهم من شيء ﴾ بكسرالواو والباقون بفتحها وقيل : هما لغتان وقيل : بالفتح النصرة وبالكسر الإمارة قال الزجاج : وجاز الكسر لأن في تولي [بعض] القوم بعضا جنسا من الصناعة والعمل وكل ما كان كذلك مكسور مثل : الخياطة ونحوها فالمؤمنون أولياء الله والله تعالى وليهم قال الله تعالى : ﴿ الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات ﴾ الآيه وقال تعالى : ﴿ ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم ﴾ ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ﴾ الآية وقال تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض ﴾ إلى آخر السورة وقال تعالى : ﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون * ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون ﴾ فهذه النصوص [كلها] ثبت فيها موالاة المؤمنين بعضهم لبعض وأنهم أولياء الله وأن الله وليهم ومولاهم فالله يتولى عباده المؤمنين فيحبهم ويحبونه ويرضى عنهم ويرضون عنه ومن عادى له وليا فقد بارزه بالمحاربة وهذه الولاية من رحمته وإحسانه ليست كولاية المخلوق للمخلوق لحاجة إليه قال تعالى : ﴿ وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا ﴾ فالله تعالى ليس له ولي من الذل بل لله العزة جميعا خلاف الملوك وغيرهم ممن يتولاه لذله وحاجته إلى ولي ينصره

والولاية أيضا نظير الإيمان فيكون مراد الشيخ : أن أهلها في أصلها سواء وتكون كاملة وناقصة : فالكاملة تكون للمؤمنين المتقين كما قال تعالى : ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون * لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ ف ﴿ الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ – منصوب على أنه صفة أولياء الله أو بدل منه أو بإضمار أمدح أو مرفوع بإضمار هم أو خبر ثان لـ إن وأجيز فيه الجر بدلا من ضمير عليهم وعلى هذه الوجوه كلها فالولاية لمن كان من الذين آمنوا وكانوا يتقون وهم أهل الوعد المذكور في الآيات الثلاث وهي عبارة عن موافقة الولي الحميد في محابه

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ص/٢٨٠

ومساخطه ليست بكثرة صوم ولا صلاة ولا تملق ولا رياضة وقيل : الذين آمنوا مبتدأ والخبر : لهم البشرى وهو بعيد لقطع الجملة عما قبلها وانتثار نظم الآية

ويجتمع في المؤمن ولاية من وجه وعداوة من وجه كما قد يكون فيه كفر وإيمان وشرك وتوحيد وتقوى وفجور ونفاق وإيمان وإن كان في هذا الأصل نزاع لفظي بين أهل السنة ونزاع معنوي بينهم وبين أهل البدع كما تقدم في الإيمان ولكن موافقة الشارع في **اللفظ والمعنى** – أولى من موافقته في المعنى وحده قال تعالى : ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ وقال تعالى : ﴿ قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ﴾ الآية وقد تقدم الكلام على هذه الآية وأنهم ليسوا منافقين على أصح القولين [وقال صلى الله عليه و سلم : أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا وعد أخلف وإذا خاصم فجر] وفي رواية [وإذا ائتمن خان] بدل : [وإذا وعد أخلف] أخرجاه في الصحيحين وحديث : شعب الإيمان تقدم [وقوله صلى الله عليه و سلم : يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان] فعلم أن من كان معه من الإيمان أقل القليل لم يخلد في النار وإن كان معه كثير من النفاق فهو يعذب في النار على قدر [ما معه] من ذلك ثم يخرج من النار فالطاعات من شعب الإيمان والمعاصي من شعب الكفر وإن كان رأس شعب الكفر الجحود ورأس شعب الإيمان التصديق وأما ما يروى مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه و سلم [أنه قال : ما من جماعة اجتمعت إلا وفيهم ولي لله لا هم يدرون به ولا هو يدري بنفسه] – : فلا أصل له وهو كلام باطل فإن الجماعة قد يكونون كفارا وقد يكونون فساقا يموتون على الفسق وأما أولياء الله الكاملون فهم الموصوفون في قوله تعالى : ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون * لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ الآية والتقوى هي المذكورة في قوله تعالى : ﴿ ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ﴾ الى قوله : ﴿ أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾ وهم قسمان : مقتصدون ومقربون فالمقتصدون : الذين يتقربون إلى الله بالفرائض من أعمال القلوب والجوارح والسابقون : الذين يتقربون إلى الله بالنوافل بعد الفرائض كما في صحيح البخاري [عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : يقول الله تعالى : من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما أفترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته] والولي : خلاف العدو وهو مشتق من الولاء وهو الدنو والتقرب فولي الله : هو من والى الله بموافقته محبوباته والتقرب إليه بمرضاته وهؤلاء كما قال الله تعالى فيهم : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا * ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ قال أبو ذر رضي الله عنه : لما نزلت الآية [قال النبي صلى الله عليه و سلم : يا أبا ذر لو عمل الناس بهذه الآية لكفتهم] فالمتقون يجعل الله لهم مخرجا مما ضاق على الناس ويرزقهم من حيث لا يحتسبون فيدفع الله عنهم المضار ويجلب لهم المنافع ويعطيهم الله أشياء يطول شرحها من المكاشفات والتأثيرات ." (١)

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ص/٣٥٧

"ج: الذي لم يرد في الكتاب والسنة لا يسمى من الصفات، ليس من الصفات، لا يقال: ذاتية ولا فعلية. الصفات -قاعدة- ... الصفات: توقيفية، ومعنى توقيفية: أنه يوقف فيها على الكتاب والسنة، ما جاء في الكتاب والسنة أثبتناه، وما جاء في الكتاب والسنة إثباته وجب إثباته، وما جاء في الكتاب والسنة نفيه وجب نفيه، وما لم يرد لا في الكتاب ولا في السنة نتوقف فيه، ما نثبته ما نقول: إثبات فم، لسان، شفتين، لابد من دليل، الصفات: توقيفية. وأما ما يطلقه أهل البدع من الجسم والحيز والعرض وغيرها، هذه يُتوقف فيها، لا يطلقونها لا نفيًا ولا إثباتًا، ومن أطلقها يُسأل عن مرادها، إن أراد حقا قبل، قبل الحق ولكن يقال: عبر بالتعبيرات التي جاءت في النصوص، وإن أراد باطلًا رُد، رُد **اللفظ والمعنى** جميعًا. نعم.

س: يقول: فضيلة الشيخ، يقولون: إن الإمام النووي -رحمه الله- كان أشعريًّا فهل هذا صحيح ؟

ج: نعم مشى على طريقة الأشاعرة، وكذلك الحافظ بن حجر -رحمه الله- في تأويل الصفات، وقد لا يكون أشعريًا ... يتمذهب بالأشعرية، ولكن في مسألة الصفات في شرح صحيح مسلم مشى على نفي الصفات، وكذلك الحافظ بن حجر، ولكن هؤلاء العلماء الكبار ... السبب في هذا أنهم ما وفقوا منذ الصغر في وقت الطلب لمن ينشئهم على معتقد أهل السنة والجماعة، فظنوا أن هذا هو الحق وأن هذا هو التنزيه، ونسأل الله أن يغفر لنا ولهم، وأن يكون هذا الخطأ مغفورا في بحور حسناتهم الكثيرة؛ لأنهم علماء وأئمة فطاحل من أهل العلم، لكن حصلت لهم هذه الغلطات وهذه الهفوات لا عن عمد، ظنوا أن هذا هو الحق بسبب أنهم نشئوا على هذا المعتقد، معتقد الأشاعرة وظنوا أن هذا هو الصواب نعم.

س: أحسن الله إليكم- حديث: إن قلوب ابن آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن هل في ذلك دليلٌ على الحلول، وأحسن الله إليكم ؟." (١)

"قال العلماء: إنه إذا جاء التأكيد بالمصدر صار لا يحتمل إلا الحقيقة، لدفع توهم المجاز، وأن المراد بغير التكلم.

"وكلم الله موسى"، ثم جاء "تكليما"، هذا مصدر، وهذا المصدر له فائدة عظيمة، ما هذه الفائدة؟

دفع توهم أن المراد غير الكلام، تأكيد بأن المراد بغير الكلام حقيقة، إذا جاء المصدر صار يدفع أن يتوهم أحد أن المراد غير الكلام الحقيقي.

وقال: وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى هذا يحتمل أنه غير الكلام الحقيقي، فلما جاءت: تَكْلِيمًا خلاص، زال التوهم، زال التوهم، لا يمكن أن يتوهم أحد أن المراد به غير الكلام.

ثم استدل بالآية الثانية وهي صريحة، فقال: وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ .

سبق أن بعض الجهمية تأوَّل الآية، حَرَّف الآية الأولى، حرفها قرأها: (وكلم اللهَ موسى تكليما الله) بالنصب، فقيل: إن هذا حتى يكون الله هو المُكَلَّم، وموسى هو المتكلِّم، والله لا يتكلم.

(وكلم اللهَ موسى)، فيكون موسى هو المتكلم، والله هو المُكَلَّم، ولا يتكلم، مُكَلَّم وهو ساكت، يعني: لا يتكلم، ولا يستطيع الكلام، أعوذ بالله.

---

(١) شرح الرد على الجهمية للشيخ عبد العزيز عبد الله الراجحي، ص/٣٥

موسى هو المتكلم، والله لا يتكلم، (وكلم اللهَ موسى تكليما) هذا تحريف، حَرَّف **اللفظ والمعنى**.
فقال له بعض أهل السنن الذي يناقشوه: هب يا عدو الله أنك استطعت أن تحرف هذه الآيات، فكيف تقول في قول الله تعالى: وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ؟

صريحة، "كَلَّمه ربه"، لا يستطيع أحد نفيها، الرب هو المكلم، فقال: المعنى: جرحه بأظافر الحكمة، جرحه بأظافر الحكمة، "كلمه": يعني جرحه، وقال: إن الكَلْم يأتي بمعنى الجرح، ومنه قولهم: جاء فلان وكَلْمه يدمى، يعني: جرحه يدمى.
وفي الآية الثالثة يقول الله تعالى: إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي .
يقول الله -تعالى- خطابًا لموسى: إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ -يعني: يا موسى- عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي .." (١)

"(٢) المتواطئ المشكك: ومعناه: اللفظان المتفقان في **اللفظ والمعنى**، لكن ليسا متساويين بل بينهما تفاوت في الشدة والقدر، مثل: ضوء الشمس وضوء السراج، فهذه الإضاءة الكهربائية البسيطة تسمى نوراً وتسمى ضوءاً، وكذلك الشمس يسمى ما فيها نوراً ويسمى ضوءاً، فالمعنى واحد، كلاهما نور، لكن ليس هذا هو هذا، ومثل يد الإنسان ويد الذرة، ويد الفيل، فهذه يد حقيقية وهذه يد حقيقية وتلك يد حقيقية، لكنها ليست متساوية ولا متماثلة، والله تعالى خاطب العباد باللغة العربية، كما قال: (بلسان عربي مبين) وقال ـ: (إنا جعلناه قرآناً عربياً) فالسامع لكلام الله ـ لا بد أن يفسره على مقتضى كلام العرب الذي يفهمونه، وهذه هي حقيقة الإشكال الذي يرد عند هؤلاء الذين يشبهون صفات الله تعالى بخلقه أو الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون يصرف اللفظ عن ظاهره، يحرفون هذه النصوص، يقولون أنها تقتضي التشبيه فنقول: إذا خاطبت أحداً بألفاظ معينة فهذه الألفاظ التي تريد أن تعبر بها عن المعاني التي تريدها لا بد أن يكون فيها قدر مشترك مع ما يفهم المخاطَب، فمن خلاله يفهم المعنى، فالله ـ وصف لنا ما في الجنة، وأن في الجنة الفاكهة، وأن في الجنة الخمر والنساء، وقد قال ابن عباس ا: (ليس شيء مما في الجنة يشبه ما في الدنيا إلا في الاسم) فنؤمن بأن الذي في الجنة نساء حقيقية، ونؤمن بأنها خمر حقيقية، ونؤمن بأنها فاكهة حقيقية، ونؤمن بأنه رمان حقيقي، ونؤمن بأن في الجنة فرشاً حقيقية إلى آخر هذه النصوص، مع أننا نؤمن بأن هذه الأشياء تخالف ما نعرفه في الدنيا، وكذلك نثبت لله تعالى الصفات التي يفهمها العرب من كلامهم وإطلاقاتهم واستخدامهم للفظ الدال على هذه الصفة، وإن كنا لا نعرف الكيفية، ولا نجعل هذه الصفة مشابهة لصفات المخلوقين.
- إثبات الصفات لله تعالى:
يقول الناظم / في إثبات الصفات:

قالوا: فهل تصف الإله أبن لنا؟ ... قلت: الصفات لذي الجلال السرمدي." (٢)

(١) شرح الرد على الجهمية للشيخ عبد العزيز عبد الله الراجحي، ص/٢٨٠
(٢) شرح دالية أبي الخطاب الكلوذاني، ص/٣٢

"فالأول : كقوله تعالى : ؟ تلك آيات الكتاب الحكيم ؟ .

والثاني : كقوله : ؟ الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً ؟ .

والثالث : كقوله : ؟ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ؟ .

فالإحكام الذي وصف به جميع القرآن هو تشابه القرآن هو الإتقان والجودة في **اللفظ والمعنى** ، والتشابه الذي وصف به جميع القرآن هو تشابه القرآن في الكمال والإتقان ، فلا يناقض بعضه بعضاً في الأحكام ، ولا يكذب بعضه بعضاً في الأخبار ، والإحكام الذي وصف به بعض القرآن هو الوضوح والظهور .

ما يستفاد من الحديث :

١- وجوب الإيمان بجميع أسماء الله وصفاته ، وذلك تحقيقاً لتوحيد الأسماء والصفات .

٢- وجوب إنكار المنكر .

٣- وجوب الإيمان بأسماء الله وصفاته .

٤- وجوب الإيمان بالمحكم والمتشابه معاً .

٥- جواز ذكر نصوص الأسماء والصفات من الكتاب والسنة عند عوام المسلمين وخواصهم .

ولما سمعت قريش رسول الله (يذكر الرحمن ، أنكروا ذلك ، فأنزل الله فيهم : ؟ وهم يكفرون بالرحمن ؟ .

روى ابن جرير عن قتادة : (؟ وهم يكفرون بالرحمن ؟ ذكر لنا أن رسول الله (زمن الحديبية حين صالح قريشاً كتب : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ، فقال مشركو قريش : لئن كنت رسول الله ، ثم قاتلناك ، لقد ظلمناك ولكن اكتب : هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله ، فقال أصحاب رسول الله (: دعنا يا رسول الله نقاتلهم ، فقال : لا ، ولكن اكتبوا كما يريدون ، إني محمد بن عبد الله ، فلما كتب الكاتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، قالت قريش : أما الرحمن فلا نعرفه ، وكان أهل الجاهلية يكتبون : باسم اللهم ، فقال الصحابة : دعنا يا رسول الله نقاتلهم قال : لا ولكن اكتبوا كما يريدون ، قال تعالى : ؟ وهم يكفرون بالرحمن ؟) .

(لما سمعت قريش) هذا من باب العام الذي أريد به الخاص .." (١)

"يأخذها بالتلقي ، تصوير المسائل ؛ أهم العلم ، أهم من الحكم والدليل ووجه الاستدلال والتفصيل والخلاف ، أهم منه ما بني عليه ذلك كله وهو (صورة المسألة) ، صورة المسألة في العقيدة والفقه ، معنى الحديث ، معنى الآية ، وبعضهم يستدل بشيء ليس في الآية ، إذا عرفت صورة المسألة أولا ؛ فما بعده يتنزل علي الصورة ، يأتيك التعريف فينزل على الصورة ، والدليل على الصورة ، وهكذا .

مهمة المعلم : أن يصيغ ذهن الطالب في العلم ، كيف يكون ذلك ؟

يكون : ١- بالأناة في العلم والرفق وحسن التصور وحسن الاستدلال وحسن الأداء .

---

(١) شرح كتاب التوحيد / اللهيميد، ص/٢٧٧

٢- الاهتمام بالتحري في **اللفظ والمعنى** .

كيف يؤدى العلم ؟كيف يبلغ العلم ؟ بلغة أهله ، وهذا يجعل الطالب كيف يفهم كتب العلماء .

٣- أن يعلم الطالب كيف يتعامل مع شيخه ومع المجتمع ومع الكتاب ، وهذا ينقل بالتلقي والسمت .

٤- أن يعطي المعلم للطالب أنه ليس كل يجاب عنه ، من الغلط أن يتجرأ الطالب على العلم ، فكل ما كان المعلم أهيب ؛كان انتفاع الطالب به أكثر .

و مرفوعا : ((الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها)) . رواه الترمذي وقال غريب ، وابن ماجه .

الشرح : الحديث حسن ، وقوله : (رواه الترمذي وقال : غريب) ، من فهم العلماء : أن غالب ما قال الترمذي (غريب) ؛ يعني به : أنه ضعيف ، لأن الغرابة عنده تعني الضعف ، وليست الغرابة عند المتأخرين – يعني عند أهل الاصطلاح – التي هي وصف للسند ، وقد يكون الرجال ثقات ، كحديث عمر بن الخطاب المعروف : (إنما الأعمال بالنيات) ، فإن غريب ، يعني : أنه لم يأت إلا عن راو واحد في الطبقة الأولى والثانية والثالثة إلى آخره ن فقد يكون الحديث في الصحيحين وهو غريب .

لكن مصطلح الترمذي أنه إذا قال : (غريب) ، فإنه يعني به : أنه ضعيف في الغالب ، أو الجل الأكثر مما أورده ن لكن هذا الحديث له طرق ، فهو بها حسن .." [(١)]

"ما اشتبه عليك قال (وجب الإيمان به لفظا) وهذا اللفظ الذي ذكره في قوله (وجب الإيمان به لفظا) مما أنتقد على الإمام موفق الدين بن قدامة فإنه في هذه العقيدة الموجزة انتقدت عليه ثلاث مسائل هذه أولها وهي قوله (وجب الإيمان به لفظا) ويمكن أن يخرج كلامه يعني أن يحمل على محمل صحيح

أما الانتقاد فهو أن يقال: إن الواجب أن نؤمن به لفظا ومعنى، لكن إذا جهلنا المعنى نؤمن بالمعنى على مراد الله جل وعلا، أو على مراد الرسول – صلى الله عليه وسلم –،كما سيأتينا من كلمة الإمام الشافعي أنه قال ''آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله وآمنت برسول الله – صلى الله عليه وسلم – وبما جاء عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على مراد رسول الله'' يعني إذا جهل المعنى، فإذا جهلت المعنى تؤمن **باللفظ والمعنى** لكن المعنى على مراد من تكلم به، ووجه الانتقاد الذي انتقد به الإمام ابن قدامة في هذه اللفظة أنه يجب الإيمان **باللفظ والمعنى**، أما الإيمان بلفظ مجرد عن المعنى فهذا هو قول أهل البدع؛ الذين يقولون: نحن نؤمن بألفاظ الكتاب والسنة دون إيمان بمعانيها لأن معانيها قد تختلف. والجواب أن هذا غلط بل معاني الكتاب والسنة هي على المعنى العربي فالقرآن نزل بلسان عربي، والنبي – صلى الله عليه وسلم – تكلم بلسان عربي، فلهذا وجب أن يؤمن بالكتاب والسنة على ما تقتضيه لغة العرب، وعلى ما يدل عليه اللسان العربي، وهذا أصل من الأصول لكن إذا اشتبه عليك المعنى؛كلمة في القرآن ما علمت معناها، حديثا إما في الصفات أو في الغيبيات لم تعلم معناه، نقول نؤمن به لفظا ومعنى؛ يعني معناه مفهوم، لكن على مراد الله، ومراد رسوله – صلى الله عليه وسلم –،

---

(١) شرح عدة متون في العقيدة، ١٥٦/١٦

وهذا هو الذي جاء في الآية حيث قال جل وعلا ﴿ فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم." [1]

"ﷺ خطأ من: أول ما يقدح في الأولياء، وهذا يؤدي إلى القدح في الدعوة.

ﷺ القدح في الإسلام بفعل المسلمين.

المسألة العشرون: الاعتقاد في مخاريق السحرة وإنكار الكرامات.

ﷺ انقسام الخوارق ثلاثة أقسام:

- للأنبياء.
- للأولياء.
- جرت على يد الكفار والفسقة ومن خرج عن منهج الأنبياء.

الوجه الثاني من الشريط:

[تكملة تبيين تقسيم الخوارق]، [تعريف الولي].

ﷺ جريان هذه المخاريق على هذه الأمة.

الأسئلة:

١. ما الفرق بين من قال (نحن على طريقة أهل السنة والجماعة) و(نحن على طريقة السلف)؟

٢. هل يحصل كرامة لفاسق وكيف؟

٣. هل المحذر من التقليد مشابهة لأهل الجاهلية؟

٤. ما صحة قول القائل: أساس الإسلام أربعة: عقيدة وشريعة ومنهاج وأخلاق؟

٥. ما هي الأدلة التي تقوم عليها الجماعات الخاصة؟

٦. يقده بعض الطلبة في بعض الجماعات بالنظر لأخطاء أتباعها، هل هذا من الإنصاف؟

٧. يوجد من يقسم المخاريق إلى أربع منها الفراسة.

الشريط السادس

الوجه الأول:

المسألة الرابعة والعشرون: ترك الدخول في الحق إذا سبق إليه الضعفاء.

ﷺ ذكر سبب نزول الآية ؟ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه؟[الأنعام:٥٢].

ﷺ سريان هذه المسألة على كفار قريش وكذلك اليهود.

ﷺ سريانها في هذه الأمة.

[من أسباب الصدود عن الحق اتباع الناس للصاد]

---

(١) شرح عدة متون في العقيدة، ٨/١٩

ﷺ ذكر نتيجة مناظرة جرت بينه وبين أحد العلماء.

المسألة الخامسة والعشرون: يستدلون على بطلان الحق بسبق الضعفاء.

ﷺ علاقة هذه المسألة بالتي قبلها.

المسألة السادسة والعشرون: تحريف كتاب الله من بعد ما عقلوه.

ﷺ سريان هذه الخصلة في اليهود.

ﷺ ذكر مذاهب العلماء في تحريف التوراة والإنجيل:

- التحريف من جهة المعنى وهو قول شيخ الإسلام ابن تيمية.
- التحريف بزيادة ونقص للألفاظ.
- تحريف **بالمعنى واللفظ** وهو الصحيح فيما يظهر.." (١)

"أنها تكون أسماء أعلاما عليه، ولكن في معناها الصفات، والأصل أنها مشتقة من الصفات، والصفات هي الأصل، كما قال سيبويه هنا وجماعة من كبار أهل اللغة كالخليل بن أحمد : إن أصله (إله) أو (الإله). وهذا يكون مثلما قالوا في قوله: لكنا هو الله ربي [الكهف:٣٨] يكون أصلها: (لكن أنا هو الله ربي)، فلما حصل الإدغام -إدغام الحرف في الحرف- صار: (لكنا هو الله ربي)، وكما مثلنا في قول سيبويه : إن (الناس) أصله (أناس)، فلما جاءت (أل) التقى ساكنان فحذفت الهمزة وأدغم واحد في الآخر فصار (الناس)، فكذلك (الله)، فهو مأخوذ من (الإله) الذي يؤله، وتأله القلوب وتحبه وتئوب إليه رغبة ورهبة وخوفا ورجاء. قال الشارح رحمه الله: [والذين قالوا بالاشتقاق إنما أرادوا أنه دال على صفة له تعالى، وهي الإلهية، كسائر أسمائه الحسنى كالعليم، والقدير، والسميع، والبصير ونحو ذلك، فإن هذه الأسماء مشتقة من مصادرها بلا ريب وهي قديمة، ونحن لا نعني بالاشتقاق إلا أنها ملاقية لمصادرها في **اللفظ والمعنى**، لا أنها متولدة منه تولد الفرع من أصله. وتسمية النحاة للمصدر والمشتق منه أصلا وفرعا، ليس معناه: أن أحدهما متولد من الآخر، وإنما هو باعتبار أن أحدهما يتضمن الآخر وزيادة]. يعني أن المصدر يتضمن ما اشتق منه وزيادة، بخلاف الفعل فإنه لا يتضمن ذلك، وهذا سبب الذي جعلوه مشتقا، وهذا من مباحث النحو. قال الشارح رحمه الله: [قال أبو جعفر بن جرير : (الله) أصله (الإله)، أسقطت الهمزة التي هي فاء الاسم، فالتقت اللام التي هي عين الاسم، واللام الزائدة وهي ساكنة، فأدغمت في الأخرى، فصارتا في اللفظ لاما واحدة مشددة، وأما تأويل (الله) فإنه على معنى ما روي لنا عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه، قال: (هو الذي يأله كل شيء، ويعبده كل خلق)، وساق بسنده عن الضحاك عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه، قال: (الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه." (٢)

"قال المصنف رحمه الله تعالى: وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا يا رسول الله! اليهود والنصارى ؟ قال : فمن

---

(١) شرح عدة متون في العقيدة، ٢٠/٧

(٢) شرح فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للغنيمان، ٨/١

؟) أخرجاه]. هذا الحديث مخرج في الصحيحين ولكن بغير هذا **اللفظ والمعنى** واحد، والآية التي ذكرها قبل هذا واضحة الدلالة مع ذكر الحديث أنها تدل على الذم، يعني: ذم هؤلاء الذين غلبوا على أمر قومهم؛ يعني: لأنهم الكبراء والوجهاء فبنوا عليهم المسجد، فالآية سيقت على وجه الذم، وليس كما يقول من فتن بالقبور وبعبادة أصحابها والبناء عليها: إن الآية تدل على جواز البناء على القبور؛ لأن كلام الله جل وعلا مع كلام رسوله لا يتعارضان، بل يؤيد أحدهما الآخر، ويبينه ويوضحه، وقد أخبرنا ربنا جل وعلا أنه أنزل على رسوله الوحي ليبين ما نزل إليه للناس، وقد بين ذلك، والذي يقول مثلا أن الآية تدل على الجواز هو مغالط، فهذا كلام مغالطة ومحادة لله جل وعلا، ولرسوله صلى الله عليه وسلم؛ لأنه قد يقول جاهل هذا القول: الآية تدل على ذلك؛ لأن الله ذكر هذا عنهم، وما ذكر عن شرع من كان قبلنا يكون شرعا لنا، هذا لا يكون صحيحا بل هذه مغالطة، والله ذكر ذلك على سبيل الواقع منهم، والرسول صلى الله عليه وسلم بين أن هذا لا يجوز، وأن فعلهم مذموم، فيجب أن يعلم هذا وأن يعتقد؛ بأنه على سبيل الذم وليس على سبيل الجواز. حديث أبي سعيد هذا: (لتتبعن...) ابتدأه صلى الله عليه وسلم باللام، اللام التي وقعت في جواب القسم، وهذا هو الصواب أنها وقعت في جواب القسم، والتقدير: والله لتتبعن، ومن المعلوم أن الرسول صلى الله عليه وسلم إذا أخبر بخبر فإنه صدق وحق؛ لأنه كما قال الله جل وعلا عنه: لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، يوحيه الله جل وعلا إليه. وكذلك إذا أخبر الله جل وعلا بشيء فإنه صدق وحق بلا ريب، فيأتي القسم لزيادة التأكيد." [١]

"ثم ذكر الحديث، وهو حديث ثابت وصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر وأنا الدهر) فهذا يسمى حديث قدسي، نسبة للرب جل وعلا أنه قاله وتكلم به، والقداسة هي التنزيه والطهارة؛ لأن الله منزه عما يصفه به الظالمون. والحديث القدسي اختلف العلماء فيه، فمنهم من قال: إن معناه من الله ولفظه من الرسول صلى الله عليه وسلم، فالرسول يضيف ذلك إلى الله جل وعلا، ولكن هو الذي يتلفظ بالكلام، ويقوله، ولهذا قالوا: يجوز روايته بالمعنى. القول الثاني وهو الصواب: أن معناه ولفظه من الله، ولكنه ليس كالقرآن يتعبد بتلاوته، وذلك أن كلام الله جل وعلا لا ينحصر لا في القرآن ولا في الإنجيل ولا في غير ذلك، ولهذا يذكر الرسول صلى الله عليه وسلم قول الله جل وعلا الذي يقوله في الوقت الحاضر وفي المستقبل، ويكون هو قول لله مثل قوله صلى الله عليه وسلم: (ينزل ربنا إلى السماء الدنيا في ثلث الليل الآخر فيقول: هل من مستغفر فيغفر له؟! هل من سائل فيعطى؟!) وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم فيما ثبت عنه في الصحيحين وغيرهما أن الله يقول لآخر من يخرج من النار من أهل التوحيد: (لعلك تسأل غير ما سألت! فيقول: لا يا رب، ويعطي المواثيق والعهود أنه لا يسأل غير ذلك، ثم إذا أعطي ما سأل رأى شيئا أحسن منه، فيبقى صابرا ما شاء الله أن يصبر ثم يسأل ربه ذلك الذي رآه، فيقول الله جل وعلا له: ويلك يا ابن آدم ما أغدرك! .. إلى أن قال له: اذهب فادخل الجنة فإن لك ما رأيت). وغير ذلك من القول الكثير الذي يذكره النبي صلى الله عليه وسلم عن الله جل وعلا، فهو قوله **بالمعنى**

---

(١) شرح فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للغنيمان، ٣/٣٨١

واللفظ، وإلا فإن كل ما يذكره، وكل ما جاء به فمعناه من الله، فإذا: لا يكون هناك فرق بين الحديث القدسي وبين الحديث النبوي؛ لأن المعنى من الله، لقول الله جل وعلا: وما ينطق عن." (١)

"معنى لفظ الجلالة وأصل اشتقاقه

قال الشارح رحمه الله: [قوله (الله) قال الكسائي و الفراء : أصله (الإله)، حذفوا الهمزة وأدغموا اللام في اللام، فصارتا لاما واحدة مشددة مفخمة.

قال ابن القيم رحمه الله: الصحيح أنه مشتق، وأن أصله (الإله)، كما هو قول سيبويه وجمهور أصحابه إلا من شذ، وهو الجامع لمعاني الأسماء الحسنى والصفات العلى].

الاشتقاق هنا ليس معناه أن له مادة متقدمة عليه اشتق منها، كما توهمه بعضهم، وإنما معناه أنه يلاقي المعنى الذي دل عليه، ويكون معناه مثلما جاء عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: (الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين) ذو الألوهية يعني: الذي تألهه القلوب وتعبده وتحبه، وبين سيبويه أن هذا أصله، فأصله (إله)، وأنه مثل الناس، فأصلهم أناس، فأدخلت (أل) على (إله) ثم أدغمت، فأدغمت اللام في اللام ثم فخم فصار (الله)، وهو علم على الذات الإلهية الكريمة المقدسة، تجري عليه جميع الأسماء، وقد قيل: إنه الاسم الأعظم، لأنه في جميع الموارد موارد الأسماء يأتي متبوعا لا تابعا، وقد جاء في موضع من القرآن تابعا، ولكن الغالب الكثير أنه يأتي متبوعا، كقوله جل وعلا: ﴿ هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم * هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ﴾ [الحشر:٢٢-٢٣]، فصارت كلها تتبع هذا الاسم (الله)، لهذا قالوا: إنه هو اسم الله الأعظم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب، وإذا استغيث به أغاث، ولكن هذا في الواقع حسب ما يقوم في قلب الإنسان من العبودية والإخلاص والتذلل لله جل وعلا، أما إذا دعا الإنسان وقلبه ساه أو غافل أو معرض، أو هو متلبس بالمعاصي فهذه من موانع الإجابة، وإن سأل بالاسم الأعظم.

والمقصود أن أسماء الله جل وعلا أسماء وأوصاف، فهذا معنى الاشتقاق، أنها تكون أسماء أعلاما عليه، ولكن في معناها الصفات، والأصل أنها مشتقة من الصفات، والصفات هي الأصل، كما قال سيبويه هنا وجماعة من كبار أهل اللغة كـ الخليل بن أحمد : إن أصله (إله) أو (الإله).

وهذا يكون مثلما قالوا في قوله: ﴿ لكنا هو الله ربي ﴾ [الكهف:٣٨] يكون أصلها: (لكن أنا هو الله ربي)، فلما حصل الإدغام -إدغام الحرف في الحرف- صار: (لكنا هو الله ربي)، وكما مثلنا في قول سيبويه : إن (الناس) أصله (أناس)، فلما جاءت (أل) التقى ساكنان فحذفت الهمزة وأدغم واحد في الآخر فصار (الناس)، فكذلك (الله)، فهو مأخوذ من (الإله) الذي يؤله، وتأله القلوب وتحبه وتئوب إليه رغبة ورهبة وخوفا ورجاء.

---

(١) شرح فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للغنيمان، ١٩٥/٥

قال الشارح رحمه الله: [والذين قالوا بالاشتقاق إنما أرادوا أنه دال على صفة له تعالى، وهي الإلهية، كسائر أسمائه الحسنى كالعليم، والقدير، والسميع، والبصير ونحو ذلك، فإن هذه الأسماء مشتقة من مصادرها بلا ريب وهي قديمة، ونحن لا نعني بالاشتقاق إلا أنها ملاقية لمصادرها في **اللفظ والمعنى**، لا أنها متولدة منه تولد الفرع من أصله.

وتسمية النحاة للمصدر والمشتق منه أصلا وفرعا، ليس معناه: أن أحدهما متولد من الآخر، وإنما هو باعتبار أن أحدهما يتضمن الآخر وزيادة].

يعني أن المصدر يتضمن ما اشتق منه وزيادة، بخلاف الفعل فإنه لا يتضمن ذلك، وهذا سبب الذي جعلوه مشتقا، وهذا من مباحث النحو.

قال الشارح رحمه الله: [قال أبو جعفر بن جرير : (الله) أصله (الإله)، أسقطت الهمزة التي هي فاء الاسم، فالتقت اللام التي هي عين الاسم، واللام الزائدة وهي ساكنة، فأدغمت في الأخرى، فصارتا في اللفظ لاما واحدة مشددة، وأما تأويل (الله) فإنه على معنى ما روي لنا عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه، قال: (هو الذي يألهه كل شيء، ويعبده كل خلق)، وساق بسنده عن الضحاك عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه، قال: (الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين)].

معنى قول ابن عباس هذا: (الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين) أنه المستحق أن يؤله ويعبد من جميع الخلق، يعني أن هذا أمر واجب عليهم حتم، فإن تركوه عذبوا؛ لأنهم تركوا الألوهية التي تجب عليهم له أن يعبدوه ويتألهوه، والتأله هو محبة القلب، أن يحبه حب عبادة، يقال: أله يألهه، أي: أنه أحبه حبا يتضمن الذل والتعظيم، هذا هو التأله، وهذا لا يجوز أن يكون إلا لله جل وعلا، ولا يجوز أن يكون لمخلوق من الخلق، فإن وقع لمخلوق فقد وقع الشرك؛ لأن هذا خالص حق الله جل وعلا، أما العبودية فهي بمعنى الإلهية، ولا يوجد بينهما فرق، فالعبودية والألهية شيء واحد مثل التأله والتعبد لا فرق بينهما.

قال الشارح رحمه الله: [فإن قال لنا قائل: وما دل على أن الألوهية هي العبادة، وأن الإله هو المعبود، وأن له أصلا في فعل ويفعل قيل: لا تمانع بين العرب في الحكم، وذكر بيت رؤبة بن العجاج : لله در الغانيات المده سبحن واسترجعن من تألهي يعني من تعبدي وطلبي الله بعملي، ولا شك أن التأله التفعل، من (أله يأله)، وأن معنى أله -إذا نطق به- عبد الله].

ومجرد النطق لا يكفي، وإنما عول عليه هذا الشيء لهذا المعنى، أي: للعبادة.

قال الشارح رحمه الله: [وقد جاء منه مصدر يدل على أن العرب قد نطقت منه بـ(فعل يفعل)، بغير زيادة، وذلك ما حدثنا به سفيان بن وكيع وساق السند إلى ابن عباس رضي الله عنه أنه قرأ: ﴿ ويذرك وإلهتك ﴾ [الأعراف:١٢٧]، قال: عبادتك ويقول: إنه كان يعبد ولا يعبد].

هذه قراءة شاذة (ويذرك وإلهتك) يعني: عبادتك التي تعبد؛ لأنه قد كان يعبد فرعون، أي أن: موسى يذرك وعبادتك التي جعلتها على قومه، فإنه قال لهم: ﴿ ما علمت لكم من إله غيري ﴾ [القصص:٣٨]، فهو كان يعبد.

أما القراءة المعروفة السبعية فهي: (ويذرك وآلهتك)، أي: التي تعبدها، فعلى هذه يكون فرعون له آلهة يعبدها غير الله جل وعلا، أما القراءة الأولى فيكون هو المألوه الذي يؤله، والمقصود أن هذا جاء على أن العرب قد نطقوا به، والقراءة الشاذة تكون دليلا وإن لم تجز القراءة بها ولا تثبت قراءة في الصلاة، فلا يجوز القراءة بها ولا تكون من القرآن حتى تتواتر وتتفق مع رسم المصحف وتشهد لها اللغة العربية، فلا بد من هذه الشروط الثلاثة: أن يثبت التواتر، وتتفق مع رسم المصحف العثماني، وتكون صحيحة المعنى في اللغة العربية، وإذا تخلف واحد من هذه الشروط الثلاثة لا يجوز أن تثبت قراءة، ولكن يستدل بها وتكون دليلا كأخبار الآحاد التي يرويها فرد عن فرد من الناس.

[وذكر مثله عن مجاهد ثم قال: فقد بين قول ابن عباس و مجاهد هذا أن أله: (عبد)، وأن الإلهة مصدره، وساق حديثا عن أبي سعيد مرفوعا أن عيسى أسلمته أمه إلى الكتاب ليعلمه، فقال له المعلم: اكتب (باسم الله) فقال عيسى: أتدري ما الله ؟ الله إله الآلهة].

هذا حديث لا يثبت فهو ضعيف، فلا يصلح أن يكون حجة، وعيسى نبي كريم علمه الله جل وعلا وهو صبي كما جاء نص القرآن بذلك، ثم جاءت به أمه تحمله إلى قومها وهو رضيع صبي: ﴿ قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا * يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا * فأشارت إليه ﴾ [مريم:٢٧-٢٩]، يعني: قالت: كلموه، ﴿ قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا ﴾ [مريم:٢٩]، فأقبل عليهم وقال: ﴿ إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا ﴾ [مريم:٣٠] أي: من ذلك الوقت، ﴿ وجعلني مباركا أين ما كنت ﴾ [مريم:٣١]، فأول ما نطق به قوله: (إني عبد الله) يعني: أعبده، وهذا رد له لما فعلوه ولما سيكون بعد؛ لأنهم قالوا: إنه الله أو إنه ابن الله أو إنه ثالث ثلاثة، تعالى الله وتقدس عن قولهم، والمقصود أن هذا الحديث لا يثبت ولا يصلح أن يكون دليلا.." (١)

"قوله صلى الله عليه وسلم: (لتتبعن سنن من كان قبلكم) وعلاقته بالشرك

قال المصنف رحمه الله تعالى: وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا يا رسول الله! اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟) أخرجاه].

هذا الحديث مخرج في الصحيحين ولكن بغير هذا **اللفظ والمعنى** واحد، والآية التي ذكرها قبل هذا واضحة الدلالة مع ذكر الحديث أنها تدل على الذم، يعني: ذم هؤلاء الذين غلبوا على أمر قومهم؛ يعني: لأنهم الكبراء والوجهاء فبنوا عليهم المسجد، فالآية سيقت على وجه الذم، وليس كما يقول من فتن بالقبور وبعبادة أصحابها والبناء عليها: إن الآية تدل على جواز البناء على القبور؛ لأن كلام الله جل وعلا مع كلام رسوله لا يتعارضان، بل يؤيد أحدهما الآخر، ويبينه ويوضحه، وقد أخبرنا ربنا جل وعلا أنه أنزل على رسوله الوحي ليبين ما نزل إليه للناس، وقد بين ذلك، والذي يقول مثلا أن الآية تدل على الجواز هو مغالط، فهذا كلام مغالطة ومحادة لله جل وعلا، ولرسوله صلى الله عليه وسلم؛ لأنه قد يقول جاهل هذا القول: الآية تدل على ذلك؛ لأن الله ذكر هذا عنهم، وما ذكر عن شرع من كان قبلنا يكون شرعا لنا، هذا لا يكون

---

(١) شرح كتاب التوحيد / الغنيمان، ٧/١

صحيحا بل هذه مغالطة، والله ذكر ذلك على سبيل الواقع منهم، والرسول صلى الله عليه وسلم بين أن هذا لا يجوز، وأن فعلهم مذموم، فيجب أن يعلم هذا وأن يعتقد؛ بأنه على سبيل الذم وليس على سبيل الجواز.

حديث أبي سعيد هذا: (لتتبعن) ابتدأه صلى الله عليه وسلم باللام، اللام التي وقعت في جواب القسم، وهذا هو الصواب أنها وقعت في جواب القسم، والتقدير: والله لتتبعن، ومن المعلوم أن الرسول صلى الله عليه وسلم إذا أخبر بخبر فإنه صدق وحق؛ لأنه كما قال الله جل وعلا عنه: لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، يوحيه الله جل وعلا إليه.

وكذلك إذا أخبر الله جل وعلا بشيء فإنه صدق وحق بلا ريب، فيأتي القسم لزيادة التأكيد، والمؤكدات سواء كان قسما أو كان تأكيدا لفظيا، أو تكرارا أو غير ذلك، واهتمامي بهذا الموضوع ولفت الأنظار إليه ليعلم هذا أنه واقع لا محالة.

والسنن: هي الطرق -ويجوز أن تكون (سنن وسنن)- التي يسلكونها، وتخص بأمور الدين التي يتعبدون بها أو يعتقدونها.

وقوله: (من كان قبلكم) هذا مجمل؛ لأنه إذا قيل: (من كان قبلنا) يشمل كل الذين قبلنا، ولهذا استفسر الصحابة عن ذلك وقالوا: من تريد؟ من هم الذين قبلنا اليهود والنصارى؟ فقال: فمن؟ يعني: أن هذا هو المراد، وهذا لا ينافي أو يخالف ما جاء في الرواية الأخرى، وهي رواية صحيحة أيضا: (أهم فارس والروم؟ فقال: ومن الناس إلا أولئك) يعني: من المقصود إلا فارس والروم، المقصود يريد أن يخبر أن هذه الأمة ستتبع الذين قبلهم من الأمم القريبة منهم، مثل اليهود والنصارى وفارس والروم وغيرهم، وجاء في بعض الآثار الأعاجم أيضا.

فكل لفظ يدل على ما يدل عليه الآخر إلا أنه يدل على أنه لم يرد أمة معينة بخصوصها غير أن هؤلاء هم الذين لهم كلمة ولهم دين، ولهم كيان وقد يقتدى بهم، وينظر إليهم، فبين أن هذا هو المراد.

وقوله: (حذو القذة بالقذة) المعنى أنكم تسيرون خلفهم، فكل ما فعلوه سوف تفعلونه دقيقا أو كبيرا، لا تخطئون شيئا مما فعلوا، فقوله: (حذو القذة بالقذة) كقولك: خطوة خطوة.

بل كقولك: إنك تفعل هذا كما يفعل فلان هذا الشيء تماما بلا زيادة ولا نقصان.

والقذة: هي ريشة السهم، وريشة السهم غير معروفة لنا الآن، ولكن هي الحربة التي تحدد وتجعل في السهم ليطلق منه، والسهم القوس الذي يرمى به سابقا، ويقابل ذلك الرصاصة الموجودة الآن التي تجعل في بندقية واحدة ما تزيد عن الأخرى، كل واحدة مساوية للأخرى تماما بلا زيادة، هذا هو المعنى المراد، يعني: أنكم تفعلون كل ما فعلوه .." (١)

"الفرق بين الحديث القدسي وغيره

ثم ذكر الحديث، وهو حديث ثابت وصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر وأنا الدهر) فهذا يسمى حديث قدسي، نسبة للرب جل وعلا أنه قاله وتكلم به، والقداسة هي التنزيه والطهارة؛ لأن الله منزه عما يصفه به الظالمون.

---

(١) شرح كتاب التوحيد / الغنيمان، ٣/٧٠

والحديث القدسي اختلف العلماء فيه، فمنهم من قال: إن معناه من الله ولفظه من الرسول صلى الله عليه وسلم، فالرسول يضيف ذلك إلى الله جل وعلا، ولكن هو الذي يتلفظ بالكلام، ويقوله، ولهذا قالوا: يجوز روايته بالمعنى.

القول الثاني وهو الصواب: أن معناه ولفظه من الله، ولكنه ليس كالقرآن يتعبد بتلاوته، وذلك أن كلام الله جل وعلا لا ينحصر لا في القرآن ولا في الإنجيل ولا في غير ذلك، ولهذا يذكر الرسول صلى الله عليه وسلم قول الله جل وعلا الذي يقوله في الوقت الحاضر وفي المستقبل، ويكون هو قول لله مثل قوله صلى الله عليه وسلم: (ينزل ربنا إلى السماء الدنيا في ثلث الليل الآخر فيقول: هل من مستغفر فيغفر له؟! هل من سائل فيعطى؟!) وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم فيما ثبت عنه في الصحيحين وغيرهما أن الله يقول لآخر من يخرج من النار من أهل التوحيد: (لعلك تسأل غير ما سألت! فيقول: لا يا رب، ويعطي المواثيق والعهود أنه لا يسأل غير ذلك، ثم إذا أعطي ما سأل رأى شيئا أحسن منه، فيبقى صابرا ما شاء الله أن يصبر ثم يسأل ربه ذلك الذي رآه، فيقول الله جل وعلا له: ويلك يا ابن آدم ما أغدرك! إلى أن قال له: اذهب فادخل الجنة فإن لك ما رأيت).

وغير ذلك من القول الكثير الذي يذكره النبي صلى الله عليه وسلم عن الله جل وعلا، فهو قوله **بالمعنى واللفظ**، وإلا فإن كل ما يذكره، وكل ما جاء به فمعناه من الله، فإذا: لا يكون هناك فرق بين الحديث القدسي وبين الحديث النبوي؛ لأن المعنى من الله، لقول الله جل وعلا: ﴿ وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى ﴾ [النجم:٣-٤].." (١)

"الحال من كلمة كانت لها دلالة سياسية واجتماعية مرموقة إلى كلمة يعني دون، فانظر

إلى هذه الكلمة كيف تدنى حالها عبر الأزمان. فكذلك الدلالات العرفية وكذلك أيضا

الألفاظ اللغوية الشرعية لا نخضعها أبدا للدلالات التاريخية، بعض الناس يقولون:

نحن نريد أن نخضع ألفاظ القرآن على حسب كل عصر يعني: إذا كان الصحابة فهموه بعصرهم

نريد أن نفهم نحن القرآن بعصرنا فنلبس الألفاظ مدلولات عصرية وعرفية. هذا كلام فاسد

جدا وقد يؤدي إلى ضلالات شديدة.

فلابد أن نجعل لكل لفظ شرعي معناه الشرعي الذي كان عليه السلف الصالح؛ لأن

الدلالات العرفية تختلف باختلاف الأعصار فلو أننا فهمنا القرآن بالفهم المعاصر

وأسقطنا الدلالات العصرية العلمية وغيرها على القرآن يمكن بعد عصر،،، بعد مائة سنة،

قوم آخرون يأتون ليفهموا القرآن بفهم آخر مخالف ويقولون: بأن القوم السابقين لم

يفهموا القرآن وأن القرآن كان عيا وما إلى ذلك فلابد أن نحرز القرآن، إذن: انتهينا

إلى أن **اللفظ والمعنى** إشكالية **اللفظ والمعنى** لا بد أن نرفعها بإن اللفظ له معنى وأن

هذا المعنى معنى قصدي لابد أن يكون معلوما معروفا وأن الألفاظ الشرعية معناها

قصدية معلومة معروفة افتح القرآن واقرأ أي لفظ في القرآن معانيه معروفة –بفضل الله

---

(١) شرح كتاب التوحيد / الغنيمان، ١١٠/٩

– عز وجل– نعرف الألفاظ الشرعية إما بالكتاب وإما بالسنة وإما بأقوال الصحابة والتابعين؛ لأنهم الأعراب أو لأنهم عرب أقحاح وإما أن نعرف ذلك من دواوين العرب ولغتها.

أما بالنسبة للعلاقة بين **اللفظ والمعنى**: فإذا كان اللفظ حاملا المعنى فهناك ألفاظ تسمى بالألفاظ المترادفة وهناك ألفاظ تسمى بالألفاظ المتباينة وهناك ألفاظ تسمى بالألفاظ المتواطئة وهناك ألفاظ تسمى بالألفاظ الأضداد، وتوضيح بسيط لهذا الأمر:

الألفاظ المتباينة كأحمد وزيد هل أحمد هو زيد؟ أبدا إذن: هذا غير هذا أقول: قابلت." (١)

"باب قوله: "وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ"

حديث: "إن رحمتي سبقت غضبي"

٢٨ – باب قوله –تعالى–: وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ

٧٤٥٣ –حدثنا إسماعيل حدثني مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة –رضي الله عنه– أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: لما قضى الله الخلق، كتب عنده فوق عرشه: إن رحمتي سبقت غضبي .

الشرح:

هذه الترجمة، وهي باب قول الله –تعالى–: وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ قصد المؤلف –رحمه الله– بهذه الترجمة إثبات الكلام لله –عز وجل–، وأن كلام الله صفة من صفاته، وأن كلام الله سابق لخلقه، وأن كلام الله نوعان:

أ –كوني قدري لا يتخلف مراده.

ب– ديني شرعي قد يتخلف مراده.

وهذا من الكلمات الكونية، ومثال النوع الأول وهو الكلام الكوني الذي لا يتخلف فيه مراد الله قوله –تعالى–: إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ومثال النوع الثاني، وهو الكلام الديني الشرعي الذي قد يتخلف فيه مراد الله قوله – تعالى–: وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فمن الناس من أقام الصلاة، ومنهم من لم يقم الصلاة، وقوله –تعالى–: وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا فمن الناس من امتثل هذا النهي، ومنهم من لم يمتثل.

والمراد بكلمات الله التي سبقت في الآية: وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ كلام الله السابق بالقضاء المتقدم على خلقه، أن الذي جرى به القلم، وسبق به القضاء، أن النصر لعباد الله المرسلين وأتباعهم، وأن جند الله هم الغالبون.

ففيه إثبات أن كلام الله ليس مخلوقًا، وأن كلام الله سابق لخلقه؛ لأن الخلق إنما يكون بالأمر، والأمر هو كلام الله: إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ هذا الكلام الكوني، والثاني كلام الله الديني الشرعي، وهو القرآن وكلامه في كتبه التي أنزلها على أنبيائه، وهذا قد يتخلف مراده، أما الكلام الكوني، فلا يتخلف.

---

(١) شرح مقدمة القيرواني، ٢٣/٥

ففيه الرد على من قال: إن القرآن مخلوق، والرد على من أنكر كلام الله عز وجل.

وكلام الله **اللفظ والمعنى** جميعًا، وكلام الله بحرف وصوت يسمع، خلافًا للمعتزلة والأشاعرة، فالمعتزلة يقولون: كلام الله **اللفظ والمعنى** لكنه مخلوق، والأشاعرة يقولون: كلام الله المعنى فقط، فهو معنى في نفس الله لا يسمع، وأما الحروف والكلمات فهي مخلوقة.

والحديث في إثبات الكتابة والرحمة والغضب لله -عز وجل-، وهي من الصفات الفعلية، فصفات الله -عز وجل- قسمها أهل السنة إلى قسمين:

١ - صفات ذاتية لا تنفك عن البارئ: كالعلم والعزة والقدرة والسمع والبصر.

٢ - صفات فعلية تتعلق بالمشيئة والاختيار: كالكلام والكتابة والخلق والرزق والإحياء والإماتة والرحمة والغضب. وضابطها أنها تقيد بالمشيئة، تقول: يرحم إذا شاء، ويغضب إذا شاء، ويكتب إذا شاء، بخلاف الصفات الذاتية، فلا تقول: يقدر إذا شاء، ويعلم إذا شاء، بل هو -سبحانه- عليم وقدير في جميع الأحوال.

والصفات الفعلية نوعها قديم، وأحادها حادثة؛ ولهذا في حديث الشفاعة يقول كل واحد من الأنبياء: إن ربي غضب اليوم غضبًا، لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله فقال (غضب اليوم): فهذا الغضب حادث في ذلك اليوم، ولا يلزم من قولنا: إنه حادث، الحدوث في ذاته، فهذا غير صحيح؛ لأن هذا لازم لصفات المخلوقين.

ويقسم أهل السنة والجماعة الصفات كذلك إلى:

١ - صفات معنوية: كالعلم والقدرة والسمع.

٢ - صفات خبرية: كالوجه واليد والرجل، فالصفات الخبرية جاء بها الخبر.

وهذا التقسيم مقابل تقسيم أهل الكلام، فقسمها أهل السنة للإيضاح وللرد على أهل الكلام.

وفي الحديث بيان أن رحمة الله تسبق غضبه، وفيه أن هذا الكتاب كتبه الله لما قضى الخلق، فكتب في كتاب هو عنده فوق العرش، فهذا الكتاب سابق. والخلق إنما خلقوا بأمر الله وكلامه، ففيه إثبات الكلام لله، وأنه سابق؛ لأن الخلق لا يكون إلا بأمر الله، وأمر الله هو كلامه، فوجه الدلالة من الترجمة أنه أخبر، أن هذا الكتاب كان بعد خلق الخلق، وهو سابق، وهو قديم، والخلق إنما كان بأمر الله وكلامه. وفيه أن هذا الكتاب فوق العرش، مع أن العرش سقف المخلوقات، لكن هذا الكتاب خاص، والقاعدة أن الخاص يقضي+ على العام، فالعرش سقف المخلوقات، لكن هذا الكتاب مستثنى منه. وهذا الكتاب مخلوق؛ لأن المكتوب غير الكتابة، فالكتابة فعل الله، والمكتوب هو المخلوق المنفصل. والسماوات مخلوق منفصل، وتخليق الله لها فعله سبحانه، وهي صفة من صفاته، فهناك فرق بين الخلق والمخلوق، والفعل والمفعول، فالخلق والفعل صفة لله قائمة بذاته، والمخلوق هو المفعول المنفصل، وسبق بيان هذا في الترجمة السابقة.." (١)

"باب قول الله: "بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ"

٥٥ - باب قول الله -تعالى-: بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ قال قتادة مكتوب " يسطرون "

---

(١) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري - الراجحي، ص/٨٤

يخطون (في أم الكتاب) جملة الكتاب وأصله مَا يَلْفِظُ ما يتكلم من شيء إلا كتب عليه، وقال ابن عباس يكتب الخير والشر (يحرفون) يزيلون، وليس أحد يزيل لفظ كتاب من كتب الله -عز وجل- ولكنهم يحرفونه يتأولونه، على غير تأويله، دراستهم تلاوتهم (واعية) حافظة، (وتعيها) تحفظها وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ يعني: أهل مكة وَمَنْ بَلَغَ هذا القرآن، فهو له نذير.

الشرح:

المقصود بهذه الترجمة بيان أن القرآن كيفما تصرف، فهو كلام الله وأن القرآن مكتوب في المصاحف، محفوظ في الصدور، موعى في القلوب، مقروء بالألسن، منزل على النبي -صلى الله عليه وسلم-، فكيفما تصرف، فهو كلام الله؛ ولذا قال تعالى: بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ أي: أنه مكتوب في اللوح المحفوظ، ومحفوظ في الصدور، ومكتوب في المصاحف، ومقروء بالألسن فهو كلام الله منزل غير مخلوق.

أما الصدور والألسن والمداد والورق والكتابة كلها مخلوقة، والنبي -صلى الله عليه وسلم- مخلوق والمنزل عليه غير مخلوق، والصدور والقلوب مخلوقة، والقرآن موعى في الصدور والقلوب، فدل على أن القرآن كيفما تصرف، فهو كلام الله، قوله: وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ فالكتاب مسطر، قوله: (يسطرون: يخطون في أم الكتاب) فالقرآن يخط، فالمصحف فيه خط الخطاط، ومداد الكاتب والورق وفيه كلام الله، والظرفية تختلف، فيقال في المصحف كلام الله، ويقال فيه مداد وورق، ويقال: فيه خط فلان الكاتب، قوله: (جملة الكتاب وأوصله) أي: أصل الكتاب، وهو اللوح المحفوظ كما قال -تعالى-: وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ وقال يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ أي: أصله وهو اللوح المحفوظ.

قوله: مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ ما يتكلم من شيء إلا كتب عليه، فالشيء المكتوب غير الكتابة.

قوله: (قال ابن عباس يكتب الخير والشر) تكتب الحفظة على الإنسان كل شيء الخير والشر، ومنه قوله -تعالى-: يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ أي: يمحو الله ما يشاء، ويثبت في صحف الملائكة؛ ليوافق ما في اللوح المحفوظ؛ ولهذا قال: وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ حتى يوافق ما في اللوح المحفوظ، فما في اللوح المحفوظ لا يغير، ولا يبدل لكن ما في صحف الملائكة، قد يمحى منه شيء ليوافق ما في اللوح المحفوظ.

قوله: (وليس أحد يزيل لفظ كتاب من كتب الله -عز وجل- ولكنهم يحرفونه: يتأولونه عن غير تأويله) هذا قول البخاري يقول: إنه ليس هناك أحد يغير اللفظ، مما في كتب الله كالتوراة والإنجيل والقرآن، والكتب التي أنزلت، فليس هناك تغيير حرفي إنما التغيير يكون في المعنى، وهذا قول.

والقول الثاني: أن التغيير يكون في **اللفظ والمعنى**، فالكتب السابقة كالتوراة والإنجيل فيها ما هو محرف، وفيها ما هو باق من كلام الله، قوله: (دراستهم: تلاوتهم) في قوله -تعالى-: وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ أي: تلاوتهم.

والشاهد أنه أضاف الدراسة والتلاوة إليهم، والمدروس هو كلام الله، والدراسة هي فعل العبد، فدل على إضافة أفعال الله إليهم، ودل على أن كتاب الله متلو بالألسن، فكيفما تصرف، فهو كلام الله، قوله: (واعية: حافظة) في قوله -تعالى-: وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ فالأذن والقلوب مخلوقة، وهي تحفظ كلام الله، والموعى فيها كلام الله.

قوله: (ومن بلغ هذا القرآن، فهو له نذير) دل على أن القرآن نذير وبلاغ، أما المنذر والمبلغ فهو الرسول -صلى الله عليه وسلم- وكذلك أتباعه، والإنذار والتبليغ فعل له منسوب إليه، أما المنذر والمبلغ به فهو كلام الله عز وجل، قيل: إن هذه الآية أشد شيء على جهم، وأتباعه وهي قوله: لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ فالقرآن نذارة وبلاغ لمن بلغه إلى يوم القيامة.." [1]

"وهذا القدر من الحديث هو محل الشاهد الذي سيق الحديث من أجله، مع قوله "هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده" وذلك أن القدر المشترك بين أسماء الله -تعالى- وصفاته، وبين أسماء المخلوقين وصفاتهم في **اللفظ والمعنى** لا يقتضي المشابهة؛ لأن أسماء الله -تعالى- حسنى، لا يلحقها نقص، ولا عيب، بخلاف أسماء المخلوقين-و إن كان منها الحسن- فليست بحسنى، ولأن الصفات تابعة للموصوف، وكذلك الأسماء، فالرحمة اسمه-تعالى-، والرحمة صفته، والمخلوق يتصف بالرحمة التي يرحم بها، وهي تابعة له في الخلق والمعنى، فهي مخلوقة فيه؛ لأنه مخلوق فصفاته مخلوقة، وهو ضعيف فقير محتاج، وصفاته تناسبه في ذلك مع أنه يسمى "رحيما" و"راحما" والله-تعالى موصوف بالرحمة ويسمى "رحيما"، ولا يكون في ذلك تشبيه؛ لأن المخلوق اسمه وصفته يختص به، والله-تعالى- اسمه وصفته يختصان به، فرحمة الله صفه له عليا، صفة الكمال، وسالمة من كل نقص أو عيب يمكن أن يلحق المخلوق، فليست رحمته-تعالى- عن ضعف أو عجز، بل عن كمال فضله وإحسانه، ولا يجوز أن تؤول بالثواب أو العطاء، أو إرادة ذلك، وما أشبهه مما يقوله أهل التأويل، كما ذكر الحافظ ابن حجر عن شراح البخاري وغيرهم، كقول ابن بطال:"إن المراد برحمته: إرادته تقع لمن سبق في علمه أنه ينفعه، وأما الرحمة التي جعلها في قلوب عباده، فهي من صفات الفعل(١)=

ص٧٧

وصفها بأنه خلقها في قلوب عباده، وهي رقة على المرحوم، وهو سبحانه منزه عن الوصف بذلك، فتتأول بما يليق به"(٢).

(١) صفات الفعل عند الأشعرية: ما فعله-تعالى- منفصلا عنه- يعني مخلوقاته التي وجدت بصفة الخلق-وليس هناك اشتباه بين ما يسميه ابن بطال صفات فعل، وبين صفات الله، حتى يلزم ما ذكره.

(٢) "الفتح" (١٣/٣٥٨).." [2]

"قال الجزرى: - رحمه الله - ((ما زلت أستشكل هذا الحديث، وأفكر فيه، وأمعن النظر من نيف وثلاثين سنة، حتى فتح الله علي بما يمكن أن يكون صوابا إن شاء الله - تعالى -، وذلك أني تتبعت القراءات صحيحها وشاذها، وضعيفها، ومنكرها، فإذا هو يرجع اختلافها إلى سبعة أوجه من الاختلاف، لا يخرج عنها.

إما في الحركات بلا تغير فى المعنى والصورة، نحو ((البخل)) بأربعة، و ((يحسب)) بوجهين.

أو بتغير في المعنى فقط، نحو: (فتلقى آدم من ربه كلمات) (١)، ﴿ وادكر بعد أمة ﴾ و ((أمه)) (٢).

وإما في الحروف بتغير المعنى، لا الصورة، نحو ((تبلوا)) و ((تتلوا)) (ننحيك ببدنك لتكون لمن خلفك)، ﴿ ننجيك

---

[1] شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري - الراجحي، ص/١٩٦

[2] شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري- الغنيمان، ١/٧٤

بدنك ﴾ (٣).

أو عكس ذلك [أي بتغير الحروف مع اتفاق المعنى] نحو ((بصطة)) و ((بسطة)) و ((الصراط)) و ((السراط))

أو بتغيرهما نحو ((أشد منكم)) و ((أشد منهم))، و ((يأتل)) و ((يتأل)) و (فامضوا إلى ذكر الله) و ﴿ فاسعوا إلى ذكر الله ﴾ .

أو بالتقديم والتأخير نحو ﴿ فيقتلون ويقتلون ﴾ و (ويقتلون فيقتلون)، و ﴿ وجاءت سكرة الموت بالحق ﴾ و (جاءت سكرة الحق بالموت).

أو في الزيادة والنقصان، نحو ((وأوصى)) و ((وصى)) و ﴿ وما خلق الذكر والأنثى ﴾ و ((والذكر والأنثى)).

وأما اختلاف الإظهار والإدغام، والروم والإشمام، والتفخيم والترقيق، والمد والقصر، والإمالة والفتح، والتخفيف والتسهيل، والإبدال والنقل، ونحو ذلك مما يعبر عنه بالأصول، فهذا ليس من الاختلاف الذي يتنوع فيه اللفظ والمعنى)) (٤).

---

(١) يعني : بنصب آدم، ورفع كلمات، عكس القراءة المشهورة.

(٢) بالتاء المربوطة، وبالهاء.

(٣) الأولى بالحاء المهملة، والثانية بالجيم المشددة.

(٤) النشر (١/٧٧-٧٨).." [١]

"فقد جاء في الإصحاح التاسع عشر، من سفر التكوين، من التوراة، قوله: ((صعد لوط من زغر، وسكن في الجبل، وابنتاه معه، إذ خاف من المقام في زغر، وسكن في مغارة هو وابنتاه معه، فقالت الكبيرة للصغيرة، أبونا شيخ، وإنسان، ليس في الأرض للدخول علينا كسبيل كل الأرض، تعالي نسقي أبانا خمرا ونضجع معه، ونبقي من أبينا نسلا، فسقتا أباهما خمرا في تلك الليلة)) (١) إلى آخر الكلام، وهو باطل قطعا، وقد نزه الله نبيه لوطا – عليه السلام _ أن يقع على ابنتيه، فتحبلان منه، وإنما هذا من وضع اليهود أعداء الله – تعالى -.

فقوله: ((وليس أحد يزيل لفظ كتاب من كتب الله – عز وجل -)) غير مسلم، بل بدل بعض ألفاظها، كما سبق في كلام شيخ الإسلام أنه الصحيح.

((قال الزركشي: اغتر بعض المتأخرين، بما قاله البخاري، فقال: إن في تحريف التوراة خلافا، هل هو في اللفظ والمعنى، أو في المعنى فقط؟ ومال إلى الثاني، ورأى جواز مطالعتها، وهو قول باطل، ولا خلاف أنهم حرفوا، وبدلوا، والاشتغال بنظرها، وكتابتها، لا يجوز بالإجماع، وقد غضب النبي – صلى الله عليه وسلم – حين رأى مع عمر صحيفة فيها شيء من التوراة، وقال: ((لو كان موسى حيا، ما وسعه إلا اتباعي)) ولولا أنه معصية ما غضب.

ونظر الحافظ بهذا الكلام، وقال: ((الظاهر: أنه مكروه كراهة تنزيه، وقال: الأولى، التفرقة بين من لم يتمكن، ويصر من غير الراسخين في الإيمان، فلا يجوز له النظر في شيء من ذلك، بخلاف الراسخين، فيجوز لهم، ولا سيما عند الاحتجاج،

---

(١) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري- الغنيمان، ٣/٣٢

ويدل على ذلك نقل الأئمة قديما وحديثا من التوراة)) (٢).

---

(١) انظر التوراة السامرية (ص٥٩).

(٢) الفتح)) (٥٢٥/١٣).." [(١)]

"فقد أخبر، أن الكلمة تخرج من أفواههم، ومع هذا فلم تفارق ذاتهم (١).

فالقرآن كلام الله، ويحفظ في القلوب، كما يحفظ الكلام، ومذكور بالألسنة كما يذكر الكلام بالألسنة، وهو مكتوب في المصاحف، والأوراق، كما أن الكلام يكتب في الكتاب والورق.

والكلام هو مجموع **اللفظ والمعنى**، فاللفظ يطابق المعنى ويدل عليه.

ولا يجوز أن يقال: إن القرآن محفوظ، كما أن الله معلوم، وهو متلو، كما أن الله مذكور، ومكتوب، كما أن الرسول مكتوب، فهذا خطأ، وضلال.

فليس وجود الأعين القائمة بأنفسها، كوجود العبارة الدالة على المعنى المطابق لها، والفرق ظاهر بين قوله تعالى: ﴿ بل هو قرآن مجيد ﴿٢١﴾ في لوح محفوظ ﴾ ، وقوله: ﴿ إنه لقرآن كريم ﴿٧٧﴾ في كتاب مكنون ﴾ ، وبين قوله تعالى:

﴿ وإنه لفي زبر الأولين ﴾ فإن القرآن، لم ينزل على نبي قبل محمد – صلى الله عليه وسلم – وإنما الذي في زبر الأولين ذكره، والخبر عنه، كما أن محمدا – صلى الله عليه وسلم – مكتوب عندهم في التوراة، والإنجيل فالله ورسوله معلوم بالقلوب، مذكور بالألسنة مكتوب في المصحف، كما أن القرآن معلوم لأهل الكتاب قبلنا، مكتوب عندهم، وذلك ذكره والخبر عنه.

ولكن الذي في المصحف عندنا، هو نفس القرآن.

ولهذا يجب أن يفرق بين قوله تعالى: ﴿ وكل شيء فعلوه في الزبر ﴾ وبين قوله تعالى: ﴿ وكتاب مسطور ﴿٢﴾ في رق منشور ﴾ فإن كون الأعمال في الزبر، مثل كون القرآن، والرسول محمد – صلى الله عليه وسلم – في زبر الأولين.

وأما الكتاب المسطور في الرق المنشور، فهو كما يكتب الكلام نفسه في الكتاب.

فأين هذا من هذا؟

وذلك أن كل شيء له في الوجود أربع مراتب: وجود في الأعيان، ووجود في الأذهان، ووجود في اللسان، ووجود في الكتاب.

---

(١) مجموع الفتاوى)) (٥١٧/١٢-٥١٨).." [(٢)]

"مقدمة الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني –رضي الله عنه، وأثابه الجنة وغفر

---

(١) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري- الغنيمان، ٦٧/٣

(٢) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري- الغنيمان، ٧١/٣

لنا وله بمنه وكرمه آمين-:
السند في الرسالة، تحقيق الشيخ إسماعيل الأنصاري
أخبرنا أبو الطاهر المبارك بن المبارك بن معطوشي في كتابه: أن أبا طلحة أن محمد بن محمد بن أحمد ابن المهدي بالله أجاز له أن أبا القاسم عبد العزيز بن علي الأزدي أجاز لهم عن أبي بكر عبد العزيز المعروف بغلام الخلال قال: أنبأنا أبو بكر الخلال قال: أخبرنا الخضر بن مثنى الكندي قال: أنبأنا عبد الله بن أحمد بن حنبل -رحمه الله تعالى- قال: هذا ما أخرجه أبي -رحمه الله - في الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتأولته على غير تأويله، قال-رحمه الله تعالى ورضي عنه.
- إذًا هذا سند الرسالة، متصل السند. -
الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم! ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عقال الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، مجمعون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبّهون عليهم، فنعوذ بالله من فتن المضلين.
هذه خطبة الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله- في هذه الرسالة، وهي خطبة عظيمة ما زال العلماء ينقلونها في كتبهم ويستشهدون بها، كشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-وغيره من أهل العلم.
وكثير من أهل العلم يستشهدون بهذه الرسالة، ويقولون قال الإمام أحمد في رسالة الرد على الزنادقة "الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم" ويسردونها، فهي خطبة عظيمة، فاستشهاد العلماء من أهل السنة والجماعة ونقل هذه الرسالة في كتبهم أيضًا من الأدلة التي تثبت نسبة هذه الرسالة للإمام -رحمه الله-.
يقول: "الحمد لله": الحمد هو الثناء على المحمود بصفاته وأعماله مع حبه وإجلاله وتعظيمه، هذا هو الحمد: ثناء على المحمود بالصفات والأعمال والأفعال مع حبه وإجلاله وتعظيمه، بخلاف المدح، فالمدح ثناء بدون حب وإجلال، فأنت تمدح الأسد تقول: هو قوي العضلات ولا تحب الأسد، تمدح الأسد ولا تحبه، هذا هو الفرق بين المدح وبين الحمد.
المدح: ثناء وإخبار بصفات لكن لا إرادة حب وإجلال وتعظيم، أما الحمد فهو ثناء بالصفات الاختيارية الجميلة والأفعال مع الحب والإجلال؛ ولهذا جاء الحمد في حق الله تعالى دون المدح فوصف نفسه بالحمد ولم يصف نفسه بالمدح، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ولم يقل: أمدح الله رب العالمين.
الحمد: ثناء على الله -عز وجل- مع حبه وإجلاله وتعظيمه -سبحانه وتعالى-.
والحمد أعم من الشكر من وجه وأخص من وجه، فالحمد والشكر بينهما عمومٌ وخصوصٌ وجهي، يجتمعان في شيء، ويختلفان في شيء.
فالشكر يكون بالقلب وباللسان وبالجوارح فمن هذه الجهة يكون الشكر أعم؛ ولهذا قال سبحانه: اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا

وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ .

فالشكر يكون بالقول ويكون بالعمل ويكون بالقلب (باللسان وبالقلب وبالجوارح)، أما الحمد فإنه يكون باللسان مع اعتقاد القلب؛ ولهذا قال الشاعر:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة

يدي ولساني والضمير المحجبا

والحمد أيضًا يكون في مقابل الجميل وبدون مقابل، فالله تعالى يُحمد لِمَا اتصف به من الصفات العظيمة، وبما أنعم به على عباده من النعم العظيمة، خلقهم وأوجدهم من العدم، ورباهم بنعمه، وهداهم وعلمهم وأعطاهم الأسماع والأبصار والأفئدة، فهو –سبحانه وتعالى– يستحق الحمد؛ لما اتصف به من الصفات العظيمة، والأفعال الجميلة، ويستحق الحمد؛ لإنعامه وإفضاله –سبحانه وتعالى–.

أما الشكر فإنه يكون في مقابل النعمة، تشكر الشخص في مقابل الإحسان، أما إذا لم يكن هناك إحسان فلا يكون هناك شكر، وبهذا يكون الحمد أعم من جهة وأخص من جهة، الشكر يكون بالقلب وباللسان وبالجوارح، والحمد يكون باللسان، والحمد يكون في مقابل النعمة وفي غير مقابل النعمة، والشكر لا يكون إلا في مقابل النعمة.

"الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم"، هذه الرسالة –كما سبق– سماها المؤلف –رحمه الله–: "الرد على الجهمية والزنادقة فيما شكوا فيه من متشابه القرآن وتأولته على غير تأويله".

والجهمية نسبة إلى جهم بن صفوان السمرقندي نسبت إليه الجهمية التي تنفي الصفات عن الله –عز وجل–؛ لأنه أظهر هذه البدعة، وإن لم يكن هو أول مَن تكلم في هذه البدعة، فإنه سبقه إليها شخص آخر يدعى الجعد بن درهم سبق الجهم فهو أول من حُفظ عنه في الإسلام مقالة التعطيل.

والتعطيل الذي ابتدعه الجعد بن درهم إنما هو في كلمتين قال: إن الله لم يكلم موسى تكليمًا، ولم يتخذ إبراهيم خليلًا، لكن هاتين الصفتين ترجع إليهم جميع الصفات، قال: إن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا، فأنكر الخلة والمحبة، وقال: ليس هناك محبة ولا خلة ؛ لأن المحبة لا بد أن تكون لنسبة بين المحب والمحبوب، ولا نسبة بين الخالق والمخلوق.

وهذا معناه: قطع الصلة بين العباد وبين ربهم، وأنكر الجعد أن يكون الله كلم موسى تكليمًا، وإنكار التكليم معناه إنكار الرسالات والشرائع؛ إذ الرسالات والشرائع كانت بالكلام من الله تعالى، تكلم الله فأرسل الرسل وأنزل الكتب بالكلام، فإنكار الكلام إنكار للرسالات والشرائع؛ فلهذا أفتى العلماء –وهم من التابعين– بقتل هذا الرجل، وأنه يستحق القتل والإعدام، فقتله خالد بن عبد الله القسري أمير العراق والمشرق بواسط، لما أفتاه علماء أهل زمانه –وهم من التابعين– وذلك في يوم عيد الأضحى، خطب الناس بعدما صلى العيد، وقال في نهاية الخطبة –وكان الجعد عنده في أصل المنبر مقيدا– فقال في آخر الخطبة: ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضحٍّ بالجعد بن درهم فإنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا، ولم يكلم موسى تكليمًا، ثم نزل فذبحه ذبح الشاة، فشكره العلماء وأثنوا عليه، ومن هؤلاء العلامة ابن القيم في "الكافية الشافية" حيث قال:

ولذا ضحى بجعد خالد

القسري يوم ذبائح القربان

إذ قال إبراهيم ليس خليله

كلا ولا موسى الكليم الداني

شكر الضحية كل صاحب سنةٍ

لله درك من أخي قربان

ولا شك أن أهل السنة شكروه، ولا شك أن هذه الأضحية يزيد أجرها على كثير من الضحايا؛ لأن فيها قطعا لدابر الفتنة والفساد، هي أفضل من الأضحية، الأضحية سُنَّة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ولكن هذه فيها قطع لدابر الفتنة والبدعة والضلالة.

لكن الجهم بن صفوان كان قد اتصل به قبل أن يُقتل، وتقلد عنه هذه المقالة، وتبنى عقيدة نفي الصفات، ونشرها ودافع عنها حتى نسبت هذه المقالة للجهمية نسبة إلى الجهم بن صفوان وإلا فالأصل يقال: الجعدية لكن الجعد قتل في أول إظهاره لهذه البدعة قبل أن تنتشر، ثم نشرها الجهم بن صفوان

والجهم بن صفوان أيضًا قيض الله به من يقتله؛ حيث قتله سلم بن الأحوز أمير خراسان بها؛ ولهذا سمى المؤلف أحمد بن حنبل -رحمه الله- هذه الرسالة (الرد على الجهمية والزنادقة).

الزنادقة جمع زنديق، ويطلق الزنديق على الملحد الجاحد للخالق، والمتحلل من الأديان، ويطلق على المنافق زنديق، كما ذكر شيخ الإسلام وغيره: كان السابقون يسمونه منافقا، وهو الذي يبطن الكفر ويظهر الإيمان، ثم اصطلح المتأخرون على تسميته بالزنديق، وهي كلمة فارسية معربة فهي تطلق على الجاحد المعطل المتحلل من الأديان، وتطلق على المنافق؛ ولهذا ذكر أهل اللغة -كما في المصباح المنير- قالوا: إن الزنادقة جمع زنديق وهو الذي لا يتمسك بشريعة، ويقول بدوام الدهر، وفي التهذيب للأزهري بأنه الذي لا يؤمن بالآخرة، ولا بوحدانية الخالق، هذا هو الزنديق.

إذًا الزنديق: يطلق على الملحد الجاحد المعطل، ويطلق على المنافق الذي يبطن الكفر ويظهر الإيمان والإسلام.

وقول المؤلف يقول: "الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل" الزمان: معروف جمع أزمنة وهو الوقت، ويطلق على الوقت القليل والكثير، والسنة أربع أزمنة وهي الفصول الأربعة: الربيع والخريف والشتاء والصيف.

فالزمان: هو الوقت، والفترة: هي الانقطاع، والمعنى "على فترة من الرسل" يعني: على انقطاع بعثهم، ودروس أعلام دينهم. وتطلق الفترة على ما بين الرسولين، ما بين عيسى ومحمد -عليهما الصلاة والسلام- يسمى فترة "الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم" يعني: في الوقت الذي يكون فيه انقطاع واندراس أعلام الدين يقيض الله من أهل العلم بقايا يدعون الناس إلى الخير.

جاء في معنى كلام الإمام أحمد -رحمه الله- حديث: إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها وهو حديث لا بأس بسنده، رواه أبو داود وغيره، فهذا يؤيد ما ذكره الإمام -رحمه الله- في هذه الخطبة.

"الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم" كلما اندرس الدين وضعف وحصل انقطاع ودروس من أعلام الدين فإن الله يهيئ من أهل العلم بقايا يدعون الناس إلى الحق ويبصرونهم ويردونهم إلى الصواب.

فالفترة: هي الانقطاع يقال: فتر عن العمل أي: انكسر حدته، وفتر عن الحر: إذا انكسر، والفترة من الرسل يعني: انقطاع ودروس أعلام الدين، ففي هذا الوقت يقيض الله للناس من يجدد دينهم ويدعوهم إلى الهدى؛ ولهذا قال الإمام أحمد بن حنبل –رحمه الله– "الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم، يدعون من ضل إلى الهدى" يدعون الضال إلى الهدى، ويردونه إلى الصواب.

والضلال: هو الانحراف عن شرع الله ودينه يقال له: ضلال، والهدى: هو العلم النافع، والعلم النافع هو المأخوذ من الكتاب والسنة، فالذين انحرفوا عن الحق وعن جادة الصواب يدعوهم هؤلاء البقايا من أهل العلم في وقت زمان الفترة، يدعونهم إلى الهدى إلى العلم المأخوذ من كتاب الله وسنة رسوله –صلى الله عليه وسلم، "ويصبرون منهم على الأذى"، هكذا شأن الدعاة والمصلحين يتأسون بالرسل –عليهم الصلاة والسلام– يصبرون على الأذى؛ لأن الداعية إذا دعا الناس إنما يقف في وجوه الناس ويصدهم عن رغباتهم وأهوائهم وشهواتهم، وهم لا يرضون بذلك، فلا بد أن يؤذوه إما بالقول أو بالفعل، فلا بد من الصبر، فإذا لم يتسلح الداعية أو العالم بسلاح العلم فإنه لا يستطيع أن يقوم بالدعوة، لا بد من الصبر؛ ولهذا قال الله سبحانه في كتابه العظيم: وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ والصبر لا بد منه في أداء الفرائض والواجبات، ولا بد منه في ترك المحرمات، ولا بد منه في الدعوة إلى الله، من لم يصبر لا يستطيع أن يقوم بالدعوة.

ولهذا قال الإمام أحمد –رحمه الله–: إن هؤلاء العلماء هم البقايا من أهل العلم في الزمان الذي تندرس فيه أعلام الدين، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يصبرون إذا سبوهم أو شتموهم أو ضربوهم، ولا بد من الصبر تأسيًا بالرسل.

الرسل –عليهم الصلاة والسلام– أوذوا وصبروا، كما في الحديث الصحيح عن النبي –صلى الله عليه وسلم– يحكي نبيًّا ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون .

ونوح –عليه الصلاة والسلام– أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، مكث يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا يدعوهم ويصبر هذه المدة الطويلة وهم يردون عليه ردًّا سيئًا، ويقابلونه مقابلة سيئة، ويقولون: إنه مجنون حتى أخبر الله عنه أنه قال: رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا .

هكذا كان نبينا –عليه الصلاة والسلام– يصبر، وأولو العزم لهم من القوة والصبر والتحمل والجلد ما ليس لغيرهم، حتى قال الله لنبينا –صلى الله عليه وسلم–: فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ فنبينا –عليه الصلاة والسلام– صبر صبرًا عظيمًا، دعا قومه بمكة ووضعوا سلا الجزور على ظهره وهو ساجد، وأتاه أبو جهل مرة فخنقه –عليه الصلاة والسلام– حتى جاء أبو بكر وأطلقه وقال: أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وكسرت رباعيته يوم أحد، وجُرحت وجنتاه، وسال الدم على وجهه –عليه الصلاة والسلام–.

فالصبر لا بد منه، فالصبر هو الذي يتحلى به الرسل والدعاة والمصلحون أسوة برسل الله، ومنزلة الصبر من الدين كمنزلة الرأس من الجسد، من لا صبر له لا دين له؛ ولهذا قال:" ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى" هؤلاء

العلماء أتباع الرسل يحيون بكتاب الله الموتى؛ لأن الكافر ميت القلب، فإذا أسلم وآمن وقرأ كتاب الله وآمن به أحياه الله، قال تعالى: أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا .

فالكافر ميت القلب، وإن كان يمشي بين الناس؛ لأن الحياة الحقيقية حياة القلب؛ ولهذا سمى الله القرآن روحًا؛ لتوقف الحياة الحقيقية عليه، وسماه نورًا؛ لتوقف الهداية عليه، قال الله سبحانه: وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ؛ ولهذا قال الإمام أحمد –رحمه الله–:"يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى".

وهكذا الجاهل والضال والكافر أعمى القلب وإن كان يبصر؛ لأنه لا يرى الحق ولا يعمل به، والعمى في الحقيقة عمى القلب ليس عمى البصر؛ لأن الإنسان إذا عمي بصره وقلبه حيّ ودينه مستقيم فلا يضره، قال تعالى: فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ وقال سبحانه: كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ .

يقول الإمام أحمد –رحمه الله–: " فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه" كم: للتكثير كم من قتيل كم من شخصٍ قتله إبليس فأحياه أهل العلم، كيف قتله إبليس؟ قتله: يعني: قطع رقبته بالسيف؟ لا. بل قتله بالإضلال، قتل روحه وقتل قلبه وقتل اعتقاده، قتله بأن سوّل له الكفر، سوّل له الضلال، سول له الانحراف، فكان بذلك قتيلًا لإبليس، هذا هو القتيل الحقيقي.

القتيل: هو الذي قتل قلبه، وهو الذي أزيل اعتقاده، ولم يعتقد اعتقادًا صحيحًا في الله وأسمائه وصفاته هذا هو القتيل، أما القتيل قتيل الجسد وعقيدته سليمة وأعماله مستقيمة لا يضره إذا كان مظلوما يكون شهيدا، لكن المصيبة قتيل الروح والاعتقاد والدين.

"فكم من قتيل" يعني: قتيل قُتِلَ دينه واعتقاده وتفكيره السليم، "فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه " يعني: ما أكثر الذين قتلهم إبليس وأحياهم العلماء؛ لأن "كم" هنا للتكثير، كما قال سبحانه: كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ يعني: كثيرا.

"فكم من قتيل لإبليس قد أحياه العلماء، وكم من تائهٍ ضالٍّ قد هدوه" يعني: كثير من الضلّال الذين ضلوا عن الصواب وتاهوا عن طريق الحق قد هداه أهل العلم، ما أكثرهم! يعني: يقول الإمام أحمد ما أكثر الذين قتلهم إبليس فأحياه أهل العلم، وما أكثر الذين ضلوا عن الصواب وتاهوا عن الحق والهدى قد هداهم أهل العلم، هدوهم يعني: دَعَوْهُمْ إلى الحق، وبينوا لهم، وأوضحوا لهم، فهداهم الله بسببهم، "فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر الناس عليهم!" فما أحسن أثر العلماء على الناس! وما أقبح أثر الناس على العلماء!.

قوله: "فما أحسن أثرهم " يعني: العلماء على الناس، "وأقبح أثر الناس عليهم " أي: على العلماء، "ما أحسن" للتعجب.

ما هو أثر العلماء على الناس؟ دعوتهم وإرشادهم وتنبيههم والنصيحة لهم، ينقذونهم من ظلمات الشرك والجهل والبدعة إلى نور العلم واليقين والسنة، هذا أثرهم الحسن.

فهم ينقذونهم من الضلالة، ينقذونهم من الكفر، ينقذونهم من البدعة، هذا أثر عظيم يفوق إطعامهم وكسوتهم والنفقة عليهم؛ لأن الإطعام والكسوة والنفقة معروف فضلها، لكن هذه نفقة وإطعام وكسوة للجسد، والجسد في هذه الدنيا يهيئ الله له

من يقيم أوده، ولكن التعليم والإنقاذ من الجهل والكفر والضلال والبدعة هذا أمر عظيم يفوق الإحسان إلى الناس بالمال.
ولهذا قال الإمام أحمد "وما أحسن أثرهم على الناس" وبالمقابل قال: "وأقبح أثر الناس عليهم" أثر الناس على العلماء هو أنهم يؤذون العلماء ولا سيما الجهال، فهم يسبونهم يشتمونهم ويرمونهم بالبدعة، وقد يقتلونهم حتى الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- ماذا فعل بهم أقوامهم وهم مقدمة العلماء وهم أعلم الناس بالله -عز وجل- إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ الأنبياء والرسل -عليهم الصلاة السلام- هم أعلم الناس بالله، ثم أتباعهم من بعدهم، وأثر الناس على الأنبياء ضربوهم وجرحوهم وشتموهم وقتلوا بعضهم.
قال تعالى: فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ زكريا -عليه الصلاة السلام- قُتِلَ، ويحيى -عليه الصلاة والسلام- قُتِل، أثر الناس عليهم قبيح وسيئ؛ لأنهم دعوهم إلى الله، وهم بدعوتهم إلى الله ينقذونهم من الجهل والكفر بعض الأنبياء ضربه قومه حتى أدموه.

وبعض العلماء سُجِن، وبعض العلماء ضُرب بالسياط كالإمام أحمد -رحمه الله-، ضرب وسُحِب وسُجِن هذا أثر الناس على العلماء.
أما أثر العلماء على الناس فهو حسن؛ ولهذا قال الإمام أحمد " ما أحسن أثر العلماء على الناس وأقبح أثر الناس عليهم".
أثر الناس على العلماء سيئ بالقتل والضرب والسجن والإيذاء والشتم والرمي بالبدعة والتكفير إلى غير ذلك.
وأما أثر العلماء على الناس فالدعوة والإرشاد والإيضاح والإنقاذ من الجهل؛ لذا قال الإمام أحمد "ما أحسن أثرهم أي العلماء على الناس، وما أقبح أثر الناس عليهم أي: العلماء".
ثم قال -رحمه الله- يبين وصف العلماء وأعمالهم الجليلة قال: "ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين" هذه من أعمالهم، النفي: الإزالة أي: يزيلون ويبعدون عن كتاب الله تحريف الغالين.
والتحريف: التغيير والتبديل، وتحريف الكلام أن يعدل به عن جهته. وقول الله تعالى: إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أي: إلا مائلًا لأجل القتال لا مائلًا للهزيمة، وتحريف الكتاب يكون باللفظ ويكون بالمعنى، قد يحرف اللفظ وقد يحرف المعنى، فمن تحريف اللفظ تحريف بعض الجهمية قوله تعالى: وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا بنصب لفظ الجلالة حتى يكون الله هو المُكلَّم، وموسى المُكَلِّم، فهم بهذا ينفون الكلام عن الله.
ومن تحريف المعنى تحريف بعض الجهمية لما استدل عليهم بعض أهل السنة على إثبات الكلام بقوله سبحانه: وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا قال الجهمي: "وكلم الله هو المُكَلَّم ولا يتكلم. فقال له: كيف تفعل بقول الله -عز وجل-: وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ فقال: جرحه بأظافير الحكمة، هذا تغيير للمعنى من الْكَلْم يعني: الجرح، ومنه قول العرب: فلانٌ كَلْمه يدمي أي: جرحه.
ومن ذلك أيضًا تحريف الجهمية والمعتزلة لمعنى قوله: استوى باستولى.
وكذلك تحريفهم معنى الرحمة بإرادة الإنعام، والغضب بإرادة الانتقام، والرضا بإرادة الثواب.
فالعلماء ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، الغالي: هو الشيء الذي يزيد عن الحد، يقال له: غالي، يقال: غلا في الدين غلوًّا: من باب تصلب وشدد يقال: غلا في الدين، ومنه قول الناس: غلا السعر، أي: ارتفع، وغلت القدر، وغلا في الأمر

غلوًا أي: جاوز الحد، ومنه قول الله تعالى: لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ .

فالغلاة في هذا: الذين يغلون كثيرون منهم من غلا في الصفات، ومنهم من غلا في القَدَر، ومنهم من غلا في الصحابة فمثلًا: الجهمية والمعتزلة ينفون الصفات عن الله -عز وجل- والأسماء، هذا تعطيل وتقسيم بزعمهم أنهم ينزهون الله، هذا غلو في التنزيه، هذا يصلح مثال غلو في التنزيه، قالوا -بزعمهم-: نحن الآن نريد أن ننزه الله، كيف تنزهون الله؟ قالوا: لو أثبتنا لله أسماء وصفات لشابه المخلوقين، فنحن ننزه الله عن مشابهة المخلوقين، فننفي الأسماء والصفات.

نقول: هذا غلو في التنزيه زدتم عن الحد، التنزيه أن يقال: إن الله لا يشبه أحد المخلوقين في أسمائه وصفاته، لكن لا تنفوا عنه الصفات، له أسماء وله صفات -سبحانه وتعالى - تليق بجلاله وعظمته، لا تشبه صفات المخلوقين، لا يشابه الله أحدًا من خلقه لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله، أما هؤلاء غلوا فزادوا حتى نفوا الأسماء والصفات عن الله، فالعلماء ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين.

كذلك أيضًا المشبّهة الذين غلوا في الإثبات، قالوا: نحن نثبت لله الأسماء والصفات، لكن نقول: لله أسماء وصفات مثل صفات المخلوقين، ومثل أسماء المخلوقين، وأن الله يعلم كعلمنا ويقدر كقدرتنا، ويرى كرؤيتنا.

قالوا: إن الله مثل الإنسان على صورة الإنسان، حتى قال غلاتهم -من الشيعة الغلاة الكفرة-: إن الله يندم ويحزن ويبكي، وأنه ينزل عشية عرفة ويُسامر ويُحاضر ويُصافح، وينزل عشية عرفة على جمل -قبحهم الله- وأغلبهم من غلاة الشيعة كفرة. هذا غلوّ، زادوا غلوا في الأسماء والصفات حتى قالوا: إن الله مثل المخلوقين-تعالى الله عن ذلك-، فهذا الغلو ينفيه أهل العلم، هذا معنى قول الإمام أحمد ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين".

كذلك القَدَرية القَدَرية طائفتان: النفاة والغلاة، فالنفاة يقولون: إن الله تعالى لم يقدر أفعال العباد وأن العباد خالقون لأفعالهم، هذا غلو في إثبات أفعال العباد، ويستدلون بالمتشابه، كما قال الإمام أحمد حتى قالوا: إن العباد خالقون لأفعالهم ويستدلون بمثل قوله تعالى: فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ .

ويقولون: إن العبد يستحق الثواب على الله، كما يستحق الأجير أجره؛ لأنه هو الذي خلق فعله؛ لقوله تعالى: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ كما أن العاصي الذي يموت على الكبيرة يجب على الله أن يعذبه به وأن يخلده في النار، هكذا أوجبوا على الله، هذا غلوّ.

وهناك القدرية الجبرية الذين يقولون: إن العبد مجبور على أفعاله، وأنه ليس له أفعال، وأفعاله كلها اضطرارية، كحركات المرتعش والنائم، ونبض العروق، فهؤلاء غلاة، هؤلاء غلو في إثبات أفعال العباد، حتى قالوا: إن العباد خالقون لأفعالهم. وأولئك غلوا في سلب العبد لأفعاله، حتى قالوا: إنه لا أفعال له، وأن أفعاله كلها اضطرارية، فهذا غلو وهذا غلو، فالعلماء ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين.

إذًا هذا كله من التحريف، كله من الغلو الذي ينفيه العلماء عن كتاب الله -عز وجل، وهؤلاء وهؤلاء كلهم يستدلون بالقرآن، لكن كما قال الإمام أحمد يستدلون بالمتشابه، ويشككون الناس، ويتأولون القرآن على غير تأويله؛ ولهذا قال الإمام أحمد -رحمه الله-: "ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين"، انتحال نسبة الشيء، وهو أن ينسب إليه شيءٌ ليس فيه؛ ولهذا في اللغة: نحلته القول: إذا أضفت إليه قولًا قاله غيره وادعيته عليه، ونحله القول: -في القاموس- نحله

القول: كمنعه نسبه إليه، فالمبطلون ينسبون للقرآن ما ليس منه كما سيأتي في الأمثلة الكثيرة التي يذكرها الإمام أحمد –رحمه الله– أنهم يقولون مثلًا: إن في القرآن أن الناس يُعَذَّبون بغير جرم يستدلون بمثل قوله تعالى: بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا .

هذا من المتشابه، هذا من نسبة المبطلين للقرآن ما ليس منه يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ قالوا: إن القرآن فيه أن هناك أرضا ثانية غير هذه الأرض، ويستدلون بالآية مثلًا، وسيأتي الجواب على هذا.

هذا من الباطل الذي نسبه المبطلون إلى القرآن، فالعلماء ينفون عن القرآن انتحال المبطلين.

أرجو بيان توجيه أهل السنة لهذين الحديثين: قوله –صلى الله عليه وسلم–: أما إنك لو زرته لوجدتني عنده ما مفهوم العندية هنا؟

الحديث هذا سيأتي أوله يقول الله تعالى في الحديث القدسي: مرضت فلم تعدني قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلانًا مرض فلو عدته لوجدت ذلك عندي، عبدي جعت فلم تطعمني، قال: كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي جاع فلو أطعمته لوجدت ذلك عندي، عبدي استسقيتك فلم تسقني، قال: كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي استسقاك فلو أسقيته لوجدت ذلك عندي .

فالحديث صريح بأن الله لم يمرض، ولم يأكل، ولم يشرب، وإنما العبد هو الذي مرض وطعم وسقي، ومعنى وجدت ذلك عندي أي: ثواب ذلك عندي وإلا فالله مستوٍ على عرشه، بائنٌ من خلقه، وهذه نصوص محكمة، النصوص التي فيها إثبات العلو وأن الله فوق العرش يقول العلماء: أكثر من ثلاثة آلاف نص كلها تدل على أن الله في العلو، وأن الله فوق السماوات، ولا يتعلق بمثل هذا الحديث المتشابه إلا أهل الزيغ، كما قال الله تعالى: فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فالحديث صريح في أن الله ما مرض، ولا طعم ولا شرب، وإنما هذه من العبد أما علمت أن عبدي مرض؟ أما علمت أن عبدي جاع؟ أما علمت أن عبدي استسقى؟ فالعبد هو الذي مرض وهو الذي جاع، وهو الذي استسقى، لوجدت ذلك عندي يعني: ثوابه.

هل الجهمية كفار؟

ذكر ابن القيم أنه كفرهم خمسمائة عالم قال:

ولقد تقلد كفرهم خمسون في

عشر من العلماء في البلدان

واللالكائي الإمام قد حكاه عنهمُ

بل قد حكاه قبله الطبراني

ومن العلماء من كفر الغلاة، منهم من كفرهم بإطلاق، ومنهم من بدعهم، ومنهم من كفر الغلاة دون العامة، وهذا القول وسط له وجاهته، لا بد من قيام الحجة وإلا العلماء لهم نصوص كثيرة في تكفير الجهمية

هل الإباضية من الزنادقة ؛ لأنهم يؤولون الصفات، وما حكم الصلاة خلفهم؟

الإباضية طائفة من الخوارج والمعروف عند جمهور العلماء أن الخوارج مبتدعة وليسوا كفارًا، كما نقل ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وقال: إن الصحابة عاملوا الخوارج معاملة المبتدعة ولم يعاملوهم معاملة الكفار. سُئِلَ الإمام علي –رضي الله عنه–

عن الخوارج أهم كفار؟ قال: من الكفر فروا.

فالمشهور عند جمهور العلماء أنهم مبتدعة، وبعض العلماء كفرهم، واستدل بالأحاديث التي فيها عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أمر بقتلهم قال: يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية وفي بعضها: يمرقون من الدين ثم لا يعودون إليه وفي بعضها: لئن لقيتهم لأقتلنهم قتل عاد شبههم بقوم عاد وهم قوم كفار، والأحاديث في الصحيحين وفي غيرهما فاستدل بعض أهل العلم بكفرهم بهذه الأحاديث وهي أحاديث قوية، لكن الجمهور على أنهم مبتدعة، وعليه عمل الصحابة كما بين ذلك شيخ الإسلام وغيره من أهل العلم.

بعض المتعالمين في بلدنا يقول: إن الأمة الآن محتاجة للتكاتف والتجمع، وبعض الشباب –هداهم الله– يسهرون الليل وهم يدرسون ويقولون: إن الله فوق العرش، وإن الله له يد، ويقول ذلك مستهزئًا، فما ردكم على مثل ذلك؟

الأمة محتاجة للاجتماع على الحق لا الاجتماع على الباطل، والحق لا يكون إلا باعتقاد صحيح، ولا بد للمسلم أن يعتقد أن الله فوق العرش، وأن الله له يد، من لم يعتقد أن الله فوق العرش فهو كافر، كيف تجتمع الأمة بدون عقيدة؟! لا بد من الاجتماع على الحق، الاجتماع على الباطل لا يفيد، الكفار ما أكثرهم!.

لا بد من الاجتماع على الحق، والذي يقول هذا يخشى عليه من الردة إذا كان يستهزئ بالصفات، نسأل الله السلامة والعافية.

هل بيان الأخطاء والتحذير منها من منهج السلف الصالح؟

نعم، يُبين الخطأ ويرد على المبطل، ما زال العلماء يردون قال الإمام مالك ما منا إلا راد أو مردود عليه إلا رسول الله –صلى الله عليه وسلم–.

لا بد من بيان الحق، لكن مع التأدب مع العلماء، فالعالم إذا تكلم بكلام وأمكن مناصحته فهذا طيب، أما إذا نشر شيئا فلا بد أن يرد منشورا، إذا لم يرجع هو وينشر نقضًا للباطل الذي نشره، فلا بد أن يرد عليه حتى يرد الباطل بالحق، أما كون الإنسان يتتبع سقطات العلماء أو زلات العلماء فهذا شيء آخر في الكتب وفي غيرها، لكن التنبيه لا بد منه.

الصفات الذاتية والفعلية التي لم تثبت لله –تعالى– لا في الكتاب ولا في السنة فهل لنا أن ننفيها أم نثبتها أم نتوقف مثل الفم والشفتين والحيز والجهة وغيرها أحسن الله إليكم؟

الذي لم يثبت في الكتاب ولا في السنة ليس من الصفات، ما يقال: ذاتية ولا فعلية قاعدة عند أهل العلم الصفات توقيفية أي: يوقف فيها على الكتاب والسنة، ما جاء في الكتاب والسنة إثباته وجب إثباته، وما جاء في الكتاب والسنة نفيه وجب نفيه، وما لم يرد لا في الكتاب ولا في السنة نتوقف فيه، ما نثبته ما نقول: إثبات فم ولسان وشفتين، لا بد من دليل، الصفات توقيفية، أما ما يطلقه أهل البدع من الجسم والحيز والعرض وغيرها، هذه يُتوقف فيها، لا يطلقونها لا نفيًا ولا إثباتًا، ومن أطلقها يُسأل عن مراده، إن أراد حقا قبل الحق ولكن يقال: عبر بالتعبيرات التي جاءت بها النصوص، وإذا أراد باطلًا رُد **اللفظ والمعنى** جميعًا.

فضيلة الشيخ يقولون: إن الإمام النووي –رحمه الله– كان أشعريًّا فهل هذا صحيح؟

نعم مشى على طريقة الأشاعرة وكذلك الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في تأويل الصفات، وقد لا يكون أشعريًّا يتمذهب بالأشعرية، ولكن في مسألة الصفات شرح صحيح مسلم مشى نفي الصفات وكذلك الحافظ ابن حجر ولكن هؤلاء العلماء الكبار السبب في هذا أنهم ما وفقوا منذ الصغر في وقت الطلب لمن ينشئهم على معتقد أهل السنة والجماعة وظنوا أن هذا هو الحق وأن هذا هو التنزيه، ونسأل الله أن يغفر لنا ولهم، وأن يكون هذا الخطأ مغفورا في بحور حسناتهم الكثيرة فإنهم علماء وأئمة وفطاحل من أهل العلم، لكن حصلت لهم هذه الغلطات وهذه الهفوات لا عن عمد؛ ظنا منهم أن هذا هو الحق بسبب أنهم نشئوا على هذا المعتقد معتقد الأشاعرة وظنوا أن هذا هو الصواب.

حديث: إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن هل في ذلك دليلٌ على الحلول؟

ليس في هذا دليل على الحلول، كما يليق بجلال الله وعظمته، والبينية أمرها واسع، أمَا تقرأ قول الله تعالى: وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ هل هناك ملامسة؟ السحاب بين السماء والأرض بينية، لا يلزم من البينية الملامسة، ولا يلزم من ذلك الحلول، أين السحاب من السماء؟ وأين هو من الأرض؟ هل السحاب حال في السماء أو حال في الأرض؟ لا.

ملاحظة: لم تكتب مناقشة الشيخ للطلاب؛ لأنها مذكورة في الشرح.

"الحمد لله" الله أعرف المعارف، وهو لفظ الجلالة، وأصل الله: الإله، سُهّلت الهمزة، ثم التقت اللام واللام فشددا. الله: علم على الذات المقدسة، علم على الرب -سبحانه وتعالى- ، لا يسمى به غيره، وهو مشتق من الألوهية، أَلَهَ يأْلَه: إذا عبد، أله يأله إلهةً: عبد يعبد عبادة، فالله هو الاسم على الذات العلية، أعرف المعارف، كل أسماء الله -سبحانه وتعالى- مشتقة مشتملة على الصفات، تدل على صفة الألوهية، "الله": اسم للإله وهو يدل على صفة الألوهية مثل الرحمن: اسم مشتمل على صفة الرحمة، العليم: اسم مشتق من صفة العلم، قدير: اسم مشتق من صفة القدرة وهكذا.

وأسماء الله قسمان: قسم خاص به لا يسمى به غيره، وقسم مشترك الله خاص به لا يسمى به غيره -سبحانه وتعالى-، علم على الرب -سبحانه وتعالى-، الرحمن: كذلك علم لا يسمى به غيره؛ ولهذا لما تسمى مسيلمة الكذاب بالرحمن لزمه ولصق به وصف الكذب، فلا يطلق مسيلمة إلا ويوصم بالكذب، فيقال: مسيلمة الكذاب ؛ لأنه تسمى بالرحمن -قبحه الله- وهو كذاب.

والأسود العنسي ادعى النبوة باليمن لكن لا يقال ولا لصقه اسم الكذب، لا يقال: الأسود العنسي الكذاب وهو كذاب، لكن لزم مسيلمة ؛ لأنه تسمى باسم الرحمن، فلا يقال إلا: مسيلمة الكذاب

مالك الملك، خالق الخلق، النافع الضار المحيي المميت، هذه كلها أسماء خاصة بالله. وهناك أسماء مشتركة مثل العزيز العليم الحي القدير السميع البصير، كل هذه مشتركة تطلق على الله وعلى غيره: قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وهكذا.

يقول الإمام أحمد في خطبته: "الحمد الله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم".

الزمان: يطلق على الوقت القليل والكثير، "فترة" المراد بالفترة تطلق على ما بين الرسولين، والمراد على فترة من الرسل: انقطاع بعثهم، واندراس أعلام دينهم، وهذا فيه إشارة للحديث: إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها .

"يدعون من ضل إلى الهدى" هذه خصلة ووظيفة الرسل وأتباعهم،يدعون من ضل إلى الهدى.
"ويصبرون منهم على الأذى"، لأن الداعية والعالم والمصلح -وقبلهم الرسل -عليهم الصلاة والسلام- لا بد أن ينالهم أذى، إما بالقول أو بالفعل، فلا بد من الصبر، فإذا لم يصبر العالم أو الداعية فإنه لا يستطيع أن يقوم بواجبه؛ ولهذا قال: "ويصبرون منهم على الأذى".
"يحيون بكتاب الله الموتى" هذا وصف العلماء يحيون بكتاب الله الموتى، هل الناس موتى؟
نعم الجهل موت، قال الله تعالى: أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ؛ لأن الحياة الحقيقية هي حياة الروح والقلب؛ ولهذا سمى الله القرآن روحًا؛ لتوقف الحياة الحقيقية عليه: وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ؛ ولهذا قال: "يحيون بكتاب الله الموتى".
"ويبصرون بنور الله أهل العمى" هل الناس عُمي؟ نعم الجاهل أعمى ولو كان يبصر بعينيه؛ لأن البصيرة هي البصر في الحقيقة، بصيرة الإنسان وعلمه هو النور الحقيقي؛ ولهذا سمى الله تعالى كتابه نورا قال: وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ .
"فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه" يقول الإمام أحمد في خطبته: "فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه" هل إبليس يقتل الناس؟ نعم يقتل، بأي شيء يقتلهم؟ بإضلالهم وتسويل الشرك والمعاصي، فمن زين له الشيطان الشرك وأطاعه فقد قتله، والمعاصي قتل نسبي ليس قتلًا كاملًا، القتل الكامل هو قتله بالشرك، والمعاصي وسيلة إلى القتل الكامل؛ ولهذا قال: "فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه" يعني: العلماء أحيوا كثيرا ممن قتلهم إبليس من المشركين وعباد الأوثان، دعوا عباد القبور والأوثان وهم قد قتلهم إبليس، فدعوهم إلى الله فآمنوا ووحدوا وأخلصوا العبادة فأحيوهم أنقذوهم أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ أنقذوهم بتوفيق الله وهدايته، وكذلك العصاة والمبتدعة أنقذوهم منه؛ ولهذا قال: "كم"، كم: للتكثير. "فكم قتيل لإبليس قد أحيوه".
"وكم من ضال تائه قد هدوه" أي: كثير من الضلال الذين تاهوا عن الحق وضلوا الطريق المستقيم من المشركين والمبتدعة والضلّال العصاة قد هدوه، وبينوا لهم طريق الحق وطريق الصواب فاهتدى بإذن الله.." (١)

"وقال الزركشي: (اعلم أن أسماء الله تعالى توقيفية لا تؤخذ قياسا واعتبارا من جهة العقول، وقد زل في هذا الباب طوائف من الناس) (١)، وقال السفاريني: (أسماؤه ثابتة عظيمة لكنها في الحق توقيفيه لنا بذا أدلة وفيه) (٢)، وقال جمال الدين الغزنوي: (وأسماء الله – عز وجل – تؤخذ توقيفا ولا يجوز أخذها قياسا) (٣)، وقال عضد الدين الإيجي: (تسميته تعالى بالأسماء توقيفية، أي يتوقف إطلاقها على الإذن فيه وذلك للاحتياط احترازا عما يوهم باطلا لعظم الخطر في ذلك) (٤) .
والأقوال في ذلك كثيرة يعز إحصاؤها وكلها تدل على أن عقيدة أهل السنة والجماعة مبنية على أن الأسماء الحسنى توقيفية، وأنه لا بد في كل اسم من دليل نصي صحيح يذكر فيه الاسم بلفظه، فدورنا حيال الأسماء الجمع والإحصاء ثم الحفظ والدعاء، وليس الاشتقاق والإنشاء، والذين قالوا بأن الأسماء الحسنى مشتقة من الصفات إنما يقصدون أنها تدل على

---

(١) شرح كتاب الرد على الزنادقة، ص/١٥

الصفات والأفعال، وأنها تلاقي مصادرها اللغوية في **اللفظ والمعنى** من حيث الاشتقاق، وأن الاسم في اللغة يشتق من الوصف والفعل أو العكس، لكن لا يحق لأحد أن يشتق هو بنفسه من الفعل الذي يراه أو الوصف الذي يختاره اسما لله – عز وجل –؛ فلا نسمي الله إلا بما سمى به نفسه في كتابه أو في سنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – .

والسؤال الذي يطرح نفسه بالضرورة كتعقيب على ذلك كيف نميز إذا الأسماء الحسنى التي ندعو الله بها؟ أو كيف يمكن للمسلم أن يتعرف عليها من الكتاب والسنة؟

---

(١) معنى لا إله إلا الله ص١٤١ .

(٢) العقيدة السفارينية ص٥٢ .

(٣) كتاب أصول الدين ص١٠٨ .

(٤) كتاب المواقف ٣/٣٠٦ .." [1]

"وقد ذكر القاضي أبو بكر بن العربي بطلان مثل هذا الكلام فقال: (ومن الباطل علم الحروف المقطعة في أوائل السور) (١) .

وقال الإمام السيوطي: (وقد تحصل لي فيها عشرون قولا وأزيد، ولا أعرف أحدا يحكم عليها بعلم، ولا يصل منها إلى فهم، والذي أقوله إنه لولا أن العرب كانوا يعرفون أن لها مدلولا متداولا بينهم لكانوا أول من أنكر ذلك على النبي – صلى الله عليه وسلم – ، بل تلي عليهم حم فصلت وص وغيرهما فلم ينكروا ذلك، بل صرحوا بالتسليم له في البلاغة والفصاحة مع تشوفهم إلى عثرة وغيرها وحرصهم على زلة؛ فدل على أنه كان أمرا معروفا بينهم لا إنكار فيه) (٢) .

ولا يعني القول باشتراط دلالة الاسم على الوصف جواز اجتهاد الشخص في اشتقاق الأسماء من صفات الذات والأفعال؛ لأن الاشتقاق ليس من حق أحد إلا رب العزة والجلال، والمرجعية في ذلك إلى النص الشرعي دون القياس العقلي أو التلاقي اللغوي .

وليس مراد من قال من أهل العلم بأن أسماء الله مشتقة من الصفات والأفعال سوى أنها تلاقي مصادرها اللغوية في **اللفظ والمعنى**، لا أنها متولدة منها وصادرة عنها صدور الفرع عن أصله، وتسمية النحاة المصدر والمشتق منه أصلا وفرعا ليس معناه أن أحدهما تولد من الآخر؛ وإنما هو باعتبار أن أحدهما متضمن للآخر وزيادة فالاشتقاق هنا ليس اشتقاقا ماديا أو تشبيهيا يحكم فيه على أسماء الخالق بما يحكم أسماء المخلوقين، وإنما هو اشتقاق لغوي متلازم بين الاسم والفعل والوصف؛ ولا محذور في القول باشتقاق أسماء الله الحسنى على هذا المعنى، مع التنبيه على أن حق التسمية تكون المرجعية فيه إلى تسمية الله لنفسه أو تسمية نبيه – صلى الله عليه وسلم – ، وأن الأسماء الحسنى أزلية أولية بأولية الذات (٣) .

---

(١) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ٢/٢٦ .

---

(١) أسماء الله الحسنى في الكتاب والسنة، ١/١٠

(٢) السابق ٢/٢٦ .

(٣) انظر بتصرف شرح قصيدة ابن القيم ١٢/١ .." [1]

"لكن المسلم الموحد صاحب العقيدة الصحيحة لا يجوز له أن يشتق لله من أوصافه وأفعاله ما يشاء من الأسماء، لأنها توقيفية على النص كما سبق، ولأن دورنا حيال أسماء الله الحسنى الإحصاء، ثم الحفظ والدعاء، وليس الاشتقاق والإنشاء، ولعل هذا ما يعنيه من قال من العلماء بأن الأسماء مشتقة من الصفات كقول ابن القيم رحمه الله: (أسماؤه مشتقة من صفاته وصفاته قديمة به فأسماؤه غير مخلوقة) (١)، وكذلك قوله: (والرب تعالى يشتق له من أوصافه وأفعاله أسماء، ولا يشتق له من مخلوقاته وكل اسم من أسمائه فهو مشتق من صفة من صفاته أو فعل قائم به، فلو كان يشتق له اسم باعتبار المخلوق المنفصل؛ فإنه يسمى متكونا ومتحركا وساكنا وطويلا وأبيض وغير ذلك لأنه خالق هذه الصفات، فلما لم يطلق عليه اسم من ذلك مع أنه خالقه علم إنما يشتق أسمائه من أفعاله وأوصافه القائمة به، وهو سبحانه لا يتصف بما هو مخلوق منفصل عنه ولا يتسمى باسمه) (٢) .

الجانب الثالث: إذا نظرنا إلى اشتقاق الأسماء والصفات من الجانب اللغوي، فمن جهة اللغة واشتقاق الألفاظ يصح القول بأن الأسماء الحسنى مشتقة من الصفات والأفعال، وأنها ملاقية لمصادرها في **اللفظ والمعنى**، وتسمية النحاة المصدر والمشتق منه أصلا وفرعا ليس معناه أن أحدهما تولد من الآخر، وإنما هو باعتبار أن أحدهما متضمن للآخر وزيادة، لا أن العرب تكلموا بالأسماء أولا ثم اشتقوا منها الأفعال؛ فإن التخاطب بالأفعال ضروري كالتخاطب بالأسماء لا فرق بينهما، فالاشتقاق هنا ليس اشتقاقا ماديا، وإنما هو اشتقاق تلازم يسمى المتضمن فيه مشتقا، والمتضمن مشتقا منه ولا محذور في اشتقاق أسماء الله تعالى بهذا المعنى (٣) .

---

(١) شفاء العليل ص ٢٧٧، ومدارج السالكين ١/٣٧ .

(٢) السابق ص ٢٧١ .

(٣) انظر بتصرف مجموع الفتاوى ١٧/ ٢٣١، وشرح قصيدة ابن القيم ١٢/١ .." [2]

"قال ابن القيم: (زعم السهيلي وشيخه ابن العربي أن اسم الله غير مشتق؛ لأن الاشتقاق يستلزم مادة يشتق منها واسمه سبحانه قديم لا مادة له فيستحيل الاشتقاق ولا ريب أنه إن أريد بالاشتقاق هذا المعنى فهو باطل، ولكن من قال بالاشتقاق لم يرد هذا المعنى ولا ألم بقلبه، وإنما أراد أنه دال على صفة له تعالى وهي الإلهية، كسائر أسمائه الحسنى من العليم والقدير فإنها مشتقة من مصادرها بلا ريب، وهي قديمة والقديم لا مادة له، فما كان جوابكم عن هذه الأسماء كان جواب من قال بالاشتقاق في الله تعالى، ثم الجواب عن الجميع أنا لا نعني بالاشتقاق إلا أنها ملاقية لمصادرها في **اللفظ والمعنى**، لا أنها متولدة منها تولد الفرع من أصله) (١) .

---

(١) أسماء الله الحسنى في الكتاب والسنة، ١/١٠٥

(٢) أسماء الله الحسنى في الكتاب والسنة، ١/٢٢١

ولولا أن الأسماء تتنوع في اشتقاقاتها اللغوية ومبانيها اللفظية لما ظهرت معاني التخاطب بين الإنسانية، والله – عز وجل – إنما أنزل القرآن بالعربية، والقرآن تضمن ذكر الأسماء والصفات الإلهية التي أراد من عباده أن يعرفوها ويدعوه بها، قال أبو هلال العسكري: (كل اسمين يجريان على معنى من المعاني وعين من الأعيان في لغة واحدة فإن كل واحد منهما يقتضي خلاف ما يقتضيه الآخر) (٢) .

والمدقق بعمق في أسماء الله الحسنى ودلالتها على معاني الكمال يجد أنه لا يوجد اسمان يتطابقان دلاليا سواء جاء الاختلاف من المعنى المعجمي للاسم حيث يختلف الاسمان في الجذر ويتقارب معناهما فيظن ترادفهما، أو جاء الاختلاف من المعنى الصرفي حين يتفق الاسمان في الجذر فيظن تكرارهما .

---

(١) بدائع الفوائد ٢٧/١، وانظر أيضا حول هذه النقطة الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٣٢٧، والفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ٢٣/٥، ودرء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٢٣١/١٠ .

(٢) الفروق اللغوية ص١١ .." [(١)]

"والله – عز وجل – لما علم آدم الأسماء فقال: ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ﴾ [البقرة:٣٢]، علمه الأسماء كألفاظ تدل بالمطابقة على تمييز الأشياء والعلم بخصائصها والتعرف على حقائقها ذاتا وصفة مطابقة وتضمنا والتزاما، وليس الذي تعلمه آدم – عليه السلام – كما يفهم البعض هو مجرد ألفاظ أو كلمات يستعملها هو وأبناؤه؛ بل إنه تعلم الشيء واسمه وخاصيته وأنواع دلالته مطابقة وتضمنا والتزاما، فالذي عرضه الله سبحانه على الملائكة أعيان الأشياء بذواتها وصفاتها وليست معاني أو كلمات لا مدلول لها ولا حقيقة، وإنما علم الله آدم الشيء المادي المحسوس الذي يمكن أن يحمل الاسم المعين، وكذلك تأثير كل شيء في غيره وما ينشأ عن ذلك من المعاني والعلوم، وهذا واضح بين بدليل أن الله جل شأنه قال بعد ذلك: ﴿ ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ﴾ [البقرة:٣٢] .

قال ابن القيم: (فكانت حكمة ذلك التعليم تعريف مراد المتكلم، فلو لم يحصل له المعرفة كان في ذلك إبطال لحكمة الله وإفساد لمصالح بني آدم وسلب الإنسان خاصيته التي ميزه بها على سائر الحيوان) (١) .

ودلالة المطابقة هي الدلالة الأصلية في الألفاظ التي وضعت لمعانيها، وهي تكشف عن نية القائل بمجرد صدور اللفظ؛ فلا يستفصل فيها عن مراده، وسميت بالمطابقة لمطابقة المعنى للفظ وموافقته، كقولهم طابق النعل النعل إذا توافقا، والمراد من تطابق **اللفظ والمعنى** هو عدم زيادة اللفظ على المعنى أو قصوره عنه (٢) .

---

(١) الصواعق المرسلة ٦٤٣/٢ .

---

(١) أسماء الله الحسنى في الكتاب والسنة، ٢٢٢/١

(٢) انظر بتصرف البحر المحيط للزركشي ٢/٢٧٢، وانظر أيضا شرح الكوكب المنير لتقي الدين أبي البقاء الفتوحي ص٣٥، وحاشية العطار على شرح الخبيصي لأبي السعادات حسن العطار ص٥٠ .." [١]

"٢ . أن أسماء الرب أعلام وأوصاف لا مجرد أعلام كما زعم ابن حزم ؛ بدليل قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [الأعراف : ١٨٠] ، ولا يصح كونها حسنى إلا إذا دلت على أكمل الصفات ، واستغرقت جميع الصفة التي اشتقت منها . وفي المقابل رأى ابن حجر وغيره رأوا أن المراد بأسماء الرب صفاته ؛ لأن الاسم يراد به بلغة العرب الصفة ؛ ولهذا يقال : طار اسمه في البلاد ؛ أي صيته ووصفه ! (٣٠) .

وهذا ليس بمسلّم أيضًا ؛ لأنّ أسماء الربِّ أعلام وأوصاف لا مجرّد أعلام كما قال ابن حزم ، ولا مجرّد أوصاف كما رأى ابن حجر ومن وافقه .

وقد صرحت النصوص بمصادر كثير من الأسماء ؛ كالعلم والقوة والرحمة ، قال تعالى : ﴿ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ ﴾ [النِّساء : ١٦٦] ، وقال : ﴿ ذُو الْقُوَّةِ ﴾ [الذّاريات : ٥٨] ، وقال : ﴿ ذُو الرَّحْمَةِ ﴾ [الكهف : ٥٨] ، وفي ذلك دلالة على أن أسماء الرب مشتقة من صفاته . بمعنى أنّها ملاقية لمصادرها في **اللّفظ والمعنى** لا أنّها متولّدة منها تولّد الفرع من أصله ؛ بحيث يسوغ إثبات ما لم يرد من الأسماء اشتقاقًا من صفات الربّ وأفعاله . فالعليم مشتق من العلم ، والقوي من القوة ، والرحيم من الرحمة ؛ ولولا ثبوت مصادر ما ورد من الأسماء الحسنى لانتفت حقيقتها ؛ بل لانتفت حقيقة الذات ؛ لأنه لا يمكن في الوجود الخارجي وجود ذات بلا صفات ؛ إذ قيام الصفات بالذات مقتضى الذاتية لا يختلف شاهداً ولا غائباً (٣١) !

وقد اعتبر علماء السلف إنكار حقائق الأسماء الحسنى ومعانيها من أعظم أنواع الإلحاد فيها ، ورأوا فيه مخالفة ظاهرة لما هو معلوم من الدين بالضرورة ؛ إذ لو كانت أعلاماً جامدة لكفى أحدها في الدلالة على الذات ، واعتبر سائرها لغواً لا فائدة منه ، ولما شرع في التوسل مراعاة الأسماء المناسبة للأدعية ، ولجاز أن يسمى الله بما اتفق من الأسماء حتَّى لو تضمن نقصاً (٣٢) ! .

(((( )." [٢]

"ص- ٢١٢- باب ما جاء في التطير (١)

....

(١) أي من النهي عنه والوعيد فيه، مصدر تطير يتطير، والطيرة اسم مصدر من تطير طيرة، كما يقال تخير خيرة، ولم يجيء في المصادر على هذه الزنة غيرها، والتطير التشاؤم بالشيء بما يقع من المرئيات أو المسموعات في قلوب أهل الشرك والعقائد الضعيفة، الذين لا يجعلون توكلهم على الله، وأصله التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظباء والعطاس والنجوم وغير ذلك، فكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم، فنفاه الشرع وأبطله، وأخبر أنه لا تأثير له في جلب نفع أو دفع ضر، وإنما هو خواطر وحدوس وتخمينات لا أصل لها. قال المدائني: ((سألت رؤبة بن العجاج ما السانح؟ قال: ما ولاك ميامنه، قلت: فما

---

(١) أسماء الله الحسنى في الكتاب والسنة، ١/٢٣٤

(٢) حقيقة المثل الأعلى، ص/١٤

البارح؟ قال: ما ولاك مياسره، والذي يجيء من خلفك فهو القاعد والقعيد)). ا هـ.
ومن العرب من يتشاءم بالبارح، ويتبرك بالسانح وبالعكس، ولم تكن قاطبة تعتقد هذا وتقول به، بل قد جاء عن بعضهم إنكاره ومنه:

وما أنا ممن يزجر الطير همه أطار غراب أم تعرض ثعلب

ولا السانحات البارحات عشية أمر سليم القرن أم مر أعضب

وغير ذلك مما هو مشهور عنهم، وفي الصحيح عنه –عليه الصلاة والسلام– حين سئل عنه قال: "ذلك شيء يجده أحدكم فلا يصدنه". وقال: "إذا تطيرت فلا ترجع". ولا يضر إلا من أشفق منه وخاف واعتنى به، فيكون أسرع إليه من السيل إلى منحدره، وتفتح له أبواب الوساوس فيما يسمعه ويراه، ويفتح له الشيطان من المناسبات القريبة والبعيدة في **اللفظ والمعنى** ما يفسد عليه دينه، وينكد عليه عيشه، ولما كان التطير من الشرك المنافي لكمال التوحيد الواجب؛ لكونه من إلقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته، ولكونه يتعلق القلب به خوفا وطمعا، ولكونه منافيا للتوكل على الله، واعتقاد نفع أو ضر بسبب طائر ونحوه، أفرده المصنف –رحمه الله– بالترجمة، وإن كان من الشرك الأصغر فهو من أقبح الشرك.

ص –٢١٣– وقول الله تعالى: ﴿ألا إنما." [1]

"دخل حديث بعضهم في بعض (١) أنه "قال رجل في غزوة تبوك (٢) ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا (٣)

....

= ابن حمير الأشجعي حليف بني سلمة، قال ابن إسحاق: قال: لوددت أني أقاضي على أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة، وأنا ننفلت أن ينزل فينا قرآن لمقالتكم هذه، وقال: يا رسول الله قعد بي اسمي واسم أبي، فكان الذي عناه بالآية، فسمي عبد الرحمن، وسأل أن يقتل شهيدا لا يعلم مكانه، فقتل يوم اليمامة فلم يوجد له أثر. وقوله: ﴿نعذب طائفة﴾ ١ أي لا يعفى عن جميعكم، ولا بد من عذاب بعضكم : ﴿بأنهم كانوا مجرمين﴾ ٢ أي بهذه المقالة الفاجرة الخاطئة.

(١) أي ما ذكر عنهم مجموعا من رواياتهم متقارب المعنى، وقد ذكره كذلك شيخ الإسلام، فلذلك دخل بعضه في بعض. ومحمد بن كعب أو ابن سليم بن أسد أبو حمزة القرظي من حلفاء الأوس، كان أبوه من سبي قريظة، روى عن جماعة من الصحابة، وعنه يزيد بن عجلان وموسى بن عبيدة وغيرهم، ثقة عالم. قال نافع: ما رأيت أحدا أعلم منه في تأويل القرآن، توفي سنة ١٢٠ هـ. وزيد بن أسلم هو العدوي مولى عمر، أبو عبد الله أو أبو أسامة المدني، ثقة عالم، روى عن أبيه وابن عمر وأبي هريرة وغيرهم، وعنه أولاده الثلاثة وغيرهم، قال نافع لعلي بن الحسين: تخطأ مجالس قومك لعبد عمر، فقال: إنما يجلس الرجل إلى من ينفعه في دينه، وأثر ابن عمر رواه ابن جرير وغيره بنحو هذا اللفظ، وأثر ابن كعب وزيد وقتادة معروف، لكن بغير هذا **اللفظ والمعنى** متقارب.

(٢) وكانت في رجب سنة ٩ هـ. قال ابن إسحاق: وقد كان جماعة من المنافقين منهم وديعة بن ثابت أخو بني أمية بن زيد بن عمرو بن عوف، ومخشي بن حمير الذي تاب الله عليه، وهو لم يقل ذلك، وإنما حضره.

---

(١) حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم، ١/٢٩

(٣) ولفظ ابن جرير وغيره: ما أرى قراءنا هؤلاء إلا أرغبنا بطونا. أي أوسع، يريد كثرة الأكل، وهو وإن كان مذموما لكن المنافقون قد افتروا أعظم فرية." (١)

" نفع أو دفع ضر قال المدائني سألت رؤبة بن العجاج ما السانح قال ما ولاك ميامنه قلت فما البارح قال ما ولاك مياسره قال والذي يجيء من أمامك فهو الناطح والنطيع والذي يجيء من خلفك هو القاعد والقعيد ولما كانت الطيرة بابا من الشرك منافيا للتوحيد أو لكماله لأنها من القاء الشيطان وتخويفه ووسوسته ذكره المصنف في كتاب التوحيد تحذيرا منها وإرشاد الى كمال التوحيد بالتوكل على الله وأعلم أن من كان معتنيا بها قابلا بها كانت اليه أسرع من السيل الى منحدره وتفتحت له أبواب الوساوس فيما يسمعه ويراه ويعطاه ويفتح له الشيطان فيها من المناسبات البعيدة والقريبة في **اللفظ والمعنى** ما يفسد عليه دينه وينكد عليه عيشه فالواجب على العبد التوكل على الله ومتابعة رسول الله صلى الله عليه و سلم وأن يمضي لشأنه لا يرده شيء من الطيرة عن حاجته فيدخل في الشرك

قال وقول الله تعالى ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون

ش اول الآية قوله تعالى فإذا جاءتهم حسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه الآية المعنى أن آل فرعون إذا صابتهم الحسنة أي الخصب والسعة والعافية على ما فسره مجاهد وغيره قالوا لنا هذه اي نحن الجديرون الحقيقون به ونحن أهله وإن تصبهم سيئة أي بلاء وضيق وقحط يطيروا بموسى ومن معه فيقولون هذا بسبب موسى وأصحابه أصابنا بشؤمهم كما يقوله المتطير لمن يتطير به فأخبر سبحانه أن طائرهم عنده فقال ألا إنما طائرهم عند الله قال ابن عباس طائرهم ما قضي عليهم وقد لهم وفي رواية ذكرها ابن جرير عنه قال الأمر من قبل الله وفي رواية شؤمهم عند الله ومن قبله أي إنما جاءهم الشؤم من قبله بكفرهم وتكذيبهم بآياته ورسله ." (٢)

"استوى بمعنى استولى ، هو في الظاهر أخذ بالقرآن ، لكنه في الحقيقة لم يثبت ما في القرآن على الوجه الذي يليق بالله سبحانه وتعالى ، فحرَّف **اللفظ والمعنى** ، عما دل عليه نص الآية من إثبات صفة الاستواء لله ، وهذا هو التحريف والتأويل الباطل الذي منعه الأئمة رحمهم الله تعالى .

فأهل السنة والجماعة يأخذون بما في القرآن ، ويثبتونه على مقتضى ما عُرف من لغة العرب التي نزل بها القرآن ، مضبوطة ومقيدة بالأدلة الأخرى من الكتاب ومن السنة ، ومن فهم الصحابة رضي الله عنهم لهذه النصوص .

أما أن يُنطلق إلى نصوص القرآن ثم يعمل فيها كلُّ إنسان بما يشاء ، فهذا هو الذي فرّق الفرق ، ولو تأملنا مذاهب المعتزلة والخوارج والمرجئة والرافضة وغيرهم لوجدنا كل واحد منهم يحتج بآيات القرآن ، وليس معنى ذلك أن مذاهبهم صحيحة ، لأنهم احتجوا بالقرآن ، فإن الاحتجاج بالقرآن لابد أن يكون على منهاج صحيح ، وعلى طريقة سليمة مؤصلة ، ولا يكون همُّ المحتج بالقرآن أن يأخذ من النصوص ما يريد ، ويدع منها ما لا يريد ، بناءً على أهوائه ، فإن هذا هو منهاج أهل الأهواء .

---

(١) حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم، ٢/٤٩

(٢) تيسير العزيز الحميد. ط مكتبة الرياض، ص/٣٦٩

....

فمنهاج أهل السنة والجماعة – رحمهم الله تعالى – قائم على أسس صحيحة ، وعلى أسس منضبطة في الاستدلال بنصوص الكتاب الكريم ، وفي كيفية الاستدلال والفهم ، ولذا قال : ((وكل ما جاء في القرآن)) أي من الأسماء والصفات ، فنحن نثبته لله كما يليق بجلاله وعظمته ونسلم به .." (١)

"ص –١٠– ... الرجل: إذا تعبد، كما قرأ ابن عباس: ﴿ويذرك وإلهتك﴾١، أي: عبادتك، وأصله الإله، أي: المعبود، فحذفت الهمزة التي هي فاء الكلمة، فالتقت اللام التي هي عينها مع اللام التي للتعريف، فأدغمت إحداهما في الأخرى، فصارتا في اللفظ لاما واحدة مشددة وفخمت تعظيما، فقيل: الله.

قال ابن القيم: "القول الصحيح أن (الله)، أصله: (الإله)، كما هو قول سيبويه وجمهور أصحابه إلا من شذ منهم، وإن اسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى والصفات العلا. قال: وزعم السهيلي وشيخه أبو بكر بن العربي: "أن اسم الله غير مشتق، لأن الاشتقاق يستلزم مادة يشتق منها، واسمه تعالى قديم، والقديم لا مادة له فيستحيل الاشتقاق"، ولا ريب أنه إن أريد بالاشتقاق هذا المعنى، وأنه مستمد من أصل آخر فهو باطل، ولكن الذين قالوا بالاشتقاق لم يريدوا هذا المعنى، ولا ألم بقلوبهم، وإنما أرادوا أنه دال على صفة له تعالى، وهي الإلهية كسائر أسمائه الحسنى، كالعليم، والقدير، والغفور، والرحيم، والسميع، والبصير. فإن هذه الأسماء مشتقة من مصادرها بلا ريب، وهي قديمة، والقديم لا مادة له، فما كان جوابكم عن هذه الأسماء فهو جواب القائلين باشتقاق اسم الله تعالى، ثم الجواب عن الجميع أنا لا نعني بالاشتقاق إلا أنها ملاقية لمصادرها في **اللفظ والمعنى**، لا أنها متولدة منه تولد الفرع من أصله. وتسمية النحاة للمصدر والمشتق منه . أصلا وفرعا . ليس معناه أن أحدهما تولد من الآخر، وإنما

هو باعتبار أن أحدهما يتضمن الآخر وزيادة.

وذكر ابن القيم لهذا الاسم الشريف عشر خصائص لفظية ثم قال: وأما خصائصه المعنوية فقد قال فيها أعلم الخلق به . صلى الله عليه وسلم:

---

١ من سورة الأعراف من الآية: ١٢٧، وهي ليس من القراءات العشر.." (٢)

"ص –٣٦٠– ... [٢٢– باب ما جاء في التطير]

مصدر تطير يتطير والطيرة أيضا – بكسر الطاء وفتح الياء وقد تسكن – مصدر تطير، يقال: تطير طيرة وتخير خيرة ولم يجئ من المصادر هكذا غيرها، وأصله فيما يقال: التطير بالسوانح، والبوارح من الطير والظباء وغيرهما، وكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم. فإذا أرادوا أمرا، فإن رأوا الطير مثلا طار يمنة، تيمنوا به، وإن طار يسرة، تشاؤموا به، فنفاه الشرع وأبطله

---

(١) تيسير لمعة الاعتقاد، ص/٢٢

(٢) تيسير العزيز الحميد. ط المكتب الإسلامي، ١٤/١

ونهى عنه وأخبر أنه ليس له تأثير في جلب نفع أو دفع ضر. قال المدائني: سألت رؤبة بن العجاج ما السانح؟ قال: ما ولاك ميامنه قلت: فما البارح؟ قال: ما ولاك مياسره. قال والذي يجيء من أمامك فهو الناطح والنطيح، والذي يجيء من خلفك هو القاعد والقعيد.

ولما كانت الطيرة بابا من الشرك منافيا للتوحيد أو لكماله، لأنها من إلقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته، ذكره المصنف في كتاب "التوحيد" تحذيرا منها وإرشادا إلى كمال التوحيد بالتوكل على الله. واعلم أن ما كان معتنيا بها قابلا بها كانت إليه أسرع من السيل إلى منحدره، وتفتحت له أبواب الوساوس فيما يسمعه ويراه ويعطاه، ويفتح له الشيطان فيها من المناسبات البعيدة والقريبة في **اللفظ والمعنى** ما يفسد عليه دينه، وينكد عليه عيشه، فالواجب على العبد التوكل على الله ومتابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يمضي لشأنه لا يرده شيء من الطيرة عن حاجته فيدخل في الشرك.

قال: وقول الله تعالى:﴿ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ ١. ش: أول الآية قوله تعالى:﴿فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه...﴾ ٢ الآية. المعنى أن آل فرعون إذا أصابتهم ﴿الحسنة﴾، أي: الخصب والسعة والعافية

---

١ سورة الأعراف آية : ١٣١.

٢ سورة الأعراف آية : ١٣١.." (١)

"هذا وقد أولوا كل آية أو حديث ورد في زيادة الإيمان ونقصانه أو وصف بعض شُعبه بأنها إيمان أو من الإيمان(١٤٣).

الخامس: القرآن:

وقد أفردت موضوعه لأهميته القصوى، وهو نموذج بارز للمنهج الأشعري القائم على التلفيق الذي يسميه الأشاعرة المعاصرون "التوفيقية"، حيث انتهج التوسط بين أهل السنة والجماعة وبين المعتزلة في كثير من الأصول فتناقض واضطراب.

فمذهب أهل السنة والجماعة أن القرآن كلام الله غير مخلوق وأنه تعالى يتكلم بكلام مسموع تسمعه الملائكة وسمعه موسى – عليه السلام – ويسمعه الخلائق يوم القيامة.

ومذهب المعتزلة أنه مخلوق. أما مذهب الأشاعرة فمن منطق التوفيقية – التي لم يحالفها التوفيق – فرّقوا بين **المعنى واللفظ**. فالكلام الذي يثبتونه لله تعالى هو معنى أزلي أبدي قائم بالنفس ليس بحرف ولا صوت ولا يوصف بالخبر ولا الإنشاء. واستدلوا بالبيت المنسوب للأخطل النصراني:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما

جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

أما الكتب المنزلة ذات الترتيب والنظم والحروف – ومنها القرآن – فليست هي كلامه تعالى على الحقيقة بل هي "عبارة

---

(١) تيسير العزيز الحميد. ط المكتب الإسلامي، ٣٨/٢

عن كلام الله النفسي. والكلام النفسي شيء واحد في ذاته لكن إذا جاء التعبير عنه بالعبرانية فهو توراة وإن جاء بالسريانية فهو إنجيل، وإن جاء بالعربية فهو قرآن، فهذه الكتب كلها مخلوقة ووصفها بأنها كلام الله مجاز لأنها تعبير عنه"..." [1]

"... قال البغوي:"قيل:إنما منع من أن يقول:ربي أو اسق ربك، لأن الإنسان مربوب متعبد بإخلاص التوحيد، فكره له المضاهاة بالاسم، لئلا يدخل في معنى الشرك، والعبد والحر،فيه بمنزلة واحدة، فأما ما لا تعبد عليه من سائر الحيوان والجماد فلا يمنع منه، كقولك: رب الدار، ورب الدابة والثوب، ولم يمنع العبد أن يقول:سيدي ومولاي، لأن مرجع السيادة إلى معنى الرياسة على من تحت يده، والسياسة له وحسن التدبير لأمره، ولذلك سمى الزوج سيدا. قال الله سبحانه وتعالى:﴿وألفيا سيدها لدى الباب﴾(١) .....، ومنع السيد من أن يقول: عبدي، لأن هذا الاسم من باب المضاف ومقتضاه العبودية له، وصاحبه عبد لله، متعبد بأمره ونهيه، فإدخاله مملوكه تحت هذا الاسم يوهم التشريك..."(٢).

... وقال النووي في شرحه للحديث:"يكره للسيد أن يقول لمملوكه عبدي وأمتي، بل يقول "غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي، لأن حقيقة العبودية إنما يستحقها الله تعالى، ولأن فيها تعظيما بما لا يليق بالمخلوق استعماله لنفسه، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم العلة في ذلك فقال:"كلكم عبيد الله، فنهى عن التطاول في اللفظ"(٣).

... وقال ابن القيم:"إن النبي صلى الله عليه وسلم نهى الرجل أن يقول لغلامه وجاريته:عبدي وأمتي، ولكن يقول:فتاي وفتاتي، ونهى أن يقول لغلامه:وضئ ربك، أطعم ربك سدا لذريعة الشرك في **اللفظ والمعنى**، وإن كان الرب ههنا هو المالك كرب الدار، ورب الإبل، فعدل عن لفظ العبد والأمة إلى لفظ الفتى والفتاة، ومنع من إطلاق لفظ الرب على السيد حماية لجانب التوحيد وسدا لذريعة الشرك"(٤).

---

(١) يوسف / آية: ٢٥.

(٢) شرح السنة جـ١٢ /٣٥٠، ٣٥١.

(٣) شرح النووي على مسلم جـ١٥ / ٧.

(٤) إعلام الموقعين جـ٣ / ١٦٢، ١٦٣.." [2]

"وذلك لأن الخالق لا يمكن أن يخلق إلا وهو قادر، وكذلك لا يمكن أن يخلق إلا وهو عالم(١).

القاعدة الخامسة أسماء الله توقيفية لا مجال للعقل فيها:

ومعنى ذلك أن نتوقف على ما جاء في الكتاب والسنة، فلا نسمي الله تعالى إلا بما سمى به نفسه، أو سماه به رسوله"لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه الله تعالى من الأسماء.

---

(١) هذه الأنواع الثلاثة تسمى أنوع الدلالة اللفظية الوضعية.

---

(١) دفاع عن العقيدة وعن ابن باز، ص/١٠٧

(٢) سد الذرائع في مسائل العقيدة، ٤١/١

وإليك بعض التفصيل في هذه الأنواع زيادة على ما مضى؛ لتتضح بصورة أجلى.

١ــ الدلالة المطابقية: وهي دلالة اللفظ على تمام ما وضع له من حيث إنه وضع له. وذلك مثل دلالة لفظ (البيت) على الجدار والسقف معا.

ودلالة لفظ (إنسان) على الحيوان الناطق، ودلالة اسم (العليم) على ذات الله وعلمه، أي دلالة الاسم على المسمى، والصفة المشتقة من الاسم نفسه وسميت مطابقية؛ لتطابق **اللفظ والمعنى،** وتوافقهما في الدلالة.

٢ــ الدلالة التضمنية: وهي دلالة اللفظ على جزء ما وضع له في ضمن كل المعنى.

مثل دلالة البيت على الجدار وحده، وعلى السقف وحده.

وسميت تضمنية لأنها عبارة عن فهم جزء من الكل؛ فالجزء داخل ضمن الكل، أي في داخله.

ومن هذا النوع مثلا دلالة اسم الله (السميع) على ذات الله وحدها، وعلى صفة السمع وحدها، بصرف النظر عن استعمال الجزء والكل، بل يقال على الصفة والموصوف.

٣ــ الدلالة الالتزامية: هي دلالة اللفظ على خارج عن معناه الذي وضع له.

مثل دلالة اسم الله (القدير) على صفة الحياة، وعلى العلم وغيرهما من صفات الله ــتعالىــ.

يقول المناطقة: إن بين الدلالة المطابقية والدلالة التضمنية العموم والخصوص المطلق؛ فإذا وجدت التضمنية وجدت المطابقية دون العكس، أي لا يلزم من وجود المطابقية وجود التضمنية.

انظر المرشد السليم إلى المنطق الحديث والقديم د. عوض الله جاد حجازي، والصفات الإلهية د. محمد أمان ص١٧٨ــ١٧٩.." (١)

"ويقولون: هذا الرجل مسمًّى بزيد، ولا يقولون: هذا الرجل اسمُ زيد!. ويقولون: باسم الله، ولا يقولون بمسمى الله١.

٢- أن الاسم ليس هو المسمى وإن كان قد يراد به المسمى مع أنه في نفسه "اسم" وليس هو المسمى، ولكن يراد به المسمى، وذلك لأن الاسم يتناول **اللفظ والمعنى** المتصور في القلب، وقد يراد به مجرد اللفظ، وقد يراد به مجرد المعنى، فإنه من "الكلام"، والكلام اسم للفظ والمعنى وقد يراد به أحدهما٢، وهذا يعني أن الاسم تارة يراد به المسمى، وتارة يراد به اللفظ الدّالُّ عليه.

فإذا قلت: قال الله تعالى، واستوى الله على عرشه، وخلق الله السموات والأرض. فهذا المراد به المسمى نفسه.

وإذا قلت: الله اسم عربي، والرحمن اسم عربي، والرحمن من أسماء الله، والرحمن وزنه فعلان، والرحمن مشتق من الرحمة، فالاسم هنا هو اللفظ الدال على المسمى٣.

٣- أن اسم هذه الألفاظ "ألف- سين- ميم" لا هو المسمى الذي هو الذات، ولا يُراد به المسمى الذي هو الذات، ولكن يراد به مسماه الذي هو الاسم، كأسماء الله الحسنى في قوله: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾٤٥.

---

(١) رسائل في العقيدة، ٤/١٤

٤- أن التسمية هي النطق بالاسم والتكلم به، وليست هي الاسم نفسه،

---

١ المصدر السابق ١/ ١٧.

٢ مجموع الفتاوى ٦/ ٢٠٩،٢١٠

٣ شفاء العليل ص ٢٧٧

٤ الآية ١٨٠ من سورة الأعراف

٥ مجموع الفتاوى ٦/ ٢٠١." (١)

"يتبحَّروا في حقائق العلم بالله، ولم يتفطنوا لدقائق العلم الإلهي ١

وهذا القول إذا تدبَّره الإنسان وجده في غاية الجهالة، بل في غاية الضلالة، فإنه من المعلوم أن الله سبحانه وصف نفسه بأنه بيَّن لعباده غاية البيان، وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم بالبيان، وأخبر أنه أنزل عليه كتابه ليبيِّن للناس ولهذا قال الزهريُّ: "من الله البيان وعلى رسوله البلاغ، وعلينا التسليم" فهذا البيان الذي تكفل به سبحانه وأمر به رسوله، إما أن يكون المراد به بيان اللفظ وحده، أو المعنى وحده، أو **اللفظ والمعنى** جميعا.

ولا يجوز أن يكون المراد به بيان اللفظ دون المعنى، فإن هذا لا فائدة فيه ولا يحصل به مقصود الرِّسالة.

وبيان المعنى وحده بدون دليله، وهو اللفظ الدَّال عليه ممتنع.

فعلم قطعا أن المراد بيان **اللفظ والمعنى**.

والله تعالى أنزل كتابه- ألفاظه ومعانيه- وأرسل رسوله ليبين **اللفظ والمعنى**، فكما أنا نقطع ونتيقن أنه بيَّن اللفظ، فكذلك نقطع ونتيقن أنه بيَّن المعنى، بل كانت عنايته ببيان المعنى أشد من عنايته ببيان اللفظ وهذا هو الذي ينبغي، فإن المعنى هو المقصود، وأما اللفظ فوسيلة إليه ودليل عليه، فكيف تكون عنايته بالوسيلة أهم من عنايته بالمقصود؛ وكيف نتيقَّن بيانه للوسيلة ولا نتيقَّن بيانه للمقصود؟ وهل هذا إلا من أبين المحال؟٢.

ولقد جاءت رسالة النبي صلى الله عليه وسلم بإثبات الصفات إثباتا مفصلا على وجه أزال الشبهة وكشف الغطاء، وحصل العلم اليقيني، ورفع الشك والرَّيب، فثلجت

---

١ مجموع الفتاوى ٨/٥- ١٠ بتصرف.

٢ الصواعق المنزلة ٢/ ٧٣٧، ٧٣٨.." (٢)

"النظَّام: هو إبراهيم بن سيار بن هانئ المعروف بالنظَّام سمي بهذا لأنه كان ينظم الخرز في شبابه، وإليه تنسب فرقة النظَّامية من المعتزلة، ولد سنة ١٨٥هـ، وتوفي سنة٢٣١هـ.

---

(١) معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى، ص/٢٧٥

(٢) معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى، ص/٣٥٨

وأما طفرته: فهي قوله بالطفرة التي لم يسبق إليها، ومفادها: دعواه أن الجسم قد يكون في المكان الأول، ثم يصير منه إلى المكان العاشر من غير المرور بالأمكنة المتوسطة بينه وبين العاشر، ومن غير أن يصير معدوماً في الأول ومعاداً في العاشر(١).

وبعبارة أخرى: هي القول بأن الله خلق هذه الموجودات دُفعة واحدة على ما هي عليه الآن من نبات وحيوان، وجبال وبحار، ولم يتقدم خلقُ آدم على ذريته، غيرَ أن الله أكمل بعضها في بعض؛ فالتقدم والتأخر إنما يقع في ظهور هذه الموجودات في أماكنها دونَ حدوثها ووجودها.

وكان النظَّام متأثراً بأصحاب الكمون والظهور من الفلاسفة وهي طفرة لم يسبقه إليها أحد(٢).

يرد في كتب العقائد مصطلح الدلالات اللفظية الوضعية، وهي ثلاثة أنواع:

١ــ دلالة المطابقة، وتسمى الدلالة المطابقية: وتعرف بأنها:

-دلالة اللفظ على جميع معناه.

-أو هي: تفسير اللفظ بجميع مدلوله.

-أو هي: دلالته على تمام ما وضع له من حيث إنه وضع له.

وسميت بذلك؛ لتطابق **اللفظ والمعنى**، وتَوافُقِهما في الدلالة.

٢ــ الدلالة التضمنية، أو دلالة التضمن: وهي تفسير اللفظ ببعض مدلوله، أو بجزء معناه.

-أو هي دلالة اللفظ على جزء ما وضع له في ضمن كل المعنى.

وسميت بذلك لأنها عبارة عن فهم جزء من الكل؛ فالجزء داخل ضمن الكل أي في داخله.

٣ــ دلالة التزام، أو الدلالة الالتزامية: وهي الاستدلال باللفظ على غيره.

-أو هي دلالة اللفظ على خارج معناه الذي وضع له.

---

(١) ــ انظر المعتزلة وأصولهم الخمسة د. عواد المعتق ص٥٦ــ٥٩.

(٢) ــ انظر العقل والنقل عند ابن رشد ص٥٢ــ٥٣.." [1]

"وقال في محاورته لابن المرحل(١) ــ رحمهما الله ــ عندما بين جواز إطلاق لفظ (المتواطئ) و (المشترك) على اللفظ الواحد، ولكن من جهتين مختلفتين، فتساءل ابن المرحل كيف يكون هذا؟

فأجابه ابن تيمية بقوله: =المعاني الدقيقة تحتاج إلى إصغاء واستماع وتدبر؛ وذلك أن الماهيتين إذا كان بينهما قدر مشترك، وقدر مميز، واللفظ يطلق على كل منهما ــ فقد يطلق عليهما باعتبار ما به تمتاز كلُّ ماهيةٍ عن الأخرى؛ فيكون مشتركاً كالاشتراك اللفظي، وقد يكون مطلقاً باعتبار القدر المشترك بين الماهيتين؛ فيكون لفظاً متواطئاً.

مثال ذلك (اسم الجنس) إذا غلب في العرف على بعض أنواعه كلفظ (الدابة) إذا غلب على (الفرس) قد نطلقه على الفرس باعتبار القدر المشترك بينها وبين سائر الدواب، فيكون متواطئاً، وقد نطلقه باعتبار خصوصية الفرس؛ فيكون مشتركاً

---

(١) مصطلحات في كتب العقائد، ص/٩٥

بين خصوصية الفرس وعموم سائر الدواب، ويصير استعماله في الفرس تارة بطريق التواطؤ، وتارة بطريق الاشتراك+(٢).

ولعل التمييز بين المتواطئ والمشترك قد لاح، وهو أن الأسماء المتواطئة تشترك في **اللفظ والمعنى**.

أما المشتركة فإنها متفقة اللفظ مختلفة المعنى، وهذا ما يؤكده ابن تيمية بقوله: =الأسماء المتفقة اللفظ قد يكون معناها متفقاً وهي المتواطئة، وقد يكون معناها متبايناً وهي المشتركة اشتراكاً لفظياً كلفظ سهيل المقول على الكوكب، وعلى الرجل+(٣).

ولزيادة الإيضاح ولأجل أن يُميز بين المشترك والمتواطئ فهذان مثالان على ذلك، الأول: العين تطلق على عدة معان مختلفة، فهذا مثال للمشترك، وقد مرت أمثلة عديدة من ذلك.

---

(١) ــ من كبار فقهاء الشافعية ت٧٣٨.

(٢) ــ مجموع الفتاوى ٨٣/١١.

(٣) ــ مجموع الفتاوى ٢٣٤/٢٠، وانظر الدراسات اللغوية والنحوية ١٦٥ــ١٦٧ ففيها تفصيل جيد.." [1]

"(والغافر والغفور) في وصف الله تعالي نحو (غافر الذنب) (إنه غفور شكور) والغفيرة : الغفران ، ومنه قوله : (رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ) (إبراهيم:٤١)

وقيل:اغفروا هذا الأمر بمغفرته أي:استروه بما يجب أن يستر به) (والغفّار:الذي يغفر ذنوب عباده مرة بعد مرة ، فلما تكررت ذنوبهم تكررت مغفرته غفراً.)

وإذا كان هذا المعني لا يبعد كثيراً عن المعني اللغوي ، إلا أن المغفرة في القرآن الكريم ، من خلال الأسماء الحسنى (غافر – غفار – غفور) تكتسب ظلالا أخرى وتتشرب من عيون السياقات المتنوعة دلالات جديدة ، لكنها في الختام تعود إلى الأصل وهو : الستر والتغطية .

وهذا سيتضح من خلال تحليل النماذج وسياقاتها داخل كل سورة .

الفروق الدلالية بين الصيغ الثلاثة

(فاعل . فعّال . فعول)

يرى النحاة أن اسم الفاعل هو[الجاري مجرى الفعل في **اللفظ والمعنى** ... ويعمل عمل الفعل إذا أريد به الحال أو الاستقبال ....]

[وليس القصد بقولهم : اسم الفاعل : اسم الصيغة ، بل المراد اسم ما فعل الشيء]

[فهو اسم مشتق من الثلاثي يدل على شيئين :

١– معنى مجرد عارض ليس بدائم ويسميه العلماء: الحدث .

٢– فاعل هذا المعنى المجرد ويسميه العلماء : الذات]

[وصيغة فاعل تحتمل في دلالتها على الحدث : القلة والكثرة ، فإذا أريد الدلالة على كثرة الحدث (كماً أو كيفًا) حُوّلت

---

(١) مصطلحات في كتب العقائد، ص/١٣٧

–فاعل– إلى إحدى صيغ المبالغة] .

ومعنى هذا أنه [عند صياغتنا اسم الفاعل فإننا نقصد شيئين :

المعنى المجرد وصاحبه،دون اهتمام ببيان درجة المعنى قوة أو ضعفاً وكثرة أو قلة .

وأما عند استخدامنا (صيغة المبالغة) فإننا نقصد إلى الأمرين معاً مزيداً عليهما بيان الدرجة كثرةً وقوةً .." (١)

"ص –١٠– ... الرجل: إذا تعبد، كما قرأ ابن عباس: ﴿ويذرك وإلهتك﴾١، أي: عبادتك، وأصله الإله، أي: المعبود، فحذفت الهمزة التي هي فاء الكلمة، فالتقت اللام التي هي عينها مع اللام التي للتعريف، فأدغمت إحداهما في الأخرى، فصارتا في اللفظ لاما واحدة مشددة وفخمت تعظيما، فقيل: الله.

قال ابن القيم: "القول الصحيح أن (الله)، أصله: (الإله)، كما هو قول سيبويه وجمهور أصحابه إلا من شذ منهم، وإن اسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى والصفات العلا. قال: وزعم السهيلي وشيخه أبو بكر بن العربي: "أن اسم الله غير مشتق، لأن الاشتقاق يستلزم مادة يشتق منها، واسمه تعالى قديم، والقديم لا مادة له فيستحيل الاشتقاق"، ولا ريب أنه إن أريد بالاشتقاق هذا المعنى، وأنه مستمد من أصل آخر فهو باطل، ولكن الذين قالوا بالاشتقاق لم يريدوا هذا المعنى، ولا ألم بقلوبهم، وإنما أرادوا أنه دال على صفة له تعالى، وهي الإلهية كسائر أسمائه الحسنى، كالعليم، والقدير، والغفور، والرحيم، والسميع، والبصير. فإن هذه الأسماء مشتقة من مصادرها بلا ريب، وهي قديمة، والقديم لا مادة له، فما كان جوابكم عن هذه الأسماء فهو جواب القائلين باشتقاق اسم الله تعالى، ثم الجواب عن الجميع أنا لا نعني بالاشتقاق إلا أنها ملاقية لمصادرها في **اللفظ والمعنى**، لا أنها متولدة منه تولد الفرع من أصله. وتسمية النحاة للمصدر والمشتق منه . أصلا وفرعا . ليس معناه أن أحدهما تولد من الآخر، وإنما

هو باعتبار أن أحدهما يتضمن الآخر وزيادة.

وذكر ابن القيم لهذا الاسم الشريف عشر خصائص لفظية ثم قال: وأما خصائصه المعنوية فقد قال فيها أعلم الخلق به . صلى الله عليه وسلم:

---

١ من سورة الأعراف من الآية: ١٢٧، وهي ليس من القراءات العشر.." (٢)

"ص –٣٦٠– ... [٢٢– باب ما جاء في التطير]

مصدر تطير يتطير والطيرة أيضا – بكسر الطاء وفتح الياء وقد تسكن – مصدر تطير، يقال: تطير طيرة وتخير خيرة ولم يجئ من المصادر هكذا غيرهما، وأصله فيما يقال: التطير بالسوانح، والبوارح من الطير والظباء وغيرهما، وكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم. فإذا أرادوا أمرا، فإن رأوا الطير مثلا طار يمنة، تيمنوا به، وإن طار يسرة، تشاؤموا به، فنفاه الشرع وأبطله ونهى عنه وأخبر أنه ليس له تأثير في جلب نفع أو دفع ضر. قال المدائني: سألت رؤبة بن العجاج ما السانح؟ قال: ما

---

(١) من أسماء الله الحسنى غافر غفور غفار، ص/٧

(٢) موسوعة توحيد رب العبيد، ٤/١٤

ولاك ميامنه قلت: فما البارح؟ قال: ما ولاك مياسره. قال والذي يجيء من أمامك فهو الناطح والنطيح، والذي يجيء من خلفك هو القاعد والقعيد.

ولما كانت الطيرة بابا من الشرك منافيا للتوحيد أو لكماله، لأنها من إلقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته، ذكره المصنف في كتاب "التوحيد" تحذيرا منها وإرشادا إلى كمال التوحيد بالتوكل على الله. واعلم أن ما كان معتنيا بها قابلا بها كانت إليه أسرع من السيل إلى منحدره، وتفتحت له أبواب الوساوس فيما يسمعه ويراه ويعطاه، ويفتح له الشيطان فيها من المناسبات البعيدة والقريبة في **اللفظ والمعنى** ما يفسد عليه دينه، وينكد عليه عيشه، فالواجب على العبد التوكل على الله ومتابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يمضي لشأنه لا يرده شيء من الطيرة عن حاجته فيدخل في الشرك.

قال: وقول الله تعالى:﴿ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ ١. ش: أول الآية قوله تعالى:﴿فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه...﴾ ٢ الآية. المعنى أن آل فرعون إذا أصابتهم ﴿الحسنة﴾، أي: الخصب والسعة والعافية

---

١ سورة الأعراف آية : ١٣١.

٢ سورة الأعراف آية : ١٣١.." (١)

ص" -٧- ...

....

كوني مستعينا بذكره، متبركا به. وأما ظهوره في: ﴿اقرأ باسم ربك﴾١ وفي: ﴿بسم الله مجراها﴾٢؛ فلأن المقام يقتضي ذلك كما لا يخفى.

والاسم مشتق من السمو وهو العلو. وقيل: من الوسم وهو العلامة؛ لأن كل ما سمي فقد نوه باسمه ووسم.

قوله: "الله" قال الكسائي والفراء: أصله الإله، حذفوا الهمزة، وأدغموا اللام في اللام، فصارتا لاما واحدة مشددة مفخمة. قال العلامة ابن القيم –رحمه الله–: الصحيح: أنه مشتق، وأن أصله الإله كما هو قول سيبويه وجمهور أصحابه إلا من شذ. وهو الجامع لمعاني الأسماء الحسنى والصفات العلى. والذين قالوا بالاشتقاق إنما أرادوا أنه دال على صفة له تعالى. وهي الإلهية كسائر أسمائه الحسنى، كالعليم والقدير،

والسميع، والبصير؛ ونحو ذلك. فإن هذه الأسماء مشتقة من مصادرها بلا ريب، وهي قديمة، ونحن لا نعني بالاشتقاق إلا أنها ملاقية لمصادرها في **اللفظ والمعنى**، لا أنها متولدة منه تولد الفرع من أصله. وتسمية النحاة للمصدر والمشتق منه: أصلا وفرعا، ليس معناه أن أحدهما متولد من الآخر، وإنما هو باعتبار أن أحدهما يتضمن الآخر وزيادة.

قال أبو جعفر ابن جرير: "الله" أصله "الإله" أسقطت الهمزة التي هي فاء الاسم فالتقت اللام التي هي عين الاسم واللام

---

(١) موسوعة توحيد رب العبيد، ٣٨/٥

الزائدة وهي ساكنة فأدغمت في الأخرى، فصارتا في اللفظ لاما واحدة مشددة. وأما تأويل "الله" فإنه على معنى ما روي لنا عن عبد الله بن عباس قال: "هو الذي يألهه كل شيء ويعبده كل خلق ". لما وساق بسنده عن الضحاك عن عبد الله بن عباس قال: " الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين ". فإن قال لنا قائل: وما دل على." [١]

"وغير ذلك مما هو مشهور عنهم، وفي الصحيح عنه -عليه الصلاة والسلام- حين سئل عنه قال: "ذلك شيء يجده أحدكم فلا يصدنه". وقال: "إذا تطيرت فلا ترجع". ولا يضر إلا من أشفق منه وخاف واعتنى به، فيكون أسرع إليه من السيل إلى منحدره، وتفتح له أبواب الوساوس فيما يسمعه ويراه، ويفتح له الشيطان من المناسبات القريبة والبعيدة في **اللفظ والمعنى** ما يفسد عليه دينه، وينكد عليه عيشه، ولما كان التطير من الشرك المنافي لكمال التوحيد الواجب؛ لكونه من إلقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته، ولكونه يتعلق القلب به خوفا وطمعا، ولكونه منافيا للتوكل على الله، واعتقاد نفع أو ضر بسبب طائر ونحوه، أفرده المصنف -رحمه الله- بالترجمة، وإن كان من الشرك الأصغر فهو من أقبح الشرك.." [٢]

"ص -٣٢٠- ... عن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة دخل حديث بعضهم في بعض (١) أنه "قال رجل في غزوة تبوك (٢) ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا (٣)

....

= ابن حمير الأشجعي حليف بني سلمة، قال ابن إسحاق: قال: لوددت أني أقاضي على أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة، وأنا ننفلت أن ينزل فينا قرآن لمقالتكم هذه، وقال: يا رسول الله قعد بي اسمي واسم أبي، فكان الذي عناه بالآية، فسمي عبد الرحمن، وسأل أن يقتل شهيدا لا يعلم مكانه، فقتل يوم اليمامة فلم يوجد له أثر. وقوله: ﴿نعذب طائفة﴾ ١ أي لا يعفى عن جميعكم، ولا بد من عذاب بعضكم : ﴿بأنهم كانوا مجرمين﴾ ٢ أي بهذه المقالة الفاجرة الخاطئة.

(١) أي ما ذكر عنهم مجموعا من رواياتهم متقارب المعنى، وقد ذكره كذلك شيخ الإسلام، فلذلك دخل بعضه في بعض. ومحمد بن كعب أو ابن سليم بن أسد أبو حمزة القرظي من حلفاء الأوس، كان أبوه من سبي قريظة، روى عن جماعة من الصحابة، وعنه يزيد بن عجلان وموسى بن عبيدة وغيرهم، ثقة عالم. قال نافع: ما رأيت أحدا أعلم منه في تأويل القرآن، توفي سنة ١٢٠ هـ. وزيد بن أسلم هو العدوي مولى عمر، أبو عبد الله أو أبو أسامة المدني، ثقة عالم، روى عن أبيه وابن عمر وأبي هريرة وغيرهم، وعنه أولاده الثلاثة وغيرهم، قال نافع لعلي بن الحسين: تخطأ مجالس قومك لعبد عمر، فقال: إنما يجلس الرجل إلى من ينفعه في دينه، وأثر ابن عمر رواه ابن جرير وغيره بنحو هذا اللفظ، وأثر ابن كعب وزيد وقتادة معروف، لكن بغير هذا **اللفظ والمعنى** متقارب.

(٢) وكانت في رجب سنة ٩ هـ. قال ابن إسحاق: وقد كان جماعة من المنافقين منهم وديعة بن ثابت أخو بني أمية بن

---

(١) موسوعة توحيد رب العبيد، ٨/٦

(٢) موسوعة توحيد رب العبيد، ٣٢٦/٨

زيد بن عمرو بن عوف، ومخشي بن حمير الذي تاب الله عليه، وهو لم يقل ذلك، وإنما حضره.

(٣) ولفظ ابن جرير وغيره: ما أرى قراءنا هؤلاء إلا أرغبنا." (١)

"في الجنة مثل ما في الدنيا، أبدا، ليس النخيل التي في الجنة مثل النخيل التي في الدنيا، الرمان ليس مثل الرمان الذي في الدنيا، وإن اشترك في الاسم والمعنى، كذلك أسماء الله وصفاته وإن اشتركت مع أسماء المخلوقين وصفاتهم **باللفظ والمعنى**، فالحقيقة والكيفية مختلفة، لا يعلمها." (٢)

"ص -٧- ...

....

كوني مستعينا بذكره، متبركا به. وأما ظهوره في: ﴿اقرأ باسم ربك﴾١ وفي: ﴿بسم الله مجراها﴾٢؛ فلأن المقام يقتضي ذلك كما لا يخفى.

والاسم مشتق من السمو وهو العلو. وقيل: من الوسم وهو العلامة؛ لأن كل ما سمي فقد نوه باسمه ووسم.

قوله: "الله" قال الكسائي والفراء: أصله الإله، حذفوا الهمزة، وأدغموا اللام في اللام، فصارتا لاما واحدة مشددة مفخمة.

قال العلامة ابن القيم –رحمه الله–: الصحيح: أنه مشتق، وأن أصله الإله كما هو قول سيبويه وجمهور أصحابه إلا من شذ. وهو الجامع لمعاني الأسماء الحسنى والصفات العلى. والذين قالوا بالاشتقاق إنما أرادوا أنه دال على صفة له تعالى. وهي الإلهية كسائر أسمائه الحسنى، كالعليم والقدير،

والسميع، والبصير؛ ونحو ذلك. فإن هذه الأسماء مشتقة من مصادرها بلا ريب، وهي قديمة، ونحن لا نعني بالاشتقاق إلا أنها ملاقية لمصادرها في **اللفظ والمعنى**، لا أنها متولدة منه تولد الفرع من أصله. وتسمية النحاة للمصدر والمشتق منه: أصلا وفرعا، ليس معناه أن أحدهما متولد من الآخر، وإنما هو باعتبار أن أحدهما يتضمن الآخر وزيادة.." (٣)

"أحقر من أن يسأل الله ولدا ليرثه في ماله كيف؟، وإنما كان نجارا يأكل من كسب يده كما رواه البخاري١ ولم يكن ليدخر فوق قوته حتى يسأل الله ولدا يرث عنه ماله ـ أن لو كان له مال ـ وإنما سأل ولدا صالحا يرثه في النبوة والقيام بمصالح بني إسرائيل وحملهم على السداد.

الوجه الثاني: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خص من بين الأنبياء بأحكام لا يشاركونه فيها ... فلو قدر أن غيره من الأنبياء يورثون وليس الأمر كذلك ـ لكان ما رواه ـ الصحابة وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ـ مبينا لتخصيصه بهذا الحكم دون سواه.

الوجه الثالث: أنه يجب العمل بهذا الحديث والحكم بمقتضاه كما حكم به الخلفاء واعترف بصحته العلماء سواء كان من

---

(١) موسوعة توحيد رب العبيد، ٤٩٨/٨

(٢) موسوعة توحيد رب العبيد، ٢٨/١٣

(٣) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ٨/١

خصائصه أم لا، فإنه قال: "لا نورث ما تركنا صدقة"، أن يكون خبرا عن حكمه، أو حكم سائر الأنبياء معه وهو الظاهر، ويحتمل أن يكون إنشاء وصيته كأنه يقول: لا نورث لأن جميع ما تركناه صدقة، ويكون تخصيصه من حيث جواز حمله ماله كله صدقة والاحتمال الأول أظهر، وهو الذي سلكه الجمهور، وقد يقوى المعنى الثاني ـ بما رواه ـ مالك وغيره ـ عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا يقتسم ورثتي دينارا ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة" ٢، وهو يرد تحريف من قال من الجهلة من طائفة الشيعة في رواية هذا الحديث: "ما تركناه صدقة" بالنصب ـ جعل ـ ما ـ نافية فكيف يصنع بأول الحديث وهو قوله لا نورث ـ ؟وبهذه الرواية "ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة"؟ ... والمقصود أنه يجب العمل بقوله صلى الله عليه وسلم: "لا نورث ما تركنا صدقة" على كل تقدير احتمله اللفظ والمعنى، فإنه مخصص لعموم آية

---

١. لم أقف عليه في البخاري، وإنما هو في صحيح مسلم ١٨٤٧/٤.

٢. الموطأ ٩٩٣/٢، صحيح البخاري ١٨٨/٢.." (١)

"ليس ــ كلام الله ــ اللفظ دون المعنى، ولا المعنى دون اللفظ.

بل اللفظ والمعنى هما ــ كلام الله ــ فاللفظ بالقرآن يوضح المعنى، ويبين المراد منه.

ولقد اختلف الناس في كلام الله ــ تعالى ــ على أقوال كثيرة أوصلها شارح الطحاوية إلى تسعة أقوال:

القول الأول: قول الاتحادية القائلين بأن كل كلام في الوجود هو كلام الله نظمه، ونثره، وحقه، وباطله، وسحره، وكفره، والسب، والشتم.

ولذا قال قائلهم:

وكل كلام في الوجود كلامه ... * * * * ... سواء علينا نثره ونظامه

وأصل مذهبهم هو أن الله ــ سبحانه وتعالى ــ هو عين هذا الوجود؛ فصفاته هي عين صفات الله، وكلامه هو كلام الله.

القول الثاني:قول الفلاسفة المتأخرين من أتباع أرسطو كابن سينا والفارابي والطوسي القائلين بأن كلام الله هو فيض فاض من العقل الفعال على النفوس الفاضلة الزكية بحسب استعدادها، فأوجب لها ذلك الفيض تصورات وتصديقات بحسب ما قبلته منه.

القول الثالث: قول الجهمية النفاة لصفات الرب ــ سبحانه وتعالى ــ القائلين

بأن كلامه مخلوق ولم يقم بذاته سبحانه وتعالى وقد ذكرنا قولهم.

القول الرابع: قول الكلابية أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب القائلين بأن

القرآن معنى قائم بالنفس لا يتعلق بالقدرة والمشيئة، وأنه لازم لذات الرب كلزوم الحياة والعلم، وأنه لا يسمع على الحقيقة، والحروف، والأصوات حكاية له دالة عليه، وهي مخلوقة.

---

(١) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام، ٩٩٣/٣

القول الخامس: وهو قول الأشاعرة ومن تابعهم القائلين بأن القرآن معنىً واحد قائم بذات الرب ــ سبحانه وتعالى ــ. لأنه ليس بحرف، ولا صوت، ولا ينقسم، ولا له أبعاض، ولا له أجزاء، وغير ذلك مما قالوه في إنكار كون القرآن ــ كلام الله ــ حقيقة بل قالوا: إنه عبارة عن كلامه.

القول السادس: قول الكرامية: وهم القائلون بأن كلام الله - سبحانه وتعالى - حروف وأصوات تكلم بها بعد أن لم يكن متكلماً، وهو حادث بعد أن لم يكن.." (١)

" شرح البسملة

قال المصنف رحمه الله تعالى :

(بسم الله الرحمن الرحيم)

ابتدأ كتابه بالبسملة اقتداء بالكتاب العزيز وعملا بحديث [كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع] أخرجه ابن حبان من طريقين قال ابن صلاح : والحديث حسن ولأبى دواد وابن ماجه [كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بالحمد لله أو بالحمد

فهو أقطع] ولأحمد [كل أمر ذى بال لا يفتتح بذكر الله فهو أبتر أو أقطع] وللدارقطني عن أبى هريرة مرفوعا [كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بذكر الله فهو أقطع]

والمصنف قد اقتصر فى بعض نسخه على البسملة لأنها من أبلغ الثناء والذكر للحديث المتقدم وكان النبى صلى الله عليه و سلم يقتصر عليها فى مراسلاته كما فى كتابه لهرقل عظيم الروم ووقع لى نسخة بخطه رحمه الله تعالى بدأ فيها بالبسملة وثنى بالحمد والصلاة على النبى صلى الله عليه و سلم وآله وعلى هذا فالابتداء بالبسملة حقيقى وبالحمدلة نسبى إضافى أى بالنسبة إلى ما بعد الحمد يكون مبدوءا به

والباء فى بسم الله متعلقة بمحذوف واختار كثير من المتأخرين كونه فعلا خاصا متأخرا

أما كونه فعلا فلأن الأصل فى العمل للأفعال

وأما كونه خاصا فلأن كل مبتدىء بالبسملة فى أمر يضمر ما جعل البسملة مبدأ له

وأما كونه متأخرا فلدلالته على الاختصاص وأدخل فى التعظيم وأوفق للوجود ولأن أهم ما يبدأ به ذكر الله تعالى

وذكر العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى لحذف العامل فوائد منها أنه موطن لا ينبغى أن يتقدم فيه غير ذكر الله ومنها : أن الفعل إذا حذف صح الابتداء بالبسملة في كل عمل وقول حركة فكان الحذف أعم إنتهى ملخصا

وباء بسم الله للمصاحبة وقيل : للاستعانة فيكون التقدير : بسم الله أؤلف حال كونى مستعينا بذكره متبركا به وأما ظهوره فى ﴿ اقرأ باسم ربك ﴾ وفي ﴿ بسم الله مجريها ﴾ فلأن المقام يقتضى ذلك كما لا يخفى

والاسم مشتق من السمو وهو العلو وقيل : من الوسم وهو العلامة لأن كل ما سمى فقد نوه باسمه ووسم

---

(١) فتح الودود بشرح منظومة ابن أبي داود المصححة، ص/١٢

قوله الله قال الكسائي والفراء : أصله الإله حذفوا الهمزة وأدغموا اللام فى اللام فصارتا لاما واحدة مشددة مفخمة

قال العلامة ابن القيم رحمه الله : الصحيح : أنه مشتق وأن أصله الإله كما هو قول سيبويه وجمهور أصحابه إلا من شذ وهو الجامع لمعانى الأسماء الحسنى والصفات العلى والذين قالوا بالاشتقاق إنما أرادوا أنه دال على صفة له تعالى وهى الإلهية كسائر أسمائه الحسنى كالعليم والقدير والسميع والبصير ونحو ذلك فإن هذه الأسماء مشتقة من مصادرها بلا ريب وهى قديمة ونحن لا نعني بالاشتقاق إلا أنها ملاقية لمصادرها فى **اللفظ والمعنى** لا أنها متولدة منه تولد الفرع من أصله وتسمية النحاة للمصدر والمشتقق منه : أصلا وفرعا ليس معناه أن أحدهما متولد من الآخر وإنما هو باعتبار أن أحدهما يتضمن الأخر وزيادة

قال أبو جعفر بن جرير الله أصله الإله أسقطت الهمزة التى هى فاء الاسم فالتقت اللام التى هى عين الاسم واللام الزائدة وهى ساكنة فأدغمت فى الأخرى فصارتا فى اللفظ لاما واحدة مشددة وأما تأويلالله فإنه على معنى ما روى لنا عن عبد الله بن عباس قال : هو الذى يألهه كل شئ ويعبده كل خلق وساق بسنده عن الضحاك عن عبد الله بن عباس قال : الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين فإن قال لنا قائل : وما دل على أن الألوهية هى العبادة وأن الإله هو المعبود وأن له أصلا فى فعل ويفعل وذكر بيت رؤية بن العجاج

(لله در الغانيات المدة ... سبحن واسترجعن من تألهى)

يعنى من تعبدى وطلبى الله بعملى ولا شك أن التأله التفعل من أله يأله وأن معنى أله إذا نطق به : عبد الله وقد جاء منه مصدر يدل على أن العرب قد نطقت منه بفعل يفعل بغير زيادة وذلك ما حدثنا به سفيان بن وكيع – وساق السند إلى ابن عباس أنه قرأ ﴿ ويذرك وآلهتك ﴾ قال : عبادتك ويقول : إنه كان يعبد ولا يعبد وساق بسند آخر عن ابن عباس ويذرك وإلاهتك قال : إنما كان فرعون يعبد ولا يعبد وذكر مثله عن مجاهد ثم قال : فقد بين قول ابن عباس ومجاهد هذا : أن أله عبد وأن الإلهة مصدره وساق حديثا عن أبي سعيد مرفوعا أن عيسى أسلمته أمه إلى الكتاب ليعلمه فقال له المعلم : اكتب بسم الله فقال عيسى : أتدرى ما الله ؟ الله إله الآلهة

قال العلامة ابن القيم رحمه الله : لهذا الاسم التشريف عشر خصائص لفظية وساقها ثم قال : وأما خصائصه المعنوية فقد قال أعلم الخلق صلى الله عليه و سلم : [لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك] وكيف نحصى خصائص اسم لمسماه كل كمال على الإطلاق وكل مدح وحمد وكل ثناء وكل مجد وكل جلال وكل كمال وكل عز وكل جمال وكل خير وإحسان وجود وفضل وبر فله ومنه فما ذكر هذا الاسم فى قليل إلا كثره ولا عند خوف إلا أزاله ولا عند كرب إلا كشفه ولا عند هم وغم إلا فرجه ولا عند ضيق إلا وسعه ولا تعلق به ضعيف إلا أفاده القوة ولا ذليل إلا أناله العز ولا فقير إلا أصاره غنيا ولا مستوحشا إلا آنسه ولا مغلوب إلا أيده ونصره ولا مضطر إلا كشف ضره ولا شريد إلا آواه فهو الاسم الذى تكشف به الكربات وتستنزل به البركات وتجاب به الدعوات وتقال به العثرات وتستدفع به السيئات وتستجلب به الحسنات وهو الاسم الذى قامت به الأرض والسماوات وبه أنزلت الكتب وبه أرسلت الرسل وبه شرعت الشرائع وبه قامت الحدود وبه شرع الجهاد وبه انقسمت الخليقة إلى السعداء والأشقياء وبه حقت الحاقة ووقعت الواقعة وبه وضعت

الموازين القسط ونصب الصراط وقام سوق الجنة والنار وبه عبد رب العالمين وحمد وبحقه بعثت الرسل وعنه السؤال في القبر ويوم البعث والنشور وبه الخصام وإليه المحاكمة وفيه الموالاة والمعاداة وبه سعد من عرفه وقام بحقه وبه شقى من جهله وترك حقه فهو سر الخلق والأمر وبه قاما وثبتا وإليه انتهيا فالخلق به وإليه ولأجله فما وجد خلق ولا أمر ولا ثواب ولا عقاب إلا مبتدئا منه ومنتهيا إليه وذلك موجبه ومقتضاه '٣ : ١٩١' ﴿ ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ﴾ إلى آخر كلامه رحمه الله

قوله (الرحمن الرحيم) قال ابن جرير : حدثني السري بن يحيى حدثنا عثمان بن زفر سمعت العزرمى يقول : الرحمن بجميع الخلق والرحيم بالمؤمنين وساق بسنده عن أبي سعيد – يعنى الخدرى – [قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إن عيسى ابن مريم قال : الرحمن : رحمن الآخرة والدنيا والرحيم : رحيم الآخرة]

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : فاسمه الله دل على كونه مألوها معبودا يألهه الخلائق : محبة وتعظيما وخضوعا ومفزعا إليه فى الحوائج والنوائب وذلك مستلزم لكمال ربوبيته ورحمته المتضمنين لكمال الملك والحمد وإلهيته وربوبيته ورحمانيته وملكه مستلزم لجميع صفات كماله إذ يستحيل ثبوت ذلك لمن ليس بحى ولا سميع ولا بصير ولا قادر ولا متكلم ولافعال لما يريد ولا حكيم فى أقواله وأفعاله فصفات الجلال والجمال أخص باسم الله وصفات الفعل والقدرة والتفرد بالضر والنفع (العطاء والمنع ونفوذ المشيئة وكمال القوة وتدبر أمر الخليقة : أخص باسم الرب) وصفات الإحسان والجود والبر والحنان والمنة والرأفة والعطف أخص باسم الرحمن

وقال رحمه الله أيضا : الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم واذا أردت فهم هذا فتأمل قوله تعالى : '٣٣ : ٤٤' ﴿ وكان بالمؤمنين رحيما ﴾ '٩ : ١١٧' ﴿ إنه بهم رؤوف رحيم ﴾ ولم يجيء قط رحمان بهم

وقال : إن أسماء الرب تعالى هي أسماء ونعوت فإنها دالة على صفات كماله فلا تنافي فيها بين العلمية والوصفية فالرحمن اسمه تعالى ووصفه فمن حيث هو صفة جرى تابعا لاسم الله ومن حيث هو اسم ورد في القرآن غير تابع بل ورد الاسم العلم كقوله تعالى ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ انتهى ملخصا

(الحمد لله وصلاة الله على محمد وعلى آله وسلم)

قوله (الحمد لله) معناه الثناء بالكلام على الجميل الاختياري على وجه التعظيم فمورده : اللسان والقلب والشكر يكون باللسان والجنان والأركان فهو أعم من الحمد متعلقا وأخص منه سببا لأنه يكون في مقابلة النعمة والحمد أعم سببا وأخص متعلقا لأنه يكون فى مقابلة النعمة وغيرها فبينهما عموم وخصوص وجهى يجتمعان فى مادة وينفرد كل واحد عن الآخر فى مادة

قوله (وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم) أصح ما قيل فى معنى صلاة الله على عبده : ما ذكره البخارى رحمه الله تعالى عن أبي العالية قال : [صلاة الله على عبده ثناؤه عليه عند الملائكة] وقرره ابن القيم رحمه الله ونصره فى كتابيه جلاء الأفهام وبدائع الفوائد

قلت : وقد يراد بها الدعاء كما فى المسند عن على مرفوعا [الملائكة تصلى على أحدكم ما دام فى مصلاه : اللهم اغفر له اللهم ارحمه]

قوله (وعلى آله) أى أتباعه على دينه نص عليه الإمام أحمد هنا وعليه أكثر الأصحاب وعلى هذا فيشمل الصحابة وغيرهم من المؤمنين ." (١)

"وهي مع وَجازَتِها وقلَّة ألفاظها تبيِّن بوضوحٍ العقيدةَ السليمة المطابقة للفطرة، المَبنيّة على نصوص الكتاب والسنّة، وهي شاهدٌ واضحٌ للمَقولة المشهورة: إنَّ كلامَ السّلف قليلٌ كثيرُ البركة، وكلام المتكلِّمين كثيرٌ قليلُ البركة.

ومِن أمثلة ما في هذه المقدِّمة مِن النَّفي المتضمِّن إثباتَ كمالٍ لله تعالى قولُه في مطلع هذه المقدِّمة: ((إنَّ الله إلَهٌ واحدٌ لا إله غيرُه، ولا شبيهَ له، ولا نَظيرَ له، ولا وَلَدَ له، ولا وَالِدَ له، ولا صاحبةَ له، ولا شريكَ له)).

فإنَّ هذه المنفيّات عن الله عزَّ وجلَّ مستمَدَّةٌ مِن الكتاب والسنّة، وهذا بخلاف النّفي في كلام المتكلِّمين، فإنَّه مبنيٌّ على التّكلُّف، ومتّصفٌ بالغموض، ومِن أمثلة ذلك ما جاء في العقائد النسفيّة قول مؤلِّفها: ((ليس بعَرَض، ولا جسم، ولا جوهر، ولا مصوّر، ولا محدود، ولا معدود، ولا متبعِّض، ولا متجَزّ، ولا متركّب، ولا متناه)).

وهذه المنفيّات لَم يأت بالنَّصِّ عليها كتابٌ ولا سنّة، والواجبُ السّكوتُ والإمساكُ عمَّا لم يدلَّ عليه دليلٌ مِن الوحي، واعتقاد أنَّ اللهَ متَّصِف بكلِّ كمالٍ، منَزَّهٌ عن كلِّ نقصٍ، ومثلُ هذه السلوب لا يفهمها العوامُّ، ولا تطابق الفطرةَ التي هم عليها، وهي مِن تكلُّف المتكلِّمين، وفيها غموضٌ وتلبيسٌ؛ يتّضح ذلك بالإشارة إلى واحدٍ منها، وهو نفيُ الجسم، فإنَّه يحتمل أن يُراد به ذاتٌ مشابهة للمخلوقات، وعلى هذا الاحتمال يُردّ **اللفظُ والمعنى** جميعاً؛ لأنَّ اللهَ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وإن أُريد به ذاتٌ قائمةٌ بنفسها، مباينةٌ للمخلوقات، متّصفةٌ بصفات الكمال، فإنَّ هذا المعنى حقٌّ، ولا يجوز نفيُه عن الله، وإنَّما يُردّ هذا اللفظ لاشتماله على معنى حقّ ومعنى باطل.

وسيأتي في كلام المقريزي (ص: ١٤، ١٥) قولُه عن الصحابة:." (٢)

"في الجنة مثل ما في الدنيا، أبدا، ليس النخيل التي في الجنة مثل النخيل التي في الدنيا، الرمان ليس مثل الرمان الذي في الدنيا، وإن اشترك في الاسم والمعنى، كذلك أسماء الله وصفاته وإن اشتركت مع أسماء المخلوقين وصفاتهم **باللفظ والمعنى**، فالحقيقة والكيفية مختلفة، لا يعلمها." (٣)

"فالله سبحانه وتعالى لا يحاط به، فالله أعظم من كل شيء سبحانه وتعالى (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما) [طه:١١٠]، فالله سبحانه يعلم ولكن لا يحاط به، فالله أعظم من كل شيء ، فلا يتخيله الفكر، ولا يجوز لإنسان أن يقول في الله إلا ما قاله سبحانه عن نفسه، أو قاله عنه رسوله عليه الصلاة والسلام .

(١٠) ولا يشبه الأنام:

---

(١) فتح المجيد، ص/١٠

(٢) قطف الجنى الداني شرح مقدمة رسالة القيرواني، ص/٣

(٣) كتب العقيدة، ٢٨/١

هذه مثل العبارة التي مضت، ولا شيء مثله، والأنام معناه: الخلق، فالله سبحانه وتعالى منزه عن مشابهة الخلق: (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) [الشورى:١١]، (ولم يكن له كفوا أحدا) [الإخلاص:٤] فهو سبحانه منزه عن مشابهة خلقه، وإن كان له أسماء وصفات تشترك مع أسماء وصفات الخلق في **اللفظ والمعنى**، لكن في الحقيقة والكيفية لا تشابه بينهما.

(١١) حي لا يموت :

حياته كاملة لا يعتريها نقص ولا نوم (الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم) [البقرة:٢٥٥]، (وتوكل على الحي الذي لا يموت) [الفرقان:٥٨] فنفي عن نفسه السنة، وهي النوم الخفيف والنوم المستغرق(١)، ونفى عن نفسه الموت لكمال حياته سبحانه(٢). والنوم والنعاس والموت نقص في الحياة، وهذه من صفة المخلوق، وحياة المخلوق ناقصة فهو ينام ويموت.

---

(١) فعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات، فقال: "إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام....." إلخ الحديث .

...أخرجه مسلم رقم (١٧٩).

(٢) وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: "اللهم لك أسلمت وبك آمنت، وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت، اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون"

...أخرجه مسلم رقم (٢٧١٧)." [١]

"وقولِه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إنَّ الَّذي تَدْعونَهُ أَقْرَبُ إلى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ راحِلَتِه)).

وَمَا ذُكِرَ في الكِتابِ والسُّنَّةِ مِنْ قُرْبِهِ ومعيَّتِه لا يُنافي ما ذُكِرِ مِن عُلوِّهِ وفوقيَّتِه؛ فإِنَّهُ سبحانَهُ ليسَ كَمِثْلِهِ شيءٌ في جَميعِ نُعوتِه، وهُو عَليٌّ في دُنُوِّهِ، قريبٌ في عُلُوِّهِ). (١)

(ومِن الإيمانِ باللهِ وكُتُبِهِ الإيمانُ بأَنَّ القرآنَ: كَلامُ اللهِ، مُنَزَّلٌ، غَيْرُ مَخْلوقٍ. (٢)

---

(١) قولُه: (وما ذُكِرَ في الكِتابِ والسُّنَّةِ مِن قُربِه لا يُنافي ما ذُكِرَ مِن عُلُوّه وفوقِيَّتِه). فإنَّ عُلُوَّه -سُبْحَانَهُ- مِن لوازِمِ ذاتِه، فلا يكونُ قطُّ إلا عاليًا، ولا يكونُ فوقَه شيءٌ أَلْبَتَّة، كما قال أَعْلَمُ الخَلقِ بربّه: ((وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ)). فهُوَ -سُبْحَانَهُ- قريبٌ في عُلُوّه عالٍ في قُربِه، فأخبَرَ -صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ- أنَّه أَقْرَبُ إلى أحِدِهم مِن عُنُقِ راحلتِه، وأخبَرَ أنَّه فوقَ سماواتِه على عرشِه مطَّلِعٌ على خَلقِه يرى أعمالَهم، وهَذَا حقٌّ لا يُناقِضُ أحدُهما الآخَرَ، والذي يُسَهِّلُ عليكَ فَهْمَ هَذَا معرفةُ عظمَتِه -سُبْحَانَهُ- وإحاطتِه بخَلقِه، وأنَّ السَّماواتِ السَّبعِ في يدِه كخَردلَةٍ في يدِ العبدِ، فكَيْفَ يَستحِيلُ في حقّ مَن هَذَا بعضُ عظمَتِه أنْ يكونَ فوقَ عرشِه، ويَقْرُبُ مِن خَلقِه كَيْفَ شاءَ وهُوَ على العرشِ. انتهى. مِن "الصَّواعِقِ".

---

(١) كتب العقيدة، ١٩/١٦

قولُه: (فِي دُنُوِّهِ) أي: قُرْبِهِ.

قولُه: (فِي نُعوتِه) أي: فِي صفاتِه، فالوصْفُ والنَّعتُ مترادِفانِ، وقيل متقارِبانِ، فالوصفُ للذَّاتِ والنَّعتُ للفِعلِ.

(٢) فَصلٌ

قولُه: (ومِنَ الإيمانِ باللَّهِ وَكُتُبِهِ الإيمانُ بأنَّ القرآنَ كلامُ اللَّهِ) فمَن لم يُؤمِنْ بأنَّ القرآنَ كلامُ اللَّهِ لم يؤمِنْ باللَّهِ وكُتُبه. قال عبدُ اللَّهِ بنُ المبارَكِ: مَن كَفَرَ بحرفٍ مِن القرآنِ فقد كفَرَ بالقرآنِ، ومَن قال لا أؤمِنُ بهَذَا الكلامِ فقد كَفَرَ.

قولُه: (كلامُ اللَّهِ) قال تعالى: (فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللَّهِ). وقال: (يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلاَمَ اللَّهِ) الآيةَ. وعن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ –رضي اللَّهُ عنه– أنَّ رسولَ اللَّهِ –صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ– كان يَعرِضُ نَفْسَه فِي المَوْسِمِ فيقولُ: ((أَلاَ رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ لأُبَلِّغَ كَلاَمَ رَبِّي)). رواه أبو داودَ. فاتَّضحَ بهَذَا أنَّ القرآنَ كلامُ اللَّهِ لا كلامُ غيرِه، فمَن زعم أنَّه كلامُ غيرِه فهُوَ كافرٌ باللَّهِ العظيمِ.

وقال غيرُ واحدٍ مِن السَّلَفِ: مَن أنْكَرَ أنْ يكونَ اللَّهُ متكلِّماً أو يكونَ القرآنُ كلامَه فقد أَنكَرَ رسالةَ مُحَمَّدٍ –صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ–، بل ورسالةَ جميعِ الرُّسلِ التي حقيقَتُها: تبليغُ كلامِ اللَّهِ –عَزَّ وَجَلَّ–، فإذا لم يكُنْ ثَمَّ كلامٌ فماذا يُبَلِّغُ الرَّسولُ، بل كَيْفَ يُعقلُ كونُه رسولا؟ ولهَذَا قال مُنكِروا رسالَتِه عن القرآنِ: (إنْ هَذَا إلاَّ قولُ البَشَرِ) فمَن قال: إنَّ اللَّهَ لم يتكلَّمْ به – أي: القرآنِ – فقد ضاهَى قولُه قولَهم – تعالى اللَّهُ عمَّا يقولون عُلُواًّ كبيرًا.

قولُه: (مُنَزَّلٌ) هَذَا ردٌّ لكلامِ الجهميَّةِ والمعتزلةِ ممَّن يقولُ: إنَّه لم يُنَزَّلْ مِنه، فبيَّنَ فِي غيرِ موضعٍ أنَّه مُنَزَّلٌ مِن اللَّهِ، فمَن قال إنَّه مُنَزَّلٌ مِن بعضِ المخلوقاتِ كاللَّوْحِ والهواءِ فهُوَ مُفترٍ على اللَّهِ مكذِّبٌ لكتابِه، قال تعالى: (تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ). وقال: (قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ) وروحُ القُدُسِ جبريلُ، وهُوَ الرُّوحُ الأمينُ المذكورُ فِي قولِه: (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ) فجبريلُ –عليه السَّلامُ– سَمِعَه مِن اللَّهِ، والنَّبيُّ –صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ– سَمِعَه مِن جبريلَ، ولم يَقُلْ أحدٌ مِن السَّلَفِ إنَّ النَّبيَّ –صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ– سَمِعَه مِن اللَّهِ، وإنَّما قاله بعضُ المتأخِّرين، والآيةُ صريحةٌ فِي الردِّ عليهم، وصريحةٌ فِي أنَّه المتكلِّمُ به، وأنَّه مِنه نزَلَ، ومنه بَدَأ، وهُوَ الذي تكلَّمَ به، ومِن هنا قال السَّلَفُ مِن اللَّهِ بدأَ، فأخبرَ فِي الآياتِ المتقدِّمةِ أنَّه مُنَزَّلٌ مِن اللَّهِ ولم يُخبِرْ عن شيءٍ أنَّه منَزَّلٌ مِن اللَّهِ إلا كلامَه، بخلافِ نُزولِ الملائكةِ والمطرِ والحديدِ وغيرِ ذَلِكَ، وقد تَقدَّمَ ذِكرُ أقسامِ الإنزالِ فِي الكلامِ على الآياتِ.

قولُه: (غير مخلوقٍ). هَذَا ردٌّ لكلامِ الجهميَّةِ والمعتزِلةِ وغيرِهم ممَّن يقولُ: كلامُ اللَّهِ مخلوقٌ، فالجهميَّة يقولون: إنَّ اللَّهَ لا يتكلَّمُ، بل خَلقَ كلاماً فِي غيرِه وجَعلَ غيرَه يُعبِّرُ عنه، وما جاء مِن الأدلَّة أنَّ اللَّهَ تكلَّم أو يُكلِّمُ أو نادى أو نحوَ ذَلِكَ، قالوا هَذَا مجازٌ، وأمَّا المعتزِلةُ فيقولون: إنَّ اللَّهَ متكَلِّمٌ حقيقةً لكنْ معنى ذَلِكَ أنَّه خَلقَ الكلامَ فِي غيرِه، فمذَهبُهم ومَذهبُ الجهميَّةِ فِي المعنى سواءٌ، وحقيقةُ قولِ الطَّائفتَيْنِ أنَّه غيرُ متكلِّمٍ، وهَذَا باطلٌ مخالفٌ لقولِ السَّلَفِ والأئمَّةِ ومخالفٌ للأدلَّةِ العقليَّةِ والسَّمعيَّة، فإنَّه لا يُعْقَلُ متكلِّمٌ إلاَّ مَن قامَ به الكلامُ، ولا مُريدٌ إلاَّ مَن قامتْ به الإرادةُ، ولا محِبٌّ ولا راضٍ إلاَّ مَن قام به ذَلِكَ، ولأنَّ كلامَ اللَّهِ –سُبْحَانَهُ– مِن صفاتِه –سُبْحَانَهُ– غيرُ مخلوقةٍ، كما فِي الصَّحيحِ عن خَوْلَةَ بنتِ حكيمٍ أنَّ النَّبيَّ –صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ– قال: ((مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً فَقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْحَلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ))

فاستدلَّ العلماءُ بِذَلِكَ على أنَّ كلامَ اللَّهِ غيرُ مخلوقٍ. قالوا لأنَّ الاستعاذةَ بالمخلوقِ شِركٌ، وقال اللَّهُ -سُبْحَانَهُ وتعالى-: (وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ) الآيةَ، فهَذَا دليلٌ على أنَّ كلامَ اللَّهِ غيرُ مخلوقٍ؛ لأنَّ كُلَّ مخلوقٍ يَنْفَدُ ويَبِيدُ، وكلماتُه لا تَنفَدُ ولا تَبيدُ، وهَذَا الوصفُ لا يكونُ لمخلوقٍ، فالقُرآنُ كلامُ اللَّهِ ووحْيُه وتنَزْيلُه، فهُوَ غيرُ مخلوقٍ، فمَن زَعَم أنَّ القرآنَ مخلوقٌ فهُوَ كافرٌ باللَّهِ العظيمِ، كما رُوِيَ ذَلِكَ عن السَّلَفِ.

وذَكَرَ الشَّيخُ أبو الحسَنِ مُحَمَّدُ بنُ عبدِ المَلِكِ الكرخيُّ في كتابِه (الأُصول) قال: سمعتُ الإمامَ أبا منصورٍ مُحَمَّدَ بنَ أحمدَ، يقولُ: سمعتُ أبا حامدٍ الإسْفرَاييِنيَّ، يقولُ: ومذهبي ومذهبُ الشَّافعيّ وفقهاءِ الأمصارِ: أنَّ القرآنَ كلامُ اللَّهِ غيرُ مخلوقٍ، ومَن قال: مخلوقٌ فهُوَ كافرٌ، والقرآنُ حَمَلَهُ جبريلُ مسموعًا مِن اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- والنَّبيُّ -صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ- سَمِعَه مِن جبريلَ، والصَّحابةُ سَمِعوه مِن رسولِ اللَّهِ -صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ-، وهُوَ الذي نَتلُوه بألْسِنَتِنا، وفيما بين الدَّفتَيْنِ، وما في صُدورِنا مسموعًا ومَكتوبًا ومحفوظًا، وكُلُّ حرفٍ منه كالباءِ والتَّاءِ كُلُّه كلامُ اللَّهِ غيرُ مخلوقٍ، ومَن قال مخلوقٌ فهُوَ كافرٌ عليه لعائنُ اللَّهِ والنَّاسِ أجمعينَ.

وقال الشَّيخُ تقيُّ الدِّينِ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: ولم يَقُلْ أحدٌ مِن السَّلَفِ: إنَّ القرآنَ مخلوقٌ أو قديمٌ، بل الآثارُ متواترةٌ عنهم بأنَّهم يقولون: القرآنُ كلامُ اللَّهِ، ولَمَّا ظَهَرَ مَن قال: إنَّه مخلوقٌ، قالوا رداًّ لكلامِه: إنَّه غيرُ مخلوقٍ، وأوَّلُ مَن عُرِفَ أنَّه قال: القرآنُ مخلوقٌ الجعدُ بنُ دِرْهمٍ، وصاحِبُه الجهمُ بنُ صفوانَ، وأوَّلُ مَن عُرِفَ أنَّه قال: إنَّه قديمٌ هُوَ عبدُ اللَّهِ بنُ سعيدِ بنِ كِلابٍ. انتهى.

وأمَّا أفعالُ العِبادِ كأصواتِهم ومِدادِهم الذي يَكتُبون به القرآنَ، والوَرَقِ الذي يَكتُبون عليه، فإنَّ ذَلِكَ مِن جُملةِ المخلوقِ، ولذَلِكَ يقولونَ: الكلامُ كلامُ البارِئِ والصَّوتُ صوتُ القَارِئِ، وفي الحديثِ: ((زَيِّنُوا الْقُرآنَ بَأَصْوَاتِكُمْ)). قال ابنُ القيِّمِ في (النُّونيَّةِ):

وَكَذَلِكَ القرآنُ عينُ كلامِه الْ ... مسموعِ مِنه حقيقةً بَبَيانِ

هُوَ قولُ ربِّي كُلُّه لا بَعْضُه ... ... لفظاً ومعنًى ما هُما خَلْقانِ

تَنْزيلُ رَبِّ العالَمِينَ وقولُه ... ... **اللَّفظُ والمعنى** بِلا رَوَغانِ

لكنَّ أصواتَ العِبادِ وفِعلَهم ... ... كمِدادِهِم والرَّقِّ مخلوقانِ

فالصَّوتُ للقَاري ولكنَّ الكَلا ... م كلامُ ربِّ العرشِ ذي الإحسانِ." (١)

"وهُوَ كَلامُ اللهِ؛ حُروفُهُ، ومَعانيهِ (١) .

---

(١) قولُه: (وهُوَ كلامُ اللَّهِ) لأنَّه هُوَ الذي ألَّفَه وأنشأَهُ، وأمَّا قولُه: (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ) الآيةَ، فإضافَتُه إليه إضافةُ تبليغٍ لا إضافةُ إنشاءٍ وابتداءٍ، فإنَّه قال: قولُ رَسولٍ، ولم يَقُلْ: قَولُ مَلَكٍ ولا نَبِيٍّ، فإنَّ الرَّسولَ يُبلِّغُ كلامَ مُرسِلِه، وأيضًا فقولُه: أمينٌ دليلٌ على أنَّه لا يَزيدُ ولا يُنقِصُ، بل هُوَ أمينٌ على ما أُرسِلَ بِهِ يبلِّغُه عن مُرسِلِه، وأيضًا فإنَّ اللَّهَ كفَّرَ مَن جعلَه قولَ

---

(١) التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية، ص/١٢

البَشَرِ، ومُحَمَّدٌ بَشرٌ، فمَن جعَلَه قولَ مُحَمَّدٍ بمعنى أنَّ مُحَمَّداً أو غيرَه أنشأَهُ فقد كفَرَ، وما ذَكَرَ اللَّهُ في القرآنِ عن موسى –عليه السَّلامُ– وغيرِه وعن فرعونَ وإبليسَ، فإنَّ ذَلِكَ الكلامَ كلامُ اللَّهِ إخباراً عنهم، وكلامُ موسى وغيرِه مِن المخلوقينَ مخلوقٌ، والقرآنُ كلامُ اللَّهِ لا كلامُهم.

قولُه: (وهُوَ كلامُ اللَّهِ حُروفُه ومعانِيه) ليس شَيْءٌ مِنه كلاماً لغيرِه، لا لجبريلَ، ولا لمُحَمَّدٍ، ولا لغيرِهما، بل قد كفَّرَ اللَّهُ مَن جعَلَه قولَ البَشرِ، ولم يَقُلْ أحدٌ مِن السَّلَفِ إنَّ جبريلَ أَحْدَثَ ألفاظَه، ولا مُحَمَّدٌ، ولا أنَّ اللَّهَ خلَقَها في الهواءِ أو غيرِه مِن المخلوقاتِ، ولا أنَّ جبريلَ أخَذَها مِن اللَّوحِ المحفوظِ إلى غيرِ ذَلِكَ مِن الأقوالِ المبتدَعةِ، بل أهلُ السُّنَّةِ يقولون: إنَّ القرآنَ عينُ كلامِ اللَّهِ، حُروفُه ومعانِيهِ، ليس كلامُ اللَّهِ الحروفَ دُونَ المعاني، ولا المعاني دُونَ الحروفِ، عَكْسُ ما عليه أهلُ البِدَعِ مِن المعتزِلةِ والأشاعرةِ والكلابيَّةِ وغيرِهم؛ لأنَّ كلامَ المتكلِّمِ هُوَ عبارةٌ عن ألفاظِه ومعانيه، وعامَّةُ ما يُوجَدُ في الكِتابِ والسُّنَّةِ وكلامِ السَّلَفِ فإنَّه عندَ إطلاقِه يَتناوَلُ **اللَّفظَ والمعنى** جميعًا لِشُمولِه لهما، فلفظُ القولِ والكلامِ وما تَصرَّفَ منهما مِن فِعلٍ ماضٍ ومضارِعٍ وأمْرٍ ونَحوِ ذَلِكَ إنَّما يُعرَفُ في القرآنِ وسائرِ كلامِ العربِ إذا كان لَفظًا ومعنًى.

قالَ الشَّيخُ تقيُّ الدِّينِ بنُ تيميةَ –رَحِمَهُ اللَّهُ–: والصَّوابُ الذي عليه السَّلَفُ والأئمَّةُ: أنَّ الكلامَ حقيقةٌ في **اللَّفظِ والمعنى**، كما أنَّ الإنسانَ حقيقةٌ في البَدنِ والرُّوحِ، فالنِّزاعُ في النَّاطِقِ كالنِّزاعِ في مَنطِقِه. انتهى. والدَّليلُ على أنَّه حروفٌ حديثُ ابنِ مسعودٍ أنَّ النَّبيَّ –صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ– قال: ((مَنْ قَرَأَ الْقُرَآنَ فَأَعْرَبَهُ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَنَاتٍ)) وقال النَّبيُّ –صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ–: ((اقْرَؤوا القرآنَ قَبلَ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمٌ يُقِيمُونَ حُرُوفَهُ إِقَامَةَ السَّهْمِ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ يَتَعَجَّلُونَ آخِرَهُ وَلاَ يَتَأَجَّلُونَهُ)) رواهُ بنحوِه أحمدُ، وأبو داودَ، والبيهقيُّ في "سُننِه" والضياءُ المقدسيُّ في "المختارةِ عن جابرٍ" وقال أبو بكرٍ وعمرُ –رضي اللَّهُ عنهما–: إعرابُ القرآنِ أحبُّ إلينا مِن حِفظِ بعضِ حُروفِه، وقال عليٌّ –رضي اللَّهُ عنه–: مَن كفَرَ بحرفٍ منه فقد كفَرَ بِهِ كُلِّهِ، واتَّفقَ المسلمونُ على عددِ سُورِ القُرآنِ وآياتِه وكلماتِه وحروفِه، ولا خلافَ بين المسلِمينَ في أنَّ مَن جحَدَ مِن القرآنِ سورةً أو آيةً أو كلمةً أو حرفاً، مُتَّفَقٌ عليه أنَّه كافرٌ، وفي هَذَا حُجَّةٌ قاطعةٌ على أنَّه حروفٌ. انتهى.." (١)

"(وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ)، وقَوْلُهُ تَعَالَى: (إِنَّ هَذا القُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائيلَ أَكْثَرَ الَّذي هُمْ فيهِ مُخْتَلِفونَ). (١)

---

(١) قَوْلُهُ: (وَاتْلُ): أي اتَّبِعْ، والتِّلاوةُ هي الاتِّباعُ، يُقالُ اتْلُ أَثَرَ فلانٍ وتَلَوْتُ أَثَرَه وقَفَوتُه وقَصَصْتُه بمعنى تَبِعْتُ خَلفهُ، ويُسمَّى تَالي الكلامِ تَالِيًا؛ لأَنَّه يُتبِعُ بعضَ الحروفِ بعضًا لا يُخرِجُها جملةً واحدةً، وحقيقةُ التِّلاوةِ في هذا الموضعِ وغيرِه هي التِّلاوةُ المطلقةُ التَّامَّةُ، وهي تلاوةُ **اللفظِ والمعنى**. انتهى. ملخَّصًا مِن كلامِ ابنِ القيِّمِ.

قَوْلُهُ: (مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ): الوحيُ: لغةً: الإعلامُ في خفاءٍ، وفي الاصطلاحِ إعلامُ اللهِ أنبياءَه بالشَّيءِ، إمَّا بكتابٍ أو رسالةِ مَلَكٍ أو منامٍ أو إلْهَامٍ.

---

(١) التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية، ص/١٧

قَولُهُ: (مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ): أي القرآنِ بدليلِ قَولِهِ: (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ) – إلى قَولِهِ – (إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى) الآيةَ والمَسْمُوعُ واحدٌ، والكتابُ في الأصلِ جِنْسٌ، ثمَّ غَلَبَ على القرآنِ من بين الكُتبِ. انتهى، (الكَوْكَبُ المُنيرُ) ملخَّصًا.

قَولُهُ: (لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ): أي لا تُغيَّرُ ولا تُبدَّلُ، كما قال سُبْحَانَهُ: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) في هذه الآيةِ –كغيرِها– دليلٌ على أنَّ الكتابَ هو القرآنُ، خلافًا للكُلاَّبِيَّة فإنَّ اللهَ –سُبْحَانَهُ– سمَّى نفسَ مجموعِ **اللفظِ والمعنى** قرآنًا وكتابًا وكلامًا، كما تقدَّمَ في قَولِهِ: (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ) الآية فبيَّنَ أَنَّ الَّذي سَمِعوه هو القرآنُ، وهو الكتابُ، وقال تعالى: (تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ) وفي الآيةِ المتقدِّمةِ دليلٌ على أنَّ القرآنَ منَزَّلٌ من عندِ اللهِ، وأنَّه كلامُه، وفيها الحثُّ على تلاوتِه، وأنَّه –سُبْحَانَهُ– ضَمِنَ حفظَه من التَّغييرِ والتَّبديلِ.

قَولُهُ: (إِنَّ هَذا القُرْآنَ): مصدرُ قرأَ، أي جمعَ لجِمْعِهِ السُّورَ أو ما في الكتبِ السَّابقةِ.

قَولُهُ (يَقُصُّ): أي يُبيِّنُ (عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ) وهم حَمَلَةُ التَّوراةِ (أَكْثَرَ الَّذي هُمْ فيهِ مُخْتَلِفونَ) وذلك كاختلافِهم في أمرِ عيسى وَتَبَايُنِهم فيه، فجاءَ القرآنُ بالقولِ العَدْلِ الحقِّ أنَّه عبدٌ من عبادِ اللهِ ونبيٌّ مِن أنبيائِه، وفي الآيةِ دليلٌ على عظمةِ هذا الكتابِ وَهَيْمَنَتِه على الكتبِ السَّابقةِ، وتَوْضيحِه لما وَقَعَ فيها من اشتباهٍ، وإضافةِ القصصِ والتَّوضيحِ إليه وتضمُّنِ وجوبِ الرُّجوعِ إليه واتِّباعِه.." (١)

" والثاني قولهم عبارة إن أرادوا أن هذا التالي هو الذي عبر عن كلام الله تعالى القائم بنفسه لزم أن يكون كل تال معبرا عما في نفس الله والمعبر عن غيره هو المنشيء للعبارة فيكون كل قارىء هو المنشيء لعبارة القرآن وهذا معلوم الفساد بالضرورة

وإن أرادوا أن القرآن العربي عبارة عن معانيه فهذا حق إذ كل كلام لفظه عبارة عن معناه لكن هذا لا يمنع أن يكون الكلام متناولا **اللفظ والمعنى** انتهى

قال شيخ الإسلام موفق الدين بن قدامة المقدسي في مصنف له واعترض القائل بكلام النفس بوجوه أحدها قول الأخطل

إن الكلام لفي الفؤاد ... . البيت ." (٢)

"المصدر الثالث: لغة العرب.

لقد خاطب الله – عز وجل – الناس في القرآن الكريم بلغة العرب، وكان محمد – صلى الله عليه وسلم – أفصح الناس لسانا، وقد نشأ بين قريش أفصح العرب جميعا، فكان لابد لبيان معاني كلام الله –تعالى –، وكلام رسوله – صلى الله عليه وسلم –، من معرفة بلغة العرب، وفهم لدلالتها على المعاني.

---

(١) التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية، ص/٩٦

(٢) العين والأثر، ص/٨٣

وعلى ضوء فهم لغة العرب وتشعب معانيها يمكن تفسير كلام الله، وكلام رسوله – صلى الله عليه وسلم –. يقول الإمام الشافعي – رحمه الله –: "وإنما بدأت بما وصفت من أن القرآن نزل بلسان العرب دون غيره؛ لأنه لا يعلم من إيضاح جمل علم الكتاب أحد جهل سعة لسان العرب، وكثرة وجوهه، وجماع معانيه وتفرقها، ومن علمه انتفت عنه الشبه التي دخلت على من جهل لسانها "١. ويقول شيخ الإسلام – رحمه الله –: ".. الاستدلال بالقرآن إنما يكون على لغة العرب التي أنزل بها، بل قد نزل بلغة قريش، كما قال –تعالى –: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾ [إبراهيم –٤] وقال: ﴿بلسان عربي مبين﴾ [الشعراء –١٩٥]، فليس لأحد أن يحمل ألفاظ القرآن على غير ذلك من عرف عام أو اصطلاح خاص"٢. وكذلك ألفاظ السنة لا طريق لبيانها إلا بمعرفة لغة العرب ودلالتها على المعاني، يقول شيخ الإسلام – رحمه الله –: "والطريق إلى معرفة ما جاء به الرسول أن تعرف ألفاظه الصحيحة، وما فسرها به الذين تلقوا عنه **اللفظ والمعنى**، ولغتهم التي كانوا يتخاطبون بها، وما حدث من العبارات وتغير من الاصطلاحات"٣.

---

١ – الرسالة للإمام الشافعي ص٥٠.

٢ – بيان تلبيس الجهمية ١/٤٩٢.

٣ – المرجع السابق ١/١٥٩.." [1]

"المصدر الرابع: آثار السلف

يعتمد أهل السنة على الآثار المنقولة عن السلف؛ من الصحابة والتابعين، في بيان كلام الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم –، فهم الأعلم بها من غيرهم، وهكذا فألفاظهم في العقيدة مأخوذة من كلام الله ورسوله، أو مبينة لها بعبارات صحيحة، بناء على لغتهم العربية الفصيحة، وصحة فهمهم للألفاظ الشرعية.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: "والطريق إلى معرفة ما جاء به الرسول أن تعرف ألفاظه الصحيحة، وما فسرها به الذين تلقوا عنه **اللفظ والمعنى**، ولغتهم التي كانوا يتخاطبون بها، وما حدث من العبارات وتغير من الاصطلاحات"١.

ويقول أيضا: "إن المرجع في ثبوت هذه الأسماء عن الشارع، وفي بيان معناها إلى من نقل عنه القرآن والحديث لفظه ومعناه، وهم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، الذين تلقوا الإيمان والقرآن والحديث بعضهم عن بعض حتى يصل إليه، أو أخذ ذلك هو بلغته التي كان يخاطب بها"٢.

وهكذا كان السلف المتقدمون، يأخذون عن سلفهم من الصحابة والتابعين ألفاظهم في العقيدة، يقول الإمام أحمد – رحمه الله –: "لست أتكلم إلا ما كان في كتاب الله، وسنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أو عن الصحابة أو عن التابعين، وأما غير ذلك فالكلام فيه غير محمود"٣.

ويقول الإمام ابن القيم – رحمه الله –: "فإذا كان الصحابة تلقوا عن نبيهم معاني القرآن كما تلقوا عنه ألفاظه، لم يحتاجوا

---

(١) الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية، /

بعد ذلك إلى لغة أحد، فنقل معاني القرآن عنهم كنقل

---

١ – بيان تلبيس الجهمية ١/١٥٩.

٢ – المرجع السابق ١/١٩٠.

٣ – الإبانة لابن بطة ٢/٥٣٨ – ٥٣٩.." [(١)]

"أورد هذه الآثار الثلاثة – أعني أثر أم سلمة وربيعة ومالك – ابن قدامة في كتابه (ذم التأويل) ثم قال: "وهذه الأقوال الثلاثة متقاربة **المعنى واللفظ**، فمن المحتمل أن يكون ربيعة ومالك بلغهما قول أم سلمة فاقتديا بها وقالا مثل قولها لصحته وحسنه وكونه قول إحدى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، ومن المحتمل أن يكون الله تعالى وفقهما للصواب وألهمهما من القول السديد مثل ما ألهمها"(١).

وقد تقدم أن أثر أم سلمة – رضي الله عنها – لم يثبت عنها، فلم يبق إلا الاحتمال الثاني وهو أن الله وفقهما للصواب وألهمهما هذا القول السديد، وربما أن مالكا – رحمه الله – سمعه من شيخه فاقتدى به، أو أنه لم يسمعه منه ولكن وفق إليه كما وفق إليه شيخه.

وذكر الذهبي في كتابه الأربعين أن هذا الأثر يروى أيضا عن وهب بن منبه(٢)، لكن لم أقف عليه في مصادر التخريج.

ويشبه تماما قول ربيعة ومالك هذا قول أبي جعفر الترمذي (ت٢٩٥هـ) – رحمه الله – عندما سئل عن صفة النزول.

قال الخطيب البغدادي: حدثني الحسن بن أبي طالب قال: نبأنا أبو الحسن منصور بن محمد بن منصور القزاز قال: سمعت أبا الطيب أحمد بن عثمان السمسار والد أبي حفص بن شاهين يقول: حضرت عند أبي جعفر الترمذي فسأله سائل عن حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله تعالى ينزل إلى سماء الدنيا ..."، فالنزول كيف يكون يبقى فوقه علو؟!، فقال أبو جعفر الترمذي: "النزول معقول، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة"(٣).

وأورده الذهبي في العلو، قال الألباني – حفظه الله –: "وهذا إسناد رجاله كلهم ثقات ..."(٤).

---

(١) ذم التأويل (ص:٢٦).

(٢) الأربعين "ص:٨٠ ضمن مجموع الرسائل الست له".

(٣) تاريخ بغداد (١/٣٦٥).

(٤) مختصر العلو (ص:٢٣٢).." [(٢)]

---

(١) الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية، /

(٢) الأثر المشهور عن الإمام مالك رحمه الله في صفة الاستواء، ٢/٣

."

ثم"إن الله — سبحانه – وصف نفسه بأنه بين لعباده غاية البيان، وأمر رسوله بالبيان، وأخبر أنه أنزل عليه كتابه ليبين للناس، ولهذا قال الزهري:"من الله البيان، وعلى رسوله البلاغ، وعلينا التسليم"(١)، فهذا البيان الذي تكفل به — سبحانه –، وأمر به رسوله، إما أن يكون المراد به بيان اللفظ وحده، أو المعنى وحده، أو **اللفظ والمعنى** جميعا، ولا يجوز أن يكون المراد به بيان اللفظ دون المعنى، فإن هذا لا فائدة فيه، ولا يحصل به مقصود الرسالة، وبيان المعنى وحده بدون دليله وهو اللفظ الدال عليه ممتنع، فعلم قطعا أن المراد بيان **اللفظ والمعنى**.

والله تعالى أنزل كتابه – ألفاظه ومعانيه –، وأرسل رسوله ليبين **اللفظ والمعنى**، فكما أنا نقطع ونتيقن أنه بين اللفظ، فكذلك نقطع ونتيقن أنه بين المعنى، بل كانت عنايته ببيان المعنى أشد من عنايته ببيان اللفظ، وهذا هو الذي ينبغي، فإن المعنى هو المقصود، وأما اللفظ فوسيلة إليه ودليل عليه، فكيف تكون عنايته بالوسيلة أهم من عنايته بالمقصود؟، وكيف نتيقن بيانه للوسيلة ولا نتيقن بيانه للمقصود؟، وهل هذا إلا من أبين المحال؟

فإن جاز عليه ألا يبين المراد من ألفاظ القرآن، جاز عليه ألا يبين بعض ألفاظه، فلو كان المراد منها خلاف حقائقها وظواهرها ومدلولاتها وقد كتمه عن الأمة، ولم يبينه لها كان ذلك قدحا في رسالته وعصمته، وفتحا للزنادقة والملاحدة من الرافضة وإخوانهم باب كتمان بعض ما أنزل عليه، وهذا مناف للإيمان به وبرسالته"(٢).

(١) رواه البخاري في صحيحه تعليقا (١٣/٥٠٣ – الفتح)، ووصله الحميدي في النوادر، والخطيب البغدادي وابن أبي عاصم في كتاب الأدب، كما في فتح الباري لابن حجر.

(٢) الصواعق المرسلة لابن القيم (٢/٧٣٧ – ٧٣٨).." [١]

"(ف): قوله (الله) قال الكسائي والفراء: أصله الإله، حذفوا الهمزة، وأدغموا اللام في اللام، فصارتا لاما واحدة مشددة مفخمة. قال العلامة ابن القيم رحمه الله : الصحيح: أنه مشتق، وأن أصله الإله، كما هو قول سيبويه وجمهور أصحابه إلا من شذ. وهو الجامع لمعاني الأسماء الحسنى والصفات العلى. والذين قالوا بالاشتقاق إنما أرادوا أنه دال على صفة له تعالى. وهي الإلهية كسائر أسمائه الحسنى، كالعليم والقدير، والسميع، والبصير، ونحو ذلك. فإن هذه الأسماء مشتقة من مصادرها بلا ريب، وهي قديمة، ونحن لا نعني بالاشتقاق إلا أنها ملاقية لمصادرها في **اللفظ والمعنى**، لا أنها متولدة منه تولد الفرع من أصله. وتسمية النحاة للمصدر والمشتق منه: أصلا وفرعا. ليس معناه أن أحدهما متولد من الآخر. وإنما هو باعتبار أن أحدهما يتضمن الأخر وزيادة.

قال أبو جعفر بن جرير (الله) أصله (الإله) أسقطت الهمزة التي هي فاء الاسم. فالتقت اللام التي هي عين الاسم واللام الزائدة وهي ساكنة فأدغمت في الأخرى، فصارتا في اللفظ لاما واحدة مشددة. وأما تأويل (الله) فإنه على معنى ما روى لنا عن عبد الله بن عباس قال: هو الذي يأله كل شيئ ويعبده كل خلق وساق بسنده عن الضحاك عن عبد الله بن عباس

(١) الأثر المشهور عن الإمام مالك رحمه الله في صفة الاستواء، ٣/١٦

قال: الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين فإن قال لنا قائل: وما دل على أن الألوهية هي العبادة وأن الإله هو المعبود، وأن له أصلا في فعل ويفعل، وذكر بيت رؤبة بن العجاج.

لله در الغانيات المدة ... سبحن واسترجعن من تألهي." (١)

."

٣٢- وهو المبعوث إلى عامة الجن(١) وكافة الورى، بالحق والهدى، وبالنور والضياء .

[الإيمان بالقرآن الكريم]

٣٣- وأن القرآن كلام الله(٢)، منه بدا بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحياً، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر، وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر، حيث قال تعالى: ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾ [المدثر:٢٦] فلما أوعد الله بسقر لمن قال: ﴿ إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾ [المدثر:٢٥]، علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر، ولا يشبه قول البشر(٣)

---

(١) ...أقول: ومن ضلالات القاديانية إنكارهم لـ(الجن) كخلق غير الإنس ويتأولون كل الآيات والأحاديث المصرحة بوجودهم ومباينتهم للإنس في الخلق، بمايعود إلى أنهم الإنس أنفسهم أو طائفة منهم حتى إبليس نفسه يقولون إنه إنسي شرير! فما أضلهم! . (ن)

(٢) ...القرآن العظيم كلام الله لفظه ومعانيه: فلا يقال القرآن اللفظ دون المعنى كما هو قول أهل الاعتزال، ولا المعنى دون اللفظ كما هو قول الكلابية الضلال، ومن تابعهم على باطلهم من أهل الكلام الباطل المذموم، فأهل السنة والجماعة يقولون ويعتقدون أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، ألفاظه ومعانيه عين كلام الله سمعه جبريل من الله، والنبي سمعه من جبريل، والصحابة سمعوه من النبي فهو المكتوب بالمصاحف المحفوظ بالصدور المتلو بالألسنة .

قال الحافظ ابن القيم رحمه الله :

وكذلك القرآن عين كلامه الـ...ـمسموع منه حقيقة ببيان

هو قول ربي كله لا بعضه...لفظاً ومعنى ماهما خلقان

تنزيل رب العالمين ووحيه...اللفظ والمعنى بلا روغان (م)

(٣) ...نقل هذا الكلام عن المصنف رحمه الله شيخ الإسلام ابن تيمية في ((مجموع الفتاوى)) (٥٠٧/١٢) مستشهداً به، وقال الشارح ابن أبي العز رحمه الله (ص١٧٩ الطبعة الرابعة):

((وهذا الذي حكاه الطحاوي رحمه الله هو الحق الذي دلت عليه الأدلة من الكتاب والسنة لمن تدبرهما، وشهدت به

---

(١) الترتيب الفريد من شروحات كتاب التوحيد، ٣/١

الفطرة السليمة التي لم تغير بالشبهات والشكوك والآراء الباطلة. وقد افترق الناس في مسألة الكلام على تسعة أقوال)):
ثم ساقها، ومنها الثالث، وهو أنه معنى واحد قائم بذات الله، هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار، وإن عبر عنه بالعربية كان قرآناً، وإن عبر عنه بالعبرانية كان توراة، وهذا قول ابن كلاب ومن وافقه، كالأشعري وغيره. قال:
وسابعها أن كلامه يتضمن معنى قائماً بذاته هو ما خلقه في غيره وهذا قول أبي منصور الماتريدي ...
وتاسعها أنه تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وهو يتكلم به بصوت يسمع، وأن نوع الكلام قديم وإن لم يكن الصوت المعين قديماً، وهذا المأثور عن أئمة الحديث والسنة.
وقوله: ((كلام الله منه بدا بلا كيفية قولاً)) – رد على المعتزلة وغيرهم .
فإن المعتزلة تزعم أن القرآن لم يبد منه، كما تقدم حكاية قولهم. وقال الشيخ محمد بن مانع رحمه الله تعالى (ص٨):
((القرآن العظيم كلام الله لفظه ومعانيه فلا يقال اللفظ دون المعنى كما هو قول أهل الاعتزال، ولا المعنى دون اللفظ كما هو قول الكلابية الضلال، ومن تابعهم على باطلهم من أهل الكلام الباطل المذموم، فأهل السنة والجماعة يقولون ويعتقدون أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، ألفاظه ومعانيه عين كلام الله سمعه جبريل من الله والنبي سمعه من جبريل، والصحابة سمعوه من النبي، فهو المكتوب بالمصاحف المحفوظ بالصدور المتلو بالألسنة .
=...قال الحافظ ابن القيم رحمه الله:

وكذلك القرآن عين كلامه الـ

ـمسموع منه حقيقة ببيان

هو قول ربي كله لا بعضه

لفظاً ومعنى ما هما خلقان

تنزيل رب العالمين ووحيه

اللفظ والمعنى بلا روغان))

وقال الشارح رحمه الله (ص١٩٤-١٩٥) :
((وكلام الطحاوي رحمه الله يرد قول من قال: إنه معنى واحد لا يتصور سماعه منه، وأن المسموع المنزَّل المقروء والمكتوب ليس كلام الله، وإنما هو عبارة عنه. فإن الطحاوي رحمه الله يقول: ((كلام الله منه بدا)). وكذلك قال غيره من السلف، ويقولون: منه بدأ، وإليه يعود. وإنما قالوا: منه بدأ، لأن الجهمية من المعتزلة وغيرهم كانوا يقولون إنه خلق الكلام في محل، فبدأ الكلام من ذلك المحل. فقال السلف: ((منه بدأ)) أي هو المتكلم به، فمنه بدأ، لا من بعض المخلوقات، كما قال تعالى: ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ [الزمر:١]. ﴿ وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي ﴾ [السجدة:١٣] ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِ ﴾ [النحل:١٠٢]. ومعنى قولهم: ((وإليه يعود)): يرفع من الصدور والمصاحف، فلا يبقى في الصدور منه آية ولا في المصاحف. كما جاء ذلك في عدة آثار .

وقوله ((بلا كيفية)): أي: لا تعرف كيفية تكلمه به ((قولاً)) ليس بالمجاز، ((وأنزله على رسوله وحياً)) أي: أنزله إليه على لسان الملك، فسمعه الملك جبرائيل من الله، وسمعه الرسول محمد – صلى الله عليه وسلم – من الملك، وقرأه على الناس. قال تعالى: ﴿ وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً ﴾ [الإسراء:١٠٦] وقال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ [الشعراء:١٩٣-١٩٥]. وفي ذلك إثبات صفة العلو لله تعالى . (ن)." (١)

"هذا فيه إثبات القدر وإثبات الإرادة، فلا يكون في ملكه ولا يحصل في خلقه من الحوادث والكائنات إلا ما أراده سبحانه وتعالى بالإرادة الكونية: (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) [يس:٨٢]، فكل خير وكل شر فهو بإرادة الله الكونية، فلا يخرج عن إرادته شيء، وهذا فيه رد على القدرية الذين ينفون القدر، ويزعمون أن العبد هو الذي يخلق فعل نفسه ويوجد فعل نفسه، تعالى الله عما يقولون، وهذا تعجيز لله، وأنه يكون في خلقه ما لا يريده سبحانه وتعالى، فهذا وصف له بالنقص، فجميع ما يكون في الكون من خير وشر فإنه بإرادته، فيخلق الخير لحكمة، ويخلق الشر لحكمة، فهو من جهة خلقه له ليس بشر؛ لأنه لحكمة عظيمة، ولغاية عظيمة، وهي الابتلاء والامتحان، وتمييز الخبيث من الطيب، والجزاء على الأعمال الصالحة، والجزاء على الأعمال السيئة، له الحكمة في ذلك سبحانه وتعالى، لم يخلق ذلك عبثاً.

(٩) لا تبلغه الأوهام ولا تدركه الأفهام:

فالله سبحانه وتعالى لا يُحاط به، فالله أعظم من كل شيء سبحانه وتعالى (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علماً) [طه:١١٠]، فالله سبحانه يُعلم ولكن لا يُحاط به، فالله أعظم من كل شيء ، فلا يتخيله الفكر، ولا يجوز لإنسان أن يقول في الله إلا ما قاله سبحانه عن نفسه، أو قاله عنه رسوله عليه الصلاة والسلام .

(١٠) ولا يشبه الأنام:

هذه مثل العبارة التي مضت، ولا شيء مثله، والأنام معناه: الخلق، فالله سبحانه وتعالى منزه عن مشابهة الخلق: (ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير) [الشورى:١١]، (ولم يكن له كفواً أحداً) [الإخلاص:٤] فهو سبحانه منزه عن مشابهة خلقه، وإن كان له أسماء وصفات تشترك مع أسماء وصفات الخلق في **اللفظ والمعنى**، لكن في الحقيقة والكيفية لا تشابه بينهما.

(١١) حي لا يموت :." (٢)

"وأما الكلام فهو قديم، وما استبعدوه من قوله تعالى " فاخلع نعليك " ومن قوله تعالى " إنا أرسلنا نوحاً " استبعاد مستنده تقديرهم الكلام صوتاً وهو محال فيه، وليس بمحال إذ فهم كلام النفس. فإنا نقول يقوم بذات الله تعالى خبر عن إرسال نوح العبارة عنه قبل إرساله: إنا نرسله، وبعد إرساله: إنا أرسلنا، واللفظ يختلف باختلاف الأحوال والمعنى القائم بذاته تعالى لا يختلف، فإن حقيقته أنه خبر متعلق بمخبر ذلك الخبر هو إرسال نوح في الوقت المعلوم وذلك لا يختلف باختلاف الأحوال كما سبق في العلم، وكذلك قوله اخلع نعليك لفظة تدل على الأمر والأمر اقتضاء وطلب يقوم بذات

---

(١) التعليقات الأثرية على العقيدة الطحاوية لأئمة الدعوة السلفية، ص/١٣

(٢) التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية، ص/١٨

الأمر وليس شرط قيامه به أن يكون المأمور موجوداً ولكن يجوز أن يقوم بذاته قبل وجود المأمور، فإذا وجد المأمور كان مأموراً بذلك الاقتضاء بعينه من غير تحدد اقتضاء آخر. وكم من شخص ليس له ولد ويقوم بذاته اقتضاء طلب العلم منه على تقدير وجوده، إذ يقدر في نفسه أن يقول لولده اطلب العلم وهذا الاقتضاء يتنجز في نفسه على تقدير الوجود، فلو وجد الولد وخلق له عقل وخلق له علم بما في نفس الأب من غير تقدير صياغة لفظ مسموع، وقدر بقاء ذلك الاقتضاء على وجوده لعلم الابن أنه مأمور من جهة الأب بطلب العلم في غير استئناف اقتضاء متجدد في النفس، بل يبقى ذلك الاقتضاء نعم العادة جارية بأن الابن لا يحدث له علم إلا بلفظ يدل على الاقتضاء الباطن، فيكون قوله بلسانه أطلب العلم، دلالة على الاقتضاء الذي في ذاته سواء حدث في الوقت أو كان قديماً بذاته قبل وجود ولده. فهكذا ينبغي أن يفهم قيام الأمر بذات الله تعالى فتكون الألفاظ الدالة عليه حادثة والمدلول قديماً ووجود ذلك المدلول لا يستدعي وجود المأمور بل تصور وجوده مهما كان المأمور مقدر الوجود، فإن كان مستحيل الوجود ربما لا يتصور وجود الاقتضاء ممن يعلم استحالة وجوده. فلذلك لا نقول إن الله تعالى يقوم بذاته اقتضاء فعل ممن يستحيل وجوده، بل ممن علم وجوده، وذلك غير محال.
فإن قيل أفتقولون إن الله تعالى في الأزل آمر وناه، فإن قلتم أنه آمر فكيف يكون آمر لا مأمور له ؟ وإن قلتم لا فقد صار آمراً بعد أن لم يكن.
قلنا: واختلف الأصحاب في جواب هذا، والمختار أن تقول هذا نظر يتعلق أحد طرفيه بالمعنى والآخر بإطلاق الاسم من حيث اللغة. فأما حظ المعنى فقد انكشف وهو أن الاقتضاء القديم معقول وإن كان سابقاً على وجود المأمور كما في حق الولد ينبغي أن يقال اسم الأمر ينطلق عليه بعد فهم المأمور ووجوده أم ينطلق عليه قبله ؟ وهذا أمر لفظي لا ينبغي للناظر أن يشتغل بأمثاله، ولكن الحق أنه يجوز اطلاقه عليه كما جوزوا تسمية الله تعالى قادراً قبل وجود المقدور، ولم يستبعدوا قادراً ليس له مقدور موجود بل قالوا القادر يستدعي مقدوراً معلوماً لا موجوداً فكذلك الآمر يستدعي مأموراً معلوماً موجوداً والمعدوم معلوم الوجود قبل الوجود، بل يستدعي الأمر مأموراً به كما يستدعي مأموراً ويستدعي آمراً أيضاً والمأمور به يكون معدوماً ولا يقال إنه كيف يكون آمر من غير مأمور به، بل يقال له مأمور به هو معلوم وليس يشترط كونه موجوداً، بل يشترط كونه معدوماً بل من أمر ولده على سبيل الوصية بأمر ثم توفي فأتى الولد بما أوصي به يقال امتثل أمر والده والأمر معدوم والأمر في نفسه معدوم ونحن مع هذا نطلق اسم امتثال الأمر، فإذا لم يستبعد كون المأمور ممتثلاً للأمر ولا وجود للأمر ولا للآمر ولم يستبعد كون الأمر أمراً قبل وجود المأمور به، فمن أين يستدعي وجود المأمور ؟ فقد انكشف من هذا حظ اللفظ والمعنى جميعاً ولا نظر إلا فيهما. فهذا ما أردنا أن نذكره في استحالة كونه محلاً للحوادث إجمالاً وتفصيلاً.
الحكم الرابع
إن الأسامي المشتقة لله تعالى من هذه الصفات السبعة صادقة عليه أزلاً وأبداً، فهو في القدم كان حياً قادراً عالماً سميعاً بصيراً متكلماً، وأما ما يشتق له من الأفعال كالرازق والخالق والمعز والمذل فقد اختلف في أنه يصدق في الأزل أم لا. وهذا إذا كشف الغطاء عنه تبين استحالة الخلاف فيه.

والقول الجامع أن الأسامي التي يسمى بها الله تعالى أربعة: الأول: أن لا يدل إلا على ذاته كالموجود، وهذا صادق أزلاً وأبداً.." (١)

"فللحاكم المسلم العدل أن يعزر القاتل تعزيرا بما دون القتل، وأن يعامله بما هو أخف من ذلك مثل معاملة الكفار للكافر إذا قتل مسلما، فغالب أحوالهم لا يوجبون القصاص على الكافر إذا قتل المسلم، فمن باب المعاملة بالمثل يترجح عدم جواز قتل المسلم بالكافر، عملا بقوله تعالى: (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به)(( ) سورة النحل آية (١٢٦).). وإن كان الإسلام لا يبيح مجاراة الكفار في ظلمهم وغطرستهم بصفة عامة.

ومما تقدم يتضح أن قتل المسلم بالكافر ليس حدا لا تصح الزيادة فيه أو النقص منه، ولذلك عارض جمهور العلماء مسألة القصاص في قتل المسلم بالكافر، للحديث الصحيح في ذلك «وألا يقتل مسلم بكافر»(( ) رواه البخاري، انظر فتح الباري ج١٢ ص٢٦١ وصححه كذلك بعد تنقيح جميع طرقه، وتخريج الأحاديث المعارضة له في **اللفظ والمعنى** الشيخ ناصر الدين الألباني، حيث يرى وجوب العمل به وضعف ما ذهب إليه الحنفية من جواز قتل المسلم بالكافر بعد تضعيفه لجميع الروايات التي يحتجون بها. انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة ج١ ص٤٧٣-٤٧٦.) والمرتد عن الإسلام كافر من جنس الكفار، فالذي ينتمي إلى الأحزاب الشيوعية، أو الأحزاب البعثية، أو الأحزاب الاشتراكية، أو المنظمات الماسونية، فإنه كافر ومرتد لخروجه من حزب الله إلى أحزاب الكفر والضلال، ولذلك لو قتل المسلم واحدا ممن ينتمون إلى تلك الأحزاب الكافرة، فإنه لا يعاقب باعتباره قاتلا عمدا سواء قتل المرتد قبل الاستتابة أو بعدها، لأن كل جناية على المرتد هدرا ما دام باقيا على ردته (( ) انظر التشريع الجنائي الإسلامي/ عبد القادر عودة ج١ ص٥٣٤-٥٣٥.).." (٢)

"يعلمون أن لا وجود لهم في بلد يسعى لتطبيق الإسلام الحق لأن أول ما يهدف إليه الإسلام تحقيق التكافل الاجتماعي بين أفراد الأمة المسلمة وإقامة العدل في الأرض والمساواة في توزيع الثروة الجماعية ونشر المحبة والأخوة والسلام، والتكافل الاجتماعي هو بيت العنكبوت الذي يتمسك به دعاة الشيوعية والاشتراكية، فإذا لم يوجد المبرر لهم فكيف يحافظ هؤلاء على مغتصباتهم ومغتصبات أسيادهم في بلاد المسلمين فهم جميعا كما يقول الشاعر:

خفافيش أعشاها النهار بضوئه

ووافقها قطع من الليل مظلم(( ) الدرر السنية ج٩ ص٣٦٤.)

ومن هذا الاستعراض المتقدم لمآسي المسلمين ومصائبهم ودور المسلمين عامة والحكومات خاصة في موالاة المؤمنين المنكوبين على أيدي أعداء الإسلام من الشرق والغرب أو أيدي عملائهم المخلصين نجد الحقيقة المرة التي تقول «إن المسلمين قد عطلوا هذا الأصل العظيم من أصول الإسلام، وقطعوا أوثق عرى الإيمان فلم يوالوا في الله من تجب موالاته ولم يعادوا في الله من تجب معاداته ولم يكتفوا بهذا الموقف المتبع من أهل الحق والباطل على حد سواء بل قد عكسوا الصورة رأسا على عقب فحاربوا أولياء الله حربا، لا هوادة فيها مستغلين كل الوسائل الممكنة في ذلك، وتولوا الكفار موالاة تامة بالقول والفعل

---

(١) الاقتصاد في الاعتقاد، ص/٤٧

(٢) الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية، ٣٤٦/٢

والاعتقاد، وقد دأبوا على تحقيق هذا المفهوم الزائف والكفر البواح بكل قوة ووسيلة يمتلكونها لتحقيق هذا الغرض الذي هو مطلب من مطالب الكفار في القضاء على الإسلام والمسلمين».

ولكن أملنا بالله عز وجل كبير في أن يرد المسلمين إلى منهج الإسلام فيوالوا أولياء الله ويعادوا أعداءه وما ذلك على الله بعزيز.

الخاتمة

لقد اتضح لي مما أجملناه في نتائج ما سبق من مباحث هذه الرسالة أن «الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية» ترتكز على أساس ما دل عليه القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وكلاهما وحي من الله تعالى: الأول **باللفظ والمعنى** والثاني بالمعنى دون اللفظ.." (١)

"أما الانتقاد فهو أن يُقال: إن الواجب أن نؤمن به لفظا ومعنىً، لكن إذا جهلنا المعنى نؤمن بالمعنى على مراد الله جل وعلا، أو على مراد الرسول صلى الله عليه و سلم،كما سيأتينا من كلمة الإمام الشافعي أنه قال ''آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله وآمنت برسول الله صلى الله عليه و سلم وبما جاء عن رسول الله صلى الله عليه و سلم على مراد رسول الله'' يعني إذا جهل المعنى، فإذا جهلتَ المعنى تؤمن **باللفظ والمعنى** لكن المعنى على مراد من تكلم به، ووجه الانتقاد الذي أُنتقد به الإمام ابن قدامة في هذه اللفظة أنه يجب الإيمان **باللفظ والمعنى**، أمّا الإيمان بلفظ مجرد عن المعنى فهذا هو قول أهل البدع؛ الذين يقولون: نحن نؤمن بألفاظ الكتاب والسنة دون إيمانٍ بمعانيها لأن معانيها قد تختلف. والجواب أن هذا غلط بل معاني الكتاب والسنة هي على المعنى العربي فالقرآن نزل بلسان عربي، والنبي صلى الله عليه و سلم تكلم بلسان عربي، فلهذا وجب أن يُؤْمَنَ بالكتاب والسنة على ما تقتضيه لغة العرب، وعلى ما يدل عليه اللسان العربي، وهذا أصل من الأصول لكن إذا اشتبه عليك المعنى؛ كلمة في القرآن ما علمت معناها، حديثا إمّا في الصفات أو في الغيبيات لم تعلم معناه، نقول نؤمن به لفظا ومعنىً؛ يعني معناه مفهوم، لكن على مراد الله، ومراد رسوله صلى الله عليه و سلم.

٢- قال الإمام بن قدامة: (فَدَلَّ على أنَّ للعبْدِ فِعْلًا وكَسْبًا يُجْزَى على حَسَنِهِ بالثَّوابِ، وعلى سَيِّئِهِ بالعِقابِ، وهو واقِعٌ بقضاءِ الله وقَدَرِه.)." (٢)

"﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [سورة الملك ٨-١١].(١)

ووحدانية الخالق التي هي غاية علم الكلام: لم تنفع المشركين الذين حاربهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنهم كانوا يقرون بها كما أخبر الله عنهم:

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة لقمان:٢٥].

(١) الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية، ٤٢٦/٢

(٢) الملاحظات على لمعة الاعتقاد لصالح ال الشيخ، ص/٢

(٣) قوة التأثير: الذي هو طابع العقيدة الربانية: مما يجعل لها سلطاناً قوياً على نفوس معتنقيها. بعكس الفلسفة والكلام اللذين يدلان على جهل أصحابها كما قال أحدهم – وهو سقراط – (الشيء الذي لا أزال أعلمه جيداً هو أنني لست أعلم شيئاً) (٢).

(٤) الأسلوب: فالعقيدة الربانية تخاطب الكينونة الإنسانية بأسلوبها الخاص، وهو أسلوب يمتاز بالحيوية والإيقاع. واللمسة المباشرة والإيحاء بالحقائق الكبيرة، مع بساطة في العرض ووضوح في البيان وإعجاز في **اللفظ والمعنى**.

ص١٠٢

مما يجعل إدراك هذه العقيدة سهلاً لكافة المستويات البشرية. وهذا كله بخلاف الفلسفة والكلام، وبخلاف تلك المصطلحات المعقدة التي لا تزيد الشك إلا شكاً وحيرة وضلالاً (٣).

وأسلوب المتكلمين يسير على نمط واحد في كل قضية يتحدث عنها فهو لا يخرج عن قوله: (فإن قيل لنا كذا: قلنا لهم كذا).

أما الأسلوب القرآني فإنه يعرض العقيدة على نمطين:

---

(١) ٢٥) "العقيدة في الله " للأشقر (ص٣١)

(٢) ٢٦) المصدر السابق (ص٣٢) .

(٣) ٢٧) انظر خصائص التصور الإسلامي والعقيدة للأشقر (ص٣٥) .." [1]

"الوجه الخامس عشر : أنه لو فرض أن هذه الألفاظ ليست عربية، فليس تخصيص عموم هذه الألفاظ بأعظم من إخراج لفظ الإيمان عما دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف، فإن النصوص التي تنفي الإيمان عمن لا يحب الله ورسوله، ولا يخاف الله ولا يتقيه ولا يعمل شيئًا من الواجب، ولا يترك شيئًا من المحرم، كثيرة صريحة، فإذا قدر أنها عارضها آية، كان تخصيص اللفظ القليل العام أولي من رد النصوص الكثيرة الصريحة .

/السادس عشر : أن هؤلاء واقفة في ألفاظ العموم لا يقولون بعمومها والسلف يقولون : الرسول وقفنا على معاني الإيمان وبينه لنا . وعلمنا مراده منه بالاضطرار، وعلمنا من مراده علمًا ضروريًا أن من قيل : إنه صدق . ولم يتكلم بلسانه بالإيمان مع قدرته على ذلك، ولا صلى ولا صام، ولا أحب الله ورسوله ولا خاف الله، بل كان مبغضًا للرسول، معاديًا له يقاتله، أن هذا ليس بمؤمن . كما قد علمنا أن الكفار من المشركين وأهل الكتاب الذين كانوا يعلمون أنه رسول الله وفعلوا ذلك معه، كانوا عنده كفارًا لا مؤمنين، فهذا معلوم عندنا بالاضطرار أكثر من علمنا بأن القرآن كله ليس فيه لفظ غير عربي . فلو قدر التعارض، لكان تقديم ذلك العلم الضروري أولى .

فإن قالوا : من علم أن الرسول كفره، علم انتفاء التصديق من قلبه .

قيل لهم : هذه مكابرة، إن أرادوا أنهم كانوا شاكِّين مرتابين . وأما إن عني التصديق الذي لم يحصل معه عمل، فهو ناقص

---

(١) الولاء والبراء، ص/٨٠

كالمعدوم، فهذا صحيح . ثم إنما يثبت، إذا ثبت أن الإيمان مجرد تصديق القلب وعلمه، وذاك إنما يثبت بعد تسليم هذه المقدمات التي منها هذا، فلا تثبت الدعوى بالدعوي مع كفر صاحبها . ثم يقال : قد علمنا بالاضطرار أن اليهود وغيرهم كانوا يعرفون أن محمدًا رسول الله، وكان يحكم بكفرهم . فقد علمنا من دينه ضرورة أنه يكفر الشخص مع ثبوت التصديق بنبوته في القلب، إذا لم يعمل بهذا التصديق، بحيث يحبه ويعظمه، ويسلم لما جاء به .

/ومما يعارضون به أن يقال : هذا الذي ذكرتموه، إن كان صحيحًا، فهو أدل على قول المرجئة، بل على قول الكَرَّامِية منه على قولكم، وذلك أن الإيمان إذا كان هو التصديق كما ذكرتم، فالتصديق نوع من أنواع الكلام، فاستعمال لفظ الكلام والقول ونحو ذلك في **المعنى واللفظ**، بل في اللفظ الدال على المعنى أكثر في اللغة من استعماله في المعنى المجرد عن اللفظ، بل لا يوجد قط إطلاق اسم الكلام ولا أنواعه : كالخبر أو التصديق والتكذيب والأمر والنهي على مجرد المعنى من غير شيء يقترن به من عبارة ولا إشارة ولا غيرهما، وإنما يستعمل مقيدًا .

وإذا كان الله إنما أنزل القرآن بلغة العرب، فهي لا تعرف التصديق والتكذيب وغيرهما من الأقوال إلا ما كان معنى ولفظًا، أو لفظًا يدل على معنى؛ ولهذا لم يجعل الله أحدًا مصدقًا للرسل بمجرد العلم والتصديق الذي في قلوبهم حتى يصدقوهم بألسنتهم، ولا يوجد في كلام العرب أن يقال : فلان صدق فلانًا أو كذبه، إذا كان يعلم بقلبه أنه صادق أو كاذب ولم يتكلم بذلك، كما لا يقال : أمره أو نهاه، إذا قام بقلبه طلب مجرد عما يقترن به من لفظ أو إشارة أو نحوهما . ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم : (إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الناس) . وقال : (إن الله يحدث من أمره ما شاء، وإن مما أحدث ألاّ تكلِّموا في الصلاة) اتفق العلماء على أنه إذا تكلم في الصلاة عامدًا لغير مصلحتها، بطلت صلاته . واتفقوا كلهم على أن ما يقوم بالقلب من تصديق/بأمور دنيوية وطلب لا يبطل الصلاة، وإنما يبطلها التكلم بذلك، فعلم اتفاق المسلمين على أن هذا ليس بكلام .

وأيضًا، ففي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إن الله تجاوز لأمتى عما حَدَّثَتْ به أنفسها ما لم تتكلم به أو تعمل به) فقد أخبر أن الله عفا عن حديث النفس إلا أن تتكلم، ففرق بين حديث النفس وبين الكلام، وأخبر أنه لا يؤاخذ به حتى يتكلم به، والمراد حتى ينطق به اللسان باتفاق العلماء، فعلم أن هذا هو الكلام في اللغة؛ لأن الشارع ـ كما قرر ـ إنما خاطبنا بلغة العرب .

وأيضًا،ففي السنن أن معاذًا قال له : يا رسول الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال : (وهل يكُبُّ الناسَ في النار على وجوههم ـ أو قال : على مناخرهم ـ إلا حَصَائِدُ ألسنتهم) فبين أن الكلام إنما هو ما يكون باللسان . وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد : ألا كل شيء ما خلا الله باطل) .

وفي الصحيحين عنه أنه قال : (كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم) وقد قال الله تعالى : ﴿ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [الكهف : ٤،٥] ، وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (

أفضل الكلام بعد القرآن أربع كلمات، وهن في /القرآن : سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر) . رواه مسلم . وقال تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ [فاطر : ١٠] ومثل هذا كثير .." (١)

"وقول عمر - رضي الله عنه - : زورت في نفسي مقالة أردت أن أقولها، حجة عليهم . قال أبو عبيد : التزوير إصلاح الكلام وتهيئته، قال : وقال أبو زيد : المُزَوَّر من الكلام والمزوَّق واحد، وهو المصلح الحسن، وقال غيره : زورت في نفسي مقالة، أي : هيأتها لأقولها . فلفظها يدل على أنه قدر في نفسه ما يريد أن يقوله ولم يقله، فعلم أنه لا يكون قولًا إلا إذا قيل باللسان، وقبل ذلك لم يكن قولًا، لكن كان مقدرًا في النفس يراد أن يقال، كما يقدر الإنسان في نفسه أنه يحج وأنه يصلي، وأنه يسافر، إلى غير ذلك، فيكون لما يريده من القول والعمل صورة ذهنية مقدرة في النفس، ولكن لا يسمى قولًا وعملًا إلا إذا وجد في الخارج، كما أنه لا يكون حاجًا ومصليًا إلا إذا وجدت هذه الأفعال في الخارج؛ ولهذا كان ما يهم به المرء من الأقوال المحرمة والأفعال المحرمة لا تكتب عليه حتى يقوله، ويفعله، وما هم به من القول الحسن، والعمل الحسن إنما يكتب له به حسنة واحدة، فإذا صار قولًا وفعلًا كتب له به عشر/ حسنات إلى سبعمائة، وعوقب عليه - إذا قال أو فعل - كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : (إن الله تجاوز لأمتي عما حدّثت به أنفسها ما لم تتكلم به أو تعمل) .

وأما البيت الذي يحكى عن الأخطل أنه قال :

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما ** جعل اللسان على الفؤاد دليلًا

فمن الناس من أنكر أن يكون هذا من شعره، وقالوا : إنهم فتشوا دواوينه فلم يجدوه، وهذا يروى عن محمد بن الخشاب، وقال بعضهم : لفظه : إن البيان لفي الفؤاد .

ولو احتج مُحتج في مسألة بحديث أخرجاه في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم لقالوا : هذا خبر واحد، ويكون مما اتفق العلماء على تصديقه وتلقيه بالقبول، وهذا البيت لم يثبت نقله عن قائله بإسناد صحيح لا واحد ولا أكثر من واحد، ولا تلقاه أهل العربية بالقبول، فكيف يثبت به أدنى شيء من اللغة، فضلًا عن مسمى الكلام . ثم يقال : مسمى الكلام والقول ونحوهما ليس هو مما يحتاج فيه إلى قول شاعر، فإن هذا مما تكلم به الأولون والآخرون من أهل اللغة، وعرفوا معناه في لغتهم، كما عرفوا مسمى الرأس واليد والرجل .

وأيضًا، فالناطقون باللغة يحتج باستعمالهم للألفاظ في معانيها، لا بما يذكرونه/ من الحدود، فإن أهل اللغة الناطقين لا يقول أحد منهم : إن الرأس كذا، واليد كذا، والكلام كذا، واللون كذا، بل ينطقون بهذه الألفاظ دالة على معانيها، فتعرف لغتهم من استعمالهم .

فعلم أن الأخطل لم يرد بهذا أن يذكر مسمى الكلام ولا أحد من الشعراء يقصد ذلك البتة، وإنما أراد : إن كان قال ذلك ما فسره به المفسرون للشعر، أي : أصل الكلام من الفؤاد، وهو المعنى، فإذا قال الإنسان بلسانه ما ليس في قلبه فلا تثق به، وهذا كالأقوال التي ذكرها الله عن المنافقين، ذكر أنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم؛ ولهذا قال :

لا يعجبنك من أثير لفظه ** حتى يكون مع الكلام أصيلًا

(١) المفصل في شرح آية الولاء والبراء، ص/١٣٠

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما ** جعل اللسان على الفؤاد دليلًا

نهاه أن يعجب بقوله الظاهر حتى يعلم ما في قلبه من الأصل؛ ولهذا قال : حتى يكون مع الكلام أصيلًا . وقوله : مع الكلام : دليل على أن اللفظ الظاهر قد سماه كلامًا، وإن لم يعلم قيام معناه بقلب صاحبه، وهذا حجة عليهم، فقد اشتمل شعره على هذا وهذا، بل قوله : [مع الكلام] مطلق . وقوله : إن الكلام لفي الفؤاد . أراد به أصله ومعناه المقصود به، واللسان دليل على ذلك .

و بالجملة، فمن احتاج إلى أن يعرف مسمى الكلام في لغة العرب، والفرس، والروم، والترك، وسائر أجناس بني آدم بقول شاعر، فإنه من أبعد الناس عن معرفة طرق العلم . ثم هو من المولّدين، وليس من الشعراء القدماء، وهو نصراني/ كافر مُثَلِّث، واسمه الأخطل، والخَطَل فساد في الكلام، وهو نصراني والنصارى قد أخطؤوا في مسمى الكلام، فجعلوا المسيح القائم بنفسه هو نفس كلمة الله .

فتبين أنه إن كان الإيمان في اللغة هو التصديق، والقرآن إنما أراد به مجرد التصديق الذي هو قول، ولم يُسَمِّ العمل تصديقًا، فليس الصواب إلا قول المرجئة : إنه اللفظ والمعنى . أو قول الكَرَّامية : إنه قول باللسان فقط، فإن تسمية قول اللسان قولًا أشهر في اللغة من تسمية معنى في القلب قولًا، كقوله تعالى : ﴿ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ [الفتح : ١١] ، وقوله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة : ٨] وأمثال ذلك، بخلاف ما في النفس، فإنه إنما يسمى حديثا . والكرامية يقولون : المنافق مؤمن وهو مُخَلَّد في النار؛ لأنه آمن ظاهرًا لا باطنًا، وإنما يدخل الجنة من آمن ظاهرًا وباطنًا .

قالوا : والدليل على شمول الإيمان له أنه يدخل في الأحكام الدينية المعلقة باسم الإيمان كقوله تعالى : ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ [النساء : ٩٢] ويخاطب في الظاهر بالجمعة، والطهارة، وغير ذلك مما خوطب به الذين آمنوا .

وأما من صدق بقلبه ولم يتكلم بلسانه، فإنه لا يعلق به شيء من أحكام الإيمان، لافي الدنيا ولا في الآخرة، ولا يدخل في خطاب الله لعباده بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ﴾ [البقرة : ١٠٤] ، فعلم قول الكرامية في الإيمان وإن كان باطلًا مبتدعًا لم يسبقهم إليه أحد، فقول الجهمية أبطل منه، وأولئك أقرب إلى الاستدلال باللغة والقرآن والعقل من الجهمية .." (١)

"والناس لهم في مسمى [الكلام] و [القول] عند الإطلاق أربعة أقوال، فالذي عليه السلف والفقهاء والجمهور أنه يتناول اللفظ والمعنى جميعاً، كما يتناول لفظ الإنسان للروح والبدن جميعاً . وقيل : بل مسماه هواللفظ،المعنى ليس جزء مُسَمَّاه، بل هو مدلول مسماه، وهذا قول كثير من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم وطائفة من المنتسبين إلى السنة، وهو قول النحاة؛ لأن صناعتهم متعلقة بالألفاظ . وقيل : بل مسماه هو المعنى وإطلاق الكلام على اللفظ مجاز لأنه دال عليه، وهذا قول ابن كُلاَّب ومن اتبعه، وقيل : بل هو مشترك بين اللفظ والمعنى، وهو قول بعض المتأخرين من الكُلابية، ولهم قول ثالث يروى عن أبي الحسن أنه مجاز في كلام الله حقيقة في كلام الآدميين؛ لأن حروف الآدميين/ تقوم بهم، فلا يكون

---

(١) المفصل في شرح آية الولاء والبراء، ص/١٣٢

الكلام قائماً بغير المتكلم،بخلاف الكلام القرآني، فإنه لا يقوم عنده بالله، فيمتنع أن يكون كلامه، ولبسط هذا موضع آخر .

والمقصود هنا أن من قال من السلف : الإيمان قول وعمل، أراد قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح، ومن أراد الاعتقاد رأي أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر، أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب، ومن قال : قول وعمل ونية، قال : القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان، وأما العمل فقد لا يفهم منه النية فزاد ذلك، ومن زاد اتباع السنة فلأن ذلك كله لا يكون محبوباً لله إلا باتباع السنة، وأولئك لم يريدوا كل قول وعمل، إنما أرادوا ما كان مشروعاً من الأقوال والأعمال، ولكن كان مقصودهم الرد على المرجئة الذين جعلوه قولاً فقط، فقالوا : بل هو قول وعمل، والذين جعلوه أربعة أقسام فسروا مرادهم، كما سئل سَهْل بن عبد الله التَّسْتُرِي عن الإيمان ما هو ؟ فقال : قول وعمل ونية وسنة؛ لأن الإيمان إذا كان قولاً بلا عمل فهو كُفْر، وإذا كان قولاً وعملاً بلا نية فهو نفاق، وإذا كان قولاً وعملاً ونية بلا سنة فهو بدعة . وأهل المنطق اليونان مضطربون في هذا المقام، يقول أحدهم القول، ويقول نقيضه، كما هو مذكور في موضعه، ونحن نذكر ما يتعلق بهذا الموضع فنقول ـ ولا حول ولا قوة إلا بالله : الكلام في طرفين :

أحدهما : أن شعب الإيمان هل هي متلازمة في الانتفاء ؟

والثاني : هل هي متلازمة في الثبوت ؟

/أما الأول :

فإن الحقيقة الجامعة لأمور ـ سواء كانت في الأعيان أو الأعراض ـ إذا زال بعض تلك الأمور فقد يزول سائرها وقد لا يزول، ولا يلزم من زوال بعض الأمور المجتمعة زوال سائرها، وسواء سميت مركبة أو مؤلفة أو غير ذلك، لا يلزم من زوال بعض الأجزاء زوال سائرها . وما مثلوا به من العشرة والسكنجبين مطابق لذلك، فإن الواحد من العشرة إذا زال لم يلزم زوال التسعة، بل قد تبقى التسعة، فإذا زال أحد جزئي المركب لا يلزم زوال الجزء الآخر، لكن أكثر ما يقولون زالت الصورة المجتمعة، وزالت الهيئة الاجتماعية، وزال ذلك الاسم الذي استحقته الهيئة بذلك الاجتماع والتركيب، كما يزول اسم العشرة والسكنجبين .

فيقال : أما كون ذلك المجتمع المركب ما بقى على تركيبه فهذا لا ينازع فيه عاقل، ولا يدعي عاقل أن الإيمان، أو الصلاة، أو الحج أو غير ذلك من العبادات المتناولة لأمور، إذا زال بعضها بقى ذلك المجتمع المركب كما كان قبل زوال بعضه، ولا يقول أحد : إن الشجرة أو الدار إذا زال بعضها بقيت مجتمعة كما كانت، ولا أن الإنسان أو غيره من الحيوان إذا زال بعض/ أعضائه بقى مجموعًا .

كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : (كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يُهَوِّدَانِه، أو يُنَصِّرَانِهِ، أو يُمَجِّسَانِهِ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء) ،فالمجتمعة الخلق بعد الجدع لا تبقى مجتمعة، ولكن لا يلزم زوال بقية الأجزاء .

وأما زوال الاسم فيقال لهم : هذا ـ أولا ـ بحث لفظي، إذا قدر أن الإيمان له أبعاض وشعب، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه : (الإيمان بضع وسبعون شُعْبَة، أعلاها قول : لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن

الطريق، والحياء شعبة من الإيمان) كما أن الصلاة والحج له أجزاء وشعب، ولا يلزم من زوال شعبة من شعبه زوال سائر الأجزاء والشعب، كما لا يلزم من زوال بعض أجزاء الحج والصلاة زوال سائر الأجزاء، فدعواهم أنه إذا زال بعض المركب زال البعض الآخر ليس بصواب، و نحن نسلم لهم أنه ما بقى إلا بعضه لا كله، وأن الهيئة الاجتماعية ما بقيت كما كانت .

يبقى النزاع : هل يلزم زوال الاسم بزوال بعض الأجزاء، فيقال لهم : المركبات في ذلك على وجهين، منها : ما يكون التركيب شرطًا في إطلاق الاسم، ومنها : ما لا يكون كذلك، فالأول كاسم العشرة، وكذلك السكنجبين، ومنها/ ما يبقى الاسم بعد زوال بعض الأجزاء، وجميع المركبات المتشابهة الأجزاء من هذا الباب، وكذلك كثير من المختلفة الأجزاء، فإن المكيلات والموزونات تسمى حنطة وهي بعد النقص حنطة، وكذلك التراب والماء ونحو ذلك .

وكذلك لفظ العبادة، والطاعة، والخير، والحسنة، والإحسان، والصدقة، والعلم، ونحو ذلك، مما يدخل فيه أمور كثيرة، يطلق الاسم عليها قليلها وكثيرها، وعند زوال بعض الأجزاء وبقاء بعض، وكذلك لفظ [القرآن] فيقال على جميعه وعلى بعضه، ولو نزل قرآن أكثر من هذا لسمى قرآنا، وقد تسمى الكتب القديمة قرآنًا، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : (خفف على داود القرآن) ،وكذلك لفظ القول والكلام والمنطق ونحو ذلك، يقع على القليل من ذلك وعلى الكثير .

وكذلك لفظ الذكر والدعاء، يقال للقليل والكثير، وكذلك لفظ الجبل؛ يقال على الجبل وإن ذهب منه أجزاء كثيرة .." (١)

"ما تضمنه كلام الإمام الشافعي

قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي -ضي الله عنه-: آمنت بالله وما جاء عن الله على مراد الله، وآمنت برسول الله وما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله.

ما تضمنه كلام الإمام الشافعي -رحمه الله تعالى-:

تضمن كلام الإمام الشافعي -رحمه الله- ما يأتي:

أولا: الإيمان بما جاء عن الله تعالى في كتابه المبين على ما أراده الله من غير زيادة ولا نقص ولا تحريف.

ثانيا: الإيمان بما جاء عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على ما أراده رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من غير زيادة ولا نقص ولا تحريف، وفي هذا الكلام رد على أهل التأويل وأهل التمثيل؛ لأن كل واحد منهم لم يؤمن بما جاء عن الله ورسوله على مراد الله ورسوله، فإن أهل التأويل نقصوا وأهل التمثيل زادوا.

وعلى هذا درج السلف وأئمة الخلف -رضي الله عنهم- كلهم متفقون على الإقرار والإمرار والإثبات لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- من غير تعرض لتأويله، وقد أمرنا باقتفاء آثارهم والاهتداء بمنارهم، وحذرنا المحدثات، وأخبرنا أنها من الضلالات، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة .

هذه طريقة السلف الإقرار والإمرار لما جاء في نصوص الكتاب، وعدم التعرض لنصوص الصفات بالتحريف أو التأويل،

(١) المفصل في شرح آية الولاء والبراء، ص/١٤١

تمر كما جاءت يثبت **اللفظ والمعنى**، أما الكيفية فيفوض أمرها إلى الله -عز وجل-، يفوض علمها إلى الله -عز وجل- نثبت الاستواء، نثبت العلم، نثبت القدرة، نثبت السمع، نثبت البصر، نثبت لفظها ومعناها، نعرف أن السمع ضد الصمم والبصر ضد العمى والعلم ضد الجهل المعنى معروف كما قال الإمام مالك الاستواء معلوم، الاستواء معناه: الاستقرار والعلو والارتفاع معلوم معناه، معنى الصفات معلومة؛ لأنها باللغة العربية، والله أمرنا أن نتدبرها: وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ولم يقل إلا آيات الصفات فلا تتدبروها، كل يتدبر المعاني معروفة لكن الكيفية -كيفية اتصاف الله لهذه الصفات- هي المجهولة لنا.

الذي درج عليه السلف في الصفات هو الإقرار والإثبات لما ورد من صفات الله تعالى في كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- من غير تعرض لتأويله بما لا يتفق مع مراد الله ورسوله، والاقتداء بهم في ذلك واجب؛ لقوله -صلى الله عليه وسلم-: عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة رواه أحمد وأبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني وجماعة.

وهذا واضح طريقة السلف إمرار الصفات لا يتعرض للكيفية، وإنما يثبت **اللفظ والمعنى**." (١)

""وهذا الحديث قد يطعن فيه بعض المشتغلين بالحديث انتصاراً للجهمية، وإن كان لا يفقه حقيقة قولهم وما فيه من التعطيل، أو استبشاعاً لما فيه من ذكر الأطيط، كما فعل أبو القاسم المؤرخ.(١)

مع أن هذا الحديث وأمثاله، وفيما يشبهه في **اللفظ والمعنى** لم يزل متداولاً بين أهل العلم، خالفاً عن سالف، ولم يزل سلف الأمة وأئمتها يروون ذلك رواية مصدق به، رادٍّ به على من خالفه من الجهمية، متلقين ذلك بالقبول. (٢)"

٢١ – سرد الشارح أدلة علو الله تعالى على خلقه، فكان مما قاله:- "الإشارة إليه حساً إلى العلو، كما أشار إليه من هو أعلم به.. (٣)"

فقد تشكل عبارة: الإشارة إلى الله تعالى حساً، وأجاب ابن تيمية عن معنى الإحساس، وبما يزيل الاشتباه، فقال:-

"ولفظ الإحساس عام يستعمل في الرؤية والمشاهدة الظاهرة، أو الباطنة، كما قال تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾ (سورة مريم، آية:٩٨)

وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللهِ ﴾ (سورة آل عمران، آية:٥٢)

ومعلوم أن الخلق كلهم ولدوا على الفطرة، ومن المعلوم بالفطرة أن ما لا يمكن إحساسه – لا باطناً ولا ظاهراً- لا وجود له. (٤)"

٢٢ – ذكر الشارح هذا الأثر:- "إذا أحب أحدكم أن يعرف كيف منزلته عند الله، فلينظر كيف منزلة الله في قلبه.. (٥)"

ولم يخرّجه المحققان، واقتصرا على الجزم بأنه ليس حديثاً.

---

(١) . يعني ابن عساكر، حيث صنف رسالة بعنوان: بيان وجوه التخليط في حديث الأطيط.

---

(١) تعليقات على شرح لمعة الاعتقاد، ص/٢٥

(٢) . نقض التأسيس ١/٥٧٠، وانظر: مجموع الفتاوى ١٦/٤٣٥ .

(٣) . شرح الطحاوية ٢/٣٨٤ [١٥٩]

(٤) . التسعينية ١/٢٥٨، وانظر: نقض التاسيس ٢/٩٨، وجامع المسائل ٤/١٠٢.

(٥) . شرح الطحاوية ٢/٣٨٩ [١٦٢]." [١]

"الأشاعرة في الإيمان مرجئة جهية أجمعت كتبهم قاطبة على أن الإيمان هو التصديق القلبي، واختلفوا في النطق بالشهادتين أيكفي عنه تصديق القلب أم لا بد منه، قال صاحب الجوهرة:

وفسر الإيمانه بالتصديق...والنطق فيه الخلف بالتحقيق.

... وقد أو لوا كل آية أو حديث ورد فيه زيادة الإيمان ونقصانه أو وصف بعض شعبه بأنها إيمان أو من الإيمان(٤٠) .

وقد أطال شيخ الإسلام -رحمه الله- الرد عليهم بأسمائهم(٤١) كالأشعري، والباقلاني والجويني وشراح كتبهم وقرر أنهم على مذهب جهم بعينه(٤٢).

القرآن:

ومنهج الأشاعرة فيه -كما في غيره- قائمٌ على التلفيق الذي يسميه الأشاعرة المعاصرون ((التوفيقية)) حيث انتهج التوسط بين أهل السنة والجماعة وبين المعتزلة في كثير من الأصول فتناقض واضطرب.

فمذهب أهل السنة والجماعة أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأنه تعالى يتكلم بكلام مسموع تسمعه الملائكة، وسمعه جبريل، وسمعه موسى -عليه السلام- ويسمعه الخلائق يوم القيامة.

ومذهب المعتزلة أنه مخلوق.

أما مذهب الأشاعرة فمن منطلق التوفيقية -التي لم يحالفها التوفيق- فرقوا بين **المعنى واللفظ** فالكلام الذي يثبتونه لله تعالى هو معنى أزلي أبدي قائم بالنفس ليس بحرف ولا صوت ولا يوصف بالخبر ولا الإنشاء.

أما الكتب المنزلة ذات الترتيب والنظم والحروف -ومنها القرآن- فليست هي كلامه تعالى على الحقيقة بل هي عبارة عن كلام الله النفسي شيء واحد في ذاته لكن إذا جاء التعبير عنه بالعبرانية فهو توراة وإن جاء بالسريانية فهو إنجيل، وإن جاء بالعربية فهو قرآن، فهذه الكتب كلها مخلوقة ووصفها بأنها كلام الله مجازًا لانها تعبيرٌ عنه.." [٢]

"والحق أن كلام الله الألفاظ والمعاني؛ كلام الله الألفاظ والمعاني؛ الحروف والمعاني؛ كلام الله بحرف وصوت يسمع، وهو صفة من صفاته؛ ولهذا قال المؤلف: باب ذكر الإيمان بأن القرآن كلام الله لفظا ومعنى، وأن كلام الله ليس بمخلوق خلافا للمعتزلة. المعتزلة يقولون: كلام الله **اللفظ والمعنى** مخلوق؛ مخلوق من مخلوقاته خلقه في الهواء أو خلقه في اللوح المحفوظ؛ فهم يقولون: كلام الله مخلوق.

المؤلف بوب قال: باب ذكر الإيمان بأن القرآن كلام الله، وأن كلام الله ليس بمخلوق؛ ومن زعم أن القرآن مخلوق فقد كفر.

---

(١) تعليقات على شرح العقيدة الطحاوية، ص/١٥

(٢) القول السديد في وجوب الاهتمام بالتوحيد، ص/٦٣

من قال القرآن مخلوق فقد كفر، كفره الأئمة الإمام أحمد وغيره. قال: من قال القرآن كلام الله

.... ـــ

فهو مخلوق لأنه أنكر صفة من صفات الله، القرآن صفة الله وهذا على العموم؛ من قال: القرآن مخلوق كافر على العموم. أما الشخص المعين فلا بد من إقامة الحجة عليه، لا يكفر حتى تزال الشبهة، الشخص المعين لا بد أن تزال الشبهة تقام عليه الحجة ؛ فإذا أقيمت عليه الحجة وأصر؛ حكم بكفره، لكن على العموم يقال: من قال: القرآن مخلوق؛ فهو كافر؛ كما قاله الأئمة الإمام أحمد وغيره.

نقل المؤلف عن الآجري في كتاب الشريعة قال أبو بكر محمد بن الحسين الآجري: اعلموا -رحمنا الله وإياكم- اعلموا يعني: تيقنوا. العلم هو اليقين؛ اعلموا-تيقنوا- العلم هو حكم فيه جازم؛ يعني: لا تشكوا ولا تظنوا ولا تتناحروا؛ لأن المعلومات أربعة أشياء: فيها العلم وهو يقين القلب، والشك ما تردد بين الأمرين من دون ترجيح؛ يقال له: شك، والظن أحد الأمرين الراجح من الأمرين، إذا ترددت بين أمرين أحدهما أرجح من الآخر، فالراجح يسمى ظنا والمرجوح يسمى وهما.." (١)

"هذا الباب الرابع أو الباب الخامس من أبواب هذا الكتاب المختار في أصول السنة قال: باب التحذير من مذاهب الحلولية والمشبهة والمجسمة.

هذا الباب. . التحذير من مذاهب هذه المذاهب الحلولية والمشهبة والمجسمة. الحلولية الذين يقولون إن الله حال في كل مكان أعوذ بالله وهم الجهمية الذين يقولون إن الله حال في كل مكان كما يحل الماء في الكوز، ويقولون: إن الله مختلط بالمخلوقات تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ؛ وهذا كفر وضلال.

أنكروا أن يكون الله فوق العرش وقالوا: إنه في كل مكان حال في كل مكان ولهذا سموا بالحلولية. والمشبهة الذين يشبهون الله بالخلق ويقول أحدهم لله يد كيدي وسمع كسمعي وبصر كبصري واستواء كاستوائي، وغالب المشبهة من غلاة الشيعة؛ مثل البيانية بيان باسم علي التميمي والسالمية هشام بن سالم الجواريقي وداود الجواربي

.... ـــ

الذين يقولون: إن الله يشبه الإنسان حتى قال بعض المشبهة- والعياذ بالله -: أعفوني من اللحية والفرج والباقي فإن الله مثل الإنسان، تعالى عما يقولون علوا كبيرا.

والمجسمة الذين يقولون: إن الله جسم. . قد يكون هم المشبهة الجسم لا يطلق على الله لا نفيا ولا إثباتا عند أهل الحق، فلا يقال إن الله جسم ولا يقال: إن الله ليس بجسم فالذي يقول إن الله جسم مبتدع والذي يقول ليس بجسم مبتدع، لا يطلق على الله جسم نفيا ولا إثباتا والذي يطلقه يستفسر؛ فإن أراد المعنى الحق بالحق رد اللفظ وإن أراد معنى الباطل رد **اللفظ والمعنى**. المشبهة يقولون إن الله جسم يشبه الأجسام، والمشبهة والحلولية كفار والمشبهة كفار أيضا؛ من شبه الله بخلقه كفر.." (٢)

---

(١) المختار في أصول السنة، ١/١١٥

(٢) المختار في أصول السنة، ١/٢١٩

"أهل السنة يقولون: لا يثبت الجسم ولا ينفى، ما يقولون: إن الله جسم، ولا ليس بجسم. لأنه لم يرد في الكتاب ولا السنة، ولكن من قال: إن الله جسم، يستفسرون، يقولون: ما مرادك بالجسم؟ فإذا قال: مرادي بالجسم أن الله متصف بالصفات، قالوا: هذا حق، ولكن لا تقل: جسم؛ لأنه ما ورد، وإذا قال: مرادي بالجسم أن الله يشبه المخلوقات، فنقول: هذا باطل، هذا باطل في **اللفظ والمعنى** باطل، وأما الجسم ما يثبته أهل السنة، ولا ينفونه، ما يقولون: إن الله جسم، ولا يقولون: إن الله له حد، ولا ليس له حد، ولا الجهة، ولا الأبعاض ولا الأغراض، كل هذه ألفاظ مبتدعة، لا يثبتها أهل السنة ولا ينفونها.

- تساورني شكوك ووساوس في الصفات والأسماء، وأجاهدها، ولكني ما زلت أعاني منها، فما السبيل إلى الخلاص، وهل هذا يدل على فساد عقيدتي؟

....ــــ." (١)

"حكم إطلاق لفظ الجسم على الله

Q هل هناك نص يدل على إثبات الجسم لله؟

A إثبات الجسم ونفي الجسم لم يرد في الكتاب ولا في السنة، ولهذا سكت عنه السلف، فمن قال: إن الله جسم أو ليس بجسم فهو مبتدع عند أهل السنة، والله سبحانه وتعالى له الكمال المطلق، وهو متصف بالصفات التي وردت في الكتاب والسنة، ومن قال: إن الله جسم عند أهل الحق يسأل، فإن كان مراده الحق فإنه قبل المعنى ورد اللفظ، وإن كان مراده باطلا رد **اللفظ والمعنى** جميعا.." (٢)

"منهج السلف في باب الأسماء والصفات وأسسه

ومنهج السلف في باب الأسماء والصفات أنهم يثبتون لله من الأسماء والصفات ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه، وينفون عن الله ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل، هذا هو منهج السلف في باب الأسماء والصفات.

ومذهب السلف الصالح رضوان الله عليهم في الأسماء والصفات ينبني على أسس سليمة ويرتكز على قواعد متينة ودعائم، فمذهب السلف في باب الأسماء والصفات مذهب ثابت له دعائم وله ركائز يرتكز عليها، فلا بد لطالب العلم من أن يكون على إلمام ومعرفة بهذه الأسس التي يقوم عليها مذهب السلف الصالح في باب الأسماء والصفات.

فالأساس الأول من الأسس التي يقوم عليها مذهب السلف في باب الأسماء والصفات: أن أسماء الله وصفاته توقيفية، ومعنى (توقيفية) أن إثبات الأسماء والصفات موقوف على ما وردت به النصوص، فما جاء في الكتاب والسنة من الأسماء والصفات مثبتا لله وجب إثباته، وما جاء في الكتاب والسنة منفيا عن الله وجب نفيه، وما لم يرد في الكتاب والسنة نفيه ولا إثباته فإنه يجب التوقف فيه، مثل: الجسم والحيز والعرض والجهة وغير ذلك من الألفاظ التي ابتدعها أهل البدع، فهذه

---

(١) المختار في أصول السنة، ١/٢٨٠

(٢) دروس في العقيدة - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ٢٢/٧

الألفاظ لم ترد في الكتاب والسنة، فلا تثبت ولا تنفى، ولكن من أطلقها نفيا وإثباتا فإنه يستفصل ويسأل عن مراده، فإن كان مراده معنى صحيحا قبل المعنى ورد اللفظ، ويعبر بلفظ سليم؛ لأن المعنى سليم، لكن اللفظ غير سليم، وإن كان المعنى الذي أراده غير سليم فإنه يرد **اللفظ والمعنى** جميعا.

إذا: الأساس الأول والقاعدة الأولى من القواعد التي ينبني عليها مذهب السلف في باب الأسماء والصفات: أن أسماء الله وصفاته توقيفية.

الأساس الثاني: أن ما وصف الله عز وجل به نفسه، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم فهو حق على حقيقته ليس فيه ألغاز ولا تعمية، بل هو حق على حقيقته، فتثبت ألفاظ الصفات ومعانيها التي دلت عليها هذه الأوصاف، ولا ينفى إلا الكيفية، فالكيفية هي اتصاف الرب بالصفات استأثر الله بعلمها، أما ألفاظ الصفات ومعانيها فهي معلومة، كما قال الإمام مالك رحمه الله لما سئل عن الاستواء: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

إذا: المنفي هو الكيفية فقط، أما ألفاظ الصفات ومعانيها فهي معلومة، فهي من قبيل المحكم لا من قبيل المتشابه، ومن نسب إلى السلف أنهم لا يعرفون المعنى وأنهم يفوضون معاني الصفات فقد كذب عليهم، فليس هذا مذهب السلف، بل مذهب السلف أنهم يثبتون الألفاظ والمعاني، والدليل على ذلك أن الله سبحانه وتعالى أمرنا بتدبر القرآن كله، ولم يستثن شيئا، وحضنا على تعقله وتفهمه، كما قال الله تعالى: ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ [محمد:٢٤]، وقال سبحانه: ﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾ [النساء:٨٢] وقال سبحانه: ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب﴾ [ص:٢٩] ولم يقل: إلا آيات الصفات فلا تتدبروها؛ فإن معانيها غير معلومة.

بل معانيها معلومة، فنحن نعرف أن السمع غير البصر، وأن العلم ضد الجهل، والاستواء نعرف أن معناه الاستقرار والصعود والعلو والارتفاع؛ فهذه معانيها في اللغة، لكن كيفية استواء الرب مجهولة لنا لا يعلمها إلا هو، وهكذا كيفية علمه، وكيفية سمعه، وكيفية بصره.

الأساس الثالث من الأسس التي يقوم عليها مذهب السلف في باب الأسماء والصفات: أن إثبات الصفات لله إثبات بلا تمثيل للصفات ولا تكييف لها، فلا نقول: إن صفات الله مثل كذا أو كيفيتها كذا؛ لأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، فكما أن لله ذاتا لا تشبه الذوات فله صفات لا تشبه الصفات، فإثبات الصفات لله إثبات بلا تمثيل ولا تكييف.

الأساس الرابع: أن تنزيه الله عن النقائص والعيوب تنزيه بلا تعطيل.

فتنزيه الرب سبحانه وتعالى عن النقائص والعيوب تنزيه بلا نفي للصفات ولا تعطيل لها، ولا تأويل لمعانيها ولا تحريف لألفاظها عن مدلولها الذي دلت عليه، فالسلف الصالح لم يغلوا في الإثبات ولم يغلوا في النفي، بل تجنبوا الغلو في الإثبات، فلم يصلوا إلى التشبيه، وتجنبوا الغلو في النفي، فلم يصلوا إلى التعطيل، فهم وسط بين التشبيه والتعطيل، فسلموا من الإفراط والتفريط.

الأساس الخامس: أن الإجمال يكون في النفي، والتفصيل يكون في الإثبات، فالسلف يثبتون الصفات لله تعالى على وجه التفصيل، وأما النفي -نفي نقائص العيوب- فإنهم ينفونها عن الله على وجه الإجمال، كما في آية الكرسي في قوله تعالى: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم﴾ [البقرة:٢٥٥] فأثبت (الحي القيوم)، وكما في قوله: ﴿قل هو الله أحد * الله الصمد﴾ [الإخلاص:١ - ٢] فالإثبات يكون تفصيليا بأن نثبت جميع الصفات، فنثبت العلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والكلام، والرضا، والغضب، والعزة، والعظمة، والكبرياء، ونثبت جميع الصفات والأسماء التي وردت في الكتاب والسنة.

أما النفي فإنا ننفي على وجه الإجمال، كما نفى الله تبارك وتعالى، قال سبحانه: ﴿ولم يكن له كفوا أحد﴾ [الإخلاص:٤] وهذا مجمل، وقال: ﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾ [النحل:٧٤]، وقال: ﴿هل تعلم له سميا﴾ [مريم:٦٥].

ويجب أن يعلم أن النفي الوارد في باب الأسماء والصفات ليس هو النفي المحض الصرف، وإنما هو النفي الذي يتضمن إثبات ضده من الكمال، كما في قوله سبحانه: ﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾ [البقرة:٢٥٥] لكمال حياته وقيوميته، وقوله: ﴿لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض﴾ [سبأ:٣] لكمال علمه، وقوله: ﴿ولا يئوده حفظهما﴾ [البقرة:٢٥٥] لكمال قوته واقتداره، وقوله: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ [الأنعام:١٠٣] لكمال عظمته وأنه أكبر من كل شيء، فليس هو نفيا محضا، لكن يتضمن إثبات ضده من الكمال.

فالنفي ليس نفيا صرفا، ولكنه نفي يتضمن إثبات ضده من الكمال، بخلاف النفي الصرف المحض، فإنه لا مدح فيه؛ لأنه يوصف به المعدوم، والمعدوم لا يمدح، وهذا مثل قول الشاعر يذم قبيلة من القبائل: قبيلة لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل فهو ينفي فيقول: ولا يغدرون بالذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل، ومقصده الذم، بدليل أنه صغرهم فقال: قبيلة، وهذا للتحقير، يعني: لمهانتهم وضعفهم، فهم لا يغدرون لا لكمالهم، بل لكونهم عاجزين عن الغدر، وإلا فلو قدروا لغدروا، (ولا يظلمون الناس حبة خردل) لعجزهم، ولو قدروا لظلموا، فهذا نفي صرف، وهذا مذموم.

ومثل هذا قول الشاعر الآخر يذم قبيلته: لكن قومي وإن كانوا ذوي عدد ليسوا من الشر في شيء وإن هانا يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ومن إساءة أهل السوء إحسانا يقول: إن قومي ليسوا من الشر في شيء ولو كان قليلا، ومع ذلك يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة، فإذا ظلمهم أحد غفروا له، ويجزون بالإساءة إحسانا؛ لعجزهم وضعفهم، وذلك لأن هذا الشاعر الجاهلي سرقت إبله فاستنجد بقومه فلم ينجدوه، فقال: إنهم لا يستطيعون لضعفهم ومهانتهم، ولو كنت من قبيلة مازن لأنجدوني وأسعفوني، فيقول قبل هذه الأبيات: لو كنت من مازن لم تستبح إبلي بنو اللقيطة من ذهل ابن شيبانا إذا لقام بنصري معشر خشن عند الحفيظة إن ذو لوثة لانا لكن قومي وإن كانوا ذوي عدد ليسوا من الشر في شيء وإن هانا فهم وإن كان عددهم كثيرا لا يستطيعون نجدته، فليسوا من الشر في شيء ولو كان قليلا، ولذا قال: يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ومن إساءة أهل السوء إحسانا فهذا نفي محض صرف، وهذا لا يرد في باب الأسماء والصفات؛ فلا يرد النفي في باب الأسماء والصفات إذا كان صرفا، بل النفي الذي يأتي في باب الأسماء والصفات هو نفي بتضمن إثبات ضده من

الكمال، بخلاف النفي الصرف المحض كما في هذه الأبيات؛ فإنه لا مدح فيه، بدليل أنه يوصف به المعدوم، والمعدوم لا يمدح.." (١)

"ذكر ما قيل في **اللفظ والمعنى** في كلام الله تعالى

هل يسمى الكلام حقيقة في اللفظ أو حقيقة في المعنى؟ اختلف الناس في ذلك على أقوال، فقيل: إن الكلام حقيقة في المعنى مجاز في اللفظ، وهذا قول الأشاعرة.

وقيل: إن الكلام حقيقة في اللفظ مجاز في المعنى، وهذا قول المعتزلة.

وقيل: إن الكلام حقيقة في كل من **اللفظ والمعنى**، فإطلاقه على المعنى وحده يعد حقيقة، وإطلاقه على اللفظ وحده يعد كذلك حقيقة، وهذا قول أبي المعالي الجويني.

وقيل: إن الكلام حقيقة في **اللفظ والمعنى** على سبيل الجمع، فإطلاقه على أحدهما إطلاق على جزء المسمى، وإطلاقه عليهما جميعا بدلالته على **اللفظ والمعنى** بالمطابقة، ودلالته على اللفظ وحده أو على المعنى وحده بالتضمن، وهذا هو الذي عليه أكثر العقلاء، فكما أن مسمى الإنسان هو اسم لروحه وجسده جميعا، فكذلك مسمى الكلام هو اسم للفظ والمعنى جميعا.

ولا يخفى على مسلم أن قول الاتحادية قول باطل كفري لا إشكال فيه، وكذلك قول الفلاسفة قول باطل كفري، وكذلك قول السالمية قول باطل أيضا لا يخفى على أحد، وكذلك قول الكرامية والكلابية، وبعضهم يرى أنه لا فرق بين مذهب الكلابية والأشاعرة.

فقال بعض الكلابية: لا فرق بين المذهبين؛ لأن كلا من المذهبين قد اتفقا على أن كلام الرب معنى قائم بذاته، وأن الحروف والأصوات ليست من كلام الله، أما القول بأن الحروف والأصوات حكاية أو عبارة فهذا لا يتعلق به غرض علمي، ولهذا يرى بعضهم أن المذهب واحد.." (٢)

"إذا قوله: (تعلم) المراد به اعتقاد معاني هذه المسائل الثلاث، وهذا الاعتقاد وهذه المعاني مرجعها إلى الشرع، كما أن إثبات الألفاظ الشرعية مرجعها إلى الشرع فتثبت اللفظ من جهة الشرع وتثبت المعنى الذي دل عليه الشرع لذلك اللفظ. وتنبه لهذه القضية فإنها مهمة جدا ويقع الخلط فيها. فقد يثبت الإيمان ﴿إلا الذين آمنوا﴾ ثم يفسر الإيمان بغير ما فسره الشرع، قد يثبت القضاء والقدر ثم يفسر القضاء والقدر بما يوحيه إليه شيطانه وعقله، ولا يرجع إلى الشرع، قد يثبت لفظ الملائكة ثم يقول: هي أرواح المسلمين أو المؤمنين ونحو ذلك، فيثبت اللفظ ولم يرجع إلى الشرع في المعنى. فالحقيقة الشرعية هي لفظ ومعنى، **اللفظ والمعنى** مردها إلى الشرع، ولذلك ينص الإمام هنا على المعنى والعمل، لذلك قال: (تعلم ثلاث هذه المسائل والعمل بهن) لماذا؟ لأنه قد يعمل بما لا يدل عليه الشرع ظانا أن هذا المعنى قد دل عليه الشرع وليس الأمر كذلك.

(١) دروس في العقيدة - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ٥/١٦

(٢) دروس في العقيدة - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ٦/١٧

(على كل مسلم ومسلمة تعلم – وهو المعرفة – (ثلاث هذه المسائل) في بعض النسخ: [تعلم هذه المسائل الثلاث]، ولا إشكال فيها. (ثلاث) هل له مفهوم؟ يعني لا اثنتين ولا أربعة؟ نقول: لا، لا مفهوم لها، لماذا؟ لأنه قد ذكر أن ثم أمورا ومسائل أربع تجب على كل مسلم ومسلمة: العلم، والعمل به، والدعوة إليه، والصبر على الأذى فيه. هذه واجبة كوجوب هذه المسائل الثلاث، فحينئذ اشتركت مع هذه المسائل في الوجوب من حيث التعلم ومن حيث العمل. فحينئذ دل هذا على أن المسائل والأصول الواجبات المتحتمات على كل مسلم ومسلمة ليست محصورة في ثلاث، ولا في أربع، بل هي أكثر وأكثر حينئذ قوله: (ثلاث) لا مفهوم له.

(تعلم ثلاث) هذه المسائل، المسائل جمع مسألة، وهي ما يبرهن عنه في العلم، يعني ما يسأل عنه في العلم ويذكر له برهان ودليل من قول الله جل وعلا أو قول رسوله – صلى الله عليه وسلم –.

ولا شك أن هذه المسائل أمور معنوية معقولة وليست بمحسوسة، وهذه هذا اسم إشارة، والأصل في وضع اسم الإشارة أن يكون لأمر محسوس، ولكن لما كان الواجب هنا متعينا، وكان المقصود أن هذه المسائل الثلاث تكون واضحة بينة شبهها بالأمر المحسوس، فكأنه شيء محسوس يشار إليه بما وضع للإشارة الحسية، فالمراد هنا أن يميز هذه المسائل عن غيرها أتم تمييز، بحيث إن الناظر فيها يدركها علما وعملا كأنه يدرك المحسوس، ولذلك أشار إليه بهذه كما يقول المصنفون في أوائل الكتب أما بعد فهذا مختصر، والمختصر إنما يكون في الذهن، ولكن جعله في مقام المحسوس، لأنه لما برز وتم في ذهنه وصار متميزا عن غيره نزله منزلة المحسوس. ولذلك يقال: عمل المعقول أو نزل المعقول منزلة المحسوس.." (١)

"معتقد أهل السنة في القرآن وذكر من خالفهم

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [والقرآن كلام الله عز وجل ووحيه وتنزيله، والمسموع من القارئ كلام الله عز وجل، قال الله عز وجل: ﴿فأجره حتى يسمع كلام الله﴾ [التوبة:٦] وإنما سمعه من التالي، وقال الله عز وجل: ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾ [الفتح:١٥]، وقال عز وجل: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [الحجر:٩]، وقال عز وجل: ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين﴾ [الشعراء:١٩٢ – ١٩٤].

وهو محفوظ في الصدور، كما قال عز وجل: ﴿بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم﴾ [العنكبوت:٤٩]].

قوله: (والقرآن كلام الله عز وجل ووحيه وتنزيله).

هذا هو معتقد أهل السنة والجماعة، وهو الذي دلت عليه النصوص، فالقرآن كلام الله لفظه ومعناه وحروفه ومعانيه، فليس كلام الله الحروف دون المعاني ولا المعاني دون الحروف، خلافا لأهل البدع؛ فإن المعتزلة أنكروا أن يكون القرآن كلام الله، وقالوا: إن القرآن مخلوق لفظه ومعناه، وهذا كفر وضلال.

والأشاعرة يقولون: الكلام هو المعنى فقط دون الحروف، والحروف ليست كلام الله، وقالوا: ليس ما في المصحف كلام الله، وإنما كلام الله معنى قائم بنفس الرب، والرب سبحانه اضطر جبريل ففهم المعنى القائم بنفسه فعبر بهذا القرآن أو عبر به محمد، على قولين، فمنهم من يقول: إن القرآن عبارة عما عبر به جبريل عن المعنى الذي في نفس الله، ومنهم من قال: إن

---

(١) شرح الأصول الثلاثة للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٧/٥

الذي عبر به محمد.

وطائفة ثالثة من الأشاعرة قالوا: إن جبريل أخذ القرآن من اللوح المحفوظ، والله تعالى لم يتكلم بالقرآن ولم يخرج منه.

وكلها أقوال باطلة.

إذا: المعتزلة يقولون: القرآن مخلوق لفظه ومعناه.

والأشاعرة يقولون: القرآن هو **المعنى واللفظ** مخلوق، فاللفظ كلام البشر.

فيكون مذهب الأشاعرة نصف مذهب المعتزلة، ولهذا فإن بعض الأشاعرة -والعياذ بالله- يغلون في هذا حتى قال أحدهم: المصحف ليس فيه كلام الله، والعياذ بالله، وقد يغلو بعضهم فيقوم يدوس المصحف بقدمه ويقول: ليس فيه كلام الله، نعوذ بالله.

وهذا كله ناشئ عن هذا المذهب الباطل القائل بأن القرآن هو المعنى القائم بنفس الله تعالى، وإن الحروف والألفاظ ليست كلام الله.

أما أهل السنة والجماعة فيقولون: القرآن كلام الله لفظه ومعناه، وحروفه ومعانيه، كما قال المؤلف رحمه الله تعالى: (والقرآن كلام الله عز وجل ووحيه) يعني: أوحاه الله إلى جبريل فسمعه جبريل من الله عز وجل فنزل به على قلب محمد صلى الله عليه وسلم، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿نزل به الروح الأمين﴾ [الشعراء:١٩٣] وهو جبريل ﴿على قلبك﴾ [الشعراء:١٩٤] أي: يا محمد ﴿لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين﴾ [الشعراء:١٩٤ - ١٩٥]، وقال الله تعالى: ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم﴾ [الجاثية:٢]، وقال تعالى: ﴿تنزيل من الرحمن الرحيم﴾ [فصلت:٢]، فالقرآن منزل غير مخلوق، ومن قال: إنه مخلوق فقد كفر، فهو منزل حروفه ومعانيه ولفظه ومعناه.

ولهذا قال المؤلف رحمه الله تعالى: (والقرآن كلام الله عز وجل ووحيه وتنزيله، والمسموع من القارئ كلام الله) فإذا قرأ القارئ فأنت تسمع كلام الله، وأما الصوت فهو صوت القارئ، كما قال العلماء: الصوت صوت القاري والكلام كلام الباري.

والعباد مخلوقون بأفعالهم وحركاتهم وسكناتهم وألفاظهم وأدائهم، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (زينوا القرآن بأصواتكم)، فأضاف الصوت إليهم، فالصوت ينسب إلى الإنسان، وفي حديث البراء أنه قال: (صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم صلاة العشاء فقرأ بسورة التين والزيتون فما سمعت صوتا أحسن منه)، فأضاف الصوت إليه صلى الله عليه وسلم، فالصوت صوت العبد، والناس منهم من صوته حسن ومنهم من صوته غليظ ومنهم من صوته رفيع، والكلام كلام الله.

والدليل على أن المسموع من القارئ كلام الله قول الله عز وجل: ﴿فأجره حتى يسمع كلام الله﴾ [التوبة:٦] فدل على أن المسموع كلام الله، وقال الله عز وجل: ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾ [الفتح:١٥]، فأضاف الكلام إلى الله.

وقال عز وجل: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [الحجر:٩] فالذكر هو القرآن، وما ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم هو من عند الله، فالله تعالى في العلو تكلم بهذا القرآن وسمعه جبريل ونزل به على قلب محمد صلى الله عليه وسلم.

وهو محفوظ في الصدور، فإذا حفظه الحافظ فالقرآن محفوظ في صدره، كما قال عز وجل: ﴿بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم﴾ [العنكبوت:٤٩]، وكيفما كان فهو كلام الله، فإن قرأه القارئ فالمقروء كلام الله، وإن سمعه السامع فإنه

يسمع كلام الله، وإن حفظه الحافظ فالمحفوظ كلام الله، وإن كتبه الكاتب فالمكتوب كلام الله، وهو في هذه المواضع كلها حقيقة وليس مجازا؛ لأنه لو كان مجازا لصح نفيه فقيل: ما قرأ القارئ كلام الله، وما سمع السامع كلام الله، وما حفظ الحافظ كلام الله.

وهذا كلام باطل؛ فكلام الله مسموع حقيقة، مقروء حقيقة، محفوظ حقيقة، مكتوب حقيقة.

وأهل السنة لهم أدلة كثيرة على أن القرآن كلام الله، وأهل البدع من المعتزلة والأشاعرة وغيرهم لهم شبه شرعية وشبه عقلية، وردود أهل السنة عليهم مثبتة في المطولات.." (١)

"وهذا العلم الشريف علم العقيدة له أسماء معتقدة اشتهرت عند أهل السنة والجماعة منها: العقيدة أو الاعتقاد، وهذا كما ذكرنا أنه مما اصطلح عليه المتأخرون لكنه ليس فيه معنى يخالف الشرع، وكل اصطلاح لا يخالف حقيقة الشرع حينئذ لا مشاحة في الاصطلاح، وخاصة أننا لا نتعبد الناس بأن يعتقدوا أن مسمى العقيدة يجب أن يطلق عليه لفظ العقيدة، يعني: لا يكن ثم خصوصية لهذا اللفظ، وإنما المعنى ما المراد بالعقيدة؟ فيفسر المعنى وحينئذ نقول: هذا المعنى موافق للشرع أو مخالف، وهذا ليس خاصا بلفظ العقيدة، بل الإيمان حصل فيه خلاف عند المتأخرين، حينئذ إذا أطلق لفظ الإيمان نقول: ما مرادك بالإيمان؟ قد يقول: التصديق فقط. حينئذ نقول: اللفظ شرعي جاء به الشرع ولكن المعنى فاسد، كذلك لو قال الإيمان هو الاعتقاد بالقلب والقول باللسان فقط، وأخرج الأعمال أعمال الجوارح، حينئذ نقول: هذا المعنى هو جزء من المعنى الشرعي، وليس هو كل المعنى الشرعي. إذا حتى في الألفاظ الشرعية التي جاءت بالكتاب والسنة يمكن أن يوافق المخالف في اللفظ إلا أنه ينازع في المعنى، كما هو الشأن في لفظ الإيمان، كذلك لفظ الكفر، ولفظ النفاق، والبدعة، والفسوق قد يسلم بها المخالف إلا أنه من حيث المعنى ومن حيث المصدق قد ينازع في المعنى كله بمعنى أنه يثبت معنى مغاير للمعنى الشرعي من كل وجه، وحينئذ نقول: هذا مخالف لفظا ومعنى، وقد يثبت اللفظ ويثبت جزء المعنى الذي دل عليه المعنى الشرعي كمن عرف الإيمان بأنه تصديق، تصديق القلب. نقول: تصديق القلب حصر الإيمان فيه باطل إلا أنه جزء من الإيمان الشرعي، نحن لا ننفي بأن الإيمان يكون بالقلب تصديقا وعملا، إلا أن هذا ليس هو كل الإيمان الذي دل عليه اللفظ الشرعي.

إذا لفظ العقيدة نقول: لا بأس أن يطلق، وخاصة إذا فسر المعنى، يقال: ما مرادك بلفظ العقيدة، فإن فسره بما يوافق الشرع حينئذ على العين والرأس وإلا رد عليه **المعنى واللفظ** يبقى على أصله بأنه مصطلح عليه ولا مشاحة في الاصطلاح.

إذا يسمى بالعقيدة أو الاعتقاد، والعقد لغة الربط والجزم، واصطلاحا حكم الذهن الجازم، وأصله مأخوذ من عقد الحبل إذا ربطه ثم استعمل في عقيدة القلب وتصميمه الجازم، ومن شواهد هذه التسمية - وهذا الذي يجعلنا أن المسألة فيها شيء من السعة - أن بعض السلف سمى كتابه بـ ... ((اعتقاد أهل السنة)) كما هو الشأن في أبي بكر الإسماعيلي توفي سنة واحد وسبعين وثلاث مئة، ولد في ستة سبع وسبعين ومئين سمى كتابه ((اعتقاد أهل السنة)) فدل على أن لفظ الاعتقاد كان له أصل عندهم، بما أنه كان معروفا وإن لم يكن لفظ العقيدة قد اشتق منه، لأن الاعتقاد هذا مصدر، اعتقد يعتقد

---

(١) شرح الاقتصاد في الاعتقاد - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ٨/٧

اعتقادا، ولا شك أن الاعتقاد محله في القلب، حينئذ نقول: هذه التسمية من أبي بكر الإسماعيلي يدل على أن اللفظ له أصل عندهم، كذلك ((الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد)) للبيهقي رحمه الله تعالى وإن كان البيهقي عنده شيء من الخلل إلا أنه في الجملة هو على عقيدة السلف.." (١)

"الجواب: لا، وإنما تثبت أصل المعنى، ومر معنا أن التفويض الذي هو التسليم ليس هو مذهب السلف على جهة الإطلاق وإنما يفصل فيه، فيقال: إن كان المراد بالتفويض تفويض يعني: تسليم اللفظ وإحالة المعنى على البارئ جل وعلا، قال: ﴿استوى﴾ ما ندري معنا استوى، وإنما ننطق بهذا **اللفظ والمعنى** الله أعلم به، كما نقول: ﴿الم﴾، ﴿حم﴾، ﴿ق﴾، ﴿ن﴾ الله أعلم بهذه المعاني، كذلك نقول: استوى، يدان .. إلى آخره الله أعلم بها، هذا المراد بالتفويض وهو شر المذاهب كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى لأنه فيه تجهيل للنبي – صلى الله عليه وسلم – وللصحابة، لكن التفويض الذي يثبته السلف هو التفويض في الكل، يعني في الكيفية الحقيقة، وكذلك يزاد عليه وهذا قد يخفى على البعض إدراك تمام المعنى، تمام المعنى هذا لا يدركه العقل، يعني أنت تثبت صفة العلم الذي هو إدراك المعلومات سواء الأصل المعنى اللغوي، ثم وجه الكمال فيه أنت لا تستطيع أن تدرك ذلك بعقلك، وإنما تفوضه للبارئ جل وعلا، فالإثبات حينئذ يكون إثبات للفظ العليم العلم، وثانيا إثبات لأصل المعنى، وأما كمال المعنى على وجه الكمال هذا لا يدركه العقل تفوض أمره إلى البارئ جل وعلا – انتبه لهذا – يضاف هذا التفويض إلى الحقيقة والصفة، يعني: لله عز وجل يد ما صفة هذه كيفيتها حقيقتها؟ الله أعلم بها، لماذا الله أعلم بها؟ لأنه أخبرنا أن له يدا بل أخبرنا أن له يدين ولم يخبرنا كيف هي، فنؤمن بالأول ونكل علم الثاني للبارئ جل وعلا، أخبرنا أنه استوى وعلمنا دلالة الاستواء بالمعنى اللغوي وأجمع على ذلك السلف، وأما كيفية الاستواء فالله أعلم بها، لكن نقول هنا: نثبت المعنى الذي هو أصل الاستواء، ونكل حقيقة هذا الاستواء إلى البارئ جل وعلا، فعندنا إيمان من جهتين:

إيمان إجمالي الذي هو التسليم، حقيقة الصفة وكيفيتها.

وثانيا: إيمان بأصل اللفظ ومدلوله من حيث المعنى اللغوي.

هذا الذي عليه السلف الصالح وهو محل إجماع عند أهل السنة والجماعة.

إذا نقول هنا: الصفات كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه.." (٢)

"وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: تأمل هذه الأسماء الأربعة تجد أنها متقابلة وكلها خبر عن مبتدأ واحد، ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن﴾ أربعة أسماء أربعة أخبار، والمبتدأ واحد، لكن بواسطة حرف العطف، (﴿هو الأول﴾) (﴿هو﴾) هذا مبتدأ، (﴿الأول﴾) هذا خبر، (﴿والآخر﴾) هذا عطف على الأول، (﴿والظاهر﴾) عطف على الأول، (﴿والباطن﴾) عطف على الأول، حينئذ هي أخبار الأول خبر معنى واصطلاحا، والثاني خبر معنى لا اصطلاحا، الأول خبر معنى واصطلاحا، يعني عند النحاة تعربونه ماذا؟ خبرا للمبتدأ هو، والآخر هذا من حيث المعنى هو خبر لكن في

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٧/١

(٢) شرح العقيدة الواسطية للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٣/١٢

الإعراب لا يعرب خبرا، وإنما يعرب ماذا؟ الواو حرف عطف والآخر اسم معطوف على الأول، والمعطوف على المرفوع مرفوع، ولا يقال بأنه ماذا؟ بأنه خبر. قال: خبر عن مبتدأ واحد لكن بواسطة حرف العطف، والإخبار أو الأخبار بواسطة حرف العطف أقوى من الأخبار بدون واسطة حرف عطف، يعني: أيهما أقوى من حيث اللغة العربية وهذه فائدة لغوية؟ لو قيل: (﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن﴾) أو هو الأول الآخر الظاهر الباطن؟ إذا كان بالواو أقوى من حيث الدلالة، قال هنا: فمثلا ﴿وهو الغفور الودود * ذو العرش المجيد * فعال لما يريد﴾ [البروج: ١٤ - ١٦] هي أخبار متعددة بدون حرف عطف، لكن أحيانا تأتي أسماء الله وصفاته مقترنة بواو العطف كالآية التي معنا، وفائدتها.

أولا: توكيد السابق، لأنك إذا عطفت عليه جعلته أصلا، والأصل ثابت، كأن الأصل في الخبر ما هو؟ الأول ثم جاء الآخر كالتوكيد له، وجاء الظاهر كالتوكيد له، وجاء الباطن كالتوكيد له، حينئذ يكون الأول كالأصل.

ثانيا: إفادة الجمع ولا يستلزم ذلك تعدد الموصوف، أرأيت قوله تعالى: ﴿سبح اسم ربك الأعلى * الذي خلق فسوى * والذي قدر فهدى﴾ ... [الأعلى: ١ - ٣]. ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ أعلى ربك، قال: ﴿الذي خلق فسوى * والذي قدر فهدى﴾. تعددت الأوصاف، هل تعدد الأوصاف يستلزم تعدد الموصوف؟ الجواب: لا، إذا لا يلزم ذلك، فالأعلى الذي خلق فسوى هو الذي قدر فهدى. فإذا قلت: المعروف أن العطف يقتضي المغايرة هذا هو الأصل جاء زيد وعمرو، عمرو ليس هو عين زيد، لماذا؟ لأن الأصل في مجيء الواو هنا بل حروف العطف على جهة العموم أن الثاني مغاير للأول. الجواب: المغايرة تارة تكون بالأعيان، عين على عين، وتارة تكون بالأوصاف، وهذا تغاير، وهذا كذلك تغاير، تغاير أوصاف، والأول تغاير أعيان، على أن التغاير قد يكون لفظيا غير معنوي، لكن هذا لا يقع في الكتاب والسنة، يعني: المغايرة حرف العطف يعطف العين على العين، إذا العين متعددة، ويعطف الوصف على الوصف والعين واحدة، ويعطف اللفظ على **اللفظ والمعنى** واحد وهذا لا وجود له في الكتاب والسنة لأنه يعتبر من الحشو، وذكر ذلك ابن تيمية في ((الإيمان الكبير)) أنه لا وجود له، يمثلون لذلك بقول الشاعر:

فألفى قولها كذبا ومينا." (١)

"ما معنى المين؟ هو الكذب، إذا العطف ما استفدنا منه؟ عطف لفظ على لفظ هل فيه زيادة معنى؟ الجواب: لا، فالكذب هو المين والمين هو الكذب، هذا يسمى ماذا؟ عطف لفظ على لفظ، المعنى واحد والمصدق واحد، حينئذ نقول: هنا مغايرة لكنها في اللفظ فحسب، وأما الأصل والكثير في لسان العرب فهو عطف عين على عين، أو اتحدت العين لكن يكون فيه عطف ماذا؟ صفة على صفة، فالمين هو الكذب ومع ذلك عطفه عليه لتغاير **اللفظ والمعنى** واحد، حينئذ نقول: هذا لا يرد، قد يرد في لسان العرب، لكن في الكتاب والسنة لا وجود لأنه يعتبر من الحشو، فالتغاير إما عيني أو معنوي أو لفظي فلو قلت: جاء زيد وعمرو وبكر وخالد. فالتغاير، جاء زيد وبكر وعمر التغاير عيني، يعني الذات، ولو قلت: جاء زيد الكريم والشجاع والعالم. تغاير وصفي، جاء زيد الكريم والعالم والشجاع، فالتغاير معنوي، ولو قلت: هذا الحديث كذب ومين. تغاير لفظي، واستفدنا من هذه الآية الكريمة إثبات أربعة أسماء لله تعالى وهي: الأول والآخر والظاهر والباطن،

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٣/١٥

وكل اسم دل على معنى، إذا أربعة أسماء، وأربع صفات، أو لا؟ هكذا نقول: أربعة أسماء وأربع صفات، لأن كل اسم هذا من حيث ثبوت اللفظ هو اسم، ومن حيث ما دل عليه هو وصف، إذا اسم وصفة، الأول اسم وصفة، والآخر اسم وصفة، والظاهر اسم وصفة، والباطن اسم وصفة، واستفدنا منها خمس صفات، أربع أو خمس باقي الآية يعني، (﴿وهو بكل شيء عليم﴾) هذه خامسة، واستفدنا منها خمس صفات: الأولية، والآخرية، والظاهرية، والباطنية، وعموم العلم. واستفدنا من مجموع الأسماء الإحاطة، إحاطة الباري جل وعلا بكل شيء زمنا ومكانا، لأنه قد يحصل من اجتماع الأوصاف ماذا؟ زيادة صفة، يعني اللفظ المركب اسم واسم يدل على صفة لا يدل عليها الاسم بمفرده، لو قيل: الأول فقط ولم يقل الآخر، حينئذ دل على الإحاطة باعتبار ماذا؟ لم يسبقه شيء، ولم يدل على ماذا؟ على أنه ليس بعده شيء، لكن إذا اقترنا دل على معنى ثالث، إذا استفدنا من مجموع الأسماء التركيب الأربعة إحاطة الله تعالى بكل شيء زمنا ومكانا لأنه قد يحصل من اجتماع الأوصاف زيادة صفة، ونذكر ما ذكرناه سابقا، إذا قيل: هل هذه الأسماء متلازمة بمعنى أنك إذا قلت الأول تعين أن تقول الآخر أو يجوز فصل بعضها عن بعض؟

الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى يرى أنها بينها تلازم، إذا قلت: الأول لزم أن تقول الآخر، والعكس بالعكس. فإذا قلت: الأول، فقل: الآخر وإذا قلت: الظاهر فقل الباطن، لئلا تفوت صفة المقابلة الدالة على الإحاطة، وأيضا لأن كمال ما يشتمل عليه هذا الاسم من الصفة يكمل باسم الله عز وجل المقابل له، فإن نظر إلى هذا المعنى فهو كذلك، فإذا قلت الأول حينئذ تقول الآخر، لأنه لا يتم المعنى الأول إلا بذكر الآخر، ولا يتم معنى الآخر إلا بذكر ماذا؟ مقابله وهو الأول. والخطب سهل في هذه المسألة.." (١)

"(﴿وتوكل﴾) هذا فعل أمر يدل على ماذا؟ على الوجوب، إذا التوكل واجب، وهو عبادة قلبية متعلقة بالباري جل وعلا دون ما سواه، أو من سواه، وعليه فتوكلوا (﴿وتوكل على الحي الذي لا يموت﴾) الآية، أي فوض أمورك إليه، فمن توكل عليه كفاه وشفاه ويسر له كل شديد وقرب له كل بعيد، قال تعالى: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ [الطلاق: ٣]. يعني كافيه، ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ هذا من تعليق الجواب على الشرط، حينئذ لا يقع المسبب إلا إذا تحقق السبب بكماله، لا يتحقق المسبب الذي هو الجواب إلا إذا تحقق الشرط والسبب بكماله، وهذه قاعدة في باب ماذا؟ في باب كل ما جاء في الشرع من تعليق شيء بشيء، فلا يوجد الشيء المرتب على الشيء إلا إذا وجد الشيء بكماله، فإذا قيل: من نزل منزلا فقال: " أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء ". لم يضره شيء متى؟ إذا قال: أعوذ بكلمات الله التامات، هنا القول المراد به القول التام، يعني **اللفظ والمعنى**، بأن يكون مستحضرا في قلبه ما دل عليه هذا اللفظ، يرد السؤال هنا: قد يقوله ويضره شيء، أين الخلل؟ أليس كذلك؟ قد يقوله مرارا ويضره شيء وأشياء صحيح أو لا؟ قد يقع أو لا يقع؟ يقع هذا، فحينئذ نقول: قوله هنا ناقص، فالمانع فيه هو لا في السبب الذي رتب عليه ذلك المسبب، فإذا قرأ آية الكرسي عند نومه إذا أخذ مضجعه ونام إلى الظهر هذا بال الشيطان على أذنيه، طيب هنا مر معنا أنه لا يزال الله عز وجل حافظا له، ولا يقربه الشيطان، وقد قربه الشيطان هنا نقول: هنا الخلل فيه هو فلم يأت به

(١) شرح العقيدة الواسطية للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٥/١٤

على الوجه التام، ولذلك ابن القيم رحمه الله تعالى في ((المدارج)) ذكر فائدة تتعلق في مثل هذه المسألة لأن هذا مما يكثر السؤال عنه، يقوله ثم يقع عليه شيء من المصائب نقول: المراد به القول التام، يعني: كل ما علق على قول أو على عمل فالمراد به على وجه التمام، أما النقص حينئذ لا يترتب عليه، ولذلك إذا جاء ما يتخلف عنه الشرط مع وجود السبب التام حينئذ نقول: الله عز وجل قد أراد شيئا ما، فعندنا أمور – وهذه فائدة –:

– السبب التام يترتب عليه المسبب هذا أولا.

– السبب التام قد لا يترتب عليه المسبب.

– السبب الناقص لا يترتب عليه المسبب.." (١)

"– وفيها من صفاته الحياة وانتفاء الموت المتضمن لكمال الحياة، ففيها صفتان واسم ﴿وتوكل على الحي﴾ [الفرقان: ٥٨]. هذا اسم دل على الحياة الكاملة، قال: ﴿الذي لا يموت﴾. هذا نفي سلب دل على ماذا؟ على كمال ضده ولذلك نقول: لا يقال –كذلك تنبيه هنا – لا يقال: توكلت على الله، ثم على فلان، توكلت على الله ثم عليك هذا لا يجوز شرعا وإن جازه بعضهم لكن الصحيح أنه لا يجوز، التوكل عمل قلبي وهو عبادة قلبية، فلا يسوغ التوكل إلا على الله عز وجل، فعليه فتوكلوا، ﴿فعلى الله توكلت﴾ أي لا على غيره حينئذ **اللفظ والمعنى** مختصان بالباري جل وعلا، وإذا كان كذلك حينئذ لا يجوز أن يقال: توكلت على زيد أو توكلت على الله، ثم عليك وهذا الجمع بينهما ممنوع. إذا الآيات دلت على اختصاصه بالباري جل وعلا.

قال المصنف: وقوله: ﴿وهو الحكيم الخبير﴾ [سبأ: ١] وهذان اسمان من أسماء الباري جل وعلا وصفتان. ﴿الحكيم﴾. دل على الحكم والحكمة، و ﴿الخبير﴾. دل على الخبرة. قوله: ﴿الحكيم﴾ الحكيم والحكم بمعنى الحاكم عندنا ﴿الحكيم﴾ وعندنا الحكم بمعنى الحاكم وهو القاضي، لأن الحكيم فعيل دخلت عليه أل فله نظر من حيث الصيغة ومن حيث دخول أل عليه، ف ﴿الحكيم﴾ والحكم بمعنى الحاكم وهو القاضي، اسم فاعل من الحكم فهو فعيل بمعنى فاعل. إذا حكيم بمعنى اسم فاعل كالقاضي، أو الذي يحكم الأشياء ويتقنها فهو فعيل بمعنى مفعل محكم. إذا حكيم فعيل، وفعيل يأتي في لسان العرب بمعنى اسم الفاعل، ويأتي بمعنى اسم المفعول، أليس كذلك؟ ويأتي بمعنى اسم الفاعل من صيغة الفاعل ويأتي اسم فاعل من صيغة مفعل هذا وذاك، إذا احتملت الصورة هذه المعاني الثلاث أو معنيين حينئذ نحمل اللفظ على جميع معانيه، فنقول: الحكيم بمعنى الفاعل وبمعنى المفعل بمعنى القاضي وبمعنى المحكم للأشياء والمتقن لها.

قال الزجاج: والحكم والحاكم بمعنى واحد، وأصل حكم في الكلام المنع، ومنه سمي الحاكم حاكما لأنه يمنع الخصمين من التظالم، وحكمت الدابة سميت حكما لأنها تمنعها من الجماح هذا معنى، وقيل: الحكم ذو الحكمة يعني صاحب الحكمة، والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم. وسيأتي أنها وضع الأشياء في مواضعها مع اعتبار غايتها المحمودة. ويقال: لمن يحسن دقائق الصنعات ويتقنها حكيم، والحكيم يجوز أن يكون بمعنى الحاكم مثل قدير بمعنى قادر، وقيل: الحكم بالشيء أن تقضي بأنه كذا أو ليس بكذا، ألزمت ذلك غيرك أو لم تلزمه.

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٧/١٥

إذا الحكيم والحكم إما بمعنى القاضي وإما بمعنى المحكم للأشياء، وكلاهما مرادان هنا، فيأتي الحكيم بمعنى الحكم وهو الحاكم القاضي وهو مأخوذ من المنع، ويأتي كذلك بمعنى الحكمة وسيأتي بحثها.

وورد الحاكم بصيغة الجمع في خمس آيات منها قوله تعالى: ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾ [التين: ٨]. وقوله: ﴿فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين﴾ [الأعراف: ٨٧]. ﴿الحاكمين﴾ جمع حاكم والحاكم من أسمائه جل وعلا.." (١)

"وقال الأوزعي رحمه الله تعالى: كنا والتابعون متوافرون – هذا حكاية إجماع – نقول: إن الله تعالى بائن من خلقه. يعني منفصل ليس داخل الخلق، بائن من خلقه، ونؤمن بما وردت به السنة. وقال أبو عمرو في كتاب الأصول: أجمع المسلمون من أهل السنة على أن الله استوى على عرشه. أجمع المسلمون من أهل السنة هذا قيد لماذا؟ صفة كاشفة كل المسلمين من أهل السنة؟ الجواب: لا، مسلمون قد يكون خارجا عن السنة ليس كل من كان مسلما فهو على سنة، ولذلك ابن القيم يقول: إذا دعوت الله تعالى تقول: اللهم أحييني على الإسلام. وتسكت، ولا تقل: أمتني على الإسلام وتسكت، وإنما تقول: اللهم أحييني على الإسلام والسنة. لأنك قد تحي على الإسلام لكن على بدعة وضلالة، نعم تنجو من النار من الخلود لكن البدعة شرها مستطير. إنما تقول: اللهم أحييني على الإسلام والسنة، اللهم أقبضني على الإسلام والسنة. إذا ليس كل من كان مسلما فهو من أهل السنة والجماعة، أما أهل السنة والجماعة فهو اللفظ دال بتركيبه على معناه كما مر معنا في أول الكتاب، فكل من تمسك بما عليه الصحابة رضي الله تعالى عنهم حينئذ نقول: هذا على السنة وهو من أهل السنة والجماعة، وأما الأشاعرة فليس لهم نصيب في هذا اللفظ البتة، رضي من رضي وسخط من سخط، هم يقولون: نحن أهل السنة ونحن حشوية مجسمة. أخذوا **اللفظ والمعنى** الله المستعان، على كل الأشاعرة ليسوا من أهل السنة في شيء البتة، قد يقول قائل – وهذه من الدعاوى الموجودة الآن من أجل تجميع الصف وتوحيد الصف ولو كانوا على بدع وضلالة – قالوا: هم يوافقوننا في شيء ويخالفوننا في شيء. نقول: اليهود قد يوافقوننا في شيء ويخالفوننا في أشياء، والنصارى يوافقوننا في أشياء ويخالفوننا في أشياء، والجهمية كذلك والمعتزلة كذلك فالموافقة في بعض لا تستلزم أن يطلق عليه الوصف كاملا ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض﴾ [البقرة: ٨٥] نقول: لا بد من العقيدة على وجه التمام، وأما كونهم يؤمنون ببعض معتقد أهل السنة والجماعة ويحرفون البعض الآخر ويقعون في البدعة والضلالة نقول: النظر حينئذ يكون منصبا إلى هذه البدعة، هذه طريقة السلف، وأما الحسنات التي عندهم هذه لا يلتفت إليها البتة، فنقول: ليسوا من أهل السنة والجماعة، وأما ما يقال بأنه أثبتوا سبع صفات هذه وجودها وعدمها سواء.." (٢)

"وفي هذه الآية دليل على أن القرآن الذي هو سور وآيات وحروف وكلمات هو عين كلامه سبحانه حقا، [لا تأليف ملك أو] لا تأليف ملك ولا بشر وأن حروفه ومعانيه عين كلامه سبحانه الذي تكلم به، لأن لفظ الكلام يصدق على **اللفظ والمعنى**، يعني اسم له مسمى، الكلام هذا لفظ كما تقول: زيد. زيد هذا اسم، أليس كذلك؟ ينطق باللسان مسماه الذات نفسها الشخص نفسه هذا مسمى الاسم، حينئذ كلام هذا اسم له مسمى، ما مسماه **اللفظ والمعنى** معا،

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٢٠/١٥

(٢) شرح العقيدة الواسطية للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٦/٢٣

ليس اللفظ دون المعنى هو الكلام، وليس المعنى دون اللفظ هو الكلام، فمن أطلق الكلام وأراد به اللفظ فقط دون المعنى فقد أخطأ وضل، ومن أطلق لفظ الكلام وأراد به المعنى دون اللفظ كذلك والعكس فقد أخطأ وأضل، بل الكلام اسم مسماه الحروف والمعاني معا، فإطلاقه على أحد النوعيين هذا ضلال مبين، ولذلك قال هنا، وفي هذه الآية دليل على أن القرآن الذي هو سور وآيات وحروف وكلامات هو عين كلامه سبحانه حقا لا تأليف ملك ولا بشر، وأن حروفه ومعانيه عين كلامه سبحانه الذي تكلم به حقا وبلغه جبريل إلى محمد – صلى الله عليه وسلم –، وبلغه محمد – صلى الله عليه وسلم – إلى الأمة، فالرسولين منه مجرد التبليغ والأداء لا الوضع والإنشاء، فجبريل مبلغ عن الله تعالى إلى محمد فهو واسطة، والذي بلغه كلام الله تعالى لا كلام جبريل، ومحمد – صلى الله عليه وسلم – بلغ الأمة كلام الله تعالى، حينئذ المبلغ هو كلام الله، وتبليغ النبي – صلى الله عليه وسلم – هذا وصف له عليه الصلاة والسلام، فإضافته إلى الرسول في قوله: ﴿إنه لقول رسول كريم﴾. لا يدل على الإنشاء، يعني في قوله تعالى: ﴿إنه لقول رسول﴾. هذا القرآن قول رسول، نقول: هذا له وجه حق وهو كونه ماذا؟ كونه مبلغا ومؤديا، وأما حقيقة القول فإنما ينسب إلى من أنشأ الكلام ابتداء، حينئذ تكون الإضافة هنا إلى الرسول إضافة تبليغ وأداء لا إضافة وضع وإنشاء، لا كما يقول أهل الزيغ والافتراء.

وفيه دليل على أن القرآن كلام الله وأنه يسمع وأنه غير مخلوق.

وفيها الرد على من زعم أنه مخلوق أو أنه كلام بشر أو ملك أو غير ذلك. وفيها أن من زعم أنه كلام غير الله فقد كفر، كفر مرتد عن الإسلام، أو زعم أنه مخلوق فقد كفر، هذان قولان. لو قال بأنه قول البشر كفره الله تعالى كما في سورة المدثر.

ومن قال بأنه مخلوق حينئذ نفى الخلق والأمر كما سبق، فحينئذ يكون كافرا مرتدا عن الإسلام. هذا تقعيد عام.." (١)

"أفادت هذه الآية كغيرها إثبات صفة الكلام لله جل وعلا لقوله: ... (﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾) فأضافه إلى نفسه فهو صفة من صفاته جل وعلا فحينئذ لا تكون مخلوقة. فأفادت إثبات صفة الكلام وإثبات القول لله سبحانه وتعالى ﴿كذلكم قال الله من قبل﴾، والكلام والقول بمعنى واحد، وأنه قال ويقول متى شاء إذا شاء ﴿كذلكم قال الله من قبل﴾ إذا حدث بعد أن لم يكن، وكل ما لم يكن ثم كان حينئذ نقول: هذا صفة فعلية. كل ما تعلق بمشيئة الباري جل وعلا نصفه بأنه صفة فعلية، وكل ما ترتب على سبب فكذلك حكمه.

قال المصنف رحمه الله تعالى: وقوله: (﴿واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته﴾ [الكهف: ٢٧])، (﴿واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك﴾)، (﴿كتاب ربك﴾) القرآن وأضافه إلى نفسه (﴿لا مبدل لكلماته﴾) جل وعلا (﴿واتل﴾) أي اتبع، التلاوة هنا بمعنى الإتباع، فتفسر بالإتباع يقال: اتل الأثر. يعني أثر فلان وتلوت أثره وقفوته وقصصته بمعنى اتبعت خلفه التلاوة تأتي بمعنى القراءة، وتأتي بمعنى الإتباع. ويسمى تالي الكلام تاليا قارئا لأنه يتبع بعض الحروف بعضا لا يخرجها جملة واحدة، وهو كذلك لأن فيه إتباع، حينئذ إذا قيل بأن الأصل فيه التلاوة أنها الإتباع، حينئذ لماذا سميت القراءة تلاوة؟ لأنه يتبع الكلمات بعضها تلو بعض، كذلك الحروف يتبعها بعضها تلو بعض لا يخرجها جملة واحدة، قام زيد لا يقول:

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٢٤/٢٥

قام زيد. دفعة واحدة، إنما يقول: ق ام ز ي د إذا حصل فيه تلاوة، حصل فيه إتباع الحرف الثاني للأول، وحقيقة التلاوة في هذا الموضع وغيره هي التلاوة المطلقة التامة، المراد بها تلاوة **اللفظ والمعنى**، إذا قيل: القارئ قرأ أو تلا، حينئذ تلا ماذا؟ أو قرأ ماذا؟ **اللفظ والمعنى** معا فكتاب الباري جل وعلا يتلى بمعنى أنه يذكر لفظا ويتبعه كذلك المعنى، (﴿واتل ما أوحي إليك﴾) ما اسم موصول بمعنى الذي، الذي أوحي إليك.

الوحي في اللغة: الإعلام في خفاء على المشهور عند أرباب البيان.

وفي الاصطلاح: إعلام الله أنبياءه بالشيء على المشهور عند أهل اللغة ليس أهل البيان.

الوحي في اللغة: الإعلام في الخفاء.

وفي الاصطلاح: إعلام الله أنبياءه بالشيء.." (١)

"ثانيا: أنها ليست هي المعاني اللغوية فزاد عليها الشرع قيودا وشرائط كما قال الجويني وغيره، والصواب أنه نقل اللفظ يعني كان يستعمل في شيء ثم نقل إلى شيء آخر، حينئذ باعتبار الحقيقة والمجاز هو باعتبار استعماله في المعنى اللغوي حقيقة، استعمال الصلاة في الدعاء في اللغة يسمى ماذا؟ يسمى حقيقة، في اللغة نقل اللفظ من الدعاء إلى الصلاة المعهودة يكون مجازا، أما في الشرع، حينئذ إطلاق لفظ الصلاة على الصلاة المعهودة حقيقة، واستعماله في الدعاء يكون مجازا على العكس لأن الأصل في الحقيقة والمجاز باعتبار اصطلاح المخاطب، فإذا كان المخاطب هو اللغوي حينئذ صارت الحقيقة والمجاز باعتباره هو، وإن كان المخاطب هو الشرع حينئذ صارت الحقيقة والمجاز باعتباره هو وكذلك العرف، ولذلك تنقسم إلى أقسام باعتبار الحقيقة والمجاز لغوية وشرعية وعرفية، وهذه يعتني بها كذلك الأصوليون في مباحث المجاز وهي مهمة.

إذا الكتاب في الأصل جنس ثم غلب على القرآن من بين الكتب فصار له حقيقة شرعية، (﴿لا مبدل لكلماته﴾) يعني لا تغير ولا تبدل كما قال سبحانه: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [الحجر: ٩]. في هذه الآية كغيرها دليل على أن الكتاب هو القرآن ويذكره كثير من أهل العلم في هذا الموضع ردا على من زعم ولو كان شذوذا أن ثم فرقا بين الكتاب والقرآن، والحق الذي يكاد أن يكون إجماع هو بعينه القرآن هو الكتاب والكتاب هو القرآن، فإذا أطلق في موضع الكتاب لا نقول: دخلت فيه التوراة والإنجيل. إنما نقول ماذا؟ هذا خاص بالقرآن، فإن الله سبحانه سمى نفس مجموع **اللفظ والمعنى** قرآنا وكتابا وكلاما، سماه قرآنا، قرآنا هذا مصدر قرأ، وقلنا: قرأ بمعنى تلا، وفيه معنى الإتباع، وكتابا لأنه مكتوب فعال بمعنى مفعول، وسمي كلاما لما ذكرناه بالأمس كما تقدم في قوله: ﴿وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن﴾ ... الآية، فبين أن الذي سمعوه هو القرآن وهو الكتاب كذلك، وقال تعالى: ﴿تلك آيات الكتاب وقرآن مبين﴾ [الحجر: ١]. حينئذ العطف هنا إذا قيل الكتاب ﴿آيات الكتاب﴾، الكتاب هو القرآن، قال: ﴿وقرآن مبين﴾. العطف هنا يكون عطف تفسير، لماذا؟ لأننا عرفنا أن الأصل في استعمال الكتاب ماذا؟ أنه جنس، حينئذ نحتاج إلى قرينة لأن الشارع أطلق الكتاب وأراد به القرآن، وهذا لا إشكال فيه لا نقول هنا: عطف المترادفين كقوله: كذبا ومينا من كل وجه ليس فيه مزية على الآخر، لا، هذا لا يرد في القرآن، بل هو ممتنع كما قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى، وإنما العطف هنا يسمى عطف تفسير، بمعنى أن

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٣/٢٦

﴿تلك آيات الكتاب﴾ هذا قد يرد عليه الاحتمال لكن لما قال: ... ﴿وقرآن مبين﴾. عرفنا أن المراد بـ ﴿تلك آيات الكتاب﴾ المراد به القرآن والآية السابقة تدل على ذلك.

وفي الآية المتقدمة دليل على أن القرآن منزل من عند الله تعالى وأنه كلامه، وفيها الحث على تلاوته وأنه سبحانه ضمن حفظه من التغيير والتبديل.." (١)

"الأصل الأول في باب الأسماء والصفات وهو البحث الذي معنا قال رحمه الله تعالى: (فهم) أي أهل السنة والجماعة (وسط في: باب صفات الله سبحانه وتعالى) بين طائفتين، وعرفنا أن الوسط هو الذي يكون بين شيئين كل منهما يعني الطرفان كل من الطرفين مذموم حينئذ أهل السنة والجماعة في باب صفات الله سبحانه، وكذلك أسماؤه وسط بين أهل التعطيل الجهمية، وأهل التمثيل المشبهة. قال: (فهم وسط في: باب صفات الله) أي أهل السنة والجماعة وسط أي عدل خيار معتدلون بين الطرفين المنحرفين فهم معتدلون في باب توحيد الله يصفونه سبحانه بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله – صلى الله عليه وسلم – أعرف الناس بربه جل وعلا، من غير تعطيل ومن غير تمثيل، من غير تعطيل فلا ينفى عنه ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله – صلى الله عليه وسلم – ولا تشبيه يعني تمثيل في هذا المقام، فلا يقال له سمع كأسماعنا ويد كأيدينا وعين كأعيننا، وإنما يقال كما قال الله تعالى – هنا جاءت الوسطية – نقول كما قال الله تعالى ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ [الشورى: ١١]، ﴿ليس كمثله شيء﴾ هذا رد على الممثلة، ﴿ليس كمثله شيء﴾ وصف نفسه بالسمع إذا له سمع ليس كسمعنا، ووصف نفسه بالبصر إذا له بصر ليس كبصرنا، لماذا؟ لأنه ﴿ليس كمثله شيء﴾ فهذا الجزء من هذه الآية العظيمة القاعدة الكبرى في هذا المقام ﴿ليس كمثله شيء﴾ رد على طائفة أبطلت الأصل عندهم من أصله، وقوله: ﴿وهو السميع البصير﴾ رد على المعطلة والمراد بالمعطلة هنا من نفى ما دلت عليه الصفات. إذا أهل السنة والجماعة وسط بين أهل التعطيل وبين أهل التمثيل، فأثبتوا ما أثبته الله تعالى لنفسه من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل. قوله رحمه الله تعالى: (بين أهل التعطيل) ما المراد بـ (أهل التعطيل) مر معنا التعطيل: الذين نفوا حقائق أسماء الله وصفاته وعطلوه منها. بمعنى أنهم:

– إما أن ينفوا **اللفظ والمعنى** معا.

– وإما أن يثبتوا اللفظ ويحرفوا المعنى.

فكل منهما يسمى ماذا؟ يسمى معطلا، ليس عندنا فرقة اسمها معطلة، وإنما التعطيل وصف لهذه الفرق فهي جنس، فالمعطلة يدخل تحتها الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية، لماذا؟

لأن كل من هذه الفرق له نصيب من التعطيل:

إما تعطيل كلي، وإما تعطيل جزئي.

وكل منهما إما أنه نفى **اللفظ والمعنى** معا، أو أنه أثبت اللفظ ونفى المعنى فيسمى ماذا؟ يسمى معطلا. إذا التعطيل هنا ليس عندنا فرقة هكذا نسميها المعطلة، لا، المعطلة جنس فيدخل تحته عدة فرق لأن المراد بالتعطيل هو نفي ما دلت عليه

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٥/٢٦

الأسماء وكذلك ما دلت عليه الألفاظ التي بها إثبات صفات الباري جل وعلا، فأهل التعطيل المراد بهم الذين نفوا حقائق أسماء الله وصفاته وعطلوه منها.

ما المراد بحقائق أسماء الله وصفاته؟." (١)

"قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: ولم يقل أحد من السلف إن القرآن مخلوق أو قديم. وعنى بالسلف من؟ الصحابة ومن تبعهم من الأئمة، وأما من وجد في عهد ثلاثة القرون الثاني أو الثالث وقال: مخلوق. هذا ليس من السلف لأن المراد بالسلف من اتبع الصحابة، وهذا القول غير معروف، بل اعتقدوا ضده وهو أن كلام الباري جل وعلا صفة من صفاته. قال: ولم يقل أحد من السلف إن القرآن مخلوق أو قديم، بل الأثر متواترة عنهم، لأنهم يقولون: القرآن كلام الله. ولا يزيدون يعني يكتفون بما ذكر في الكتاب، كلام الله القرآن كلام الله ﴿فأجره حتى يسمع كلام الله﴾ إذا هذا كلام الله، زيد منزل غير مخلوق مع أنها أوصاف دلت عليه النصوص كما مر زيد في مقام الرد على أهل البدع، ولذلك قال: يقولون القرآن كلام الله. يعني يكتفون إلى هنا. ولما ظهر من قال: إنه مخلوق. قالوا: ردا لكلامه إنه غير مخلوق. إذا التصريح بهذا الوصف يكون في مقام الرد على أهل البدع، هذا المراد به، وكونه لا يطلق اعتقادا - يعني في اللفظ - لا يطلق إلا في مقام الرد لا يلزم منه أن يكون معناه غير معتقد، بل يعتقده في قلبه لأنه صفة من صفات الباري جل وعلا، وأول من عرف أنه قال: القرآن مخلوق. الجعد بن درهم كما سبق وصاحبه الجهم بن صفوان، وأول من عرف أنه قال: إنه قديم. هو عبد الله بن سعيد بن كلاب. إذا هؤلاء أهل البدع.

وأما أفعال العباد، إذا عرفنا القرآن صفة الباري جل وعلا فإذا نطق به المخلوق وإذا كتبه بالمداد بالحبر، والحبر مخلوق، واللفظ أنت مخلوق، ولسانك مخلوق. إذا كيف نعتقد ذلك قالوا: أفعال العباد كأصواتهم - ولا شك أن الصوت مخلوق - ومدادهم - يعني ما يكتب به - الذي يكتبون به القرآن، والورق الذي يكتبون عليه فإن ذلك من جملة المخلوق لا شك في ذلك، لا ندعي أنه ليس بمخلوق، بل هو مخلوق لأن القلم تكتب به، بل أنت الناطق وصوتك والقلم أنت لم تكن ثم كنت، ولذلك يقولون الكلام كلام الباري والصوت صوت القارئ، وفي الحديث: «زينوا القرآن بأصواتكم». إن صح قال: «بأصواتكم». «زينوا قرآن بأصواتكم». بأصواتكم أضافه لمن؟ للمخاطب، والمخاطب مخلوق.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

وكذلك القرآن عين كلامه المـ ... سموع منه حقيقة ببيان

هو قول ربي كله لا بعضه ... لفظا ومعنى ما هما خلقان

تنزيل رب العالمين وقوله ... **اللفظ والمعنى** بلا روغان

لكن أصوات العباد وفعلهم ... كمدادهم والرق مخلوقان

رق الورق ﴿في رق منشور﴾ [الطور: ٣]

(١) شرح العقيدة الواسطية للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٠/٣٠

فالصوت للقارئ ولكن الكلا ... م كلام رب العرش ذي الإحسان

إذا أفعال العباد مخلوقة، فالصوت صوت القارئ، لكنما المتلو قول الباري هذه هي القاعدة.." [1]

"قال هنا: وإن عبر عنه بالعربية كان قرآنا، وإن عبر عنه بالعبرانية كان توراة، أو بالسريانية كان إنجيلا. وهذا القول تصوره كاف لمعرفة بطلانه، وليس لهم دليل يعني على قولهم بالمعنى النفسي وما يترتب عليه، ولا شبهة، لا دليل ولا شبهة، الشبهة هي فعلة من الشبه بمعنى أن يكون الشيء له أصل لكنه اشتبه، واضح هذا؟ يعني يحتمل الحق ويحتمل الباطل، هل في القرآن والسنة ما يمكن أن يفهم منه أن القرآن ليس بكلام الله تعالى أو بكونه مخلوقا أو بكون كلام الباري جل وعلا معنى [نفسي]؟ ليس عندنا. إذا ليس عندهم دليل، وليس عندهم يعني ليس عندهم دليل صريح في ادعائهم ذلك، وليس عندهم دليل في أصله وثبوته صحيح لكن ممكن أن يلتبس عليهم المعنى، وإنما لهم بيت ينسب للأخطل النصراني وهو قوله:

إن الكلام لفي الفؤاد

الفؤاد يعني القلب

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما ... جعل اللسان على الفؤاد دليلا

هب أن البيت صحيح، وهب أن الرجل نصراني، وهب أنه قال: بأن الكلام نفساني نرد الآيات قطعية الثبوت وقطعية الدلالة المتواترة بفهم هذا النصراني الأعوج؟ هل هذا مسلم يقدم قولا لنصراني على كلام الباري جل وعلا؟! هب أن الأصل في استدلالهم صحيح بأن البيت ثابت، وأنه قاله نصراني، وأنه يدل على أن الكلام في استعمال بعض لسان العرب أن المراد به الكلام النفسي؟ نقول: لو سلم بذلك نقول: دلت النصوص على أن كلام الله تعالى هو صفة له جل وعلا، وأنه يشمل **اللفظ والمعنى** معا، لا اللفظ دون المعنى، ولا المعنى دون اللفظ، بل حروفه ومعانيه هو كلام الله تعالى، هذا البيت إن ثبت فمعناه أن الكلام يخرج من القلب محله القلب

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما ... جعل اللسان على الفؤاد دليلا

والدليل على الكلام ليس هو الكلام، صحيح؟ الدليل على الشيء ليس هو الشيء، فالكلام محله الفؤاد، إذا كل ما كان في الفؤاد فهو كلام، وليس في الفؤاد إلا حديث النفس وخواطر النفس، والذي دل عليه يسمى دليلا، هذا الذي أراده الأخطل بهذا، أن الكلام يخرج من القلب ويعبر عنه اللسان، وأما الكلام الذي في اللسان فقط فهو يشبه كلام النائم والهاذي ونحوهما فليس بكلام، هذا الذي تمسكوا به.

وأدلة الكتاب والسنة ترد هذا القول.

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٢٧/٣٢

والذي يعقله العقلاء أن الكلام صفة المتكلم المسموع منه، وأن ما في النفس لا يسمى كلاما بوجه من الوجوه، لا يسمى كلاما إلا إذا قيد، إذا قيد قيل: تكلم في نفسه، قال في نفسه. فلا إشكال، وإنما المراد ماذا؟ عند الإطلاق.." [١]

"إذا (كلام الله حروفه ومعانيه) ليست الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف، ليس شيء منه كلاما لغيره، لا لجبريل ولا لمحمد - صلى الله عليه وسلم - ولا لغيرهما، بل قد كفر الله من جعله قول البشر كما سبق، ولم يقل أحد من السلف أن جبريل أحدث ألفاظه ولا محمدا - صلى الله عليه وسلم -، ولا أن خلقها في الهواء أو غيره من المخلوقات، ولا أن جبريل أخذها من اللوح المحفوظ إلى غير ذلك من الأقوال المبتدعة، بل أهل السنة يقولون: إن القرآن عين كلام الله حروفه ومعانيه، ليس كلام الله الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف، عكس ما عليه أهل البدع من المعتزلة والأشاعرة والكلابية وغيرهم، لأن كلام المتكلم هو عبارة عن ألفاظه ومعانيه، وعامة ما يوجد في الكتاب والسنة وكلام السلف فإنه عند إطلاقه يتناول **اللفظ والمعنى** جميعا لشموله لهما، كل من تكلم من السلف أو غيره فإذا حكيت كلامه حينئذ يشمل **اللفظ والمعنى**، فلفظ القول والكلام وما تصرف منهما من فعل ماض ومضارع وأمر ونحو ذلك إنما يعرف في القرآن وسائر كلام العرب إذا كان لفظا ومعنى ليس عندنا أمر لفظ دون المعنى، بل أمر مسماه افعل لفظا ومعنى، نهي كذلك **اللفظ والمعنى** ليس المعنى دون اللفظ ولا اللفظ دون المعنى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: والصواب الذي عليه السلف والأئمة أن الكلام حقيقة في **اللفظ والمعنى**، كما أن الإنسان حقيقة في البدن والروح. الإنسان حقيقة في البدن والروح، لا يقال: الروح هو الإنسان دون البدن، ولا البدن دون الروح، بل مسماه مركب، كذلك الكلام مسماه **اللفظ والمعنى** معا، فالنزاع في الناطق - يعني المتكلم - كالنزاع في منطقه، يعني الكلام انتهى.

والدليل على أنه حروف حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه كما مر معنا السابق بالآيات أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات» حرف، وقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «اقرؤوا القرآن قبل أن يأتي قوم يقيمون حروفه إقامة السهم لا يجاوز تراقيهم يتعجلون آخره ولا يتأجلونه». رواه بنحوه أحمد وأبو داود والبيهقي في ((السنن)) والضياء المقدسي في ((المختار)) عن جابر، وقال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما: إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه. الإعراب يعني المراد به ماذا؟ الفتحة والضمة والكسرة، هذا المراد بالإعراب، إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه.

وقال علي رضي الله عنه: من كفر بحرف منه فقد كفر به كله.

واتفق المسلمون على عدد سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه، ولا خلاف بين المسلمين في أن من جحد من القرآن سورة أو آية أو كلمة أو حرفا متفقا عليه أنه كافر، وفي هذا حجة قاطعة على أنه حروف، انتهى كلامه رحمه الله تعالى.." [٢]

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١١/٣٣

(٢) شرح العقيدة الواسطية للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٨/٣٣

"ثم قال رحمه الله تعالى: (ليس كلام الله الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف). هذا تفصيل كذلك لما سبق من باب التأكيد، فالقرآن كلام الله حروفه ومعانيه، ليس كلام الله الحروف دون المعاني كما يقوله بعض المعتزلة، ولا المعاني فقط دون الحروف كما هو قول الأشاعرة ومن شابههم، وكلا القولين باطل مخالف للكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة، فإن الأدلة دلت على أن القرآن العزيز الذي هو سور وآيات وحروف وكلمات عين كلامه سبحانه، لا تأليف ملك ولا بشر، وأن القرآن جميعه حروفه ومعانيه هو نفس كلامه، والذي تكلم به، وليس بمخلوق ولا بعضه قديم وهو المعنى، وبعضه مخلوق وهو الكلمات والحروف، يعني على قول الأشاعرة كونه معنى نفسي، إذا هذا ليس بمخلوق والألفاظ مخلوقة، إذا القرآن بعضه مخلوق وبعضه غير مخلوق، فالقرآن عندهم قرآنان، المعنى النفسي والألفاظ الدالة عليه، إذا هما قرآنان: قرآن مخلوق، وقرآن غير مخلوق. وهم أحسن حالا من ابن حزم الذي أثبت أربع قرآنات - على كل يرجع إليه -.

قال هنا: بل القرآن جميعه حروفه ومعانيه تكلم الله به حقيقة، والقرآن اسم لهذا النظم العربي الذي بلغه الرسول عن جبريل عن رب العالمين، قال تعالى: ﴿فإذا قرأت القرآن﴾ [النحل: ٩٨]. فإنما يقرأ القرآن العربي لا يقرأ معانيه، أليس كذلك؟ قال: ﴿فإذا قرأت القرآن﴾. القراءة وصف لفعل الإنسان، حينئذ ﴿فإذا قرأت﴾ إنما يقرأ القرآن العربي لا يقرأ معانيه المحددة، وقال تعالى كما مر معنا كذلك: ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر﴾ [النحل: ١٠٣] يعلمه ماذا؟ يعلمه هذا الملفوظ لا يعلمه المعاني، إذ لو كان علمه المعاني فعبر عنه النبي - صلى الله عليه وسلم - لما كان فيه خلاف، لو كان القرآن هو المعنى لما اختلفوا أو ادعو بأنه يعلمه ماذا؟ أعجمي، فأبطل سبحانه قول الكفار بأن اللسان الذي يلحدون إليه أعجمي، ومعلوم أن القرآن لسان عربي مبين، فلو كان الكفار قالوا: يعلمه معانيه فقط لم يكن هذا ردا لقولهم، أليس كذلك؟ ما كان الله تعالى أبطل قولهم، فإن الإنسان قد يتعلم من الأعجمي شيئا بلغة ذلك العجمي فيفهم منه المعاني، ويعبر عنه بعبارته، لو كان كذلك واعتقد الكفار المشركون ذلك لما اعترضوا على النبي - صلى الله عليه وسلم - لما عابوا عليه، وإذا كان الكفار جعلوا الذي يعلمه بشر، فأبطل الله ذلك بأن لسان ذلك أعجمي وهذا لسان عربي مبين، دل على أن الذي وصفه بأنه لسان عربي مبين بأنه هو القرآن لفظا ومعنى، على أن روح القدس نزل باللسان العربي المبين، وأن محمدا لم يؤلف نظم القرآن، بل سمعه من روح القدس، وإذا كان روح القدس نزل من الله علم أنه سمعه ولم يؤلفه هو، وبذلك ثبت بأن القرآن كلام الله تعالى منزل من عنده غير مخلوق، وأن مسمى الكلام هو **اللفظ والمعنى** معا.

ثم عقد رحمه الله تعالى فصلا يتعلق برؤية الباري جل وعلا، والله أعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

- - -." (١)

"اعتقاد ابن عبد البر في الصفات

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وقال أبو عمر أيضا: أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة،

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٩/٣٣

والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز].

وهذا معتقد أهل السنة والجماعة، حيث يقرون بالصفات، ويؤمنون بها، ويعتقدون معناها، أما الكيفية فيفوضونها إلى الله، ويؤمنون بها على حقيقتها، كما قال الإمام مالك رحمه الله: الاستواء معلوم والكيف مجهول، فيؤمنون بالاستواء **باللفظ والمعنى** على حقيقته وأنه استواء حقيقي، أما الكيفية فلا يعلمها إلا الله.

قال: [وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئا من ذلك].

أما أهل البدعة فيقولون: الاستواء مجاز، ومعناه الاستيلاء وهذا باطل.

قال: [إلا أنهم لا يكيفون شيئا من ذلك، ولا يحدون فيه صفة محصورة.

وأما أهل البدع من الجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرونها ولا يحملون شيئا منها على الحقيقة].

بل يحملوها على المجاز، والخوارج يغلب عليهم اتباع المعتزلة، ولاسيما المتأخرون.

قال: [ويزعمون أن من أقر بها مشبه].

هكذا يزعمون، أن من أثبت الاستواء والعلم والقدرة فهو مشبه.

قال: [ويزعمون أن من أقر بها مشبه، وهم عند من أقر بها نافون للمعبود].

وهم -يعني: المعطلة- عند من أقر بها -وهم أهل السنة- نافون للمعبود أي: الله، والمعنى: أن المعطلة هم عند أهل السنة نافون للرب واصفوه بالعدم؛ لأنهم لما نفوا الأسماء والصفات أنتج النفي أنهم نفوا الرب فلم يثبتوا معبودهم.

نسأل الله السلامة والعافية.

قال: [والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وهم أئمة الجماعة.

هذا كلام ابن عبد البر إمام أهل المغرب].." (١)

"شرح العقيدة الطحاوية [٢٩]

للناس في مسمى الكلام والقول عند الإطلاق أربعة أقوال: الأول: أنه يتناول **اللفظ والمعنى** جميعا، وهذا هو قول السلف أصحاب المنهج الحق، ومن عداهم قولهم إما باطل محض أو لا يخلو من باطل، ومن هؤلاء القائلون بأن الكلام اسم للفظ فقط، والمعنى ليس جزء مسماه، بل هو مدلول مسماه، ومنهم القائلون بأنه اسم للمعنى فقط، وإطلاقه على اللفظ مجاز، ومنهم القائلون بأنه مشترك بين **اللفظ والمعنى**، ويعنون بذلك أن كلمة (كلام) قد تطلق على اللفظ فقط أو على المعنى فقط.." (٢)

"ذكر الأقوال فيما يتناوله مسمى الكلام عند الإطلاق

قال رحمه الله تعالى: [وللناس في مسمى الكلام والقول عند الإطلاق أربعة أقوال: أحدها: أنه يتناول **اللفظ والمعنى** جميعا، كما يتناول لفظ الإنسان للروح والبدن معا، وهذا قول السلف.

---

(١) شرح الحموية لابن تيمية - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ٥/١٠

(٢) شرح الطحاوية لناصر العقل، ناصر العقل ١/٢٩

الثاني: أنه اسم للفظ فقط، والمعنى ليس جزء مسماه، بل هو مدلول مسماه، وهذا قول جماعة من المعتزلة وغيرهم.

الثالث: أنه اسم للمعنى فقط، وإطلاقه على اللفظ مجاز؛ لأنه دال عليه، وهذا قول ابن كلاب ومن اتبعه.

الرابع: أنه مشترك بين **اللفظ والمعنى**، وهذا قول بعض المتأخرين من الكلابية].

هذه الأقوال الثلاثة كلها أقوال المتكلمين، أعني الثاني والثالث والرابع، وربما يشتبه الرابع مع الأول، فكأنهما بمعنى واحد، لكن بينهما شيء من الفروق، وهذه الفروق لا تتبين إلا من خلال اللوازم التي تلزم على كل قول.

فالقول الأول هو قول أهل السنة، بل قول جمهور أهل العلم وغالب أهل اللغة من غير المتكلمين، وهو أن كلمة الكلام إذا أطلقت تشمل **اللفظ والمعنى** جميعا، وهذا أمر بدهي عند العقلاء قبل أن يأتي تشقيق العلوم والتفلسف فيها، ولو ترك الناس على بديهاتهم دون أن تدخل عليهم شبهات لما فهموا إلا ذلك، وهو أن الكلام يشمل **اللفظ والمعنى**، وأنه ما من كلام مفيد إلا وله معنى، وما من معنى مفيد يعبر عنه الناطق والمتكلم إلا ويكون التعبير عنه بلفظ.

والإشارة قد يعبر بها، لكن الإشارة تنوب عن الكلام إذا عدم الكلام أو عدمت آلته، وهذا أمر شاذ، وإلا فالأصل في الكلام أنه يشمل **اللفظ والمعنى**.

والقول الرابع الذي أشار إليه يختلف قليلا عن القول الأول؛ لأن الذين قالوا به قالوا: إن الكلام مشترك بين **اللفظ والمعنى**، فقولهم: (مشترك) يعنون به أن كلمة (كلام) قد تطلق على اللفظ فقط وقد تطلق على المعنى فقط، وقد تطلق عليهما.

وهذا القول لجئوا إليه ليخرجوا عن إثبات الكلام لله عز وجل بحرف وصوت، فقالوا: نعم قد يطلق الكلام على **اللفظ والمعنى**، ولكنه أيضا قد يطلق على اللفظ فقط، وقد يطلق على المعنى فقط.

وأهل السنة والجمهور من أهل العلم وأهل اللغة يقولون: الكلام إذا أطلق فلا بد أن يشمل **اللفظ والمعنى**، إلا إذا كان هناك ما يقيد، أو كان هناك قرينة، كأن يكون المعبر أخرص، فإنا نعرف أن إشارته ليست كلاما إنما أراد معنى معينا، فهذه قرينة، أو كان اللفظ يدل على إطلاق الكلام على أحد الأمرين: اللفظ أو المعنى، أما إذا أطلقت كلمة كلام فإنها تشمل **اللفظ والمعنى**، ولا يجوز أن تكون مشتركة بمعنى أنها قد تخص بأحد الأمرين بغير قرينة وبغير شاهد.

قال رحمه الله تعالى: [ولهم قول ثالث يروى عن أبي الحسن].

يقصد أبا الحسن الأشعري، وربما يكون هناك في الاسم تصحيف وتحريف، والله أعلم؛ لأنه نقل مثل هذا القول عن أبي الحسين الطبري، لكن روي عن الأشعري وليس هو المشهور عنه، فربما قاله في بعض مراحل حياته، أما المشهور عنه في الكتب الأخيرة فهو أنه ينفي هذا القول، بل إنه ساق في (المقالات) قول من قالوا بأن صفات الله مجازية –ومنها الكلام– بما يشبه الإنكار له ولم يؤيده، مع أنه إذا كان يؤيد الرأي فهو يقول به.

فعلى كل حال يمكن أن يكون هذا قولا للأشعري، لكنه قول مغمور وليس هو المشهور عنه.

قال رحمه الله تعالى: [ولهم قول ثالث يروى عن أبي الحسن أنه مجاز في كلام الله، حقيقة في كلام الآدميين؛ لأن حروف

الآدميين تقوم بهم فلا يكون الكلام قائما بغير المتكلم، بخلاف كلام الله، فإنه لا يقوم عنده بالله، فيمتنع أن يكون كلامه، وهذا مبسوط في موضعه]..." (١)

"الرد على متأول الفوقية

قال رحمه الله تعالى: [ومن تأول (فوق) بأنه خير من عباده وأفضل منهم، وأنه خير من العرش وأفضل منه، كما يقال: الأمير فوق الوزير، والدينار فوق الدرهم؛ فذلك مما تنفر عنه العقول السليمة، وتشمئز منه القلوب الصحيحة، فإن قول القائل ابتداء: الله خير من عباده، وخير من عرشه من جنس قوله: الثلج بارد، والنار حارة، والشمس أضوأ من السراج، والسماء أعلى من سقف الدار، والجبل أثقل من الحصى، ورسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من فلان اليهودي، والسماء فوق الأرض، وليس في ذلك تمجيد ولا تعظيم ولا مدح، بل هو من أرذل الكلام وأسمجه وأهجنه! فكيف يليق بكلام الله الذي لو اجتمع الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لما أتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا؟! بل في ذلك تنقص، كما قيل في المثل السائر: ألم تر أن السيف ينقص قدره إذا قيل إن السيف أمضى من العصا ولو قال قائل: الجوهر فوق قشر البصل وقشر السمك لضحك منه العقلاء، للتفاوت الذي بينهما، فالتفاوت الذي بين الخالق والمخلوق أعظم وأعظم، بخلاف ما إذا كان المقام يقتضي ذلك، بأن كان احتجاجا على مبطل، كما في قول يوسف الصديق عليه السلام: ((أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار)) [يوسف:٣٩]، وقوله تعالى: ﴿آلله خير أما يشركون﴾ [النمل:٥٩] ﴿والله خير وأبقى﴾ [طه:٧٣].

وإنما يثبت هذا المعنى من الفوقية في ضمن ثبوت الفوقية المطلقة من كل وجه، فله سبحانه وتعالى فوقية القهر وفوقية القدر، وفوقية الذات، ومن أثبت البعض ونفى البعض فقد تنقص، وعلوه تعالى مطلق من كل الوجوه، فإن قالوا: بل علو المكانة لا المكان! فالمكانة تأنيث المكان، والمنزلة تأنيث المنزل، فلفظ المكانة والمنزلة تستعمل في المكانات النفسية والروحانية، كما يستعمل لفظ المكان والمنزل في الأمكنة الجسمانية].

يعني أن المكانة تقال في الأمور المعنوية، والمكان يقال في الأمور الحسية.

قال رحمه الله تعالى: [فإذا قيل: لك في قلوبنا منزلة، ومنزلة فلان في قلوبنا وفي نفوسنا أعظم من منزلة فلان، كما جاء في الأثر: إذا أحب أحدكم أن يعرف كيف منزلته عند الله؛ فلينظر كيف منزلة الله في قلبه، فإن الله ينزل العبد من نفسه حيث أنزله العبد من قلبه.

فقوله: منزلة الله في قلبه: هو ما يكون في قلبه من معرفة الله ومحبته وتعظيمه وغير ذلك، فإذا عرف أن المكانة والمنزلة تأنيث المكان والمنزل، والمؤنث فرع على المذكر في **اللفظ والمعنى**، وتابع له، فعلو المثل الذي يكون في الذهن يتبع علو الحقيقة، إذا كان مطابقا كان حقا، وإلا كان باطلا.

فإن قيل: المراد علوه في القلوب، وأنه أعلى في القلوب من كل شيء؛ قيل: وكذلك هو، وهذا العلو مطابق لعلوه في نفسه على كل شيء، فإن لم يكن عاليا بنفسه على كل شيء، كان علوه في القلوب غير مطابق، كمن جعل ما ليس بأعلى

---

(١) شرح الطحاوية لناصر العقل، ناصر العقل ٤/٢٩

أعلى].

الخلاصة: أن الشارح رحمه الله سلك في الرد على الذين أنكروا العلو الذاتي لله سبحانه وتعالى مسلك التفصيل واستقصاء الأدلة والبراهين العقلية والنقلية، وهذا مذهب السلف في الأمور التي تلج فيها القضايا بينهم وبين المخالفين، ذلك أن من عادة السلف إذا كانت الشبهات خفيفة أن يردوا عليها بإجمال، وإذا كانت كبيرة ومعضلة ويكثر فيها الكلام وتعم بها البلوى زادوا في التفصيل فيها إلى حد حشر الأدلة العقلية والنقلية بتوسع، كما فعل الشارح تبعا لمن سبقه، خاصة ابن القيم.." (١)

"اجتماع الطاعة والمعصية في العبد دليل اجتماع الولاية والعداوة

قال رحمه الله تعالى: [وإن كان في هذا الأصل نزاع لفظي بين أهل السنة، ونزاع معنوي بينهم وبين أهل البدع كما تقدم في الإيمان، ولكن موافقة الشارع في **اللفظ والمعنى** أولى من موافقته في المعنى وحده، قال تعالى: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ [يوسف:١٠٦]، وقال تعالى: ﴿قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾ [الحجرات:١٤]، وقد تقدم الكلام على هذه الآية، وأنهم ليسوا منافقين على أصح القولين.

وقال صلى الله عليه وسلم: (أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر)، وفي رواية: (وإذا اؤتمن خان)، بدل: (وإذا وعد أخلف)، أخرجاه في الصحيحين.

وحديث شعب الإيمان تقدم، وقوله صلى الله عليه وسلم: (يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان)، فعلم أن من كان معه من الإيمان أقل القليل لم يخلد في النار، وإن كان معه كثير من النفاق فهو يعذب في النار على قدر ما معه من ذلك، ثم يخرج من النار].

هذا الكلام فيه عودة إلى تقرير أن الإيمان يزيد وينقص، وكأنه يشير إلى أن الولاية والعداوة كذلك تزيدان وتنقصان، وأن الولاء والبراء يزيدان وينقصان بقدر ما عند الإنسان.

قال رحمه الله تعالى: [فالطاعات من شعب الإيمان، والمعاصي من شعب الكفر، وإن كان رأس شعب الكفر الجحود، ورأس شعب الإيمان التصديق.

وأما ما يروى مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ما من جماعة اجتمعت إلا وفيهم ولي لله لا هم يدرون به ولا هو يدري بنفسه)؛ فلا أصل له، وهو كلام باطل؛ فإن الجماعة قد يكونون كفارا، وقد يكونون فساقا يموتون على الفسق].." (٢)

"قدرة الله على أفعال العباد

وهناك أيضا مسألة وهي: هل الله عز وجل قادر على أفعال العباد؟

---

(١) شرح الطحاوية لناصر العقل، ناصر العقل ٦/٦٠

(٢) شرح الطحاوية لناصر العقل، ناصر العقل ٧/٧٥

و A أن أهل السنة والجماعة يقولون: إن الله عز وجل قادر على أفعال العباد، وأنها مخلوقة من مخلوقاته.

والمعتزلة قالوا: إن الله عز وجل لا يقدر على أفعال العباد، وإن العباد ينشئون أفعالهم من ذواتهم، والمتقدمون منهم نصوا على أن العبد يخلق فعل نفسه، وأما المتأخرون فإنهم لطفوا اللفظة وقالوا: إنه يحدث فعل نفسه، والحقيقة أنه خلاف في **اللفظ والمعنى** واحد، فإنهم يقولون: إن الله عز وجل لا يقدر أن يخلق فعل عبده قبل أن يوجد وإنما العبد هو الذي يختار الفعل بنفسه.

ويقول الله عز وجل: ﴿تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام﴾ [الرحمن:٧٨]، فالجلال والإكرام صفتان لاسم الله عز وجل، وفي هذا إثبات الاسم لله عز وجل، ويدل على هذا قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾ [الأعراف:١٨٠].." [1]

"ذكر مجمل الأقوال في صفة الكلام

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الحق المبين، وأشهد أن نبينا محمدا إمام المتقين، وقائد الغر المحجلين.

أما بعد: في الدرس الماضي تحدثنا عن صفة الكلام لله عز وجل، وبينا قول أهل السنة، وأن الله عز وجل يتكلم بصوت وحرف، وبينا الدليل على صفة الكلام، وبينا الدليل على أن الله سبحانه وتعالى يتكلم بحرف وأنه يتكلم بصوت، وقلنا: إن معنى الكلام في لغة العرب وعند أهل السنة: هو المعنى والصوت والحرف جميعا فهو مجموع **المعنى واللفظ**، وأما الأشاعرة فإنهم يعتبرون الكلام هو: المعنى فقط.

وأما المعتزلة فإنهم يعتبرون الكلام هو: اللفظ فقط.

وبناء على هذا الاختلاف في معنى الكلام اختلفوا في تحديد كلام الله عز وجل، فالأشاعرة قالوا: إن الكلام هو: معنى قائم بالنفس قديم أزلي ليس بصوت ولا حرف.

والمعتزلة قالوا: إن الكلام ليس صفة ثبوتية لله عز وجل، وإنما هو خلق الله عز وجل، والله يخلق كلاما في الهواء أو في الشجر أو في نحو ذلك فيسمى كلاما، ويكون إضافة الكلام إلى الله عز وجل بهذا الاعتبار عند المعتزلة إضافة تشريف كقولهم: بيت الله، وناقة الله، ونحو ذلك.

وأما أهل السنة فإنهم قالوا: إن صفة الكلام صفة قائمة بالله عز وجل ثابتة له معنى ولفظا.

فهو سبحانه وتعالى يتكلم بصوت، وله صوت يليق بجلاله، ويتكلم بحرف، وهذه الحروف الموجودة في القرآن هي كلام الله عز وجل، وأما قراءة الإنسان نفسه للقرآن فمخلوقة؛ لأنه هو مخلوق، ولكن القرآن الموجود هو من كلام الله؛ لأن الكلام ينسب إلى من قاله أولا، فأنت مثلا تقرأ كلاما لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وتقول: قال شيخ الإسلام وتقول: هذا

---

(١) شرح العقيدة الواسطية - عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي ١٠/٩

كلام شيخ الإسلام.

مع أن الذي يتكلم به في اللحظة نفسها هو أنت؛ لأن الكلام ينسب إلى قائله أولا.." [1]

"المبحث التاسع: موافقة النصوص لفظا ومعنى أولى من موافقتها في المعنى دون اللفظ

لا شك أن متابعة الكتاب والسنة في **اللفظ والمعنى** أكمل وأتم من متابعتهما في المعنى دون اللفظ، ويكون ذلك باعتماد ألفاظ ومصطلحات الكتاب والسنة عند تقرير مسائل الاعتقاد وأصول الدين، والتعبير بها عن المعاني الشرعية، وفق لغة القرآن وبيان الرسول صلى الله عليه وسلم.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: (الأحسن في هذا الباب مراعاة ألفاظ النصوص، فيثبت ما أثبته الله ورسوله باللفظ الذي أثبته، وينفي ما نفاه الله ورسوله كما نفاه) (١).

وقال ابن القيم رحمه الله: (إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحافظ على ألفاظ القرآن تقديما وتأخيرا، وتعريفا وتنكيرا كما يحافظ على معانيه، ومنه قوله وقد بدأ بالصفا: ((أبدأ بما بدأ الله به)) (٢)، ومنه بداءته في الوضوء بالوجه ثم اليدين اتباعا للفظ القرآن (٣) ومنه قوله في حديث البراء بن عازب: ((آمنت بكتابك الذي أنزلت، ونبيك الذي أرسلت)) (٤) موافقة لقوله تعالى: يا أيها النبي إنا أرسلناك [الأحزاب: ٤٥]) (٥)

ولهذا منع جمع من العلماء نقل حديث الرسول بالمعنى، ومن أجازه اشترط أن يكون الناقل عالما بما يحيل المعنى من اللفظ، مدركا لأساليب العرب حتى يستبين الفروق، وأما شأن العقيدة خاصة فهو أعظم وأخطر؛ لذا كان هدي أهل السنة والسلف مراعاة الألفاظ ومعانيها معا.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: (إن السلف كانوا يراعون لفظ القرآن والحديث فيما يثبتونه وينفونه في الله وصفاته وأفعاله، فلا يأتون بلفظ محدث مبتدع في النفي والإثبات؛ بل كل معنى صحيح فإنه داخل فيما أخبر به الرسول) (٦).

وقال رحمه الله: (والتعبير عن حقائق الإيمان بعبارات القرآن أولى من التعبير عنها بغيرها، فإن ألفاظ القرآن يجب الإيمان بها، وهي تنزيل من حكيم حميد، والأمة متفقة عليها، ويجب الإقرار بمضمونها قبل أن تفهم، وفيها من الحكم والمعاني ما لا تنقضي عجائبه.

والألفاظ المحدثة فيها إجمال واشتباه ونزاع، ثم قد يجعل اللفظ حجة بمجرده وليس هو قول الرسول الصادق المصدوق وقد يضطرب في معناه، وهذا أمر يعرفه من جربه من كلام الناس، فالاعتصام بحبل الله يكون بالاعتصام بالقرآن والإسلام كما قال تعالى: واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون [آل عمران: ١٠٣]. ومتى ذكرت ألفاظ القرآن والحديث وبين معناه بيانا شافيا فإنها تنتظم جميع ما يقوله الناس من المعاني الصحيحة، وفيها زيادات عظيمة لا توجد في كلام الناس، وهي محفوظة مما دخل في كلام الناس من الباطل كما قال: إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون [الحجر: ٩] وقال تعالى: إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من

---

(١) شرح العقيدة الواسطية – عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي ٢/١٢

خلفه تنزيل من حكيم حميد [فصلت: ٤١ – ٤٢] وقال تعالى: الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير [هود: ١] وقال: الر تلك آيات الكتاب الحكيم [يونس: ١]، وفيه من دلائل الربوبية والنبوة والمعاد ما لا يوجد في كلام أحد من العباد ففيه أصول الدين المفيدة لليقين، وهي أصول دين الله ورسوله لا أصول دين محدث ورأي مبتدع) (٧).

والألفاظ التي لم ترد في الكتاب والسنة إما أن تكون اصطلاحات متعينة للدلالة على الحق ولا تستعمل في غير هذا، فيلزم استعمالها فيما اصطلح عليه من المعاني الصحيحة، وهكذا الأمر فيما استعمله السلف الصالح من الألفاظ الشرعية.

وإما ألا تتعين للدلالة على الحق، بل تكون مجملة تحتمل حقا وباطلا، فإذا عرف مراد صاحبها وكان موافقا للمعنى الصحيح، قبل منه المعنى، ومنع من التكلم باللفظ المجمل، وعلم الألفاظ الشرعية في ذلك. علم العقيدة عند أهل السنة والجماعة لمحمد يسري- ٣٦٣

(١) ((مجموع الفتاوى)) (١٦/ ٤٢٣).

(٢) ((رواه مسلم)) (١٢١٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٣) قال تعالى: يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق * المائدة: ٦*.

(٤) ((رواه البخاري)) (٢٤٧، ٦٣١١) (ومسلم)) (٢٧١٠).

(٥) ((بدائع الفوائد لابن القيم)) (٤/ ٩١٢).

(٦) ((مجموع الفتاوى)) (٥/ ٤٣٢).

(٧) ((النبوات لابن تيمية)) (٢٣٥).." [1]

"القاعدة الثانية: موافقة النصوص لفظا ومعنى أولى من موافقتها في المعنى دون اللفظ:

وذلك أن متابعة الكتاب والسنة في **اللفظ والمعنى** أكمل وأتم من متابعتها في المعنى دون اللفظ؛ فالرسول صلى الله عليه وسلم علم البراء بن عازب كلمات يقولهن إذا أخذ مضجعه، وفيها ((... آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت)) قال البراء: ((فرددتهن لأستذكرهن فقلت: آمنت برسولك الذي أرسلت. قال – أي النبي صلى الله عليه وسلم – قل آمنت بنبيك الذي أرسلت)) (١) تحقيقا لكمال الموافقة، في **اللفظ والمعنى**.

ولهذا منع جمع من العلماء نقل حديث الرسول صلى الله عليه وسلم بالمعنى، ومن أجازه اشترط أن يكون الناقل عاقلا عالما بما يحيل المعنى من اللفظ، مدركا لأساليب العرب حتى يستبين الفروق (٢).

فالناس في موافقة الكتاب والسنة أقسام:

الأول: من يوافقهما لفظا ومعنى، وهذا أسعد الناس بالحق.

الثاني: من يوافقهما في المعنى دون اللفظ، كمن يتكلم في المعاني الشرعية الصحيحة بألفاظ غير شرعية، وهذا كالألفاظ المجملة والتي تحتمل حقا وباطلا، كمن يتكلم في نفي الجهة عن الله تعالى قاصدا نفي الجهة المخلوقة، أو ينفي الحيز والمكان

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٨٥/١

المخلوقين وغير ذلك من الألفاظ التي لم ترد لا في الكتاب ولا في السنة، بل تحتمل معاني صحيحة وأخرى فاسدة، فإذا عرف مراد صاحبها وكان موافقا للمعنى الصحيح، قبل مراده، ومنع من التكلم باللفظ المجمل، وعلم الألفاظ الشرعية في ذلك. وكذلك يدخل فيهم من نفى ظاهر نصوص الصفات قاصدا نفي المعنى الظاهر المختص بالمخلوق، فنفيه صحيح، لكن ظاهر النصوص لم يدل على باطل، حتى يستوجب هذا النفي، وإنما نفى هذا ما توهمه أنه ظاهر النص، وإن لم يكن كذلك في نفس الأمر.

الثالث: من يوافق الكتاب والسنة في اللفظ دون المعنى، وهؤلاء كطوائف الباطنية وغيرهم ممن يعبرون عن عقائدهم الفاسدة بألفاظ شرعية، فالصلاة عندهم كشف أسرارهم، والصيام كتمانها، والحج القصد إلى شيوخهم، ونحو ذلك (٣).

الرابع: من يخالف الكتاب والسنة لفظا ومعنى، وهؤلاء أشقى الطوائف، وهم من الكفرة والملاحدة ونحوهم.

---

(١) رواه البخاري (٢٤٧) ومسلم (٢٧١٠) واللفظ لمسلم.

(٢) انظر: ((الرسالة)) للشافعي (ص: ٣٧٠، ٣٧١).

(٣) انظر: ((الإقحام لأفئدة الباطنية الطغام)) للعلوي (ص: ٧١) وما بعدها.." [(١)]

"والملاحدة: الذين ينكرون أسماءه، وتعرض قلوبهم عن معرفته وعبادته، ومحبته وذكره، حتى ينسوا ذكره نسوا الله فنسيهم [التوبة: ٦٧]، ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون [الحشر: ١٩]. واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين [الأعراف: ٢٠٥].

والاسم يتناول **اللفظ والمعنى** المتصور في القلب، قد يراد به مجرد اللفظ، وقد يراد به مجرد المعنى فإنه من الكلام، والكلام اسم للفظ والمعنى، وقد يراد به أحدهما، ولهذا كان من ذكر الله بقلبه أو لسانه فقد ذكره، لكن ذكره بهما أتم.

والله تعالى قد أمر بتسبيح اسمه، وأمر بالتسبيح باسمه، كما أمر بدعائه بأسمائه الحسنى، فيدعى بأسمائه الحسنى، ويسبح اسمه، وتسبيح اسمه هو تسبيح له، إذ المقصود بالاسم المسمى، كما أن دعاء الاسم هو دعاء المسمى. قال تعالى: قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا [الإسراء: ١١٠] (١).

بيان المسألة: قال شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية رحمه الله تعالى:

(فصل في الاسم والمسمى، هل هو هو أو غيره؟ أولا يقال هو هو، ولا يقال هو غيره؟ أو هو له؟ أو يفصل في ذلك؟ فإن الناس قد تنازعوا في ذلك، والنزاع اشتهر بعد الأئمة، بعد أحمد وغيره، والذي كان معروفا عند (أئمة السنة) أحمد وغيره: الإنكار على الجهمية الذين يقولون أسماء الله مخلوقة، ويقولون: الاسم غير المسمى، وأسماء الله غيره، وما كان غيره فهو مخلوق.

وهؤلاء هم الذين ذمهم السلف وغلظوا فيهم القول، لأن أسماء الله من كلامه، وكلام الله غير مخلوق، بل هو المتكلم به،

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١/١٢٠

وهو المسمى لنفسه بما فيه من الأسماء.

والجهمية يقولون: كلامه مخلوق، وأسماؤه مخلوقة، وهو نفسه لم يتكلم بكلام يقوم بذاته، ولا سمى نفسه باسم هو المتكلم به، بل قد يقولون: إنه تكلم به وسمى نفسه بهذه الأسماء، بمعنى أنه خلقها في غيره، لا بمعنى أنه نفسه تكلم بها الكلام القائم به، فالقول في أسمائه هو نوع من القول في كلامه). اهـ (٢).

ويقول شارح العقيدة الطحاوية:

(طالما غلط كثير من الناس في ذلك وجهلوا الصواب فيه. فالاسم يراد به المسمى تارة، ويراد به اللفظ الدال عليه أخرى.

فإذا قلت: قال الله كذا، أو سمع الله لمن حمده، ونحو ذلك فهذا المراد به المسمى نفسه.

وإذا قلت: الله اسم عربي، والرحمن اسم عربي، والرحيم من أسماء الله تعالى ونحو ذلك، فالاسم ها هنا هو المراد لا المسمى، ولا يقال غيره، لما في لفظ الغير من الإجمال.

فإن أريد بالمغايرة أن اللفظ غير المعنى فحق. وإن أريد أن الله سبحانه كان ولا اسم له، حتى خلق لنفسه أسماء أو حتى سماه خلقه بأسماء من صنعهم، فهذا من أعظم الضلال والإلحاد في أسماء الله تعالى) اهـ (٣).

وزيادة في الإيضاح نقول إن الاسم يأتي في مواضع من الكلام ويراد به التسمية:

---

(١) ((مجموع الفتاوى)) (٦/ ٢٠٧) باختصار.

(٢) ((مجموع الفتاوى)) (٦/ ١٨٥).

(٣) ((العقيدة الطحاوية)) (١٣١).." [1]

"المطلب الثاني: أنوع التحريف

التحريف نوعان النوع الأول: تحريف اللفظ:

وتعريفه: هو العدول باللفظ عن جهته إلى غيرها، وله أربع صور:

١ - الزيادة في اللفظ.

٢ - النقصان في اللفظ.

٣ - تغيير حركة إعرابية.

٤ - تغيير حركة غير إعرابية.

ومن أمثلة تحريف اللفظ:

المثال الأول: تحريف إعراب قوله تعالى: وكلم الله موسى تكليما [النساء: ١٦٤] من الرفع إلى النصب، وقال: وكلم الله أي موسى كلم الله، ولم يكلمه الله، ولما حرفها بعض الجهمية هذا التحريف قال له بعض أهل التوحيد: فكيف تصنع بقوله: ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه [الأعراف: ١٤٣] فبهت المحرف.

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١/٤٤٢

مثال آخر: إن بعض المعطلة سأل بعض أئمة العربية: هل يمكن أن يقرأ العرش بالرفع في قوله: الرحمن على العرش استوى [طه: ٥] وقصد بهذا التحريف أن يكون الاستواء صفة للمخلوق لا للخالق (١).

النوع الثاني: تحريف المعنى:

وتعريفه: هو صرف اللفظ عن معناه الصحيح إلى غيره مع بقاء صورة اللفظ (٢). أو نقول: تعريفه: هو العدول بالمعنى عن وجهه وحقيقته، وإعطاء اللفظ معنى لفظ آخر بقدر ما مشترك بينهما.

وهذا النوع هو الذي جال فيه أهل الكلام من المعطلة وصالوا، وتوسعوا وسموه تأويلا، وهو اصطلاح فاسد حادث لم يعهد به استعمال في اللغة (٣).

ومن أمثلة تحريف المعنى:

كقول المعطلة في معنى استوى: استولى في قوله: الرحمن على العرش استوى [طه: ٥].

وفي معنى اليد في قوله تعالى: بل يداه مبسوطتان [المائدة: ٦٤] النعمة والقدرة.

وفي معنى المجيء في قوله تعالى: وجاء ربك [الفجر: ٢٢] وجاء أمر ربك.

وقد ذكر الله التحريف وذمه حيث ذكره، وهو مأخوذ في الأصل عن اليهود، فهم الراسخون فيه، وهم شيوخ المحرفين وسلفهم، فإنهم حرفوا كثيرا من ألفاظ التوراة، وما غلبوا عن تحريف لفظه حرفوا معناه؛ ولهذا وصفوا بالتحريف في القرآن دون غيرهم من الأمم.

وقد درج على آثارهم الرافضة؛ فهم أشبه بهم من القذة بالقذة، وكذلك الجهمية؛ فإنهم سلكوا في تحريف النصوص مسالك إخوانهم في اليهود (٤).

وأصحاب تحريف الألفاظ شر من أصحاب تحريف المعنى من وجه.

وأصحاب تحريف المعنى شر من أصحاب تحريف اللفظ من وجه.

فأصحاب تحريف اللفظ عدلوا **باللفظ والمعنى** جميعا عما هما عليه، فأفسدوا **اللفظ والمعنى**، بينما أصحاب تحريف المعنى أفسدوا المعنى وتركوا اللفظ على حاله فكانوا خيرا من أولئك من هذا الوجه.

فأصحاب تحريف اللفظ لما أرادوا المعنى الباطل حرفوا له لفظا يصلح له لئلا يتنافر **اللفظ والمعنى**، بحيث إذا أطلق ذلك اللفظ المحرف فهم منه المعنى المحرف، فإنهم رأوا أن العدول بالمعنى عن وجهه وحقيقته مع بقاء اللفظ على حاله مما لا سبيل إليه، فبدأوا بتحريف اللفظ ليستقيم لهم حكمهم على المعنى الذي قصدوا (٥).

وأما كون أصحاب تحريف المعنى شرا من أصحاب تحريف اللفظ من وجه؛ فلأن تحريف المعنى هو الأكثر استعمالا عند أصحاب التحريف؛ ولأنه أسهل رواجا وسوقا عند الجهلة والعوام من الناس، فيفتتن به من ليس لديه زاد من العلم الصحيح المعتمد على الكتاب والسنة وفهم سلف الأمة. معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات لمحمد بن خليفة التميمي – ص: ٥٩

---

(١) ((الصواعق المرسلة)) (١/ ٢١٨).

(٢) ((الصواعق المنزلة)) (١/ ٢٠١).

(٣) ((مختصر الصواعق)) (٢/ ١٤٧).

(٤) ((الصواعق المرسلة)) (١/ ٢١٥ - ٢١٦).

(٥) ((مختصر الصواعق)) (٢/ ١٤٧، ١٤٨).." (١)

"٤ - يكفي في عدم التماثل أنه ترجمة وليس أصلا) (١).

٥ - ومن المهم في ذلك أننا لا علم لنا بالأصل الذي ترجم.

٦ - وكذلك فإنا لا نعرف المترجم، ومدى معرفته باللغة المترجم عنها، وكذلك باللغة المترجم إليها؛ لأن الضعف في واحدة منهما يفسد **اللفظ والمعنى** جميعا.

فإذا كان هذا صنيعهم في ألفاظ التوراة التي يزعمون أنها كلام الله، فكيف يؤمنون بعد ذلك في تفسيرهم لها وبيان معانيها، أو عند ترجمتها، لا شك أن العقل السليم يجزم بوقوع التغيير والتبديل في ذلك.

مستند الإجماع في المسألة: لقد شهد الله جل جلاله في مواضع عديدة من القرآن الكريم على تحريف اليهود والنصارى لكتبهم التي أنزلها الله سبحانه وتعالى لأنبيائهم؛ فمن ذلك قول الحق سبحانه وتعالى: أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون [البقرة: ٧٥].

وقوله تعالى: فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به [المائدة: ١٣].

ومعنى يحرفونه: أي يبدلون معناه، ويتأولونه على غير تأويله (٢).

قال القرطبي رحمه الله في قوله تعالى: ثم يحرفونه قال: (قال مجاهد والسدي: هم علماء اليهود الذين يحرفون التوراة، فيجعلون الحرام حلالا والحلال حراما اتباعا لأهوائهم من بعد ما عقلوه أي عرفوه وعلموه وهذا توبيخ لهم) (٣).

ومن الأدلة أيضا قوله تعالى: وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون [آل عمران: ٧٨].

ومن الأدلة المحسوسة على وقوع التحريف في كتبهم؛ إضافة إلى ما ذكره الله عز وجل عنهم في القرآن الكريم ما يلي:

١ - انقطاع السند، وعدم حصول التواتر في نقلها، فليس في أسفار اليهود وأناجيل النصارى ما تصح نسبته إلى أنبيائهم عليهم السلام.

فالتوراة لم يتم تدوينها إلا بعد موسى عليه السلام، ثم إن نسخة التوراة الأصلية قد ضاعت أيام الغزو البابلي لليهود، كما شهد بذلك أهل العلم منهم، ثم أعادوا كتابتها مرة أخرى (٤)، حتى جاء أحد ملوك الرومان وفتح فلسطين عام (١٦١ ق. م) فأمر بإحراق كافة النسخ التي عثر عليها من التوراة، وكل من احتفظ بنسخة منها يقتل، وكان يجري البحث عنها

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٤٦٢/٢

شهريا، واستمر الحال على ذلك مدة زادت على ثلاث سنوات ونصف (٥).

وأما الإنجيل فإن الذي بأيدي النصارى منه أربع كتب مختلفة؛ وهم جميعا متفقون على أنها أربعة تواريخ ألفها أربعة رجال وهم: يوحنا ومتى ومرقس ولوقا (٦)، ثم إن مرقس ولوقا لم يكونا من حواريي المسيح عليه السلام (٧).

٢ - التناقض الواضح والتعارض الفاضح بين نصوص التوراة، وكذلك الحال في نصوص الأناجيل (٨)، ولو كانت كلام الله حقيقة لاستحال أن يلحق بها تناقض أو اختلاف، يقول المولى تبارك وتعالى: ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا [النساء: ٨٢].

٣ - شهادة بعض علماء اليهود والنصارى على وقوع التحريف في كتبهم؛ وخاصة من رجع منهم إلى الحق، واتبع شريعة محمد صلى الله عليه وسلم (٩).

وفي هذه الأدلة أوضح دلالة على أن الكتب التي سبقت القرآن الكريم قد وقع فيها التغيير والتبديل، وأن أهل الكتاب قد غيروا وبدلوا عن علم وإصرار. المسائل العقدية التي حكى فيها ابن تيمية الإجماع لمجموعة مؤلفين – بتصرف – ص: ٧٥٨

---

(١) ((مسلمو أهل الكتاب وأثرهم في الدفاع عن القضايا القرآنية)) (٢/ ٦٨٤ - ٦٨٥) باختصار.

(٢) انظر: ((تفسير الطبري)) م١ (١/ ٤٨٥)، و ((تفسير القرطبي)) (٥/ ٢٣٣).

(٣) ((تفسير القرطبي)) (٢/ ٦).

(٤) انظر: ((التوراة بين فقدان الأصل وتناقض النص)) (ص: ٤، ٥).

(٥) انظر: ((التوراة بين فقدان الأصل وتناقض النص)) (ص: ٨٤، ٨٥).

(٦) انظر: ((الفصل)) لابن حزم (١/ ٢٥١).

(٧) انظر: ((تخجيل من حرف التوراة والإنجيل)) (١/ ٢٨٤).

(٨) انظر: ((التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث)) (ص: ٥٥، ٥٦)، و (ص: ١٣٠، ١٣١)، و ((تخجيل من حرف التوراة والإنجيل)) (١/ ٢٨٣) وما بعدها، ((التوراة بين فقدان الأصل وتناقض النص)) (ص: ١).

(٩) انظر: ((التوراة والأناجيل والقرآن الكريم)) (ص: ١٥)، و ((التوراة بين فقدان الأصل وتناقض النص)) (ص: ٢).." (١)

"المطلب الثالث: اجتماع الولاية والعداوة

وتجتمع في المؤمن ولاية من وجه، وعداوة من وجه، كما قد يكون فيه كفر وإيمان، وشرك وتوحيد، وتقوى وفجور، ونفاق وإيمان. وإن كان في هذا الأصل نزاع لفظي بين أهل السنة، ونزاع معنوي بينهم وبين أهل البدع، كما تقدم في الإيمان. ولكن موافقة الشارع في **اللفظ والمعنى** - أولى من موافقته في المعنى وحده، قال تعالى: وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون [يوسف: ١٠٦]. وقال تعالى: قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا [الحجرات: ١٤]، الآية. وقد تقدم الكلام على

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٤٠٧/٣

هذه الآية، وأنهم ليسوا منافقين على أصح القولين. وقال صلى الله عليه وسلم: ((أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر)) وفي رواية: ((وإذا ائتمن خان))، بدل: ((وإذا وعد أخلف)). أخرجاه في الصحيحين (١). وحديث شعب الإيمان ... وقوله صلى الله عليه وسلم: ((يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان)) (٢).

فعلم أن من كان معه من الإيمان أقل القليل لم يخلد في النار، وإن كان معه كثير من النفاق، فهو يعذب في النار على قدر ما معه من ذلك، ثم يخرج من النار.

فالطاعات من شعب الإيمان، والمعاصي من شعب الكفر، وإن كان رأس شعب الكفر الجحود، ورأس شعب الإيمان التصديق.

وأما ما يروى مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((ما من جماعة اجتمعت إلا وفيهم ولي لله، لا هم يدرون به، ولا هو يدري بنفسه)) -: فلا أصل له، وهو كلام باطل، فإن الجماعة قد يكونون كفارا، وقد يكونون فساقا يموتون على الفسق. شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز- ٢/ ٥٠٧

---

(١) رواه البخاري (٣٤) (٢٤٥٩) ومسلم (٥٨/ ١٠٦) من حديث عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣). من حديث أنس رضي الله عنه.." [1]

"حكم من قال: لفظي بالقرآن مخلوق

قال الإمام أبو محمد الحسن بن علي البربهاري رحمه الله تعالى: [واعلم أن من قال لفظه بالقرآن مخلوق فهو مبتدع، ومن سكت فلم يقل مخلوق ولا غير مخلوق فهو جهمي، هكذا قال أحمد بن حنبل.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا؛ فإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة، وعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين وعضوا عليها بالنواجذ)].

بدأ في أول هذه الفقرة عن مسألة متفرعة عن أصل من أصول العقيدة عند السلف، وهي ما يتعلق بالقرآن، فأولا نحن نعرف أن الله عز وجل موصوف بأنه متكلم، وكلامه على ما يليق بجلاله عز وجل، وأن القرآن الكريم كلام الله منزل غير مخلوق، وأن هذا مما أجمع عليه سلف الأمة؛ لأنه اقتضته النصوص وقواعد العقيدة ولم يخالف في ذلك إلا الجهمية ومن سلك سبيلهم، من المعتزلة وبعض أهل الكلام والفلاسفة والباطنية وبعض المتصوفة وغيرهم، فإنهم زعموا أن القرآن مخلوق، وبذلك كفرهم السلف لأنهم أقاموا عليهم الحجة، وبينوا لهم الآيات البينات من كتاب الله تعالى ومن سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وإجماع السلف.

فالقرآن كلام الله منزل غير مخلوق، فلما قالت الجهمية بأنه مخلوق وحاورها السلف وأقاموا عليها الحجة، تبين عنادها، وأنها حكمت العقل فيما لا طاقة له به، وحكمت أصول الفلاسفة وقواعد المتكلمين فزعمت أن القرآن مخلوق، فمن هنا حكم

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢٧٥/٨

السلف بكفرية هذا القول، فتفرع عن هذا مسائل أخرى منها: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق.
والأصل أن الناس في عافية من هذا الأمر، وكذلك يجب أن يكونوا، ومن هنا فهذه المسألة ينبغي ألا تثار عند الناس إذا لم يكن الكلام فيها مشتهرا.
فمنذ عهد الإمام أحمد وقبله من منتصف القرن الثاني الهجري إلى نهاية القرن الثالث تقريبا أو قبل نهايته بقليل والجهمية يرفعون شعارهم بذلك، خاصة في عهد المأمون في بداية القرن الثالث الهجري إلى منتصفه فإنهم زعموا أن القرآن مخلوق، ورفعوا ذلك على المنابر وأشهروه في المناظرات والكتب، وفتنوا الناس به، فاضطر السلف إلى أن يتكلموا في هذه المسائل، ثم حينما انهزمت الجهمية والمعتزلة على يد الإمام أحمد وتبين الحق وانجلت الفتنة ولم يبق إلا المعاند ظهر بعض ضعاف الجهمية بقول يظنون أنهم يرضون به السلف، وقالوا: نحن لا نقول: القرآن مخلوق، لكن نقول: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة! ويقصدون بذلك القرآن، فهي حيلة على البدعة.
فلما تفطن السلف لهذه الحيلة بدعوا من قال بهذا القول سواء بنفي أو إثبات؛ لأنه أولا: ذريعة إلى الخوض في هذه المسألة الخطيرة، وثانيا: مدخل للجهمية بأن يتأولوا من خلاله لقولهم المبتدع الكفري، وثالثا: لأن الناس قد تتفاوت مفاهيمهم ومداركهم لهذه الكلمة.
فالقول بأن اللفظ بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق فيه شبهة، فبدع السلف من قال به، ولذلك وجد من السلف من قال بهذا القول على مقصد صحيح، وهو قوله بأن ألفاظنا وأصواتنا بالقرآن التي خرجت عن ألسنتنا وحلوقنا وشفاهنا مخلوقة، وهذا صحيح، لكن المبتدع لا يقف عند هذا الحد فيقصد **اللفظ والمعنى**، وإن قال لفظي بالقرآن مخلوق فإنه ربما يقصد القرآن أيضا ويتأول.
فمن هنا أقول: إن هذه المسألة محل نزاع بين السلف، لكن أئمة السلف كرهوها وبدعوا من قال بها لأنها ذريعة إلى القول بالبدعة، سواء بالنفي أو الإثبات.." (١)

"فكيفَ يجوزُ بعدَ هذا أنْ يقالَ: إذا كانَ الرحمنُ فوقَ العرشِ أنْ يكونَ مماثلًا لخلقهِ؟! والله تعالى ليسَ كمثلهِ شيءٌ في ذاتهِ ولا في صفاتهِ ولا في أفعالهِ. حتَّى لَوْ قدِّرَ لزومُ ذَلِكَ كلِّهِ لكانَ التزامهُ أسهلَ مِنْ تعطيلِ علوِّهِ عَلَى عرشهِ، وجعلهِ بمنزلةِ المعدومِ الممتنعِ، الَّذي لاَ هوَ داخلَ العالمِ وَلاَ خارجهُ (١).
عطَّلْتُمُ السَّبع السموات العلا ... والعَرْشَ أَخْليتُم منَ الرحمن (٢)
قالَ ابنُ القيّم رحمه الله:
قَدْ عَطَّلَ الرَّحْمَنُ أَفْئِدَةً لَهُمْ ... مِنْ كُلِّ مَعْرِفَةٍ وَمِنْ إِيمَانِ
إِذْ عَطَّلُوا الرَّحْمَنَ مِنْ أَوصَافِهِ ... وَالعَرْشَ أَخْلَوْهُ مِنَ الرَّحْمنِ (٣)
أيُّها المشتغلونَ بعلمِ الكلامِ: إنَّ نفيَكم لعلوِّ الله تعالى على العرشِ بدعوى التَّجسيمِ، خطأٌ في **اللَّفظِ والمعنى**، وجنايةٌ عَلَى ألفاظِ الوحي.

---

(١) التعليق على شرح السنة للبربهاري – ناصر العقل، ناصر العقل ٢/١٣

أمَّا اللَّفظيُّ: فتسميتكم علوَّ اللهِ على العرشِ تجسيمًا وتشبيهًا وتحيُّزًا. وتواصيتم بهذا المكرِ الكبَّارِ إلى نفيِ ما دلَّ عليهِ الوحيُ، والعقلُ، والفطرةُ؛ فكذبتم عَلَى القرآنِ، وعلى الرسولِ صلى الله عليه وسلم، وعلى اللُّغةِ، ووضعتم لصفاتِهِ ألفاظًا منكمْ بدأتْ وإليكمْ تعودُ.

وأمَّا خطأكمْ فِي المعنى: فنفيُكم، وتعطيلكم لعلوِّ الرحمنِ بواسطةِ هذهِ التسميةِ والألقابِ، فنفيتم المعنى الحقَّ وسمَّيتموهُ بالاسمِ المنكرِ، وكنتم فِي ذلكَ بمنزلةِ منْ سمعَ أنَّ فِي العسلِ شفاءً ولمْ يرهُ، فسأل عنهُ فقيلَ لهُ: مائعٌ رقيقٌ أصفرٌ يشبهُ العذرةَ تتقيَّأهُ الزنابيرُ، ومنْ لمْ يعرفِ العسلَ ينفرُ عنهُ بهذا التَّعريفِ، ومَنْ عرفهُ وذاقهُ لم يزدهُ هذا التَّعريفُ عندهُ إلَّا محبَّةً لهُ، ورغبةً فيهِ، وما أحسنَ مَا قَالَ القائلُ:

---

(١) الصّواعق (ص١٠١٦ - ١٠١٧).

(٢) نونية القحطاني (ص٥١)، طبعة مكتبة السوادي.

(٣) الكافية الشافية (ص٢٦٨).." [١]

"أَمْ لاَ وَهَلْ حَازَ البلاغَةَ كلَّهَا ... **فَاللَّفْظُ والمَعْنَى** لَهُ طَوْعَانِ

فَإِذَا انْتَهَتْ هَذي الثلاثَةُ فِيهِ كَا ... مِلَةً مُبرَّأَةً مِنَ النُّقْصَانِ

فَلأيِّ شَيءٍ عَاشَ فِينَا كَاتِمًا ... للنَّفْيِ والتَّعْطِيلِ فِي الأَزْمَانِ

بَلْ مُفْصِحًا بالضدِّ مِنْهُ حَقِيقَةَ الـ ... إفْصَاحِ مُوَضَّحَةً بِكلِّ بَيَانِ

وَلأيِّ شَيْءٍ لَمْ يُصَرِّحْ بِالَّذِي ... صَرَّحْتُمُ فِي رَبِّنَا الرَّحمَنِ

أَلِعَجْزِهِ عَنْ ذَاكَ أَمْ تَقْصِيرِهِ ... فِي النُّصْحِ أمْ لِخَفَاءِ هَذَا الشَّانِ

حَاشَاهُ بَلْ ذَا وَصْفُكُمْ يَا أُمَّةَ التَّ ... عْطِيلِ لاَ المَبْعُوثِ بالْقُرْآنِ

وَلأيِّ شَيْءٍ كَانَ يَذْكُرُ ضِدَّ ذَا ... فِي كُلِّ مُجْتَمَعٍ وَكُلِّ زَمَانِ

أَتَرَاهُ أَصْبَحَ عَاجِزًا عَنْ قَوْلِهِ اسْ ... تَوْلَى وَيَنْزِلُ أمرُهُ وَفُلاَنِ (١)

ومعنى هذا الكلامِ: أنَّ الرسولَ صلى الله عليه وسلم إذا كانَ أعلمَ الخلقِ بالحقِّ، و «كانتْ نصيحتهُ لأمَّتهِ كاملةً تامَّةً لا يمكنُ أنْ يساويهُ فيهَا أحدٌ، وكانَ فصيحًا بليغًا مقْتدرًا على التعبيرِ عَنِ المعاني المقْصودةِ بالألفاظِ الجليةِ الفصيحةِ - فمعاني كلامهِ أجلُّ المعاني، وألفاظُه أفْصحُ الألفاظِ - كانَ منْ أعْظمِ المحالِ أنْ يكتمَ ما يجبُ لله مِنَ العلوِّ والفوقيَّةِ وصفاتِ الكمالِ ويفْصحُ بضدِّ ذلكَ.

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (ص١٣٧).." [٢]

---

(١) الكلمات الحسان في بيان علو الرحمن، عبد الهادي بن حسن وهبي ص/٢٠٧

(٢) الكلمات الحسان في بيان علو الرحمن، عبد الهادي بن حسن وهبي ص/٢٥٤

"الرابعُ عَشَرَ:

أنَّ الله سبحانه وتعالى وصفَ نفسَهُ بأنَّهُ بيَّنَ لعبادهِ غايةَ البيانِ – وبيانُ الرَّبِّ تعالى فوقَ كلِّ بيانٍ ،، وأمرَ رسولَهُ بالبيانِ، وأخْبرَ أنَّهُ أنْزلَ عليهِ كتابهُ ليبيِّنَ للنَّاسِ، وقدْ فعلَ سبحانهُ مَا عليهِ، وفعلَ رسولُهُ ما عليهِ، فماذا نشأَ بعدَ ذلكَ إلَّا أنْ نأتيَ بمَا علينا، كما قال الزهْريُّ: «مِنَ الله الرسالة، وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم البلاغُ، وعَلَيْنَا التَّسْليمُ» (١) فهذا البيانُ الذي تَكَفَّلَ بهِ سبحانهُ، وأمرَ بهِ رسولهُ، إمَّا أنْ يكونَ المرادُ بهِ بيانَ اللَّفظِ وحدهُ، أو المعْنى وحدهُ، أو **اللَّفظِ والمعْنى** جميعًا، ولا يجوزُ أنْ يكونَ المرادُ بهِ بيانَ اللَّفظِ دونَ المعْنى، فإنَّ هذا لا فائدةَ فيهِ، ولا يحْصلُ به مقْصودُ الرسالةِ (٢)، بل كانَ تَرْكهُ أنْفعَ مِنَ الاتيانِ بهِ؛ فإنَّ الاتيانَ بهِ إنَّما حصلَ منهُ إيهامُ المحالِ والتَّشْبيهِ، وأوْقعَ الأمَّةَ في اعْتقادِ الباطلِ. ولا ريبَ أنَّ هذا إذا نسبَ إلى آحادِ النَّاسِ كانَ ذمُّهُ أقْربَ مِنْ مدْحهِ؛ فكيفَ يليقُ نسبتهُ إلى مَنْ كلامهُ هدًى وشفاءٌ، وبيانٌ ورحمةٌ؟ هذا منْ أمْحلِ المحالِ (٣)؛ بلْ كانتْ عنايتهُ ببيانِ المعْنى أشدَّ منْ عنايتهِ ببيانِ اللَّفظِ، وهذا هوَ الذي ينْبغي، فإنَّ المعْنى هو المقْصودُ، وأمَّا اللَّفظُ فوسيلةٌ إليهِ ودليلٌ عليهِ، فكيفَ تكونُ عنايتهُ بالوسيلةِ أهمَّ منْ عنايتهِ بالمقْصودِ؟ وكيفَ نتيقنُ بيانَهُ للوسيلةِ، ولا نتيقنُ بيانهُ للمقْصودِ؟ وهلْ هذا إلَّا منْ أبينِ المحال؟!

الخامسُ عَشَرَ:

أنَّ الله سبحانه وتعالى ذمَّ المحرِّفينَ للكلمِ، والتَّحريفُ نوعان: تحريفُ اللَّفظِ، وتحريفُ المعنى.

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٢٧٣٨) تعليقًا [طبعة دار ابن كثير، الطبعة الثالثة].

(٢) الصواعق (ص٧٣٧).

(٣) مختصر الصواعق (٢/ ١٤٥).." [1]

"ب – إنزالٌ مِنَ السَّمَاءِ كقولِهِ: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [الفرقان: ٤٨].

ج – إنزالٌ منهُ سبحانه وتعالى كقولِهِ: ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

فأخبرَ أنَّ القرآنَ منزلٌ منهُ، والمطرُ منزلٌ من السَّماءِ، والحديدُ منزلٌ نزولًا مطلقًا.

الوجهُ الثامنُ:

أنَّ الله سبحانه وتعالى قَالَ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥] فالكتابُ كلامهُ والميزانُ عدلهُ فأخبرَ أنَّه أنزلهما مَعَ رسلهِ ثمَّ قَالَ: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ [الحديد: ٢٥] ولم يقلْ وأنزلنا معهمُ الحديدَ؛ فلمَّا ذكرَ كلامَهُ وعدلَهُ أخبرَ أنَّهُ أنزلهما مَعَ رسلهِ ولَمَّا ذكرَ مخلوقهُ النَّاصرَ لكتابهِ وعدلهِ أطلقَ إنزالهُ ولم يقيِّده بما قيَّدَ بهِ إنزالَ كلامهِ. فالمسوّي بينَ الإنزالينِ مخطئٌ في **اللَّفظِ والمعنى**. وليسَ منْ ذوي الأذهانِ القويمةِ والأفكارِ المستقيمةِ.

وأمَّا قوله: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ [الزمر: ٦] فإنَّ الأنعامَ تُخلقُ بالتَّوالدِ المستلزمِ إنزال الذُّكورِ الماءَ منْ أصلابها

---

(١) الكلمات الحسان في بيان علو الرحمن، عبد الهادي بن حسن وهبي ص/٢٦٤

إلى أرحامِ الإناثِ ولهذا يقالُ أنزلَ، ولمْ ينزلْ؛ ثمَّ إنَّ الأجنَّةَ تنزلُ منْ بطونِ الأمَّهاتِ إلى وجهِ الأرضِ، ومِنَ المعلومِ أنَّ الأنعامَ تعلو فحولُهَا إناثَهَا عندَ الوطءِ، وينزلُ ماءُ الفحلِ مِنْ علوٍّ إلى رحمِ الأنثى، وتلقي ولدَهَا عندَ الولادةِ منْ عُلوٍّ إلى سفلٍ.

الوجهُ التاسعُ:

أنَّ نزولَ الرَّبِّ تبارك وتعالى إلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا قدْ تواترتِ الأخبارُ بهِ عنْ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم رواهُ عنهُ نحو ثمانية وعشرين نفسًا مِنَ الصَّحابةِ.." (١)

"التسليم والقبول لما ورد من الأسماء والصفات وعدم التأويل والرد لها

قال المصنف رحمه الله تعالى: [وتلقيه بالتسليم والقبول، وترك التعرض له بالرد والتأويل والتشبيه والتمثيل].

وهذه قاعدة خامسة ترك التعرض له بالرد والتأويل والتشبيه والتمثيل، وقصده بذلك أن ما ورد من أسماء الله وصفاته يمر كما جاء مع الإيمان بأنه حق على حقيقته كما يليق بجلال الله عز وجل، ولا يتعرض لألفاظ أسماء الله وصفاته وأفعاله، لا بتشكيك ولا باعتراض ولا بسؤال تعنت ولا بسؤال عن الكيفية، ولا برد للفظ ولا للفظ والمعنى، ولا للمعنى، الرد يشمل اللفظ، ويشمل المعنى، ويشمل **المعنى واللفظ** جميعا فإن من رد اللفظ وآمن بالمعنى فقد اختل تسليمه كما يفعل المؤولة والأشاعرة الماتريدية، فمثلا إذا جاء قوله: ﴿يد الله﴾ [الفتح:١٠] قالوا: المقصود به النعمة، إذا فقد نفوا كلمة (يد) فهم يردون اللفظ ويثبتون المعنى وهذا خلل، والعكس عند المفوضة إذ يقولون: نؤمن بأن هذا اللفظ قاله الله عز وجل لكن لا نعرف أن له معنى ولا له حقيقة، وهذا تفويض بمعنى التعطيل، وقد قال السلف بأنه كفر، والأول ضلالة وخطأ، أي التسليم بالمعنى دون اللفظ.

إذا: لا يتعرض له برد، والرد -كما قلت- يشمل رد اللفظ، ورد **اللفظ والمعنى**، ورد المعنى.

وكذلك التأويل وهو نوع من الرد، والتأويل بمعنى العدول عن إثبات ألفاظ أسماء الله وصفاته ومعانيها إلى معان أخرى يتوهمها المتكلم أو يتوهمها المؤول، وسيأتي لهذا أمثلة لكن لا مانع من ضرب مثال الآن من أجل الإيضاح.

مثلا: المؤولة لم يثبتوا أن الله عز وجل استوى على العرش، فإذا جاء قوله عز وجل: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه:٥] لا يثبتون الاستواء ويقولون: المقصود استولى، ويسمونه تأويلا ويزعمون أنه لا بد منه، ولهم في ذلك شبهات، وما من صاحب ضلالة أثرت في الأمة وبقيت في فرقة من الفرق إلا وله شبهة، بل أول معصية وقعت من إبليس لعنه الله كانت بشبهة، لكن الشبهة ليست حقا، لكن بمعنى أنها تشتبه على خالي الذهن وعلى ضعيف العلم، وتشتبه على ضعيف الإيمان، وتشتبه على من ليس عنده ما يحصنه من عقيدة سليمة، فشبهتهم أنهم زعموا أن إثبات الاستواء يعني إثبات مماثلة المخلوقات، والله عز وجل ليس كمثله شيء، يستوي كما يليق بجلاله، المهم أنهم أولوا الاستواء إلى معان كثيرة، فمنهم من قال هو الاستيلاء، ومنهم من قال هو بمعنى الهيمنة، ومنهم من قال الاستواء بمعنى الحفظ والملك إلى آخر ذلك من معان لا تكاد تحصى.

فإذا التأويل هو رد يخالف قاعدة السلف، والتشبيه والتمثيل معروف، وإن كان بينهما شيء من الفرق، فالتمثيل ادعاء أن

---

(١) الكلمات الحسان في بيان علو الرحمن، عبد الهادي بن حسن وهبي ص/٢٨٢

الله يماثله شيء من مخلوقاته أو يماثل شيئا من مخلوقاته، وهو أبلغ من التشبيه، وسيأتي الكلام على التمثيل والتشبيه في مقام آخر، على جهة التفصيل.." (١)

"(قال الله تعالى: ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾ [النساء: ١٦٤]). ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾ [النساء: ١٦٤] هنا في إثبات صفة الكلام للرب جل وعلا، وجه الاستدلال إسناد الفعل إلى الفاعل، والفاعل هو الله عز وجل، كما ذكرنا أن أي فعل سواء كان فعلا ماضيا أو مضارعا أسند إلى الرب جل وعلا دل على أنه وصف له، كما تقول قام زيد. زيد موصوف بالقيام، تقول ﴿وكلم الله﴾ الله كذلك موصوف بصفة الكلام. هذا وجه الاستدلال هنا بهذه الآية. ثم أكد هذا المعنى بقوله: ﴿تكليما﴾ وهو مصدر مؤكد للمصدر الذي تضمنه قوله: ﴿كلم﴾. إذا ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾ نقول: ﴿تكليما﴾ هذا رفع احتمال المجاز. ولا يمكن أن يراد بهذا النص المجاز، كلم الله إذا المراد به الكلام، والكلام معلوم باتفاق النحاة أنه اللفظ المفيد، كما قال ابن مالك:

كلامنا لفظ مفيد كاستقم

فحينئذ مسمى الكلام اللفظ والمعنى معا، ليس اللفظ دون المعنى، ولا المعنى دون اللفظ، وهذا محل إجماع بين النحاة، اللفظ المفيد، اللفظ هذا باعتبار النطق، والمفيد باعتبار المعنى، إذا هو مسمى الكلام، فإذا صار الكلام اسما له حينئذ لا يصح أن يطلق الكلام على أحد الجزأين كما يقال: الإنسان اسم مسماه الجسد والروح معا، فلا يقال الجسم إنسان فقط دون الروح، ولا يقال الروح دون الجسد، لأنه إنسان، ولذلك رد بعض المحققين من قال بأن النبي - صلى الله عليه وسلم - أسري به بروحه دون جسده، قال الله عز وجل قال: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده﴾ [الإسراء: ١] والعبد كلفظ الإنسان يطلق على الجسد بروحه، فتخصيص أحد المعنيين دون الآخر يحتاج إلى دليل، ونحمل أن الإسراء كان بماذا؟ بجسد النبي - صلى الله عليه وسلم - وروحه، لأنه قال: ﴿بعبده﴾، والعبد كالإنسان إنما يراد به الجسد والروح معا، كذلك الكلام لفظ مسماه اللفظ والمعنى معا، بإجماع أهل اللغة الغريب أن كثير من الأشاعرة بعضهم له مدخل في علم النحو، فيقرر هذه المسألة في باب النحو وإذا جاء في باب المعتقد حرف وبدل.

إذا ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾ فيها إثبات صفة الكلام وهو نص واضح بين، ولو لم يأت إلا هذه الآية في الكتاب لدل على إثبات هذه الصفة للرب جل وعلا. وقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «إذا أراد أن يوحي بأمره تكلم بالوحي» تكلم هو أي: الله عز وجل، أي: الله عز وجل تكلم بالوحي. أخرج ابن خزيمة وابن جرير وابن أبي حاتم. وأجمع السلف على ثبوت الكلام لله عز وجل فهو صفة ثابتة لله تعالى من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل، وهو صفة ذاتية فعلية باعتبارين كما سبق أن الصفات نوعان:

صفات ذاتية.

وصفات فعلية.." (٢)

---

(١) شرح لمعة الاعتقاد - ناصر العقل، ناصر العقل ٩/١

(٢) شرح لمعة الاعتقاد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٨/١٠

"قال رحمه الله تعالى: (ومن كلام الله سبحانه القرآن العظيم). الكلام في القرآن هو كالكلام في صفة الكلام، لأنه بعض من كلام الله تعالى، ليس كل كلام الله هو القرآن، وإنما القرآن من كلام الله تعالى، لأن الله تعالى يتكلم بما شاء متى شاء، ومما شاءه أنه تكلم بكلام أسماه قرآنا، حينئذ لا يحصر كلام الله تعالى في القرآن، بل هو أعم من ذلك، ولذلك قال: ... (ومن كلام الله)، (القرآن العظيم). إذا ليس كل كلام الله تعالى هو القرآن، ولذلك نقول: ينزل نزولا يليق بجلاله كل ليلة في ثلثه الأخير يقول: «هل من سائل فأعطيه سؤله». هذا من كلام الله أو لا؟ من كلام الله تعالى، هل هو قرآن؟ ليس بقرآن، ولذلك نقول: بينهما العموم والخصوص المطلق، كل قرآن فهو كلام الله، وليس كل كلام الله فهو قرآن، (ومن) هنا للتبعيض، (ومن كلام الله سبحانه القرآن العظيم)، والقول في القرآن جزء من القول في كلام الله على العموم، لكن لما وقعت فيه المحنة وصار محك نزاع بين المعتزلة وأهل السنة صار العلماء يفردون القول في القرآن بكلام خاص وإلا الأدلة واحدة، والمصنف هنا ساق الأدلة من الكتاب والسنة على أن القرآن كلام الله، ومذهب أهل السنة والجماعة في القرآن نقول قولا مجملا: أن القرآن العظيم من كلام الله تعالى (منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود)، فهو كلام الله حروفه ومعانيه، كلام الله تعالى حروفه ومعانيه، لا نقول: المعنى دون الحروف، ولا الحروف دون المعنى، بل هما مسمى للفظ الكلام، فالكلام اسم مسماه اللفظ والمعنى معا، ليس اللفظ دون المعنى ولا المعنى دون اللفظ، أما دليل كونه من كلام الله تعالى القرآن كونه من كلام الله تعالى فلقوله سبحانه: ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله﴾ [التوبة: ٦]. يعني القرآن، وهذا محل وفاق بين المفسرين أن المراد ﴿حتى يسمع كلام الله﴾، أي القرآن، وهذا محل وفاق، و ﴿استجارك﴾، أي: طلب جوارك، والجوار بمعنى الحماية والعصمة، و ﴿حتى﴾ للغاية، والمراد إن استجارك أحد ليسمع كلام الله فأجره حتى يسمع كلام الله، أي القرآن، وهذا متفق عليه كما ذكرناه، وهنا قال: ﴿كلام الله﴾. يعني في الآية ﴿فأجره حتى يسمع كلام الله﴾ فأضافه إلى نفسه، والقاعدة كما ذكرنا أن ما أضافه الله تعالى إلى نفسه وليس بمخلوق بائن منفصل قائم بنفسه فهو صفة لله تعالى، فأضاف الكلام إلى نفسه فدل على أن القرآن كلام الله، وهذا هو المطلوب، إذا دليل على أن القرآن من كلام الله هذا النص ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله﴾ محل وفاق بين المفسرين أن المراد بكلام الله هنا القرآن، ودليل أنه منزله قوله تعالى: ... ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده﴾ [الفرقان: ١]، ﴿وأنزل الفرقان﴾ [آل عمران: ٤]، الفرقان هذا اسم من أسماء القرآن، لأنه يفرق بين الحق والباطل، أو يفرق بين المسلم والكافر وكلاهما حق، قال تعالى: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾ [البقرة: ١٨٥].." (١)

"ثانيا: أن التأويل بغير دليل فاسد. هذا تأويل فاسد تأويل مذموم، والتعبير عنه بالتحريف أولى في النفرة عنه من التعبير بالتأويل، إذا قيل التأويل بغير دليل فاسد، طيب إذا أردت أن تنفر الناس عنه تقول: هذا تأويل أو تحريف أيهما أولى في التنفير؟ الثاني. حينئذ التأويل الذي يكون بدون دليل إذا عبرت عنه بالتحريف كان فيه تنفير عنه، وهذا أولى. فالمصلحة المترتبة عليه متحققة.

ثالثا: أن التأويل نوعان:

---

(١) شرح لمعة الاعتقاد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١١/٩

منه محمود وهو مقبول.

ومنه مذموم وهو مردود.

صار لفظا مجملا.

حينئذ إذا صار اللفظ مجملا، الألفاظ المجملة لا تثبت ولا تنفى، كل لفظ مجمل لا يثبت ولا ينفي. وهنا قال: (ترك التعرض له بالتأويل) نفي، إذا نفى لفظا مجملا، هذا حق أو باطل؟ ليس بحق لأن اللفظ المجمل لا ينفى مطلقا، ولا يثبت مطلقا، لأن منه ما هو حق ومنه ما هو باطل، كما ذكرنا سابقا في الصفات.

إذن التأويل نوعان:

منه محمود وهو مقبول.

ومنه مذموم وهو مردود. حينئذ لا يثبت مطلقا ولا ينفى مطلقا.

والتأويل مصدر أول يأول تأويلا أو تفعيل، فهو تفعيل، مصدر أول يؤول تأويلا، من آل يؤول إذا رجع، وهو له معنى لغوي، وفي الجملة يعبر عنه بالرجوع، وله معنى شرعي، وله معنى اصطلاحي، فله ثلاث معان: معنى لغوي، ومعنى شرعي، ومعنى اصطلاحي، وفرق بين الحقائق الشرعية والحقائق العرفية الاصطلاحية.

الحقائق الشرعية لفظا ومعنى من الشرع، **اللفظ والمعنى** من الشرع، وأما الحقائق العرفية فلا، قد يكون اللفظ من الشرع ويوضع له معنى لم يرد في الشرع، أو يكون اللفظ ليس من الشرع والمعنى مصطلح عليه، مثل الفاعل معناه، ومثل المفعول به، البيان، علم البلاغة .. آلى آخرها. هذه كلها نقول معان عرفية بمعنى انها حقيقة عرفية، **اللفظ والمعنى** ليس من الشرع فلا ينسب للشرع.

فلا نقول: هذا تعريفه في الشرع بكذا. نقول: هذا خطأ، وإنما يكون التعريف شرعيا إذا كان **اللفظ والمعنى** من الشرع.

تقول: الصلاة، اللفظ شرعي، ما المراد بالصلاة؟ عبادة ذات أقوال وأفعال. ما الذي دلنا على أنها عبادة ذات أقوال وأفعال؟ الشرع، حينئذ نقول: هذه حقيقة شرعية.

التأويل في الشرع يطلق على أمرين:

الأول: تفسير الكلام والكشف عن معناه. بإطلاق، مطلقا، يعني سواء وافق الظاهر أو خالفه، [خليكم معي] تفسير الكلام وكشف معناه، قد يكون على ظاهره، وقد يأتي دليل يدل على أن غير الظاهر مراد، وهذا هو التأويل المحمود. قلنا: التأويل نوعان. أليس كذلك؟

تأويل محمود فهو مقبول.

وتأويل مذموم.

متى يكون التأويل مذموما؟

إذا صرفنا الظاهر إلى معنى مرجوح بغير دليل، بالعقل هكذا بالرأي والهوى.

وإذا صرفناه بدليل قلنا: الظاهر ليس مرادا لقوله تعالى كذا، حينئذ صار التأويل هنا محمودا.

فحينئذ المعنى الأول تفسير الكلام والكشف عن معناه سواء وافق الظاهر أو خالفه، خالفه هو التأويل المحمود، وهذا هو معناه عند علماء التفسير كما يقول ابن جرير كثيرا في تفسيره القول في تأويل قوله جل وعلا كذا، القول في تأويل قوله تعالى، يعني في تفسير قوله تعالى، فأطلق التأويل بمعنى التفسير.." (١)

"قال: (وجب إثباته لفظا وترك التعرض لمعناه). (وجب)، سبق معنا بيان الوجوب وقوله: (وجب إثباته). الضمير هنا يعود إلى الوارد في الكتاب والسنة من الصفات، (لفظا)، يعني: دون أن يتعرض لمعناه، (وترك التعرض لمعناه)، (التعرض) فيما سبق المراد به التصدي له والاعتراض بالرد والتشبيه والتمثيل كما سبق، (لمعناه)، أي: معنى ذلك اللفظ، والمعنى هو ما يقصد من اللفظ، أو إن شئت قل: مدلول اللفظ. أو إن شئت قل: مفهوم اللفظ. فعندنا مراد الأول اللفظ، والثاني مدلول اللفظ، هنا المصنف فرق بين الأمرين فأوجب إثبات اللفظ وأوجب ترك التعرض للمعنى، فالإيمان حينئذ يكون إيمانا بمجرد ألفاظ دون نظر في معانيها، الإيمان حينئذ يكون بماذا؟ يكون بمجرد ألفاظ دون أن ندري معنى هذه الألفاظ، وهذه الجملة كما ذكرت من المصنف من أشد ما انتقد عليه رحمه الله تعالى في هذه الرسالة مع مسائل أخر ستأتي في محلها وأورد إشكالا كبير ماذا يعني بها المصنف؟ وما مراده؟ وما عقيدة ابن قدامة رحمه الله تعالى؟ هل هو مفوض أم لا؟ أم دخل عليه التفويض في شيء دون شيء؟ ولذلك لا بد من النظر في هذه المسألة من حيث ما ذكرناه، ووجه الإشكال أن بعض الصفات قد يشكل فهمها على الناظر، الاشتباه الجزئي أو الشخصي الذي يكون بالنظر إلى بعض الأشخاص وليس المتشابه المطلق هذا قد يكون ويحصل لكن ما الواجب فيه؟ الواجب أن يثبت **اللفظ والمعنى** معا، ويفوض المعنى على مراد المتكلم به، وأما أن يثبت اللفظ ويترك التعرض للمعنى فهذا ليس بمسلك لأهل السنة والجماعة، فالواجب أن نؤمن به لفظا ومعنى لكن إذا جهل المعنى حينئذ وجب الإيمان بالمعنى على مراد الله تعالى أو مراد رسوله – صلى الله عليه وسلم –. أقول: إذا جهل المعنى حينئذ نؤمن **باللفظ والمعنى** معا. إذا جهل المعنى لو قال قائل: أنا لا أدري معنى الهرولة. أشكل عليه لفظ الهرولة إثبات الهرولة، حينئذ في نفسه في ذات الشخص نقول: هذا بالنسبة إليك أنت وإن كان المعنى واضح لغيرك بالنسبة إليك وجب عليك إثبات **اللفظ والمعنى**، ثم تفوض المعنى على مراد الله عز وجل، وأما أن يفرق بين اللفظ ويترك التعرض للمعنى نقول: هذا ليس بمسلك لأهل السنة والجماعة، فإذا جهل المعنى نؤمن **باللفظ والمعنى** لكن المعنى يكون على مراد من تكلم به، ووجه الانتقاد هنا للمصنف كما ذكرنا أنه يجب الإيمان **باللفظ والمعنى**، وأما الإيمان بلفظ مجرد عن المعنى فهذا قول أهل البدع القائلين: نؤمن بألفاظ ألفاظ الكتاب والسنة دون إيمان بمعانيها لأن معانيها تختلف، وهذا هو مذهب المفوضة، وهذا غلط، لأن معاني الكتاب والسنة هي المعنى العربي الذي يفهم من لسان العرب، إذا هذا وجه الخطأ في كلام المصنف رحمه الله تعالى، من نظر إلى هذه العبارة عبارة ابن قدامة في ((اللمعة)) هم على قسمين، يعني: بالنظر فيما كتب بعد الإمام أو بعد ابن قدامة رحمه الله تعالى نقول: هؤلاء على قسمين:." (٢)

---

(١) شرح لمعة الاعتقاد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٨/٤

(٢) شرح لمعة الاعتقاد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٢/٥

"إذا مذهب الشيخين الشيخ محمد إبراهيم والشيخ عبد الرزاق عفيفي أن هذه الجملة غلط من أصلها، فالتركيب لا يمكن أن يعتذر عنه لأنه تصريح بمذهب المفوضة لأنه كما قال بعضهم: ليس ثم ما يصرح بـ أو يبين حقيقة مذهب المفوضة أصرح من هذه العبارة، لأنهم يفصلون بين **اللفظ والمعنى** فيثبتون الألفاظ كما هي، ولكن المعاني يفوضونها قال الشيخ: ولكن الحنابلة يتعصبون للحنابلة. ولذلك يتعصب بعض المشايخ في الدفاع عن ابن قدامة، ولكن الصحيح أن ابن قدامة مفوض، هكذا قال الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمه الله تعالى كما في فتاويه في ((فتاوي العقيدة)) الطبعة الثانية صفحة سبعة وأربعين وثلاثمائة، هذا القسم الأول الذين نظروا ووقفوا على العبارة ذاتها.

القسم الثاني: صححوا التركيب وحملوه على معنى صحيح عنده وهؤلاء انقسموا على ثلاثة أقول، يعني: قالوا: التركيب لا بأس به (وجب إثباته لفظا وترك التعرض لمعناه) يمكن حمله على معنى صحيح ويمكن أن يوافق مذهب السلف ولا غبار على كلام ابن قدامة رحمه الله تعالى، فلننظر ماذا أجابوا عن هذه العبارة.." (١)

"القول الثاني: أن قول المصنف: (وما أشكل من ذلك). أي: هو المشكل باعتبار بعض الصفات، يعني: (وما أشكل من ذلك) المراد به المعنى معنى الصفات لكنها ليست كل الصفات، وإنما بعض الصفات، هو مشكل باعتبار بعض الصفات، وهذا الذي ذهب إليه الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى في شرحه على اللمعة، قال رحمه الله تعالى: تنقسم نصوص الكتاب والسنة الواردة في الصفات إلى قسمين: واضح جلي، ومشكل خفي. وهذا التقسيم تقسيم صوري، يعني: تقسيم من أجل أن يبين حال الناس في اعتبار هذه الصفات، وإلا في الواقع لا وجود له لأن المشكل الخفي يعتبر من المتشابه فيجب رده إلى المحكم فيتضح معناه حينئذ يزال الإشكال من أصله، إذا هذا التقسيم تقسيم ابتدائي وسينص الشيخ رحمه الله تعالى بعد قليل، تنقسم نصوص الكتاب والسنة الواردة في الصفات إلى قسمين: واضح جلي، ومشكل خفي. فالواضح ما اتضح لفظه ومعناه فيجب الإيمان به لفظا وإثبات معناه حقا بلا رد ولا تأويل، ولا تشبيه، ولا تمثيل، لأن الشرع ورد به فوجب الإيمان به وتلقيه بالقبول والتسليم، هذا الواضح البين فتعلم معنى العلو فتثبت **اللفظ والمعنى** كذلك ولا تتعرض له بتأويل ولا تحريف ولا غير ذلك، وهذا هو الأصل في الأسماء والصفات كلها، ولذلك نص ابن القيم رحمه الله تعالى على أن آيات الصفات والأسماء ليست من المحكم الواضح البين فحسب بل هي من أحكم المحكم، يعني: لا يمكن أن يختلف فيها اثنان، لكن قد تقع شبه لبعض الناس في بعض الصفات، حينئذ لا بد من النظر في هذا الشخص بعينه، وأما الصفات من حيث هي والآيات الدالة على الصفات والأسماء فهي من المحكم، يعني: الواضح البين دلالته لا يلتبس على أحد البتة، هذا هو الأصل بل قال: هي من أحكم المحكم. ثم قال الشيخ: وأما المشكل فهو ما لم يتضح معناه لإجمال في دلالته أو قصور في فهم قارئه.." (٢)

"﴿الرحمن على العرش استوى﴾ ما معنى ﴿استوى﴾؟ ما ندري ﴿بل يداه مبسوطتان﴾، ﴿يداه﴾ ما المراد؟ ما ندري الله أعلم، هذا معنى التفويض ﴿لما خلقت بيدي﴾، ﴿يدي﴾ ما المراد؟ الله أعلم ﴿وهو العليم الحكيم﴾ [التحريم: ٢]

---

(١) شرح لمعة الاعتقاد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٥/٥

(٢) شرح لمعة الاعتقاد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٨/٥

﴿العليم﴾ ما المراد؟ الله أعلم، لفظ نقرأ العليم ولا ندري ما معناه، ونقرأ ﴿الحكيم﴾ ولا ندري ما معناه، ونقرأ ﴿الخبير﴾ [الأنعام: ١٨] ولا ندري ما معناه، طيب لماذا يخاطبنا الله عز وجل بما لا نعقل؟ شيء لا نفهمه، يعني: ﴿العليم الخبير﴾ [التحريم:٣] مثل ﴿المص﴾ [الأعراف: ١] إذا قلنا: بأنه لا مغزى له ليس له معنى، قال ابن قدامة: فإن قيل: فكيف يخاطب الله الخلق بما لا يعقلونه؟ - يعني: بما لا يفهمونه، - أم كيف ينزل على رسوله ما لا يطلع على تأويله؟ كيف ينزل على ... رسوله - صلى الله عليه وسلم - ما لم يطلع على تأويله وتفسيره؟ قلنا: أجاب يجوز أن يكلفهم الإيمان بما لا يطلعون على تأويله ليختبر طاعتهم، هل يؤمنون أم لا؟ هل يسلمون أم لا؟ أما أن يفهموا مدلول اللفظ ويعتقدوا معنى اللفظ فهذا لم يخاطبهم الله عز وجل به، وكما اختبرهم بالإيمان بالحروف المقطعة مع أنه لا يعلم معناها. انتهى كلامه ملخصا، فابن قدامة يرى أن آيات الصفات مثل الحروف المقطعة، أن المراد بها الابتلاء والاختبار هل يطيعون؟ هل يؤمنون؟ هل يسلمون أم لا؟ إذا آيات الصفات عند ابن قدامة من التشابه فلا يعلم تأوليها ومعناها إلا الله تعالى.

ثانيا: أن آيات الصفات عند ابن قدامة كالحروف المقطعة لا يعلم معناها، ولذلك ذكر كذلك في ((ذم التأويل)) ما نص عليه في ((الروضة)) لأنه إذا قيل بأن الروضة مختصر من ((المستصفى)) أجب بما ذكرته لك سابقا ثم تجده في ((ذم التأويل)) الصفحة تسعة وثلاثين فقرة ستة وسبعين نفس ما ذكره بأن المتشابه المراد به في الآية هو آيات الصفات، والكلام في هذه المسألة طويل كما ذكرنا لكن أكثر كلام المصنف في كتابه ((ذم التأويل)) ((وتحريم النظر في كتب الكلام)) صريح في التفويض، والله أعلم، حينئذ إذا ورد كلام في المصنف بعض الإثباتات التي يستدل بها بعض من نظر في كلام المصنف بأنه يرى مذهب السلف وهو إثبات **اللفظ والمعنى** معا على مقتضى وفق اللغة العربية ولسان العرب هذا هو طابع كثير ممن اختلطت عليهم المذاهب، يعني: المفوض وغيره هذا ممن لم يتبع مذهب السلف، قد تجد عنده بعض الأمور التي تكون عند التطبيق لا يستطيع الخروج عن مقتضى النصوص، والنظر حينئذ يكون في ماذا؟ يكون في تأصيل الرجل نفسه، يعني: الأصول التي يذكرها وزبدة ما يقف عليه من كلام أهل العلم هو الذي ينظر فيه، وأما النظر في المسائل التي هي آيات الصفات بعيانها قد يثبت بعضا وينفي بعضا، لكن الأصل الذي ذكرناه سابقا هو الذي عليه رحمه الله تعالى.

والحاصل: أن حمل كلام المصنف هنا على نفي العلم بالكيفية فيه تكلف من وجهين:." (١)

"﴿القرآن﴾ يصدق على كل القرآن من فاتحته إلى آخر سورة الناس، وفيه آيات الصفات، ما من آية إلا وهي مختومة باسم أو اسمين لله عز وجل، بل آية الكرسي فيها أكثر من عشرين صفة أو اسم، حينئذ كيف نقول هذه نؤمن بها من جهة اللفظ وأما المعنى فلا ندري ما معناه ﴿ليدبروا آياته﴾ [ص: ٢٩]، فالقرآن نزل ليفهم كله، ويتدبر كله، وأما التفصيل الذي ذكره المصنف وغيره هذا باطل من أصله، كما أن القرآن نزل بلغة العرب ليعقلوه، قال تعالى: ﴿إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون﴾ [يوسف: ٢]، يعني: تفهمون وتدركون معاني هذه الألفاظ، وأسماء الله تعالى وصفاته لها معان مفهومة معقولة ولها دلالات يفهمها العرب في لساهم، هذا واضح بين، القرآن ما أنزل إلا من أجل أن يعقل.

ثالثا: أن السلف الصالح فسروا آيات الصفات، كيف؟ نقول: السلف الصالح فسروا آيات الصفات، وهذا يدعي أنه لا

---

(١) شرح لمعة الاعتقاد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٢/٥

يؤمن بالصفات إلا بمجرد ألفاظ فحسب، وأما المعنى فليس كذلك، السلف الصالح فسر آيات الصفات وقد صح عن ابن عباس تفسير صفة الصمد، الصمد علم، وهو دال على الصفة بأنه الذي لا جوف له ولا يأكل ولا يشرب كما صح عن مجاهد وأبي العالية تفسير معنى صفة الاستواء، كما في كتاب التوحيد من صحيح البخاري، ومجاهد معلوم أنه أخذ التفسير كله عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فقال: عرضت المصحف على ابن عباس من فاتحته إلى خاتمه أوقفه عند آية آية. هذا عام [فكيف]؟ هل فسر له ابن عباس آيات الصفات أو لا؟ نقول: نعم فسر له، فلم يستثني آيات الصفات بينما أخذه عن ابن عباس من التفسير، وأما المفوضة فلهم اعتقاد باطل وجملته ما ذكره المصنف هنا رحمه الله تعالى: أنه يجب إثبات اللفظ فقط دون التعرض للمعنى، ولكن المفوضة مع المؤولة المحرفة ثم عقد اشتراك بينهم، يعني: المفوضة يثبتون معنى ظاهر، لكنه يقتضي المشابهة للخلق يعني ﴿استوى﴾ يفهمون منه معنى استوى في لسان العرب، لكن هذا المعنى فيه مشابهة للخلق.

ثانيا: ينزهون الله عز وجل عن هذا المعنى.

ثالثا: لا يفسرون اللفظ بمعنى من المعاني البتة، يعني قول المفوضة: نثبت **اللفظ والمعنى** نكله إلى الله عز وجل. ليس ابتداء هكذا بل له مقدمات.

أولا: يفهمون من آيات الصفات التشبيه، لأن هذه الصفة (استوى، ويدان، ووجه) .. إلى آخره، هذه فيها مشابهة من حيث اللفظ في بعضها كما ذكرنا أن التشبيه قد يكون تشبيها جزئيا، ولذلك لا ينفى التشبيه، وإنما ينفى التمثيل كما سبق بيانه حينئذ هذا المعنى الذي دل عليه اللفظ من آيات الصفات دل على ما يشابه المخلوق هذا أولا.

ثانيا: تنزيه الرب جل وعلا مما دل عليه هذا اللفظ الذي يقتضي المشابهة.." (١)

"ثالثا: هل لها حقائق؟ نعم، لأن ثم بعض أهل البدع قد يثبت **اللفظ والمعنى** لكن يجعله هو عين الذات، فيثبت السمع يقول: يسمع بذاته. هل السمع قدر زائد على الذات يقول: لا. إذا فلم يثبت حقيقة السمع، أثبت اللفظ وأثبت المعنى لكن لم يثبت الحقيقة، وهنا هذا خطأ بل هو بدعة، كذلك اليوم الآخر نثبت الصراط ونثبت المعنى وله حقيقته الله أعلم بها إن كيفناها وقعنا في البدعة، من هنا تعلم أن الطرق التي تستحدث الآن الطائرة وتذاكر ثم يجعل القبر واليوم الآخر .. إلى آخره من ما قد انتشر، هذا يعتبر من البدع، لماذا؟ لأنه تكييف، نحن نقول: اليوم الآخر غيب أم لا؟ طيب ما رأينا شيء البتة فتشبيهه بأمور الدنيا نقول: هذا تشبيه وتمثيل وهو محرم لأن التشبيه والتمثيل في الغيبيات محرم مطلقا، حينئذ لا نأتي بوسيلة دعوية ونقول: هذه مناسبة للعصر ونأتي باليوم الآخر وكأنه تذاكر وسفر .. إلى آخره. نقول: هذا فيه تشبيه، ولو يؤثر في الناس لأن العبرة في مثل هذه المسائل أعينها نفسها، ولا ننظر إلى الأثر، وإذا لو نظرنا إلى الأثر لقلنا ثم ما قد يكون رقية أو تميمة تعلق ولها أثر، أليس كذلك؟ بل قد يدعو كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: قد يدعو ما يلتصق بالقبر عند معبوده وقد يحصل له ما أراده. لا نقول: قد يجيب الله عز وجل له، لكن قد يحصل له ما أراده حصل أثر أم لا؟ حصل أثر، هل الفعل صحيح؟ الجواب: لا. الخمرة قد تفيد في العلاج صحيح؟ ليس بصحيح، لا ننظر إلى

---

(١) شرح لمعة الاعتقاد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٥/١٥

الثمرة، وإنما ننظر إلى العمل نفسه، القول نفسه والفعل نفسه، هل دلت النصوص على جوزاه ومشروعيته، حينئذ إذا دلت على العين والرأس وإلا فهو مردود على أصحابه.

إذا اليوم الآخر نقول: هذا من الغيب، فإذا كان كذلك فنثبته جملة وتفصيلا، خالفهم النبي - صلى الله عليه وسلم - فآمن بما في اليوم الآخر على مراد الله، نثبت الألفاظ ونثبت المعاني ولها حقائق ولا نكيف هذه الحقائق البتة، فإن كيفنا فقد وقعنا في محظور شرعي، فلم يؤمن عليه الصلاة والسلام ببعض ويكفر ببعض، وهذا هو الإيمان الصحيح الثابت في الكتاب والسنة، وتفاصيل اليوم الآخر تأتيكم في باب المعتقد إن شاء الله تعالى.." (١)

"(التاسعة والثلاثون: الإلحاد في الأسماء). وهي أسماء الله عز وجل فأل في الصفات والأسماء للعهد الذهني، أو نائبة عن مضاف، الإلحاد في صفات الله، أو في الصفات المعهودة كقوله: (﴿ولكن ظننتم﴾)، (الإلحاد في أسماء الله كقوله: ﴿وهم يكفرون بالرحمن﴾)، (الإلحاد) مصدر ألحد يلحد إلحادا، وهو من باب الإفعال، ومعناه لغة: الميل والعدول عن الشيء، ومنه اللحد في القبر لانحرافه إلى جهة القبلة عن سمت القبر، يعني: لكونه في جانبه بخلاف الشق فإنه في وسطه، [قال ابن القيم] هذا معناه اللغوي له الميل عن الشيء. يعني: لم يأت به على مراده، قال ابن القيم: الإلحاد هو العدول بأسماء الله وصفاته عن الحق الثابت. يعني: لها فالأصل في الأسماء والصفات أنها تمر كما جاءت، بمعنى أنها تقرأ بألفاظها اللغوية وينظر في معانيها اللغوية، حينئذ يثبت اللفظ ويثبت له المعنى بمقتضى لغة العرب، وينفى عنه عن **المعنى واللفظ** كل ما يخدش في إثبات ذلك الاسم أو تلك الصفة ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ [الشورى: ١١] فيثبت اللفظ على ما هو عليه فيقال: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾. نثبت استوى، ﴿بل يداه مبسوطتان﴾ [المائدة: ٦٤] نثبت اليدين ونثبت المعاني المتعلقة بهذا اللفظ التي دلت عليها أو استعملت في لسان العرب، وننفي عنها كل تمثيل، أو تعطيل، أو تكييف ونحو ذلك مما يخل بالمعنى، حينئذ نقول: قد فعلنا ما أمرنا الله عز وجل به، فإن أثبتنا اللفظ ونفينا المعنى حينئذ نقول: عدلنا بها عن معناها الأصلي في لسان العرب، وذلك يعتبر من الإلحاد، فليس الإلحاد هو التكذيب للأسماء والصفات، وإنما قد يثبت اللفظ وينفى المعنى، قد ينفى **اللفظ والمعنى** معا وقد ينفى اللفظ دون المعنى أو المعنى دون اللفظ، وكل هذه الأنواع تكون إلحادا في الشرع، الإلحاد هو العدول لأسماء الله وصفاته عن الحق الثابت، الحق الثابت لها فيما جاءت به الشريعة.

قال ابن القيم في النونية:

أسماؤه أوصاف مدح كلها مشتقة قد حملت لمعاني

إياك والإلحاد فيها إنه ... كفر معاذ الله من كفران

وحقيقة الإلحاد فيها الميـ ... ـل بالإشراك والتعطيل والنكران

فالملحدون إذا ثلاث طوائف ... فعليهم غضب من الرحمن." (٢)

---

(١) شرح مسائل الجاهلية للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٩/١٥

(٢) شرح مسائل الجاهلية للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٨/٨

"فهو جمع، والجمع يعتبر من صيغ العموم فلا منتهى لأسمائه جل وعلا، وهنا قال: لله الأسماء. حينئذ الاسم هل هو عين مسمى أم غيره؟ نقول كما قال ابن جرير رحمه الله تعالى: نقول كما قال الله تعالى: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه﴾. ذروا الذين يلحدون في أسمائه هذا تهديد ﴿سيجزون ما كانوا يعملون﴾ ... [الأعراف: ١٨٠] دل على شناعة هذا الفعل وأنه في غاية البشاعة حيث بين الله عز وجل أن هؤلاء سيجزون ما كانوا يعملون وأطلق الجزاء، قوله: ﴿فادعوه بها﴾. إما من الدعوة بمعنى التسمية كقولهم: دعوته زيدا، أو بزيد. أي: سميته، أو الدعاء بمعنى النداء كقولهم: دعوت زيدا. أي: ناديته، ﴿فادعوه بها﴾، أي: سموه بها، ﴿فادعوه بها﴾، أي: قولوا: يا الله، يا رحمن، يا كريم، ونحو ذلك والمعنى يشمل الأمرين أو اللفظ يشمل الأمرين، وقوله: ﴿وذروا الذين يلحدون في أسمائه﴾. أي: يميلون وينحرفون فيها عن الحق إلى الباطل بأن هذا هو معنى الإلحاد في لسان العرب يقال: ألحد إذا مال عن القصد والاستقامة. والإلحاد أنواع وذكر المصنف هنا دليلا على نوع واحد وهو في الأول (الإلحاد في الصفات)، وذكر دليلا على الإلحاد في الأسماء، وأما الصفات فهو قوله تعالى: (﴿ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون﴾). وهذا لنوع واحد كما ذكرنا وهو: الإلحاد الذي يرادف التكذيب بها، بمعنى ردها إما من جهة **اللفظ والمعنى**، أو من جهة المعنى فحسب، قال تعالى: (﴿ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون﴾). ظاهر الآية أنهم أنكروا عموم صفة العلم، (﴿أن الله لا يعلم﴾) هذا نفي، وهنا النفي مسند إلى المبتدأ أو اسم أن وهو الله عز وجل، (﴿لا يعلم﴾)، يعني: الله عز وجل، (﴿كثيرا مما تعملون﴾)، فاستدل المصنف بهذه الآية على إلحاد أهل الجاهلية في الصفات، لأن العلم صفة من صفات الرب جل وعلا ونثبتها على ما هي عليه مطلقة عامة دون تخصيص، يعني: لا نقول أنه يعلم الكليات دون الجزئيات، ولا يعلم الظاهر دون الباطل ونحو ذلك، بل نقول: هي مطلقة عامة والله بكل شيء محيط، قيل: كان الكفار يقولون: إن الله لا يعلم ما في أنفسنا ولكن يعلم ما نظهر دون ما نسر. ففصلوا في العلم بمعنى أنهم أثبتوا أن الله تعالى يعلم شيئا ولا يعلم شيئا آخر، يعلم ما نظهر دون ما نسر، فالإسرار الذي يخفى على الناس قالوا: لا يعلمه الله عز وجل، وأما ما نظهره ونبديه بألسنتنا وأفعالنا هذا يعلمه الله عز وجل، إذا لم ينكروا صفة العلم وإنما أنكروا الإحاطة والعموم، قال قتادة: الظن هنا بمعنى العلم ﴿ولكن ظننتم﴾ بمعنى العلم، [وقيل] وقال الشوكاني رحمه الله تعالى في ((الفتح القدير)): أريد بالظن معنى مجازي يعم معناه الحقيقي ما هو فوقه من العلم.." (١)

"الرابع: تعطيل الأسماء الحسنى عن معانيها وجحد حقائقها، تعطيل الأسماء الحسنى عن معانيها، يعني: هي ألفاظ مجردة، ومن هنا جاء وصف المفوضة بالتفويض لأنهم يثبتون الألفاظ ويكلون المعاني إلى الله عز وجل وإلى رسوله – صلى الله عليه وسلم –، وجحد حقائقها بأن تصرف الألفاظ إلى معان ثم يدعى بأن هذه المعاني لا حقائق لها، ولذلك نقول على جهة الإيجاز: أن القاعدة عند أهل السنة والجماعة أن الصفات قدر زائد على الذات، بمعنى أننا لا نفسر الصفة بالذات، فنقول: الله عز وجل يسمع بصفة سمع هي زائدة على الذات. ولذلك تجد المعتزلة ومن نحى نحوهم قد يثبتون الألفاظ يقول: الله سميع ويسمع لكن بذاته. ففرق بين من يثبت اللفظ ومعناه وحقيقته، وبين من يثبت **اللفظ والمعنى**

---

(١) شرح مسائل الجاهلية للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١١/٨

وينفي الحقيقة، فرق بين أن نقول: يسمع بذاته يسمع بصفة سمع زائدة على الذات. الثاني هو الحق والأول باطل، لماذا؟ لأنه نفى الحقيقة، بمعنى أن صفة السمع ليس لها وجود إذا كان الأسماء والصفات ترد إلى الذات حينئذ لم يثبت إلا الذات، ثم هذه الذات لها أوصاف من حيث هي ذات، وهذا باطل، بل نقول: الله عز وجل يسمع بصفة سمع زائدة على الذات ليست هي عين الذات. ولا نقول: يسمع بذاته. كذلك يبصر ويعلم وغير ذلك من الصفات، إذا تعطيل الأسماء الحسنى عن معانيها بأن يصرف اللفظ عن معناه الذي وضع له بلسان العرب، وجحد حقائقها بأن قد يثبت معنى اللفظ اللغوي لكن لا يجعل له حقيقة كقول من يقول من الجهمية والكلام لابن القيم رحمه الله تعالى إنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معاني ألفاظ مجردة لا تدل على صفات ولا معاني فيطلقون عليه اسم السميع الله السميع وافق في إطلاق اللفظ، يعني: آمن باللفظ ولم يؤمن بالمعنى، فهذا لم يلحد في اللفظ ولكنه ألحد في المعنى وفي الحقيقة، فيطلقون عليه اسم السميع، والبصير، والحي، ويقولون: لا سمع له. سميع لا سمع له كيف يثبت اللفظ وينفى السمع؟ معنى كلامهم أنه سميع ولا سمع له، يعني: ليس له سمع زائد على الذات، وإنما هو سميع بذاته وهذا باطل، لا سمع له، ولا بصر، ولا حياة، ونحو ذلك، إذا أثبتوا الألفاظ وجردوها عن حقائقها وهذا باطل.." (١)

"النوع الخامس من الإلحاد: تشبيه صفاته بصفات خلقه، تعالى الله عن قول الملحدين علوا كبيرا، يقول ابن القيم: فجمعهم الإلحاد وتفرقت بهم طرقه. اشتركت هذه الأنواع الخمس بل الطوائف كلها المنحرفة الخارجة عن منهاج أهل السنة والجماعة الأشاعرة وغيرهم اجتمعوا في الإلحاد واختلفت الطرق، وهذه الأنواع كلها واقعة في الجاهلية والآيات فيها كثيرة جدا وبسطها في مقامه، وقد خالفهم نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – في هذه الخصلة ووصف الله تعالى بما وصف به نفسه وسماه بما سمى به نفسه من غير إلحاد فيها ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، بل أثبت اللفظ الذي جاء به الكتاب والمعنى على ما يليق بجلاله، بمعنى أننا نثبت **اللفظ والمعنى** ثم مطلق المعنى انتبه مطلق المعنى هذا قدر كلي، يعني: مشترك بين الخالق والمخلوق، ويتميز وينفصل كل منهما عن الآخر بإضافته، فمطلق العلم لا وجود له في الخارج، لكن إذا قيل: علم الله وعلم زيد. انفصل كل منهما عن الآخر، حينئذ نثبت اللفظ ونثبت المعنى ولا نسوي في المعنى بين المخلوق والخالق، فلا نقول: له سمع كسمع البشر، ولا بصر كبصر البشر. لا، إنما نثبت له السمع، ثم نقول: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾. وهذه قاعدة عامة في فهم النصوص، ودعا الله تعالى بأسمائه ... ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾ أي سموه بها، أو نادوه بها، يا الله، يا رحمن، وكان يغير الأسماء إجلالا لأسمائه تعالى كما غير اسم أبي الحكم إلى أبي شريح لئلا يفهم منه أنه اسم الله الحكم، وقال – صلى الله عليه وسلم –: «إن أخنع». أي: أذل وأوضع وأحقر اسم عند الله «إن أخنع اسم عند الله رجل تسمى مالك الأملاك» .. إلى آخر ما ذكره وبوب له شيخ الإسلام محمد عبد الوهاب رحمه الله تعالى في كتاب التوحيد.

(الأربعون: التعطيل، كقول آل فرعون).

وهنا لم يدخل النص لوضوحه، (التعطيل)، أي: تعطيل الله تعالى عما يجب له، تعطيل الله تعالى عما يجب له وهذا من

---

(١) شرح مسائل الجاهلية للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٥/٨

خصال أهل الجاهلية.

والتعطيل لغة: الإخلاء والترك، ﴿وبئر معطلة﴾ [الحج: ٤٥]، أي: متروكة، ويقال: جيد عطل، أي: خال من الزينة، عنق يعني، جيد عنق، عطل أي: خال من الزينة، والتعطيل أقسام ثلاثة كما ذكره ابن القيم رحمه الله تعالى:

الأول: تعطيل المصنوع عن صانعه، بأن يقال: هذا العالم لا خالق له، وهؤلاء البشر لا خالق لهم، حينئذ نفوا الصانع.

[الثاني: كتعطيل الفلاسفة.]

الأول: تعطيل المصنوع عن صانعه كتعطيل الفلاسفة الذين زعموا قدم هذه المخلوقات وأنها تتصرف بطبيعتها.

الثاني: تعطيل الصانع عن كماله المقدس، وهذا مر فيما مضى، بتعطيل أسمائه وصفاته كتعطيل الجهمية وأشباههم من المعتزلة وغيرهم.

الثالث: تعطيل حق معاملته بترك عبادته، أو عبادة غيره معه.

هذه ثلاثة أنواع للتعطيل، إما تعطيل [الصانع] (١)

---

(١) سبق.." (١)

"شرح البسملة

قال: بسم الله الرحمن الرحيم، أي: ابتدأ كتابه بالبسملة، والبسملة كما نعرف هي: بسم الله الرحمن الرحيم، ويسميها علماء البيان نحت، يعني: تحويل الجملة إلى كلمة، مثلما تقول: الحوقلة وهي قول لا حول ولا قوة إلا بالله، أو الحولقة على الأصح فيها، والحمدلة والتهليل فهذا نحت من أصل جملة.

وذكر هنا أنه بدأ بالبسملة اقتداء بالكتاب العزيز، وهذا صحيح فكل سورة في كتاب الله عز وجل من أول القرآن إلى آخره -إلا سورة براءة- في أولها بسم الله الرحمن الرحيم.

قال: وعملا بحديث: (كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع) هذا حديث ضعيف جدا.

ول أبي داود وابن ماجة: (كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله أو بالحمد لله فهو أقطع) وهو حديث ضعيف.

قوله باسم: الباء متعلقة بشيء محذوف كأنه يقول: أبدأ كلامي باسم الله سبحانه، فكأن مقصده ابتدئ في تصنيفي وفي تأليفي ذاكرا الله سبحانه مستعينا بالله سبحانه، فقال: هذه متعلقة بمحذوف، واختار كثير من المتأخرين كونه فعلا خاصا متأخرا، وكأنه يقول: باسم الله ابتدائي قال: وباء باسم الله قالوا: للمصاحبة، يعني: أستصحب اسم الله سبحانه فيما سأكتبه وأذكره أو أستعين باسم الله تبارك وتعالى في ذلك، مسميا الله سبحانه وتعالى وذاكرا اسمه (الله)، وأصل كلمة الله الإله، وهذا ما اختاره الكسائي والفراء من علماء اللغة قالوا: أصله الإله وحذفت الهمزة وأدغمت اللام في اللام؛ قال: واختلفوا هل هذا الاسم العظيم المبارك (الله) جامد أو مشتق من شيء آخر، فنحن لما نقول مثلا: (الرحيم) فهو مشتق من رحمة الله رب العالمين سبحانه، و (الرءوف) مشتق من الرأفة، وعلى هذا فهل اسم (الله) مشتق أم جامد؟ فمن العلماء من يقول: هو

---

(١) شرح مسائل الجاهلية للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٦/٨

لفظ مرتجل جامد وقيل: هو مشتق: قال ابن القيم والصحيح أنه مشتق وأن أصله الإله كما هو قول سيبويه وجمهور أصحابه إلا من شذ، وهو الجامع لمعاني الأسماء الحسنى والصفات العلى.

يقول ابن القيم موضحا معنى الاشتقاق: إنما أرادوا أنه دال على صفة له تعالى، يعني: هو مشتق يدل على صفة لرب العالمين سبحانه وتعالى وهي صفة الإلهية – تقول: إلهية أو ألوهية كسائر أسمائه الحسنى أسمائه الحسنى، مثل: (العليم) مشتق من العلم، و (القدير) من القدرة، و (السميع) من السمع، و (البصير) من البصر، فهذه الأسماء مشتقة من مصادرها بلا ريب– هذا كلام ابن القيم رحمه الله– يقول: وهي قديمة ونحن لا نعني بالاشتقاق إلا أنها ملاقية لمصادرها في **اللفظ والمعنى**.

يقول الطبري: الله أصله الإله، وذكر ما ذكرناه قبل ذلك، قال: وهو الذي يأله كل شيء، أي: يعبده كل شيء، وقال: قال ابن عباس: الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه فهو الإله، قال: فإن قال لنا قائل: وما دل على أن الألوهية هي العبادة، وأن الإله هو المعبود؟ قلنا: قال رؤبة بن العجاج: لله در الغانيات المده سبحن واسترجعن من تأله والتأله بمعنى العبادة قال: سبحن واسترجعن من تأله أي: من تعبد وطلب الله بعمل.

قال: ولا شك أن التأله التفعل من أله يأله، وهذا أصلها في اللغة والفعل فيها أله يأله بالفتح فيهما، إذا: أله أي: عبد، وقيل: بل من أله، كأنه مثل وله: بمعنى تحير، يعني أن الله سبحانه وتعالى يتحير فيه فإذا أعمل الإنسان عقله لينظر ويشاهد جلال الله سبحانه وتعالى ويتفكر في ذاته فإنه يتحير، وإنما عليه أن يتفكر في مخلوقات الله التي تدل عليه سبحانه وتعالى.

ولذلك قالوا: الله مشتق وقيل مرتجل وهو أعرف المعرفات جل أله أي عبد أو من الأله وهو اعماد الخلق أو من الوله أو المحجب عن العيان من لاهت العروس في البنيان يقول ابن القيم رحمه الله: لهذا الاسم الشريف عشر خصائص لفظية، وساق هذه الخصائص اللفظية، ثم قال: وأما خصائص هذا الاسم المعنوية، قال أعلم الخلق وهو النبي صلى الله عليه وسلم: (لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك)، يعني: مهما حاول أن يحصي صفات الله التي يمدح عليها فلن يستطيع أن يحصي هذه الصفات لا النبي صلى الله عليه وسلم ولا غيره من الخلق وكيف نحصي خصائص اسم لمسماه كل كمال على الإطلاق وكل مدح وكل ثناء وكل مجد وكل جلال وكل عز وكل جمال وكل خير وإحسان وجود وفضل وبر، فما ذكر هذا الاسم في قليل إلا كثره، ولا خوف إلا أزاله، ولا هم ولا غم إلا فرجه، ولا ضيق إلا وسعه، ولا تعلق به ضعيف إلا أفاده القوة، ولا ذليل إلا أناله العز ولا فقير إلا أصاره غنيا ولا مستوحش إلا آنسه ولا مغلوب إلا أيده ونصره، ولا مضطر إلا كشف ضره، ولا شريد إلا آواه إلى آخر كلام ابن القيم رحمة الله عليه وهو كلام جيد.

ساق قبل ذلك عن ابن عباس أنه قرأ: (ويذرك وإلهتك) كأن معناها: وعبادتك، يعني: أن قوم فرعون قالوا له: أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وإلهتك.

وهذه ليست من القراءات العشر المتواترة، وإنما هي قراءة شاذة غايتها أن يقال: هناك قول لـ ابن عباس رضي الله عنه: أن الإله بمعنى العبادة، لكن ليست قراءة يقرأ بها القرآن.

أيضا ساق حديثا عن أبي سعيد مرفوعا: (أن عيسى أسلمته أمه إلى الكتاب ليعلمه فقال له المعلم: اكتب باسم الله، فقال عيسى: أتدري ما الله؟ الله إله الآلهة)، ولا شك في ذلك ولكن الحديث لا يصح.

قال: بسم الله الرحمن الرحيم.

والرحمن من صفاته وأسمائه الحسنى سبحانه وتعالى فهو الرحمن الرحيم وبين الاسمين التقاء في المعنى أنه رحيم بعباده سبحانه من الرحمة ورحمن من الرحمة، ولكن يقول العلماء: أن بين الاثنين فرقا، فالرحمن: دال على صفة رحمة قائمة به سبحانه وتعالى، فهو الرحمن الذي لا يشبهه شيء في رحمته العظيمة سبحانه وتعالى، ولا يتسمى بهذا الاسم أحد غيره ولم يتسم به إلا كذاب كرحمان اليمامة وقد ذكر الله عز وجل اسمه ثم قال: ﴿هل تعلم له سميا﴾ [مريم:٦٥] أي: هل تعرف أحدا يتسمى بهذا الاسم؟ فلم يتسم أحد باسم الله، ولا باسم الرحمن.

فلفظ الجلالة لم يطلق على أحد غيره سبحانه، قد يقولون: هذا إله فلان وهذا إله فلان، أما الله فهو اسمه وحده لا شريك له سبحانه، وقد يحرفون هذا الاسم فيقولون اللات، أما الله فهو اسمه وحده لا شريك له، قد يحرفون العزيز ويقولون: العزى أما العزيز فهو الله سبحانه وتعالى وقد يطلق على غير الله سبحانه وتعالى كوصف، لكن الغرض: أن الرحمن اسم لله سبحانه وتعالى كما أن الله علم عليه وحده لا شريك له، لكن في معنى الرحمن قالوا: إنه رحمان بجميع خلقه فهو خلق ورزق وأعطى سبحانه فهو رحمان بجميع خلقه سبحانه، والرحيم رحمة خاصة تتعلق بالمؤمنين.

ولذلك ذكر أن الرحيم من صفة للنبي صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿وكان بالمؤمنين رحيما﴾ [الأحزاب:٤٣] والله عز وجل كذلك رحيم بالمؤمنين، فالرحمن هو رحمان بجميع العباد، وصفة الرحمن من مقتضاها: أن ينزل الكتب من السماء على قوم كانوا كفارا رحمة بهم ليدخلوا في دينه، فهو رحمن لأنه نزل الكتب وأرسل الرسل ليقيم الحجة على عباده، وهو رحمن لأنه أرسل الرسل لجميع الخلق ليدخلوا في دينه سبحانه وتعالى، والرحيم مختص بالمؤمنين يوم القيامة فيوم القيامة لا يرحم الكافرين ولا يرحم المشركين، فكأن صفة الرحمن للجميع في الدنيا والرحيم في الدنيا وفي الآخرة وتختص بالمؤمنين؛ ولذلك يكون بينهما عموم وخصوص، فالرحمن فيه عموم وخصوص، والرحيم فيه عموم وخصوص، فالرحمن خصوصه أنه لا يتسمى به إلا الله سبحانه وتعالى، أما الرحيم فقد يوصف به غير الله فيقال: فلان رحيم، وعموم الرحمن أن رحمته عامة في الدنيا من إنزال الكتب، وإرسال الرسل، وإعطاء العقول، والرزق، وإعطاء النفع، وغير ذلك من فضل الله سبحانه، وهذه رحمة واسعة بجميع الخلق، فالكافر حين يعمل شيئا فإن الله يعطيه في الدنيا فيكثر ماله ويعطيه الولد، أما الخصوص الذي في الرحيم فهو أنه يرحم المؤمنين فقط في الدنيا وفي الآخرة.

والعموم الذي فيه أنه يتسمى به الله سبحانه وتعالى، ويوصف به غير الله سبحانه وتعالى فيجوز أن يقال: فلان رحيم، والنبي صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين رءوف رحيم صلوات الله وسلامه عليه.." (١)

"الذي هو الحقيقة استحال، يعني تعذر ينطلق إلى المجاز، أما قبل ذلك فلا، صفات الباري جل وعلا كلها لا يستحيل حملها على حقائقها، ولذلك هذا الذي فهمه الصحابة رضي الله تعالى عنهم وإلى يومنا أئمة السنة يقررون بأن آيات الصفات ليست من قبيل المجاز، وهذا إجماع، وإذا كان كذلك فحمل هذا اللفظ على المجاز هذا مخالف للإجماع، وهو خلاف في أصل، إذا كلامه جل وعلا نقول: حقيقة وليس مجازا، كلامه جل وعلا حقيقة حروفه ومعانيه، ليس كلامه

---

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد - حطيبة، أحمد حطيبة ٣/١

الحروف دون المعاني ولا المعاني دون الحروف، هذا يذكره أهل السنة وإن كان في لسان العرب لا يفهم من الكلام إلا ما كان اسما لمسمى وهو ما اجتمع فيه الحروف والمعنى، لكن لما وجد من أهل البدع من يقول بأن المعاني هي الكلام والحروف ليست داخلة في مسمى الكلام نص أهل السنة والجماعة، وإلا هذا من الأمور المقررة عند العقلاء وعند أرباب اللسان بأنه إذا قيل الكلام اسم لمسمى، هذا المسمى حرف لفظ ومعنى، فليس مسمى الكلام الحرف دون المعنى، وليس مسمى الكلام المعنى دون الحرف، لكن لما قيل به من أرباب البدع حينئذ ناسب أن ينص أهل السنة ردا على هذا القول بأن كلام الباري جل وعلا هو مسماه **اللفظ والمعنى** معا، كما أن الإنسان مسماه البدن والروح معا، فليس الإنسان هو البدن فقط هذا خطأ، وليس الإنسان هو الروح فقط بل مركب من شيئين: بدن، وروح. كذلك كلام الباري جل وعلا وكلام الناس عموما كل متكلم من بني آدم كلامه هو **اللفظ والمعنى** معا، إذا كلامه حقيقة حروف ومعانيه وهذا لا يختلف فيه أحد من أهل اللسان، ولذلك إذا جاؤوا يعرفون الكلام في كتب النحو ماذا يقولون؟ الكلام هو اللفظ المركب المفيد لفظ مفيد، ما معنى مفيد؟ ما معنى لفظ؟ إذا لا بد من لفظ ومعنى، إن وجد اللفظ دون الإفادة فليس بكلام، وإذا وجدت الإفادة دون اللفظ ليس بكلام، إذا [مسمى اللفظ] (١) مسمى الكلام هو **اللفظ والمعنى** معا، ليس كلامه الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف. قال الله تعالى، ما الدليل على أن القرآن كلام الباري؟ هل جاء إطلاقه في الكتاب؟ نقول: نعم، جاء إطلاقه في الكتاب، قال تعالى: ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله﴾ [التوبة: ٦]. إذا ﴿كلام الله﴾، ﴿يسمع كلام الله﴾، وما الذي تلاه النبي – صلى الله عليه وسلم –؟ القرآن، إذا القرآن كلام الله، ﴿وإن أحد من المشركين استجارك﴾، يعني وإن استجارك أحد من المشركين، ﴿فأجره حتى يسمع كلام الله﴾ حينئذ يكون كلام الله مسموعا، ولا يكون كذلك إلا إذا كان بحرف، وقال: ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾ [الفتح: ١٥].

(١) سبق.." (١)

"قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: والصواب والذي عليه السلف والأئمة أن الكلام حقيقة في **اللفظ والمعنى** هذا محل إجماع، ومحل إجماع عند أئمة السنة في هذا المقام، ومحل جماع عند أهل اللغة أرباب اللسان بأنه لا يكون كلاما إذا كان حرفا دون معنى هذا صار هذيان، أو معاني دون حروف فيتكلم بماذا؟ لم يتكلم، إذا نوى في قلبه خواطر حينئذ نظر إليك وينوي خواطر، هذا متكلم؟ هذا ليس متكلما، هذا أخرس، فإذا كان كذلك حينئذ نقول كما قال هنا ابن تيمية: الصواب الذي عليه السلف والأئمة أن الكلام حقيقة في **اللفظ والمعنى**، كما أن الإنسان حقيقة في البدن والروح. لا يسمى الإنسان البدن فقط ولا الروح فقط، ولذلك ﴿سبحان الذي أسرى بعبده﴾ [الإسراء: ١] عبد، العبد اسم مسماه البدن والروح معا، هذا الأصل فيه، فمن قال بأنه أسري بروحه دون بدنه أخطأ، أو قال: ببدنه دون روحه أخطأ، لماذا؟ لأن لفظ العبد كلفظ الإنسان، مسماه الذي يصدق عليه في لسان العرب مركب من شيئين: بدن، وروح. حيئنذ نقول النبي ع لا نحتاج بحث مسألة إلا إذا جاءنا نص، نقول: أسري بماذا؟ ببدنه وروحه معا لهذا النص لهذا القرآن، الآية الأولى في سورة الإسراء

(١) شرح سلم الوصول في علم الأصول، أحمد بن عمر الحازمي ٦/١٢

﴿سبحان الذي أسرى بعبده﴾، ولا يكون عبدا بالروح فقط دون البدن، ولا بالبدن فقط دون الروح. قال: كما أن الإنسان حقيقة في البدن والروح فالنزاع في الناطق كالنزاع في منطقه. والدليل على أنه حروف، قلنا: حروفه ومعانيه، هل ورد إطلاق الحرف على القرآن؟ نقول: نعم ورد، حديث ابن مسعود أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات». حرف يعني من القرآن، وقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: «اقرءوا القرآن قبل أن يأتي قوم يقيمون حروفه إقامة السهم لا يجاوز تراقيهم يتعجلون آخره ولا يتأجلونه». رواه بنحوه الإمام أحمد وأبو داود والبيهقي في سننه، والضياء المقدسي في المختار عن جابر، وهذا النص وإن كان بعضهم يضعفه من جهة ما، لكن كون القرآن لفظا لا يكون لفظا إلا إذا كان بحرف، إذا سلمنا بالقاعدة السابقة أن القرآن كلام الله تعالى حروفه ومعانيه إذا قلنا لفظا ومعنى، إذا اللفظ ما معنى اللفظ؟ الصوت المشتمل على بعض الحروف، إذا لا بد أن يكون صوت ولا بد أن يكون بحرف، أليس كذلك؟ فإذا لم يكن بحرف انتفى عنه كونه لفظا، ونحن قد سلمنا بأنه لفظ، قال: وقال علي وقال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما: إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه. وقال علي رضي الله عنه: من كفر بحرف منه فقد كفر به كله.." (١)

"أي ومما يجب الإيمان به وإثباته وإمراره كما جاء يعني دون تعرض لمعناه بالنفي أو التحريف، وإنما نمره كما جاء مراد السلف بذلك ليس هو التفويض كما قد يفهمه بعض المبتدعة، إنما المراد أنه يثبتون اللفظ وما دل عليه اللفظ من معنى ولا يتعرضون لشيء آخر لا لكيفية ولا للوازم ذهنية عقلية قد تنافي الواقع ونحو ذلك، وإنما يتركون اللفظ كما هو، أمروها كما جاءت بمعنى ماذا؟ إثبات **اللفظ والمعنى**، وليس المراد اقرؤوها ولا تفهموا معانيها، لا، هذا كذب على السلف ما أرادوا ذلك، وإنما أرادوا إثباتها لفظا ومعنى دون التعرض لها، لأن المخالف هنا المبتدع قد تعرض لها بعقله لما سمع ﴿وجاء ربك والملك صفا صفا﴾ [الفجر: ٢٢] قالوا: كيف يجيء هذا بصفة المخلوق، إذا أمرها؟ لم يمرها كما جاءت، وإنما تعرض لها بعقل، ثم إما نافي وإما محرف .. إلى آخره. إذا إمراره كما جاء كغيره من الصفات، وهذا سنن صفات الباري جل وعلا إنما تثبت الألفاظ والمعاني، ولذلك مر معنا

إثبات ذات الرب جل وعلا ... أسمائه الحسنى صفاته العلى

وقلنا: هذا المقام توحيد الأسماء والصفات قائم على ماذا؟ على الإثبات فقط، يعني دون تشبيه، دون تمثيل، إثبات ذات الرب ﴿ليس كمثله شيء﴾ [الشورى: ١١] كل اسم دل على صفة تثبت دون تمثيل ولا تعطيل .. إلى آخره، كذلك كل صفة تثبت للباري جل وعلا دون تعرض لها بنفي أو .. إلى آخره، سيأتي في آخر الباب ما يتعلق بالمحاذير الأربعة.

كما جاء صفة النزول للرب عز وجل يعني مما يجب الإيمان به وإثباته وإمراره كما جاء صفة النزول للرب عز وجل، وهذا مما تواترت فيه الأدلة عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فرواه نحو من ثمانية وعشرين نفسا من الصحابة عن النبي – صلى الله عليه وسلم –، وهذا تأخذ منه قاعدة أن باب الصفات ليس مرده القرآن فحسب، لأن نزول الباري جل وعلا

---

(١) شرح سلم الوصول في علم الأصول، أحمد بن عمر الحازمي ٨/١٢

في ثلث الليل الأخير ليس في القرآن البتة، أليس كذلك؟ ليس عندنا آية تثبت ماذا؟ تثبت نزول الباري جل وعلا أنه ينزل في كل ليلة نزولا يليق بجلاله، وإنما هذا جاء من طريق السنة النبوية، فكما تثبت الصفات بالقرآن كذلك تثبت الصفات بالسنة يعني: ما صح عن النبي – صلى الله عليه وسلم – ولا يشترط فيها التواتر، وإنما متى ما صح النقل حينئذ وجب الإثبات، وأما اشتراط أن يكون متواترا وما جاء من الآحاد فهذا قول أهل البدع، التفريق هنا بين المتواتر والآحاد في قبول الصفة وردها هذا جاء من قبل أهل البدع، وأما التقسيم ذاته حديث متواتر وآحاد هذا لا إشكال فيه، وهذا معروف حتى عن بعض المتقدمين وإن كان ثم ما يتعلق بالشروط التي ذكرها المتأخرون فيها شيء من النظر.." (١)

"الفاء هذه واقعة في جواب المبتدأ، لأن القاعدة عند النحاة أن الخبر إذا كان المبتدأ لفظا عاما أو فيه معنى العموم جاز، جاز لا يجب، جاز وقوع الفاء في الخبر، أليس كذلك؟ جاز وقوع الفاء في الخبر، حينئذ هذه الفاء تقول: واقعة في جواب المبتدأ، كيف وقعت هل هو واجب؟ لا، ليس بواجب، هو جائز، وإذا كان كذلك حينئذ نقول: لما في المبتدأ من العموم سواء كان **باللفظ والمعنى** أو من حيث المعنى، وهنا ليس باللفظ وإنما من حيث المعنى، لأنه تركب تائب في سياق الاستفهام، ثم زيدت عليه من، إذا مركب، وهذا معنى من المعاني، إذا والفاء وقعت في الخبر لما في المبتدأ من العموم.

هل من مسيء طالب للمغفرة ... يجد كريما قابلا للمعذرة." (٢)

"وفي ((الصحيحين)) «إن الله يقول: وعزتي وجلالي لأخرجن من النار ما قال: لا إله إلا الله» قال لا إله إلا الله مجرد قول أو أتى بمعناها؟ أتى بمعناها، يعني لا بد من اعتبار أن يكون موحدا ولا يكون موحدا إلا إذا جاء **باللفظ والمعنى** معا.

وقالت طائفة من العلماء – أراد أن يذكر بعض الأقوال التي استند إليها أهل العلم في الجمع بين هذه النصوص قالوا ماذا؟ قالوا: المراد من هذه الأحاديث أن لا إله إلا الله سبب لدخول الجنة والنجاة من النار ومقتض لذلك. إذا هذا السبب، ولكن المقتضي لا يعمل عمله إلا باستجماع شروطه وانتفاء موانعه، يعني السبب يترتب عليه المسبب، لكن قد يعتبر في السبب ماذا؟ يعتبر بعض الشروط وانتفاء الموانع فقد يتخلف عنه مقتضاه لفوات شرط من شروطه أو لوجود مانع من موانعه، وهذا قول الحسن، ووهب بن منبه وهو أظهر. وقال الحسن يعني يقصد به بالشروط ماذا؟ بشروط وجود العمل الظاهر، وانتفاء كل ما ينقض هذه الكلمة. وهي نواقض الإسلام، حينئذ مجرد الكلمة لا يكفي، لا بد من وجود الشروط وهي العمل بمقتضاها، العمل الظاهر والقلبي كذلك، وانتفاء الموانع يعني انتفاء نواقض لا إله إلا الله، انتفاء نواقض الإسلام العشرة وغيرها فحينئذ إذا قال لا إله إلا الله وقام المعنى بقلبه وجد الشرط لكن ارتكب مكفرا انتقضت؟ انتقضت، لماذا؟ لوجود مانع. الشروط تحققت في الجملة، هو إذا وجد المانع لا بد من انتفاء الشرط هي متلازمة من حيث المعنى، إذا هي سبب، وإذا كانت سببا حينئذ لا بد من اعتبار شرط لتحق أثر السبب وانتفاء مانع، فترتب العمل يكون من تحقق الشرط، وانتفاء النواقض يكون من ماذا؟ من انتفاء الموانع. وهذا قول الحسن وغيره وهو أظهر. وقال الحسن للفرزدق – يعني الحسن

---

(١) شرح سلم الوصول في علم الأصول، أحمد بن عمر الحازمي ٧/١٣

(٢) شرح سلم الوصول في علم الأصول، أحمد بن عمر الحازمي ١٢/١٣

البصري قال للفرزدق الشاعر المعروف – وهو يدفن امرأته يسأله: ما أعددت لهذا اليوم؟ يعني ستدفن أنت وأنت شاعر ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ [الشعراء: ٢٢٤] فحينئذ ماذا أعدت لهذا اليوم؟ ويعلم الحسن؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة. قال الحسن: نعم العدة لكن لشهادة أن لا إله إلا الله شروطا، فإياك وقذف المحصنات. يعني قذف المحصنات قد يمنعك من دخول الجنة ابتداء، هو يريد لا إله إلا الله أن تدخله الجنة ابتداء ما يريد أن يمر على النار، أليس كذلك؟ إذا قول: أعددت لا إله إلا الله يريد أن يدخل الجنة مباشرة، قال له: إياك وقذف المحصنات هو لا يريد الحسن أنه من النواقض لكن مما يؤخرك وقد تعذب في النار لذلك. وقيل للحسن: إن ناسا يقولون من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة. فقال: من قال: لا إله إلا الله فأدى حقها وفرضها دخل الجنة، إذا ليست مجرد قول.

وقال وهب لمن سأله: أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله؟ قال: بلى، ولكن ما من مفتاح إلا له أسنان، فإن أتيت بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح لك.." (١)

"فالجواب: أن المكذبين من المشركين يكذبون بجميع ما جاءتهم به الرسل من هذا وغيره، وهذا جعل حجة مستقلة عليهم فدل على أنه الفطرة التي فطروا عليها من الإقرار بالتوحيد، حتى لو حملوا الآية على الإقرار بالتوحيد وهو الفطرة، الفطرة [ليست] لا تقوم بها الحجة على الخلق، وإنما الحجة تقوم بماذا؟ بالرسل ﴿رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ [النساء: ١٦٥] إذا لم تنقطع حجة الخلق إلا بإرسال الرسل، قالوا: بأن هذا الإشهاد الذي هو الميثاق الأول كيف تحصل به الحجة؟ نقول: أنتم حملتم الآية على الفطرة وهي كذلك لا يحصل بها الحجة. ولهذا قال تعالى: ﴿أن تقولوا﴾ أي لئلا تقولوا ﴿يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين﴾ أي عن التوحيد ﴿أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا﴾ ... الآية انتهى من تفسيره ابن كثير مختصرا.

إذا ثم قولان في تفسير هذه الآية وفي هذا العهد الذي أخذه الله تعالى على آدم وذريته، أنه عهد حقيقي، مسح الله تعالى ظهر فأخرج ذريته وهذا هو الحق والصواب وهو الذي دلت عليه النصوص.

القول الثاني: أنه الفطرة وهو قول مرجوح.

قلت: [والأصح] والأول أصح لثبوت التفسير مرفوعا إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – إذ فيه إخراج ومخرج منه، وكذلك نطقوا لأنه قالوا: ﴿قالوا بلى﴾ يعني قالوا بألسنتهم هذا الأصل فيه القول إذا أطلق بلسان العرب إنما يحمل على **اللفظ والمعنى** معا، ونطقوا بما استشهدوا عليه وقول الناظم في شرحه ... ((المعارج)): ليس بين التفسيرين منافاة ولا مضادة ولا معارضة، فيه نظر، بل هو غلط، كيف لا يكون بينهما منافاة ولا معارضة؟ كيف نجعل الميثاق الثاني الذي هو الفطرة هو عين الأول وداخل في الآية؟ ثم الفطرة هذه مؤهلة للقبول وإتباع الرسل إذ أن الثواب أو العقاب مترتبا على إرسال الرسل لا على الفطرة وحدها، والرسل قد بعثوا بتكميل هذه الفطرة وتنميتها وإزالة الشوائب عنها، وتفصيل ما أجمل فيه. إذا قوله: أنه لا منافاة بين التفسيرين. غلط ليس بصحيح بل الصواب الأول وأن الثاني مناف له، لأنهم نفوا وأن يكون ثم إخراج، ونفوا أن يكون ثم نطق منه، حينئذ حملوه على أمر اعتباري وليس على حقيقته، وأما المواثيق فلا شك أنها ثابتة المواثيق

---

(١) شرح سلم الوصول في علم الأصول، أحمد بن عمر الحازمي ١٨/١٨

أربعة وكلها ثابتة بالكتاب والسنة، لكن الذي في النص هنا في الآية المراد به العهد أو الميثاق الأول على الصفة التي ذكرناها وهي الإخراج.

الميثاق الأول الذي أخذه الله تعالى عليهم حين أخرجهم من ظهر أبيهم آدم عليه السلام ﴿وأشهدهم على أنفسهم﴾ في الآية السابقة ﴿ألست بربكم قالوا بلى﴾ .. الآيات، وهو الذي قاله جمهور المفسرين رحمه الله تعالى في هذه الآيات وهو نص الأحاديث الثابتة في الصحيحين وغيرهما فلا عدول عنه البتة.." (١)

"بقي نوع آخر وهو أن لا يدل اللفظ على ما وضع له وإنما هي دلالة على أمر خارج عن اللفظ، أولا المثال السابق دلالة تضمن قاله دلالة اللفظ على جزء ومعناه في ضمن كله، ولا تكون إلا في المعاني المركبة، يعني الجزئي يفهم من في ضمن الكل. النوع الثالث: وهي دلالة لغوية وضعية وإن كان العقل لها في فهمها مدخل وهي دلالة الالتزام، دلالة الالتزام هي دلالة اللفظ على خارج عن معناه لم يوضع له في لسان العرب لكنه لازم من جهة العقل، قالوا: مثل ماذا؟ كدلالة الأربعة على ماذا؟ على الزوجية، العدد أربعة زوج أو فرد؟ العدد إما فرد وإما زوج، إما هذا أو ذاك، لا يرتفعان ولا يجتمعان، إما هذا أو ذاك، فإذا قلت الأربعة زوج بمعنى أنه يقبل القسمة على اثنين، حينئذ كون الأربعة زوجا الزوجية الثابتة للأربعة هل هي من ما وضعه العرب تابعا للمعنى أو شيء مفهوم من خارج؟ نقول: الثاني، شيء مفهوم من خارج، وهو كون الأربعة دالة على الزوجية دلالتها ليست من وضع العرب، لا، وإنما هي من فهم الإنسان بعقله، حينئذ نقول: دل اللفظ على خارج، خارج أين خارج هذا؟ وجوده في الذهن ليس في اللسان، وإنما وجوده في الذهن على خارج لازم للمعنى، كدلالة الأربعة على الزوجية، والأربعة هذه يمثل لها أو يمثل بها المناطقة الشيخ الأمين كذلك في المذكرة على ثلاثة الأنواع، أربعة مدلولها لا ينطق بها الأربعة مدلولها هذه، إذا أطلقت الأربعة لفظ الأربعة وأردت به الجميع تسمى دلالة مطابقة، دلالة الأربعة على الاثنين تضمن لأنه دل على ماذا؟ على جزء المعنى، ولذلك قال الشيخ الأمين رحمه الله تعالى فيما أذكره: أنه لو قال عندي أربعة آلاف، وجاءه شخص قال أعطني ألف دينا، قال: ما عندي. يقول: كيف ما عندك؟ أنت قلت ماذا؟ عندي أربعة والأربعة تدل على الواحد الألف بالتضمن لأنه بعض المعنى، وتدل على الألفين لأنه بعض المعنى، وتدل على الثلاثة وهو بعض المعنى، فكيف ينكر، قد أثبت الألف بقوله: الأربعة. إذا استعمال الأربعة مرادا بها الواحد أو الاثنين أو الثلاث نقول: هذه دلالة اللفظ على جزء المعنى، على بعض المعنى. استعمال الأربعة في الجميع مدلوله كله نقول هذا دلالة مطابقة، كون الأربعة عددا زوجيا نقول: هذه دلالة التزام، لأنها ما فهمت من **اللفظ والمعنى**، لم تفهم من **اللفظ والمعنى**، وإنما فهمت من خارج

دلالة اللفظ على ما وافقه ... يدعونها دلالة المطابقة

وجزئه تضمنا وما لزم ... فهو التزام إن بعقل التزم

(١) شرح سلم الوصول في علم الأصول، أحمد بن عمر الحازمي ٢١/٢

أسماء الله عز وجل – فهمتم هذه؟ –." (١)

"معنى قول: كلام الله معنى قائم بنفسه

Q ما معنى قول الكلابية والأشعرية والماتريدية كلام الله معنى قائم بنفسه؟

A هذا أساسه حقيقة الكلام، والمعتزلة قالوا: إن حقيقة الكلام اللفظ، والأشاعرة قالوا: إن حقيقة الكلام المعنى، وأهل السنة قالوا: إن حقيقة الكلام **اللفظ والمعنى**، فالمعتزلة قالوا: حقيقة الكلام هو اللفظ واللفظ مخلوق، لأنه لو قلنا بأن الله عز وجل يتكلم بالقرآن لفظا لاستلزم ذلك الحدوث، والحدوث ممتنع عن الله سبحانه وتعالى؛ لأنه يقتضي حلول الحوادث بذاته ولهم قاعدة طويلة في هذا الموضوع وهي قاعدة فاسدة.

والقول الثاني وهو أن حقيقة الكلام المعنى، قال به الأشعرية وأن الله عز وجل عندما قال: ﴿حتى يسمع كلام الله﴾ [التوبة:٦]، والمقصود بالكلام: المعنى، ولما كان المعنى لا يمكن له أن يسمع كان القرآن عبارة عن كلام الله، وعبر به جبريل أو محمد على خلاف بينهم، وتوصلوا إلى أن لفظ القرآن ومن حيث هو حرف وصوت مخلوق كما قالت المعتزلة، والفارق بينهم وبين المعتزلة هو أن الأشعرية قالوا بأن حقيقة الكلام هو المعنى والله عز وجل متكلم، بمعنى أن الكلام صفة من صفاته أي: أن عنده معاني الكلام، وأما الألفاظ فليست من كلام الله سبحانه وتعالى، أما أهل السنة فقالوا الكلام يشمل **اللفظ والمعنى** وكل ذلك من كلام الله والقرآن لفظ ومعنى من الله سبحانه وتعالى.." (٢)

"أرسل الله رسوله بالهدى ودين الحق

قوله رحمه الله تعالى: (فإن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا).

هذا اقتباس من قوله عز وجل في سورة الفتح: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا﴾ [الفتح:٢٨].

ومحمد هو رسول الله عز وجل، بعثه الله إلى الخلق كافة.

الهدى هو العلم النافع الذي جاء به عليه الصلاة والسلام من الوحي الذي أنزله الله عليه، وهو القرآن بواسطة جبرائيل، قال سبحانه: ﴿نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين﴾ [الشعراء:١٩٣ – ١٩٤].

وكذلك السنة، فإنها وحي ثان، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى﴾ [النجم:٣ – ٤]، والقرآن كلام الله **باللفظ والمعنى**، والسنة تنقسم إلى قسمين: أحاديث قدسية، وأحاديث غير قدسية.

فالأحاديث القدسية لفظها ومعناها من الله فهي مثل القرآن، ولهذا يرويه النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه، كما في حديث أبي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل أن الله تعالى قال: (يا عبادي! إني حرمت الظلم

---

(١) شرح سلم الوصول في علم الأصول، أحمد بن عمر الحازمي ٥/٥

(٢) شرح القصيدة اللامية لابن تيمية – عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي ١٩/٣

على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا، يا عبادي! كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي! كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي! إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم)، إلى آخر الحديث.

وكذلك حديث: (من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه).

وهنالك أحكام خاصة يختلف فيها الحديث القدسي عن القرآن: فالقرآن متعبد بتلاوته، والحديث القدسي غير متعبد بتلاوته، القرآن لا يمسه إلا المتوضئ، والحديث القدسي يمسه غير المتوضئ، القرآن معجز بلفظه، والحديث القدسي غير معجز بلفظه، والقرآن يتفاضل بعضه أفضل عن بعض، مثل سورة الإخلاص: ﴿قل هو الله أحد﴾ [الإخلاص:١] فإنها تعدل ثلث القرآن.

أما الأحاديث غير القدسية فهي من الله معنى، ومن الرسول صلى الله عليه وسلم لفظا.

وفي بعض كتب أصول التفسير كالإتقان للسيوطي وغيره ذكر أن الحديث القدسي لفظه من النبي صلى الله عليه وسلم؛ وهذا يتمشى مع مذهب الأشاعرة الذين يرون أن كلام الله معنى قائم بنفسه ليس بحرف ولا صوت، ولم يسمع جبريل منه شيء، ولكن الله اضطر جبريل، ففهم المعنى القائم بنفسه، فعبر بهذا القرآن، فهو كلام جبريل، أما الله فلم يتكلم بحرف ولا صوت، ومن الأشاعرة من يقول: إن الذي عبر به هو محمد وليس جبريل، ومنهم من يقول: إن جبريل أخذ القرآن من اللوح، فهذه ثلاثة أقوال للأشاعرة وكلها أقوال باطلة، والصواب: أن القرآن كلام الله لفظا ومعنى، وأن الله تكلم به، فسمعه جبرائيل من الله، ثم أنزله على قلبه صلى الله عليه وسلم.

وقوله رحمه الله: (ودين الحق) هو العمل الصالح، فالله تعالى بعث محمدا بالعلم النافع والعمل الصالح.

وقوله رحمه الله تعالى: (ليظهره على الدين كله).

أي: ليجعله عاليا مرتفعا منصورا على جميع الأديان.

وقوله رحمه الله تعالى: (وكفى بالله شهيدا): وكفى به سبحانه وتعالى شهيدا وحاضرا وكفيلا بأن يظهر دين الإسلام على جميع الأديان ويجعله عاليا ظاهرا منصورا.." (١)

"إذا قوله: (﴿فلا تدعوا﴾). هذا عام (﴿مع الله أحدا﴾ [الجن: ١٨]) هذا عام. الشفاعة طلب وهي: دعاء. فإذا طلب أحد من النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو في البرزخ أن يشفع، وهذا الطالب سأله والسؤال دعاء. إذا حقيقة الشفاعة أو طلب الشفاعة دعاء ميت، هذا حقيقة الشفاعة، دعاء ميت سؤال ميت، حينئذ سؤال الميت ودعاء الميت نقول: هذا شرك أكبر، هو معنى الالتجاء للصالحين السابق. نقول: هذا شرك وهذا هو عين ما فعله أولئك مع الملائكة والصالحين واللات – كما سبق في الشبهة السابقة – فالشفاعة نوع سؤال وطلب، وسبق أن الدعاء هو العبادة، فإذا كانت

(١) شرح الوصية الكبرى لابن تيمية – الراجحي، عبد العزيز الراجحي ١٨/١

الشفاعة من جنس الدعاء وتقرر أن الدعاء هو العبادة، فصرف العبادة لغير الله شرك أكبر، واضح تقرير المسألة.
(أن الله أعطاه الشفاعة ونهاك عنها)، (أعطاه الشفاعة ونهاك) أنت أيها السائل، يا من أردت أن تسأل النبي – صلى الله عليه وسلم – الشفاعة، نهاك أن تسأله وهو في البرزخ وهو ميت عليه الصلاة والسلام، ما الدليل بأنه نهاك عن هذا؟ لقوله: (﴿فلا تدعوا مع الله أحدا﴾). ما وجه الاستدلال؟ ما قال: فلا تشفع، فلا تطلب الشفاعة قال: (﴿فلا تدعوا﴾). قد يعاند ويكابر النبي الله عز وجل نهى عن الدعاء، ونحن نتكلم في الشفاعة، شفاعة شفع وهذا دعا فرق بين اللفظين.
نقول: الشفاعة طلب نوع السؤال فهي داخلة في جنس الدعاء، فحينئذ يشملها قوله تعالى: (﴿فلا تدعوا﴾). ففيه عموم من جهة كون الفعل هنا في سياق النهي، والنهي يقتضي التحريم. إذا يحرم أن يدعو غير الله تعالى، أو مع لله أحدا، طيب ما وجه العموم؟ نقول: (﴿تدعوا﴾). هذا فعل وهو منسبق من زمن ومصدر، والمصدر نكرة والنكرة في سياق النهي تعم، إذا لا تدعوا لا يقع ولا يحصل ولا يوجد أي نوع وأي فرد وأي آحاد من أنواع الدعاء، سواء كان موافق له في **اللفظ والمعنى** أو في المعنى دون اللفظ، ليدخل ما سبق لأنه قد يقول: الدعاء دعا مغاير لشفع استغاث استعان هذه كلها من حيث اللفظ متفارقة، حينئذ نقول: المعنى واحد والجنس عام. إذا الشفاعة نوع من السؤال والطلب، وسبق أن الدعاء هو العبادة، فإذا كانت الشفاعة من جنس الدعاء تقرر أن الدعاء هو العبادة، فصرف العبادة لغير الله شرك أكبر، ويقال أيضا ما سبق بيانه أن الشفاعة لله ملكا فلا يملكها الرسول – صلى الله عليه وسلم – ولا غيره، فإذا كان المالك لها حقيقة هو الله جل وعلا، فالجواب هو طلب الشفاعة منه سبحانه (﴿فلا تدعوا مع الله أحدا﴾)، (﴿فلا تدعوا﴾) هذا فيه عموم يعم جميع أنواع السؤال والدعاء، لا دعاء استغاثة، ولا دعاء استعانة، ولا دعاء استسقاء، ولا شفاعة، ولا غير ذلك. يشمله من جهة المعنى لا من جهة اللفظ، (﴿فلا تدعوا مع الله أحدا﴾)، (﴿أحدا﴾) هذا نكرة في سياق النهي فيعم.
إذا عموم من جهة العبادة وعموم من جهة المعبود الذي تصرف له العبادة، فقوله: (﴿أحدا﴾). دخل فيه النبي – صلى الله عليه وسلم – أو لا؟." (١)

"عناصر الدرس

* شبهة من نطق بالشهادتين وصلى وصام، هل يكفر إذا عبد غير الله؟

* الرد على هذه الشبهه بعدة أجوبة.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين.
أما بعد:
قال المصنف رحمه الله تعالى: (إذا تحققت أن الذين قاتلهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أصح عقولا وأخف شركا من هؤلاء). هنا استطرد المصنف بذكر المقارنة بين المشركين المتأخرين والمشركين المتقدمين، وبين بفارقين سبق ذكرهما، وذكرنا أن هذه المسألة أيضا ليست من المسائل القطعية، إنما هي محل اجتهاد.

---

(١) شرح كشف الشبهات للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٤/١٤

قال: (إذا تحققت أن الذين قاتلهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أصح عقولا). يعني: من المتأخرين لأنهم يلجئون إلى الله تعالى في حال الشدة لا إلى غيره، وأما في حال الرخاء فيرجعون إلى شركهم، وأما إذا ركبوا الفلك حينئذ يلجئون إلى الله تعالى وينسون أصنامهم ومعبوداتهم، (فاعلم)، (إذا تحققت)، (فاعلم أن لهؤلاء شبهة) هؤلاء يعني: المتأخرين، المشركين المتأخرين، لأنهم يوردون الشبه بعد تقرير الشريعة (أن لهؤلاء) المتأخرين (شبهة يوردونها على ما ذكرنا، وهي من أعظم شبههم) لأنها مما يحاج بها أهل العلم، هذه يسميها البعض شبهة علماء (وهي من أعظم شبههم) التي يحاجون بها ويكثرون من استعمالها، (فاصغ سمعك لجوابها) هذا أمر بالإصغاء، وفيه إشارة إلى أن الجواب يحتاج إلى مزيد إصغاء وتدبر وتأمل، لأن هذه بلية وهي من قال: لا إله إلا الله. ثم وقع في الشرك، هل يكون كافرا أم لا؟ قال: لا إله إلا الله. وصلى وصام وحج وذكر الله كثيرا، ثم استغاث بغير الله تعالى، أو ذبح لغير الله تعالى، هل يكون مشركا أم لا؟

وسبق أن ثم ثلاث شبه أيضا عظيمة عندهم تجعل هذه معها وتكون أربعة (وهي) أي: هذه الشبهة. فصلها المصنف بقوله: (إنهم يقولون). أي أن المشركين المتأخرين. (يقولون: إن الذين نزل فيهم القرآن) أولئك المتقدمون (الذين نزل فيهم القرآن) يعني: الذين باشرهم النبي – صلى الله عليه وسلم – بالتكفير والحكم عليهم بالشرك والقتال (لا يشهدون أن لا إله إلا الله) أبوا أن يقولوا: لا إله إلا الله. ولذلك لما قال لهم: «قولوا: لا إله إلا الله». قالوا: ﴿أجعل الآلهة إلها واحدا﴾ [ص: ٥]. إذا هم أبوا أن يلفظوا بهذه الجملة وهي: الشهادتان. بخلاف المتأخرين فإنهم قالوا: لا إله إلا الله. هذا ثم فرق بين النوعين، أولئك كفروا **باللفظ والمعنى**، وهؤلاء كفروا بالمعنى دون اللفظ، ففرق بين الطائفتين.." (١)

"قوله: («أذكرك») أي أثني عليك به وأحمدك به، وعطف في ... ((التيسير)) أحمدك على أثني عليك لأن بعض أهل العلم لا يرون أن الحمد هو الثناء بل هو أعم من ذلك، وأدعوك أي أتوسل به إليك إذا دعوتك، يعني كما تقول: يا غفور اغفر لي. هنا توسل باسمه الغفور، هذا الذي أراده موسى أن يجعله سؤالا فيسأل الله عز وجل به كما يسأل بالعمل الصالح ويسأل بالذكر ونحو ذلك، فموسى عليه السلام سأل ربه شيئا يجتمع فيه الأمران، أثني عليك به وأحمدك وأسألك به. («أذكرك وأدعوك»). إذا شيئا وصفه بصفتين لكن من جهة الإعراب تعرب الجملة الأولى صفة، والثانية معطوفة عليها، فهما أمران: ذكر الله تعالى، ودعاؤه به.

(«قال») الله عز وجل («قال: [قل ح] يا موسى») فيه إثبات صفة الكلام لله عز وجل، («قال: [قل ح] يا موسى») والقول مرادف للكلام في مثل هذا المقام، وهو متضمن لشيئين لفظا ومعنى، فقول الله عز وجل هو كلامه، وهو لفظ مسماه **اللفظ والمعنى** معا، يعني كلمة قول وكلمة كلام لفظ مسماه **اللفظ والمعنى** معا ليس اللفظ وحده دون المعنى ولا المعنى دون اللفظ كما هو عقيدة أهل السنة والجماعة. («قل يا موسى ... لا إله إلا الله»)، («قل يا موسى») كذلك («يا موسى») هذا نداء وهو أخص من مطلق الكلام، فيوصف الرب جل وعلا بكونه متكلما أنه متصف بصفة الكلام، والكلام أنواع منه نداء، ومنه مناجاة، ومنه أمر، ومنه نهي .. إلى آخره كما هو الشأن في أساليب العرب، ولذلك نقول: كلام الله عز وجل منه ما هو خبر ومنه ما هو إنشاء، وهو موافق لما جاء في لسان العرب، ومنه ما هو نداء، النداء من

---

(١) شرح كشف الشبهات للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٦/١

الإنشاء، فقوله: («يا موسى»)، ﴿يا إبراهيم﴾، هذا كله يعتبر نداء، وهو نوع من أنواع كلام الرب جل وعلا.
(«قل يا موسى»)، («قل») ماذا؟ («لا إله إلا الله»). («علمني شيئا أذكرك وأدعوك به»). («قال: قل يا موسى لا إله إلا الله») أجاب دعاءه وهو أنه علمه شيئا وهذا الشيء متضمن لأمرين: الذكر، والدعاء. أي فإذا قلت هذه الجملة («لا إله إلا الله») فقد دعوتني وأثنيت علي، فإن الدعاء نوعان - كما هو معلوم -:

- دعاء عبادة.
- ودعاء مسألة.

ودعاء العبادة نحو لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، هذه كلها تعتبر دعاء عبادة، يعني يتعبد الله عز وجل بهذا اللفظ، وهو مستلزم لدعاء المسألة لأنه إنما يقول: سبحان الله طالبا من الله عز وجل رضوانه والوصول إلى جنته، ويقول كذلك: الحمد لله، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، هذا ذكر، وهو متضمن لدعاء المسألة، لأنه ما من عبادة سواء كانت بالمقال أو بالحال إلا وهو يدعو يعني يسأل ربه بلسان حاله بأن يرضى عنه، وبأن يدخله الجنة، حينئذ [كل ذكر يكون متضمنا لدعاء] (١) كل دعاء عبادة وهو مستلزم لدعاء المسألة لأنه بفعل العبادة يسأل ربه، إذا قام يصلي قد لا يدعو بلسانه يأتي بالوارد المشروع فحسب لكنه بكونه يصلي يقوم ويقعد ويسجد ويركع إلى آخره نقول: قد سأل ربه رضوانه. كيف سأل ربه رضوانه؟ نقول: بكونه قد صلى، لأنه إنما عبد ربه من أجل تحقيق هذه الغاية.
إذا دعاء العبادة نحو: لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله. وهو مستلزم لدعاء المسألة.
ودعاء المسألة نحو قولك: رب اغفر لي. تسأل سؤال تدعو الله عز وجل: يا غفور اغفر لي، يا عليم، يا حكيم .. إلى آخره فتذكر حاجتك، وهو متضمن لدعاء العبادة، وذلك أنه مأمور بهذا فإذا فعله فهو فاعل عبادة.
إذا عندنا الدعاء نوعان: دعاء عبادة، ودعاء مسألة.

---

(١) سبق.." (١)

"(«قال الله تعالى») هذا ما يسمى بالحديث القدسي عند أهل الحديث، الحديث القدسي وهو ما رفعه النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى ربه، إذا قال: («قال الله تعالى») حينئذ نقول هذا حديث قدسي، وثم خلاف طويل عريض عند أهل الحديث هل المذكور في النص هو من قول الله عز وجل لفظا ومعنى، أو معنى والنبي - صلى الله عليه وسلم - عبر عنه بلفظه؟ قولان لأهل العلم، وظاهر الإسناد («قال الله تعالى») أنه بلفظه ومعناه، هذا هو الظاهر، وكونه قد يحصل فيه من جهة الزيادة والنقص، نقول: هذا مفارق للقرآن، قول الله عز وجل منه ما تكفل بحفظه وهو القرآن، وأما الأحاديث القدسية فلو سلم أو على القول الظاهر - والله أعلم - أنه بلفظها ومعناها نقول: لم يتكفل الله عز وجل بحفظها، فلا إشكال بأن يقال ثم تخالف بين الروايات، هذا يزيد وهذا ينقص، والروايات مختلفة، والكلمات متقاربة نقول: هذا لا إشكال فيه، لا يعترض عليه. لأن ظاهر الإسناد النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: («قال الله تعالى»). ونحن نقول: هذا معنى

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٥/١١

لا لفظا هذا يحتاج إلى دليل واضح بين، والظاهر – والله أعلم – أنه **باللفظ والمعنى**.

ويجاب عن ما أشكل على بعض أهل العلم لو كان من قول الله عز وجل لكان محفوظا؟ نقول: لا، ليس الأمر كذلك، ما تكفل الله بحفظه هو القرآن، وما روي من جهة النبي – صلى الله عليه وسلم – بأنه قول الله عز وجل نقول: لم يرد أن الله تكفل بهذا القول، مع كونه قولا له، ولذلك ثم فوارق بين الحديث القدسي والقرآن موجودة في محالها. وذكر الشيخ بن عثيمين كلاما طويلا في هذه المسألة إلا أنه رجح القول الثاني وهو أنه معنى لا لفظا، وظاهر النص والله أعلم العكس، وهو أنه قول الله عز وجل لفظا ومعنى. والدليل على ذلك قول النبي صلى الله عليه

وسلم («قال الله تعالى») والقول: لفظ مسماه **اللفظ والمعنى**. فحينئذ تخصيصه بالمعنى دون اللفظ يحتاج إلى دليل واضح بين، وليس عندنا دليل واضح بين، والله أعلم.

قوله: («قال الله تعالى: يا بن آدم») هذا نداء، وهو أخص من مطلق القول. و («ابن آدم») هذا عام («لو أتيتني بقراب الأرض»)، («لو») هنا للتعليق في المستقبل فهي بمعنى (إن) الشرطية، للتعليق في المستقبل، («لو») الأصل في الغالب في الكثير في لسان العرب أنها امتناعية، لو جاء زيد لأكرمته. امتنع هذا لامتناع ذاك. لكن قد تخرج عن ذلك وتكون بمعنى أو بمنزلة (إن) الشرطية التي فيه ترتب الجواب على شرطه، وهنا في هذا الموضع كذلك ليس عندنا امتناع («لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني») بهذا الشرط («لأتيتك بقرابها مغفرة») ليس هو كالشأن فيما إذا منع لو جاء زيد لأكرمته، لكنه لم يأت فلم يقع الإكرام. نقول: لا، هذا الأمر يختلف هنا، فـ («لو») هنا للتعليق في المستقبل فهي بمعنى (إن) فتدل على ماذا؟ تدل على تعليق حصول جوابها على حصول شرطها، بمعنى أنها تدل على أنه متى حصل الشرط حصل الجواب، إن جاء بقراب الأرض خطايا بهذا الشرط لا تشرك بي شيئا لأتيتك، إذا يحصل الجواب لحصول الشرط، كما أن (إن) الشرطية كذلك، والفرق بينهما أن (لو) لا تجزم بخلاف (إن) الشرطية فهي جازمة، وفي هذه الحال لا يقع بعد (لو) إلا الفعل المستقبل في **اللفظ والمعنى** جميعا، أو الفعل المستقبل في المعنى دون اللفظ. كقوله تعالى ﴿وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم﴾ [النساء: ٩]، بأن يكون ماضيا مؤولا بالمضارع، ومنه حديثنا في هذا الباب (لو أتيت) هذا الماضي بمعنى المستقبل، (لو تأتينا) لأن الكلام متى يكون؟ في المستقبل، متى؟ يوم القيامة. إذا («لو أتيتني») ليس في الماضي وإنما يكون في المستقبل، وإن كان الأكثر استعمالا في لسان العرب هو أن تكون (لو) امتناعية، وأما استعمالها بمعنى إن الشرطية فهو إن كان قليلا بالنسبة للأول لكنه فصيح مقبول، وهو مراد بن مالك رحمه الله تعالى بقوله:

لو حرف شرط في مضي ويقل ... إيلاؤه مستقبلا لكن قبل

يعني يقل مجيء (لو) الشرطية مرادفة لـ (إن) الشرطية في الدلالة على تعليق حصول الجواب بحصول الشرط، حينئذ يشترط في الفعل الذي يليها كما ذكرناه سابقا، الفعل:

- إما أن يكون مضارعا لفظا ومعنى.

- أو ماضيا لفظا مضارعا.." (١)

"إذا لا إشكال في النص، فتبين أن أصل الإسلام هو التوحيد ونفي الشرك في العبادة، وهو دعوة جميع المرسلين وهو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة فيما أمرهم به على ألسن رسله كما قال تعالى عن أول رسول أرسله: ﴿أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون﴾ [نوح: ٣]. طاعة الله عز وجل، وطاعة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ملازمة للتوحيد، فليس التوحيد عملا قلبيا فحسب، بل لا بد من عمل ظاهر، فإن جيء بالعمل الظاهر صح توحيده وإلا فلا، فلفظ التوحيد ولفظ الإسلام ولفظ الإيمان إذا أفرد كل واحد منها شمل الدين كله ظاهره وباطنه، ثم الظاهر والباطن منه ما يخرج المرء بتركه، ومنه ما لا يخرج المرء بتركه، يعني يخرج من الملة. ولذلك أول رسول أمر بعبادة الله تعالى ﴿أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون﴾، إذا لا بد من الطاعة، فأول ما يدعى الناس إلى توحيد الله وطاعة الله عز وجل، فطاعة الله تعالى داخلة في مفهوم التوحيد، وتبين أيضا أن الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله المراد بها الدعوة إلى الإخلاص بها، وترك الشرك وإلا فاليهود يقولونها، اليهود يقولون: لا إله إلا الله. ولذلك هنا المعركة مع من؟ مع أهل خيبر وهم يهود ومع ذلك قال: («ادعهم إلى الإسلام»). وأول ما يدخل في الإسلام هو قول: لا إله إلا الله. إذا يدعون إلى قول: لا إله إلا الله. لماذا؟ لأن لا إله إلا الله لم تنفعهم، لا بد من الإخلاص، ولم يفرق النبي - صلى الله عليه وسلم - في الدعوة إليها بينهم بين اليهود الذين يقولون: لا إله إلا الله. وبين من لا يقولها من مشركي العرب كما مر معنا في حديث معاذ مع أنه قال: («إنك تأتي قوما أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله»). إذا كونهم أهل كتاب لا يلزم منه أن لا يطالبوا بالشهادتين، ولم يفرق ... النبي - صلى الله عليه وسلم - في الدعوة إليها بينهم وبين من لا يقولها من مشركي العرب، فعلم من هذه الكلمة هو اللفظ بها واعتقاد معناها والعمل به، لا بد من هذا ليس اللفظ مجردا، وإنما اللفظ مع اعتقاد المعنى الصحيح، ثم العمل بذلك المقتضى، لا بد من هذه الأركان الثلاثة:

- اللفظ وحده لا يكفي.

- **واللفظ والمعنى** دون العمل لا يكفي.

- والعمل دون اللفظ أو المعنى لا يكفي.

لا بد من اجتماعها معا.

فإذا انتفى واحد منها حينئذ لا يقبل منه ولا يحكم بإسلامه إلا ما ذكرناه من الإسلام الحكمي إذا قال: لا إله إلا الله. كف عنه حتى يأتي ويصدق تلك الكلمة. وذلك معنى قوله: («ادعهم إلى الإسلام»). الذي هو الاستسلام لله تعالى والانقياد له بفعل التوحيد وترك الشرك.

وفيه مشروعية الدعوة قبل القتال، لأنه قال: («حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام»). حينئذ فيه مشروعية الدعوة إلى الإسلام قبل القتال، قد يكون هذه المشروعية واجبة إذا لم تبلغهم الدعوة، وقد تكون مندوبة، وهنا بلغهم لا

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٢/١١

إله إلا الله، حينئذ تكون مندوبة لا واجبة، لكن إن كانوا قد بلغتهم الدعوة جاز قتالهم ابتداء وصارت دعوتهم مستحبة إن بلغهم، لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – أغار على بني مصطلق وهم غارون وتستحب دعوتهم لهذا الحديث وما في معناه، وإن كانوا لم تبلغهم الدعوة وجبت دعوتهم.

إذا الدعوة دعوتان:

– واجبة وهي دعوة التبليغ. دعوة تبليغ، يعني ما بلغوا من الإسلام – ليست التبليغ هذه –، إنما دعوة التبليغ يعني من لم يصله الإسلام حينئذ يبلغ.

– ومندوبة وهي تبليغهم قبل القتال كما في مقتل علي رضي الله تعالى عنه قبل القتال هنا في خيبر [نعم في خيبر].." (١)

"وقال في ((التيسير)): بين رحمه الله تعالى في هذا الباب أنه ليس اسما لا معنى له. يعني التوحيد ليس هو لفظ نقول: لا إله إلا الله. وانتهى الأمر لا، وإنما له معنى، وهذا المعنى كما ذكرنا معنى شرعي، إذا لا بد من **اللفظ والمعنى** معا، ولا يكتفى باللفظ دون المعنى فلا يأتي بـ لا إله إلا الله لفظا ثم يفسرها لا خالق ولا قادر إلا الله، فحينئذ جاء بها من جهة اللفظ ولم يأت بها من جهة المعنى، هذا موافق أم مخالف؟ مخالف قطعا، لماذا؟ لأن الموافقة للشرع تكون من الجهتين: من جهة النطق اللفظ، ومن جهة المعنى. فقول صاحب ((التيسير)) هنا بين في هذا الباب أنه، يعني التوحيد، ليس اسما لا معنى له، بل له معنى شرعي وهو إفراد الله تعالى بالعبادة فمن خالف في هذا المعنى ولو ادعى أنه موحد فليس من الموحدين حقيقة، لماذا؟ لأن العبرة هنا بالحقائق والمعاني وليست بالألفاظ والدعاوى، الدعاوى هذه غير مقبولة فالألفاظ لا تكفي لا بد أتى يأتي باللفظ بـ لا إله إلا الله على المعنى الذي أراده الله، وأما أن يأتي باللفظ ثم يفسر المعنى من جهة عقله ورأيه وهواه وحزبه ونحو ذلك نقول: هذا لم يوافق الشرع البتة.

إذا أنه ليس اسما لا معنى له، انتبه لهذه فائدة نفيسة، أو قولا لا حقيقة له كما يظنه الجاهلون الذين يظنون أن غاية التوحيد فيه هو النطق بكلمة الشهادة كما هو مذهب الكرامية وغيرهم هو النطق بلفظة الشهادة وهذا موجود من ينصر هذا القول من غير اعتقاد قلبي بشيء من المعاني، والحاذق منهم يظن أن معنى الإله هو الخالق المتفرد بالملك، فتكون غاية معرفته هو الإقرار بتوحيد الربوبية، وهذا ليس هو المراد بالتوحيد.

إذا التوحيد نخلص من كلام صاحب ((التيسير)) أن التوحيد ليس اسما لا معنى له، وليس بقول لا حقيقة له، بل هو ينتظم شيئين اثنين كما قلنا اللفظ من جهة الشرع فكذلك المعنى يكون من جهة الشرع فمن اختلق معنى من عنده فمرده عليه، فيرد عليه، ومن حرف في المعنى وزاد أو نقص حينئذ يكون قول أو ذلك المعنى مردودا عليه، فلا بد من أن يطابق المعنى اللفظ وأن يطابق اللفظ المعنى، وهذا هو حقيقة المطابقة أو دلالة المطابقة، ورد المصنف في هذا الباب على طوائف.

الأولى: من ادعى أنه يكفي التلفظ بالكلمة فقط، كل من قال: لا إله إلا الله. فهو مسلم وإن لم يعلم معناها، وإن لم يخلص، وإن لم يستيقن، وإن لم يكن صادقا فمتى ما قال: لا إله إلا الله. فحينئذ يحكم عليه بالإسلام وهؤلاء المرجئة الكرامية في الأصل، فمن قالها فهو موحد وهؤلاء غلاة المرجئة ووجودهم في غلاة الصوفية والقبورية، كل من قال: لا إله إلا الله. وإن

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٢/٢٤

أشرك بالله واستغاث بغير الله فهو موحد لأن العبرة بـ لا إله إلا الله، «من قال: لا إله إلا الله. دخل الجنة». نقول: هذه لها قيود ثقيلة لا بد من أن يجمع بين النصوص فحينئذ ينظر هذا المعنى فلا يكون على إطلاقه البتة، هذه الطائفة الأولى من ادعى أنه يكفي التلفظ بالكلمة فقط.

الثانية: من ادعى أنه يكفي التلفظ بالكلمة مع اعتقاد معناها دون العمل فهؤلاء مرجئة كذلك لكنهم ليسوا بغلاة.

الثالثة: من عاند، المعاندون وهو يعلم معنى التوحيد وأنه اعتقاد وقول وعمل، وهذا هو معنى الإيمان الشرعي، وهو الذي ختم به المصنف كما مر معنا كتاب ((كشف الشبهات)) لكنهم لا يعملون بالتوحيد، يعني يعلم معنى التوحيد وأنه مركب من ثلاثة أجزاء: معنى، وقول، وعمل. لكنه لا يعمل بالتوحيد، ما حكمه؟ نقول: هذا ليس بمسلم، من اعتقد أن العمل داخل في مفهوم التوحيد أو مفهوم الإيمان ولم يعمل شيئا قط فليس بموحد فليس بمسلم، لماذا؟ لفوات ركن من أركان التوحيد وهو العمل، سواء عبرنا هنا بالتوحيد أو عبرنا بالإيمان فهما لفظان إذا انفرد كل واحد منهما دخل فيه الآخر.

إذا الطائفة الثالثة من عاند وهو يعلم معنى التوحيد وأنه اعتقاد وقول وعمل لكنهم لا يعملون بالتوحيد ووقعوا في الشرك ويتعذرون بمعاذير في ترك العمل وهي معاذير واهية، على كل لا يقبل ترك العمل البتة معها اعتذر صاحبه، فتضمن هذا الباب بيان التوحيد والرد على المخالفين.." (١)

"وعلى هذا تقرير ما سبق هذه المعاني السابقة تحمل أو يحمل لفظ شهد أن لا إله إلا الله في كل موضع مر بك في الكتاب والسنة، الشهادة الماضية بالمعاني السابقة هي المدلول الشرعي لهذا اللفظ، فإذا جاء أشهد أن لا إله إلا الله، أو من شهد أن لا إله إلا الله، أو ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو﴾ حينئذ لا بد من استيفاء المعاني السابقة كلها وأن الخلاف الوارد بين السلف إنما هو خلاف تنوع لا اختلاف تضاد، ويدل على ذلك ما قاله صاحب ((التيسير)) في شرح حديث عبادة بن الصامت السابق في (باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب) قال - صلى الله عليه وسلم -: («من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له») .. الحديث، قال رحمه الله تعالى: قوله: («من شهد أن لا إله إلا الله»). أي من تكلم بهذه الكلمة. من أين أخذ؟ من تكلم بهذه الكلمة، من لفظ أشهد، إذا لفظ الشهادة يدل على النطق، أي من تكلم بهذه الكلمة عارفا لمعناها العلم مأخوذ من لفظ أشهد عاملا بمقتضاها، لأن الشهادة تستلزم العمل، بل يطلق لفظ الشهادة على الفعل ظاهرا وباطنا لا بد من الصدق ولا بد من اليقين، كما دل عليه قوله: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾ [محمد: ١٩]. وقوله: ﴿إلا من شهد بالحق وهم يعلمون﴾. وأما النطق بها من غير معرفة لمعناها ولا عمل بمقتضاها فإن ذلك غير نافع بالإجماع، يعني إذا نطق بها ولم يعرف معناها ولم يعمل بمقتضاها فغير نافع بالإجماع، لماذا؟ لأنه لم يقل: لا إله إلا الله. وقوله: مجرد لفظ فحسب، والمراد من الشريعة أو الشرع في إطلاق لفظ من قال: لا إله إلا الله. المراد به **اللفظ والمعنى**، وليس المراد به اللفظ فحسب، فلا تحمل النصوص الواردة في قول: لا إله إلا الله. على مجرد ألفاظ وحروف، وإنما المراد بها ألفاظ ومعان، حينئذ لا بد أن تحمل على هذه المعاني، ولذلك قال: أما النطق بها من غير معرفة لمعناها، انتفى العلم، إذا انتفى العلم انتفت الشهادة، ولا عمل بمقتضاها، الثمرة الإلزام إذا انتفى حينئذ انتفت الشهادة، فإن ذلك غير نافع بالإجماع.

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٢٥/٤

قال رحمه الله: وفي الحديث ما يدل على هذا. يعني المعنى السابق، من أين أخذنا؟ قال: وفي الحديث ما يدل على هذا وهو قوله: («من شهد»). انظر التطبيق للمعنى اللغوي السابق، وهو أن شهد تدل على هذه المعاني كلها، لأن البعض بعض الطلاب أو من نظر في مسائل التوحيد وشروط لا إله إلا الله ينتظم نصوص خاصة تدل على كل شرط من شروط لا إله إلا الله، ونحن نقول بهذا التقرير السابق أن الشروط المذكورة يدل عليها من جهتين:

الجهة الأولى: لفظ الشهادة.

الجهة الثانية: النص الخاص.

حينئذ يكون النص الخاص ليس مؤسسا لحكم شرعي، وإنما هو مؤكد لما دلت عليه ألفاظ الشهادة، واضح هذا؟ ولذلك قال: وفي الحديث ما يدل على هذا وهو قوله: («من شهد»). إذ كيف يشهد وهو لا يعلم؟ كيف يشهد وهو لا يعلم؟ لا يمكن، يعني تصور إنسان يشهد على زيد من الناس بأنه سرق مثلا، وهو لا يعلم سرق أم لا، هل هذه شهادة أم لغو ولعب ولهو؟ نعم الثاني، ومجرد النطق بالشيء لا يسمى شهادة به لو نطق به لا يسمى شهادة إلا إذا تضمن ما سبق، انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

وفي ((الحاشية)) في نفس الحديث السابق («من شهد») أي من تكلم بها عارفا لمعناها عاملا بمقتضاها باطنا وظاهرا، فإن الشهادة تقتضي العلم بالمشهود به، فلو كان عن جهل لم تكن شهادة، وتقتضي الصدق كذلك لأنه يشهد بشيء شاهده عن بصيرة، عن بصر أو عن بصيرة حينئذ كيف يكون مخالفا للواقع؟ فلو كان كذبا لما صح، وتقتضي الصدق وتقتضي العمل بذلك، وبهذا يتبين أنه لا بد من العلم بها والعمل والصدق، وهذه الثلاثة الشروط مأخوذة من لفظ («شهد»)، وزد عليه النطق فهذه أربعة شروط مأخوذة من لفظ («شهد»).." (١)

"إذا لماذا قدرنا لفظ [من] هنا (لا إله)، (لا [من] إله)؟ لأن هذا التركيب (لا إله) قصد به الاستغراق، والاستغراق معناه التنصيص على العموم، وهذا يستلزم وجود [من] الاستغراقية أو الجنسية لفظا أو معنى، وهنا لم يلفظ، قد يقال: بأنه أشير إليه في نحو قوله: ﴿وما من إله إلا الله﴾ [آل عمران: ٦٢]. قد يقال، والزمخشري جعل هذه بوزان تلك، يعني جعلهما في مرتبة واحدة وهذا غلط منه، لا إله إلا الله قال: هي في **المعنى واللفظ** (ما من إله إلا الله). نحن نقول: هذه الثانية تفسر (لا إله إلا الله)، ولا إله إلا الله آكد وإن كانت (ما من إله) تدل على ذلك إلا أن اللفظ لما اختير وجعل هو كلمة التوحيد دل على أنه أبلغ في نفي الإلهية عما سوى الله تعالى، لأن قصد الاستغراق على سبيل التنصيص يستلزم وجود [من] لفظا أو معنى، انتبه لهذه الفائدة فإنها نفيسة، وكذلك يلاحظ تفسير: (لا إله إلا الله) بالآيات الواردة في [قول] نحو قوله تعالى: ﴿وما من إله إلا الله﴾. هذا فيه شيء من الإشارة إلى تقدير [من].

قال الصبان معلقا على كلام الأشموني: وذلك لأن الموضوع لنفي الجنس نصا على سبيل الاستغراق لفظة (لا) متضمنة معنى [من]، بمعنى أن العرب أرادت من (لا) العاملة عمل (إن) أن يجعلوها نصا في العموم، فلزم من ذلك أن تكون متضمنة لمعنى [من] مطلقا في أي تركيب، حيث ما أعملت (لا) عمل (إن) فهي متضمنة لمعنى [من] لأن الاستغراق والتنصيص

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٤/٢٥

على العموم (لا) يكون إلا بمن لفظا أو تقديرا ولم ينطق بها هنا، وجعلوا لفظ (لا) لتنصيص، إذا لا بد من التقدير واضح هذا؟ انتبهوا، وذلك لأن الموضوع يقول الصبان في ((الحاشية)): لأن الموضوع لنفي الجنس نصا على سبيل الاستغراق لفظة (لا). يعني من بين أحرف النفي، وهذا الذي جعلنا نقول: كلام الزمخشري فيه نظر ﴿ما من إله إلا الله﴾، لأن (ما) ليست موضوعة للاستغراق أو التنصيص على أو العموم على سبيل التنصيص، وإنما هي نافية كغيرها فتدل على ذاك وذاك، وما وضع أصالة للتنصيص فهو مقدم على المحتمل، حينئذ لا نجعل (لا إله إلا الله) مساوية لقوله: ﴿وما من إله إلا الله﴾. وإن كانت النتيجة واحدة لنفي الجنس نصا على سبيل الاستغراق لفظة (لا)، متضمنة معنى [من].

وقال الرضي في شرح ((الكافية)) الجزء الأول صفحة ستة وخمسين ومائتين الطبعة القديمة مجلدين: والحق أن نقول: إنه مبني، الكلام في اسم (لا) المفرد غير المركب، إنه مبني لماذا؟ لتضمنه لـ[من] الاستغراقية، هذه علة البناء (لا إله)، (إله) هذه الفتحة فتحت بناء أو فتح بناء، (إله) فتح بناء، المبني إما أن يكون مبنيا أصالة أو فرعا:

- المبني أصالة: هو الأبواب الستة المذكورة في أول الألفية. المعرب المبني، هذا أصالة.
- وفرعا: كالمنادى واسم (لا).

الأول: قيل لا يعلل، وذكرت علة من باب الفائدة فقط.

والثاني: هو الذي تطلب له العلة، فقيل: علته علة الأصلي. وقيل: لا نقتبس له علة مستقلة. فاختلفوا في (لا إله) ونحوه، (إله) مبني على أي شيء؟ وقيل: لتركبه تركيب خمسة عشر، وهو قول سيبويه والجمهور وهو ضعيف، وقيل: لتضمنه معنى [من] الاستغراقية، حينئذ رددناه إلى الأبواب السابقة، لأنه تضمن معنى حرف، وإذا تضمن معنى حرف حينئذ صار مبنيا، وفيه بعض الإشكالات ترجعون إلى كتب النحاة، نحن هنا نأخذ ما نحتاجه فقط، والحق أن نقول: إنه مبني لتضمنه لـ[من] الاستغراقية.." (١)

"وقوله: ﴿إلى يوم﴾ غاية لعدم الاستجابة والآية تعم كل من يدعى من الله تعالى وقوله: ﴿وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين﴾ [الأحقاف: ٦] قال الطبري يقول تعالى ذكره: وإذا جمع الناس ليوم القيامة في موقف الحساب كانت هذه الآلهة التي يدعونها في الدنيا لهم أعداء يعني في الآخرة لأنه يتبرؤون منهم ﴿وكانوا بعبادتهم كافرين﴾. يقول تعالى ذكره وكانت آلهتهم التي يعبدونها في الدنيا لعبادتهم جاحدين لأنهم يقولون يوم القيامة ما أمرنا بعبادتنا هكذا ولا شعرنا بعبادتهم إيانا، تبرأنا إليك منهم يا ربنا. وقال الشوكاني رحمه الله تعالى: أي: إذا حشر الناس العابدين للأصنام كانت الأصنام لهم أعداء يتبرأ بعضهم من بعض ويلعن بعضهم بعضا كما جاء النص بذلك، وقد قيل: إن الله يخلق الحياة في الأصنام فتكذبهم بناء على ماذا؟ على أن الأصنام جماد، والجماد لا يتكلم أليس كذلك؟ وإذا كان كذلك فحينئذ لا بد من التأويل فيخلط الله تعالى لهم أرواحا فتتكلم وهذا ليس كذلك، بل الصواب أن ما علق على الجماد فهو على ظاهره فإذا قال الله تعالى تكلمت السماء تكلمت حقيقة، كيف تكلمت؟ الله أعلم هل يلزم أن يكون بلسان وحنجرة ومخارج حروف؟ لا يلزم، وإنما أخبر الباري بذلك ولم يخبرنا كيف تكلمت ﴿قالتا أتينا طائعين﴾ [فصلت: ١١] ﴿قالتا﴾ قوله هو

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٩/٢٦

اللفظ والمعنى تقول النار: «قط قط». تقول النار؟ نعم تقول النار ولا شك في ذلك، حينئذ كل ما أسند إلى ما يظن الظان بأنه جماد لا روح فيه وجاء النص بأنه يقول ويتكلم ونقل الملفوظ أو المقول حينئذ وجب التسليم ولا ندعي أنه مجاز لماذا؟ لأن دعوى المجاز حينئذ فيه عشر العقل فيما لا يدركه العقل، أنت لك الظاهر الآن في هذا الجدار لكن ما تدري باطنه، وما يتعلق به من قدرة الله جل وعلا وصنعه ونحو ذلك. إذا قوله هنا: قيل: المراد إن الله يخلق الحياة في الأصنام فتكذبهم. وقيل: المراد أنها تكذبهم وتعاديهم بلسان الحال لا بلسان المقال. وهذا فيه نظر، وأما الملائكة والمسيح وعزير والشياطين فإنهم يتبرؤون من من عبدهم يوم القيامة كما في قوله: ﴿تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون﴾ [القصص: ٦٣]. ﴿وكانوا بعبادتهم كافرين﴾ [الأحقاف: ٦] أي كان المعبودون بعبادة المشركين إياهم كافرين، أي جاحدين مكذبين. قيل: والضمير في ﴿كانوا﴾ للعابدين كما في قوله: ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾ [الأنعام: ٢٣]. والأول أولى. انتهى كلامه.
مناسبة الآيتين للباب أن فيهما الحكم على من دعا غير الله تعالى بأنه أضل الضالين ﴿ومن أضل﴾ [الأحقاف: ٥] يعني: لا أحد أضل ففيه حكم أو لا؟ فيه حكم، والمراد بالضلال هنا نوع معين وهو الوقوع في الشرك الأكبر لأنه أضل الضالين وأن الدعاء عبادة فمن صرفه لغير الله فهو مشرك، فإذا كان من سوى الله لا يستجيب إلى يوم القيامة فيكف يليق بك أن تستغيث به دون الله فبطل تعلق هؤلاء العابدين بمعبوداتهم، ويستفاد كذلك من الآيتين أولا: أن الدعاء عبادة فمن دعا غير الله فقد أشرك الشرك الأكبر.." (١)

"هذا موجود شرعا، العكس هل يوجد؟ عقلا نعم لكن في الشرع لا، لأنه بقي في العقل قسمة رباعية فأثبتوها هم، حينئذ يمكن أن يكون ماذا؟ أن يكون مؤمنا بالباطن كافرا بالظاهر، هذا لا وجود له في الشرع البتة وإن لم يستحل له عقلا لكن قد يستثنى في بعض الصور التي يشترط فيها إقامة الحجة لتنزيل الحكم الشرعي، لأنه إذا أنكر معلوما من الدين بالضرورة ليست المسائل في الشرك، الشرك هذا له بحثه الخاص، إذا وقع في الشرك الأكبر نزل الحكم عليه ولا يعذر بجهل البتة، حينئذ نحكم عليه ظاهرا وباطنا بأنه مشرك، هذا حاله في الدنيا ونحن مأمورون بهذا، جنة أو نار ليست بأيدينا، لا نحكم عليه بجنة أو بنار، وإنما نحكم عليه بماذا؟ بما فعل، وهو الذي قد فعل الشرك، وهو الذي سجد للصنم، وهو الذي سب الله تعالى، وهو الذي سب النبي - صلى الله عليه وسلم -، هو الذي ذبح لغير الله، إذا هذا فعله حينئذ نقول: هذا الفعل ماذا يوجه بالشرع؟ نقول: هذا فرد من أفراد الشرك الأكبر، فإذا وقع فيه حينئذ النائم لا يمكن أن يوصف بالاستيقاظ كما ذكرنا، لأن المسألة ماذا؟ لغوية شرعية، فتنزيل الأسماء الأصل فيه اتحد فيه الشرع واللغة لم يختلفا، لم يأت الشرع بشيء خارج عن مقتضى اللغة فمن كان جالسا لا أصفه بماذا؟ بالقيام، والقائم لا أصفه بماذا؟ بالجلوس، كذلك من وقع في الشرك لا يمكن أن أصفه بماذا؟ بالتوحيد لأنه انتفى عنده، فحينئذ لا يمكن أن يقال بأنه في الباطن مؤمن وفي الظاهر ماذا؟ مشرك، وإلا أثبتنا عكس المنافق، وهذا لا وجود له البتة في الشرع. لكن قلت هذا في الشرك متلازمان، أما فيما جاءت النصوص دالة على أنه قد يعذر بعض الأنواع كحديث عهد بإسلام. يعني بحديث عهد بكفر، أو من كان في بادية فأنكر معلوما من الدين بالضرورة دون الشرك والتوحيد، حينئذ لا بد من إقامة الحجة، فقد وقع في الكفر لكن لا ينزل عليه ماذا؟ الحكم

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٣٢/٤٥

وما يترتب عليه، وهو ماذا؟ .. تكفير إلى آخره.

س: هل كفر الظاهر يستلزم كفر الباطن؟

ج: قلنا هذا التقسيم ليس له أصل في .. ، إنما عند الجهمية، الجهمية يشترطون ماذا؟ يشترطون الاعتقاد. مسألة العذر بالجهل فعوام أهل البدع الذين يعملون أشياء فيها شرك أكبر، أهل البدع يفعلون الشرك ما يأتي هذا، كيف أهل البدع يعني مسلمون، والبدعة ليست مخرجة لهم من الإسلام ويفعلون الشرك الأكبر؟ ما يتصور هذا لا في الشرع ولا في العقل، لأنه كما ذكرنا أن التوحيد والشرك [ضدان أو] نقيضان إن وجد أحدهما انتفى الآخر، كيف يعلم لا معبود إلا الله ثم يصرف العبادة لغير الله هذه ما تترجم بالعقل، لو نظرنا إلى مسألة عقلية ترجمها، نقول: يعتقد في قلبه لا معبود إلا الله، يعني: كل ما سوى الله لا يستحق العبادة، وهو يذبح لغير الله كيف هذا كيف تأتي؟ ما يمكن أن يجتمعا البتة، فإذا ذبح لغير الله معناه لم يعتقد وإن ادعى أنه اعتقد، فليست العبرة هنا بالأقوال أنه يدعي أن يحب الله وأنه موحد، وأنه يقول: لا إله إلا الله. العبرة **باللفظ والمعنى** معا، والحقائق هنا مقدمة لا بد من اعتبارها، حينئذ لا بد من ربط الأمور ببعضها، وأما الوقوف مع الألفاظ فحسب هذا ليس بصواب.." (١)

"قال في ((الفتح)): يبين تعالى أن المشركين من العرب ونحوهم قد علموا أنه لا يجيب المضطر ويكشف السوء إلا الله وحده، فذكر ذلك سبحانه محتجا عليهم في اتخاذهم الشفعاء من دونه، ولهذا قال: ﴿أإله مع الله﴾. يعني يفعل ذلك، فإذا كانت آلهتهم لا تجيبهم في حال الاضطرار فلا يصلح أن يجعلوها شركاء لله الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء وحده، وهذا أصح ما فسرت به الآية، فالله تعالى احتج على المشركين بما أقروا به على ما جحدوه من قصر العبادة جميعها عليه. بمعنى أن المشركين كما هو معلوم وسبق تقريره في أوائل الأبواب أنهم أقروا بماذا؟ بتوحيد الربوبية، يعني: بجملته لئلا يعترض معترض أنهم قد يقعون في بعض أفراد الشرك الربوبية كاتخاذ التمائم مثلا، أليس كذلك؟ هذا نوع من أنواع شرك الربوبية قد يقع منهم، لكن نقول في الجملة، في الجملة أتوا بتوحيد الربوبية، أو بأصوله ك: الخلق، والرزق، والملك ونحو ذلك، هذا أو ذاك، حينئذ احتج عليهم الباري في غير ما موضع في الكتاب بأنهم يلزمهم الإقرار بأنه لا معبود إلا الله بإقرارهم بتوحيد الربوبية، لأنهم أقروا بأنه الخالق ولا يستحق العبادة إلا من تفرد بالخلق، وأقروا بأنه المالك ولا يستحق العبادة إلا من تفرد بالملك، وكذلك في سوى الأفعال التي تسمى بأفعال الربوبية، حينئذ يحتج عليهم على عدم إقراره بتوحيد الألوهية بإقرارهم بتوحيد الربوبية ومع ذلك إقرارهم بتوحيد الربوبية لم ينفعهم، يعني لم يحكم عليهم بكونهم مسلمين بل قاتلهم ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله﴾ [لقمان: ٢٥] إذا أقروا بأصل من أصول توحيد الربوبية، هل حكم عليه بالإسلام؟ الجواب: لا. إذا من يقول ربنا واحد، أرضنا واحدة، نجتمع على معبود واحد، فحينئذ نقول: هذه كلها لا تفيد بكون الشخص مسلما، بل لا بد من لا إله إلا الله بالمعنى وليس المراد لفظ لا إله إلا الله، ليس كل من تلفظ بلا إله إلا الله فهو مسلم، لا بد أن يأتي بلا إله إلا الله على المعنى الذي بعثت من أجله الرسل، وهو أنه لا معبود بحق إلا الله، وأن يعمل بمقتضاها وألا يرتكب ناقضا من نواقضها، فإن لم يعلم معناها أو علم ولم يعمل أو علم وعمل وجاء بناقض من

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٣٤/٤٥

نواقضه لا تنفعه لا إله إلا الله، تسلمون؟ إذا لا تنفعه إلا إذا جاء **باللفظ والمعنى** وليس كل معنى، وإنما المعنى الذي بينه الله تعالى، فقلنا: المعنى الذي دلت عليه لا إله إلا الله مقطوع به، بمعنى أنه ليس محلا للخلاف، فلا يأتي آت يقول: أنا أفهم من لا إله إلا الله كيت وكيت. نقول: لا، وإنما المرد فيه ماذا؟ الكتاب والسنة، والآيات في ذلك صريحة ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ [النحل: ٣٦] لا بد من الأمرين مركب من نفي وإثبات ﴿اعبدوا الله﴾ يعني توجهوا إلى الباري جل وعلا وتذللوا إليه بالطاعة والطاعة هي العبادة ﴿واجتنبوا الطاغوت﴾ وهو كل ما عبد من دون الله على المعنى الذي ذكرناه فيما سبق.." (١)

"قوله: (أنه سمع) (أنه) يعني أن ابن عمر (سمع) وهذا أعلى درجات التحمل، السماع هذا ليس ثم مباشرة بينهما (أنه سمع) يعني ابن عمر ... (سمع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: «اللهم»)، (يقول) قلنا إذا جاء يقول يحمل على ماذا؟ على **اللفظ والمعنى**، ولذلك هو صوت أو لا؟ بدليل أن ابن عمر سمعه وهو مأموم، فدل على أن النبي – صلى الله عليه وسلم – رفع جهر به يعني هذا الدعاء يجهر به («سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد»)، («سمع الله لمن حمده») لا شك أنه يجهر بها لأنه إمام، و («ربنا ولك الحمد») هذا ليس الأصل فيها الجهر، ولكن قد يجهر ببعض ألفاظ الصلوات، قد يجهر فيسمعه المأموم، قد يكون من باب التعليم، وقد يكون لحكمة أخرى. قال: (سمع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر). هذه تقييدات كلها يؤخذ منها أحكام، فهو تقييد لمكان الدعاء من الصلوات أي صلاة؟ الفجر هذا تقييد، وجاء في حديث ابن عباس أنه عام، فليس التقييد هنا للاحتراز بمعنى أن هذا الدعاء أو دعاء القنوت لا يكون إلا في صلاة الفجر، بل يكون في صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء، واختلف في يوم الجمعة لكن المراد هنا بيان أن هذه الصلاة التي سمع فيها ابن عمر هي صلاة الفجر، ولا يلزم من ذلك أن لا يقنت في غير صلاة الفجر، بل هو في جميع الصلوات على الصحيح، ومكانه من الركعات قال: (الأخيرة) مع أنه في صلاة الفجر وهذا يشمل ماذا؟ إذا قلنا بأن الفجر ليس خاصا من الصلوات في الركعة الأخيرة يحتمل الثانية الثالثة الرابعة أو لا؟ الثانية الثالثة الرابعة، الثانية في صلاة الفجر، وعلى القول بأن الجمعة كذلك يقنت فيها دخلت، الثالثة صلاة المغرب، الرابعة الظهر والعصر والعشاء، ولذلك قال: (في الركعة الأخيرة) ومكانه من الركعة ليس بالسجود ولا بين السجدتين إنما قال ماذا؟ (إذا رفع رأسه من الركوع) بين محل ذلك في الركعة يعني ليس في مطلق الركعة الأخير لأنه قال: (في الركعة الأخيرة). (في الركعة الأخيرة) مطلقة حينئذ نحتمل أنه بعد القراءة قبل الركوع بعد الركوع في السجود بين السجدتين بين ذلك، ومكانه من الركعة بما بعد الرفع من الركوع، ويجهر به ولا يسر لقوله: (سمع)، (يقول) .. إلى آخره، حينئذ نقول: هذا من ما يجهر به. قوله هنا: («اللهم العن فلانا وفلانا»). معلوم أن هذا القنوت إنما كان بعدما شج رأسه عليه الصلاة والسلام، ولذلك نزلت ماذا؟ (﴿ليس لك من الأمر شيء﴾) فثم مناسبة بين هذا الحديث والحديث السابق. إذا هذا القنوت بعدما شج رأسه، وكسرت رباعيته يوم أحد. قال: («اللهم العن فلانا وفلانا»).

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٢/٤٦

اللعن أصله الطرد والإبعاد من رحمة الله، ومن الخلق السب والشتم، ومر معنا في أول الكتاب، ومنهم يقول: من الخلق السب والدعاء.." (١)

"وإن اعتمد على الله تعالى ولكنه جعل شيئا من الاعتماد ولو على سبب معلوم ظاهر، حينئذ نقول: وقع في الشرك الأصغر، ومر معنا مرارا أن الاعتماد على الأسباب إن كانت صحيحة فهي شرك أصغر، إذا الاعتماد قد يكون كليا من كل وجه، فحينئذ يلزم منه قطع التوكل على الله تعالى فلم يعتمد إلا على هذا السبب فحينئذ يكون شركا أكبر، وإن كان الاعتماد موجودا في أصله لكنه انتفى كماله حينئذ يكون وقع في الشرك الأصغر.

الثاني: أنه تعلق بأمر لا حقيقة له، بل هو وهم وتخييل، وهو كذلك، وهذا وإن كان لا يلزم منه شركا أكبر لكنه يكون ماذا؟ شركا أصغر بناء على القاعدة في باب الأسباب كل من اتخذ سببا ليس بسبب لا شرعيا ولا قدريا كونيا حينئذ يكون ماذا؟ يكون وقع في الشرك الأصغر كما مر معنا في باب الرقى.

قال في ((التيسير)): واعلم أن من كان متعينا بها قائلا بها كانت إليه أسرع من السيل إلى منحدره وتفتحت له أبواب الوساوس فيما يسمعه ويراه ويعطاه. يعني من علق قلبه بهذه الأسباب سواء كانت أسبابا صحيحة أو لا، لأن التطير قد يكون بسبب صحيح لكنه لا يفيد من حيث هو سبب معلوم ليس بوهم، ولا تخييل، قد يكون سبب معلومة لكن لا ارتباط بينه وبين المسبب، حينئذ يكون ماذا؟ من علق قلبه بهذه الأسباب فمهما سمع شيئا إلا توهم ماذا؟ أنه سيقع له ما تشاءم منه، وما رأى شيئا إلا توهم أنه سيقع له ما تشاءم منه، فمن علق قلبه حينئذ جاءته الأمراض كما ذكرها هنا، أن من كان معتنيا بها قائلا بها كانت إليه أسرع من السيل إلى منحدره، وتفتح له أبواب الوساوس فيما يسمعه ويراه ويعطاه. كلما مر بشيء وهو قبيح تشاءم منه، وكلما مر بشيء يتفاءل به مضى إلى أمره. إذا ستكون حياته ماذا؟ مرتبطة بهذه، من حيث الفرح والسرور، ومن حيث الهم والغم، ويفتح له الشيطان فيها من المناسبات البعيدة والقريبة في **اللفظ والمعنى** ما يفسد عليه دينه وينكد عليه عيشه. انتهى كلامه.

ويتحصل من الأمرين: أن الواجب على العبد – يعني ما ذكره ابن عثيمين رحمه الله تعالى – أن المتطير قطع توكله، ثم أنه تعلق بأمر لا حقيقة له، يتحصل من ذلك أن الواجب على العبد التوكل على الله تعالى ومتابعة رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، وأن يمضي لشأنه لا يرده شيء من الطيرة عن حاجته، فيدخل في الشرك بنوعيه على التفصيل السابق.

وفي الصحيح عنه – صلى الله عليه وسلم – حين سئل عنه قال: «ذلك شيء يجده أحدكم فلا يصدنه». وقال: «إذا تطيرت فلا ترجع». نعم، لأنه يلزم من ذلك أن يكون الاقتران بين التوكل وبين العبادة، ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ ... [الفاتحة: ٥]، ﴿فاعبده وتوكل عليه﴾ [هود: ١٢٣].

فالطيرة محرمة، وهي منافية للتوحيد سواء أحجم المتطير واستجاب لها أو مضى متأثرا بها، يعني من تطير بشيء كسارح

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٧/٤٨

مثلا، حينئذ نقول: بطير مثلا، إذا تطير بطير:

- فإما أن يرجع يحجم عن مقصوده.." (١)

"قال ابن القيم رحمه الله تعالى: اقتصروا - يعني العرب في الاستعمال - اقتصروا على اسم الفاعل من أحب فقالوا: محب. صحيح؟ اقتصروا يعني العرب، على اسم الفاعل من أحب، أحب على وزن أفعل، إذا هو رباعي فقالوا: محب، مكرم محب أصلها محبب مفعل، أليس كذلك؟ أكرم يكرم فهو مكرم، أحب الأصل أحبب على وزن أفعل يحب يحبب فهو محب محبب، إذا جاء على الأصل ولم يقولوا: حاب، يعني على وزن فاعل لم يقولوا ذلك، واقتصروا على اسم المفعول من حب، ليس مراده رحمه الله تعالى لم يقولوا حاب أنه يأتي من أحب حاب، وإنما أراد به الوجه الآخر وهو في اسم المفعول لأن الأصل في اسم الفاعل واسم المفعول أن يتقابلا هذا الأصل فيه، فقالوا في اسم المفعول: محبوب من أحب، كان الأصل أن يقال ماذا؟ في أحب اسم الفاعل كذلك حاب لكنه لم يستعمل، وإنما حصل عندهم تغيير في اسم المفعول فحسب، وجاؤوا بالأصل في اسم الفاعل على أصله ولم يخالف الأصل، لم يقولوا من أحب حاب، لماذا؟ لأن حاب اسم فاعل لا يأتي من الرباعي، وإنما يأتي من ماذا؟ من الثلاثي بشرطه، قال: واقتصروا على اسم المفعول من حب. فقالوا: محبوب، ولم يقولوا: محب إلا قليلا، هذا فيه شيء من التداخل مع ما ذكره غيره من أئمة اللغة، الأصل في اسم المفعول من أحب محب، وهذا جاء على الأصل لكنه قليل، عوضوا عنه أو استعاضوا عنه كما قال صاحب ((المفردات))، ... و ((والقاموس)) وغيرهما: بكونهم استعملوا من أحب اسم المفعول محبوب. إذا هذا شذوذ أم لا؟ نقول: هذا شذوذ، والأصل فيه محب.

قال رحمه الله تعالى في فلسفة تتعلق بالفتحات والكسرات قال: وأعطوا - يعني العرب - الحب حركة الضم، أليس كذلك؟ أعطوه حركة الضم التي هي أشد الحركات وأقواها مطابقة لشدة حركة مسماه وقوته. يعني إرادة القلب إذا تعلقت بالشيء على وجه المحبة كانت قوية، فناسب أن يعطى ماذا؟ حركة الضم، فأعطوا الضم [لضم] للثقل الموجود في **المعنى واللفظ**، فاستدلوا على ثقل المعنى الذي في القلب بهذه الضمة، وعندي معنى آخر لا أقوله، وأعطوا الحب وهو المحبوب حركة الكسر لخفتها عن الضمة، وخفة المحبوب وخفة ذكره على قلوبهم وألسنتهم من إعطائه حكم نظائره كنهب بمعنى منهوب .. إلى آخر كلامه. إذا حب هذا اسم للمحبوب كسروه لماذا؟ لخفته لأنه أخف من الضم.

قال رحمه الله تعالى: فتأمل هذا اللطف والمطابقة والمناسبة العجيبة بين الألفاظ والمعاني تطلعك على قدر هذه اللغة، وأن لها شأنا ليس كسائر أو ليس لسائر اللغات. [ثم ما يتعلق] وهذا ما يتعلق باللفظ المحبة، ثم ذكر نحوا من ثلاثين قولا، بل ذكر ثلاثين قولا في تعريف المحبة، وهي كلها لا تفسر اللفظ من حيث معناه، وإنما كما قال رحمه الله تعالى: تدور على أسبابها وموجزاتها وعلاماتها وشواهدها وثمراتها وأحكامها، فحدودهم ورسومهم دارت على هذه الستة: الأسباب، والموجبات، والعلمات، والشواهد، والثمارات والأحكام.." (٢)

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٦٥/٥

(٢) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٧٠/٨

"قال المصنف رحمه الله تعالى: (عن أبي هريرة – رضي الله تعالى عنه – مرفوعا: «قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه﴾. رواه مسلم) حديث ثابت (عن أبي هريرة – رضي الله تعالى عنه – مرفوعا) يعني إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – («قال الله تعالى») هذا يسمى ماذا؟ يسمى حديثا قدسيا أسنده النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى الباري، يرويه النبي – صلى الله عليه وسلم – عن ربه، ويسمى بالحديث القدسي، وهذا اختلفوا فيه هل لفظه معناه من الله تعالى أم أن اللفظ من النبي – صلى الله عليه وسلم – والمعنى من الباري جل وعلا؟

الصواب أن **اللفظ والمعنى** من عند الله تعالى، وإنما وقع خلاف في بعض الألفاظ هذا يقدم وهذا يؤخر، بل جاء ما هو موضوع وضعيف ولو كان مشهورا. نقول: لأن الله تعالى لم يتكفل بحفظه، لو قيل بأن الله تعالى تكفل بحفظه وهو كلامه جل وعلا، لو تكفل بحفظه كالقرآن لكان واردا لكل لم يتكفل ﴿إنا نحن نزلنا الذكر﴾ [الحجر: ٩] خصه ﴿وإنا له﴾ الضمير يعود إلى الذكر ﴿لحافظون﴾.

أما الحديث القدسي هذا ما جاء نص يدل على ماذا؟ على أنه محفوظ من الزيادة والنقصان، أليس كذلك؟ ولا من التحريف والتبديل لم يرد هذا فيه، حينئذ نقول: **اللفظ والمعنى** من عند الله تعالى، لماذا؟ لماذا نقول هذا؟ لأنه قال: قال الله. ومعلوم أن (قال) تدل على أن **اللفظ والمعنى** من عند الباري جل وعلا. الله فاعل، فاعل لأي شيء للقول، هل عندنا قول معنى بلا لفظ؟ الجواب: لا. لو كان المعنى من عند النبي – صلى الله عليه وسلم – لما صح إسناده إلى الباري جل وعلا، أليس كذلك؟ لكن لما أسنده دل على أن لفظه ومعناه من عند الله تعالى، هذا هو الصحيح في المسألة. والصحيح أن لفظه ومعناه من الله تعالى إلا أن الله لم يتكفل بحفظه كالقرآن.." (١)

"قال ابن كثير: ﴿وهم يكفرون بالرحمن﴾ أي لا يقرون به، لأنهم يأبون من وصف الله بالرحمن الرحيم، فالرحمن اسم وصفته ودل هذا الاسم على أن الرحمة وصفه القائم به سبحانه، وهي من صفات الكمال، الرحمن الرحيم، الرحمن يدل على ماذا؟ على الصفة القائمة به، والرحيم يدل على إيصاله، حينئذ هذا متعلق بالفعل وهذا متعلق بالذات، الرحمن دال على صفة تتعلق بالذات فلا تتعدى، والرحيم يدل على ماذا؟ على إيصال تلك الرحمة إلى المخلوق حينئذ يكون متعديا. ومطابقة الآية للترجمة ظاهرة لأن الله سمى جحود اسم من أسمائه كفرا، ولذلك قال المصنف: (من جحد شيئا). دل ذلك على أن الاسم يثبت بجحوده الكفر، فدل على أن جحود شيء من أسمائه وصفاته كفر، فمن جحد شيئا من أسماء الله وصفاته من الفلاسفة والجهمية والمعتزلة ونحوهم فله نصيب من الكفر بقدر ما جحده من الاسم أو الصفة وإن أقر بجنسها، لكن زعم أنها أعلام محضة، الجهمية وبعض الجهمية، وغلاة الجمهية ينفون الأسماء، وبعضهم يثبتها، والأشاعرة والمعتزلة يثبتون الأعلام وينفون ماذا؟ الصفات، يقول: رحيم بلا رحمة، عليم بلا علم .. إلى آخره، ما الفائدة من إثبات لفظ ونفي المعنى لأن المطلوب من المكلف أن يؤمن باللفظ ومعناه، وأما إثبات الألفاظ وتحريف المعاني لا فرق بينه وبين من أنكر **اللفظ والمعنى** معا، وإن كان هو أخف من جهة ماذا؟ من جهة التكذيب وإلا يعتبر مكذبا وأخف من جهة الكفر كذلك، لكن

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٣/٧٨

ليس المطلوب من العباد أن يؤمنوا لمجرد ألفاظ رحمن لا معنى له، رحيم لا معنى له، غفور لا معنى له، لم يرد الله تعالى من الخلق ذلك، إذا إن أقر بجنسها بمعنى أنه سلم بوجود الأعلام لأن الله تعالى له أعلام لكن هذه الأعلام محضة، يعني جامدة لا تدل على معان نقول: هذا إيمانه ونفيه سواء، إيمانه باللفظ ونفيه للمعنى سواء لم ينفعه شيئا البتة، وإن أقر بجنسها لكن زعم أنها أعلام محضة لا تدل على صفات قائمة به تعالى فجحود معنى هذا الاسم ونحوه من الأسماء كجحود لفظه لا فرق بينهما البتة، فإن الجمهية يزعمون أنها لا تدل على صفة قائمة بالله تعالى، وتبعهم على ذلك طوائف من المعتزلة والأشاعرة وغيرهم، فلهذا كفرهم أهل السنة والجماعة.

قال ابن القيم:

ولقد تقلد كفرهم خمسون في ... عشر من العلماء في البلدان." (١)

"يعني إجماع، والمقصود هنا ليس المعتزلة، المعتزلة فيهم خلاف هل هم كفار أم لا؟ أكثر أهل السنة على كفرهم، وأما الأشاعرة فأكثر أهل السنة على أنهم مسلمون ليسوا بكفار، وإن كان الاتفاق حاصل على أن عندهم نواقض، لكن هل هذه النواقض تستلزم إيقاع الكفر عليهم أو لا؟ أكثر أهل العلم على أنهم لا يكفرون، فجحدوا ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله - صلى الله عليه وسلم - من صفات كماله ونعوت جلاله، وتركوا ما دل عليه صريح الكتاب والسنة، وما عليه سلف الأئمة من إثبات ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله - صلى الله عليه وسلم - على ما يليق بجلال الله وعظمته من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، كما قال تعالى: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾. وليس المحل تفصيلا لهذه القواعد وإنما كما ذكرنا في مظنتها وهو ((الواسطية)).

قال تعالى: ﴿قل هو ربي﴾ لأن المصنف قال: (﴿وهم يكفرون بالرحمن﴾ الآية) يعني أكمل الآية، ﴿قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب﴾ أي قل يا محمد ردا عليهم في كفرهم بالرحمن تبارك وتعالى ﴿هو﴾ من؟ الرحمن عز وجل الذي كفرتم به وكذبتم به ﴿ربي﴾ يعني خالقي ﴿لا إله إلا هو﴾ هنا جمع بين ماذا؟ بين الرب وبين الإله ﴿لا إله إلا هو﴾ تدل على ماذا؟ على أنه لا معبود سواه، ف ﴿ربي﴾ حينئذ يكون على أصله، وهو أنه يدل على أنه الخالق المالك المدبر المتصرف، ﴿ربي﴾ أي خالقي، ﴿لا إله إلا هو﴾ أي لا معبود سواه ﴿عليه توكلت﴾ في جميع أموري، ﴿وإليه﴾ لا إلى غيره ﴿متاب﴾ متابي هذا الأصل، أي إليه مرجعي وتوبتي، وهو مصدر من قول القائل: تبت متابا وتوبة. قاله ابن جرير، يعني ما مضى قاله ابن جرير، وفيه تعريض بالكفار وحث لهم على الرجوع إلى الله والتوبة من الكفر والدخول في الإسلام، ... ﴿وإليه متاب﴾ يعني هو الذي يقبل التوبة وهو الذي يتاب إليه لا إلى غيره، وهذا فيه حث للكفار على التوبة.

وفي الآية دليل على أن من أنكر اسما من أسمائه تعالى فإنه يكفر، وينظر فيما إذا أنكر المعنى وأثبت اللفظ، هل ثم فرق بين النوعين أو لا؟ الظاهر لا فرق بين النوعين، وإن كان أحدهما الكفر دركات ليس على مرتبة واحدة، وإن كان الكفر ملل لكن ليسوا على درجة واحدة، وبعضهم أشد كفرا من بعضهم، حينئذ نقول: من أنكر **اللفظ والمعنى** لا شك في كفره، من أنكر المعنى وأثبت اللفظ حينئذ يرد السؤال هل المراد من الشارع إثبات الألفاظ فقط دون المعاني، أم المعاني هي الأصل

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٩/٨٢

والألفاظ قوالب لها؟ لا شك أن الثاني هو الحق.

إذا في الآية دليل على أن من أنكر اسما من أسمائه تعالى فإنه يكفر لأنه مكذب لله ولرسوله – صلى الله عليه وسلم –، والتكذيب لا شك أنه كفر ومحل إجماع على ذلك.." (١)

"نأخذ منها أن الشرك بمعنى التنديد، التشريك والتنديد بمعنى واحد، وهو قوله تعالى (﴿فلا تجعلوا لله أندادا﴾) وعليه القاعدة السابقة أن الشرك مما فسره الله تعالى، يعني الشرك لفظا هذا لفظ شرعي، وهذه من المعاني التي ينبغي العناية بها في مقام البحث في التوحيد، التوحيد هذا لفظ شرعي (فأهل بالتوحيد)، ومعناه شرعي، يعني الذي تكلم بذلك وبين المعنى هو الشرع، حينئذ لم يجعل الشارع لأي مخلوق كائنا من كان أن يفسر معنى التوحيد، وكذلك الشأن في الشرك، **اللفظ والمعنى** من الشرع، اللفظ قطعي الثبوت، والمعنى قطعي الثبوت، هذه أصول مهمة لأنه لو نازع منازع في المعنى بعض مفردات الشرك، ترد عليه بهذا الأصل العظيم المتفق عليه، وهو أن معنى التوحيد ليس إليك، تفسيره ليس إليك، وإنما تكفل الله تعالى ببيان حقيقته، فخلق الخلق لأجل التوحيد ولم يترك معنى التوحيد إلى أفهام الناس وأهوائهم كل يفسر على هواه، وإنما بين ذلك بيان قطعيا ليس قابلا للنزاع البتة، ولذلك ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى غيره أن التوحيد له مفاهيم خمسة أو ستة، الجهمية لهم معنى للتوحيد، والصوفية لهم معنى للتوحيد، وهكذا كل مبتدع نظر في التوحيد حينئذ جعل الميزان هو عقله فإذا كان كذلك حينئذ عندنا أصل عظيم قطعي الثبوت قطعي المعنى الدلالة، فالتوحيد والشرك كل منهما قطعيان من حيث اللفظ، ومن حيث المعنى، فحينئذ لا مجال لأحد أن يجتهد فيه البتة، فكل مجتهد في معنى التوحيد فأثبت ما يخالف ما جاء به الشرع حينئذ نرد عليه بهذا الأصل العظيم، وكذلك الشرك إذا اجتهد فيه مجتهد وقال: الشرك معناه كذا وكذا، نقول: الله تعالى بين، والنبي – صلى الله عليه وسلم – بين معنى الشرك بما لم يجعلا مجالا لأحد أن يتفوه به البتة. إذا التشريك والتنديد بمعنى واحد، دليل ذلك قوله تعالى (﴿فلا تجعلوا لله أندادا﴾) هذا هو معنى ماذا؟ ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك ... به﴾ ما معنى الشرك؟ جعل الند لله. فتفسره بالقرآن، ولذلك حتى الشرك الذي يسمى الأصغر، وهو كذلك فسره النبي – صلى الله عليه وسلم –، لما قال لهم – سيأتينا البحث في الحديث: (ما شاء الله وشئت)، فقال: «أجعلتني لله ندا»؟). إذا الشرك بنوعيه فيه تنديد، إلا أن الشرك الأكبر، تنديد مطلق من كل وجه، والشرك الأصغر مطلق التنديد، فيه تسوية، وفيه تشريك، لكن ليس من كل وجه.." (٢)

"ومر معنا أن السلف يفسرون ببعض المفردات، إذا كل إلحاد هو شرك، هل كل إلحاد يكون شركا؟ على ما ذهب إليه كثير من المتأخرين أنه لا يكون كذلك، ولذلك جعلنا فرقا بين الترجمتين، من جحد وهنا أراد به الإلحاد فثم فرق بينهما، إذا (﴿يلحدون﴾) يشركون به غيره في أسمائه، ثم قد يكون الشرك أكبر وقد يكون الشرك أصغر، مثل ماذا في الشرك؟ كتسميتهم الصنم إلها، هذا أكبر أو أصغر؟ أكبر هذا، سموا الصنم إلها اسم على مسمى، يعني أرادوا المعنى، إلها يعني معبودا، فسموا الصنم إلها فأرادوا الوصف، فلذلك المشركون سموا أصنامهم ببعض أسماء الباري جل وعلا لأنهم يثبتون المعاني، هم

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٠/٨٢

(٢) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٣/٨٤

أعلم من الجهمية وغيرهم، فأثبتوا المعاني فصرفوها إلى غير الله تعالى، فما سموا الصنم إلها إلا من أجل ماذا؟ إلا من أجل أنهم أدركوا أن معنى الإله هو المعبود، فأثبتوا اللفظ وأثبتوا المعنى لكن شركوا غير الله تعالى في هذا الاسم مع الوصف فوقعوا في الشرك الأكبر من هذه الحيثية، كتسميتهم الصنم إلها، والإلحاد فيها في الأسماء والصفات الميل بالإشراك والتعطيل والنكران، الميل فيها بالإشراك والتعطيل يعني للمعاني، والنكران، إما إنكار **اللفظ والمعنى** معا، أو التسليم باللفظ مع إنكار المعنى، والتعطيل قد يكون كليا وقد يكون جزئيا، والبحث في هذه المسألة قلنا مر معنا.

قال قتادة: يشركون (﴿يلحدون﴾) يشركون. وعن ابن عباس: الإلحاد التكذيب، حينئذ على قول ابن عباس وكذلك على قول قتادة لا فرق بين الترجمتين السابقة وهذه، (باب من جحد شيئا من الأسماء والصفات)، والجحد قلنا: هو التكذيب بمعنى أنه يكفر. إذا (﴿ولله الأسماء الحسنى﴾) هذا الباب أراد به الإلحاد في أسماء الله تعالى على الوجه الذي ذكرناه، حينئذ يكون المعنى مرادفا لما سبق، لأن الإلحاد إذا كان كله تكذيبا صار الإلحاد والجحود بمعنى واحد، أو لا؟ إذا قلنا: الإلحاد التكذيب، حينئذ كل ملحد مكذب، كل من ألحد في أسماء الله تعالى وصفاته فهو مكذب، وإذا كان مكذبا فهو الجاحد، وإذا كان جاحدا فهو كافر، إذا لا فرق بين الترجمتين، لكن هذا يجاب عنه بماذا؟." (١)

"هذه قاعدة ما أجملها من قاعدة، لأن القاعدة قرآنية، حينئذ كل ما يشكل على الإنسان أثبته بما دل عليه اللفظ، ونزه الباري جل وعلا عن المماثلة، والكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، يحتذى فيه حذوه ومثاله، فكما أنه يجب العلم بأن لله ذاتا حقيقة لا تشبه ذوات المخلوقين فكذلك له صفات حقيقة لا تشبه صفات المخلوقين، فكما نثبت له ذاتا ثم ننزه هذه الذات عن المماثلة، حينئذ ما أضيف إلى هذه الذات من صفات يحذى به حذو الذات، فنقول: له صفات لا يماثلها صفات المخلوقين، كما أن له ذاتا لا تشبه ولا تماثل ذوات المخلوقين، فكذلك له صفات حقيقة لا تشبه صفات المخلوقين، فمن جحد ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله - صلى الله عليه وسلم - فقد كفر، يعني كفرا أكبر، إذا جحد **اللفظ والمعنى** كفر، وإذا أثبت اللفظ وتأول المعنى أو حرف المعنى هذا يأتي التفصيل الذي ذكرناه فيما مر، ومن شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن أوله على غير ما ظهر من معناه فهو جهمي، كل مؤول أو إن شئت قل أحسن كل محرف فهو جهمي، لأنه صار على قواعد ماذا؟ على قواعد الجهمية قد اتبع غير سبيل المؤمنين.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: ما يجري صفة أو خبرا على الرب تعالى أقسام. يعني ما ورد في الكتاب والسنة من الصفات أقسام:." (٢)

"قال رحمه الله تعالى: (باب لا يقول: عبدي وأمتي) قلنا إذا جاء بعده بعد الباب هنا لا وهو حرف حينئذ تعين التنوين، لأن الوجه الآخر وهو الإضافة ممتنع لأن الحرف لا يضاف، إلا إذا قصد لفظه فحينئذ يضاف، ولكن هنا لا يتأتى يقصد لفظه، إنما مقصود به **اللفظ والمعنى** معنى، (باب لا يقول: عبدي) للغلام، (وأمتي) للجارية، هذا الباب الرابع والخمسون (باب لا يقول: عبدي وأمتي) مناسبة الباب لكتاب التوحيد أن التلفظ بهذه الألفاظ المذكورة يوهم المشاركة في

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٢/٨٨

(٢) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٧/٨٨

الربوبية (عبدي) وأنت عبد لله تعالى، أليس كذلك؟ أنت عبد لله تعالى، فإذا قيل: عبدي حينئذ العبودية هذه في أصل المسألة المعنى لغوي شيء مشارك، فثم عبد لله تعالى وثم عبد للمخلوق، لكن لما خشي إدعاء التشريك أو إيهام التشريك منع من هذا اللفظ، لذلك أطلق المصنف. قال: (باب لا يقول: عبدي) مطلقا حينئذ يمنع منه لماذا؟ لكونه يوهم قصد أو لم يقصد؟ نعم في الألفاظ المنع منها مطلقا سواء قصد المعنى أو لا، إن قصد المعنى هذا لا إشكال فيه لأنه قد يخرجه من الدين، يعني قد يكون شركا أكبر، إذا ادعى بأنه عبد له ككون العبد للإنسان عبدا لله تعالى بأنه يعبده يتوجه إليه بالعبادة إن قصد ذلك كفر، لكن المراد هنا ماذا؟ التشريك في اللفظ ولو لم يقصد المعنى، هذا الذي قد يقع من المسلم، أما كونه يتعنى ويقصد به المعنى الذي هو العبودية، نقول: هذا لا يتأتى من مسلم البتة، العبودية وصف لله تعالى، فمناسبة الباب لكتاب التوحيد أن التلفظ بهذه الألفاظ المذكورة يوهم المشاركة في الربوبية. يوهم، فنهي عن ذلك أدبا مع جناب الربوبية، هذا من مكملات التوحيد، وحماية للتوحيد بسد الذرائع المفضية إلى الشرك، كل لفظ يحتمل معنيين هو في أحدهما باطل يوهم الشرك ونحوه، فالأصل فيه المنع هذه القاعدة المطردة، كل لفظ يحتمل معنيين أحد المعنيين هذا إما كفر وإما شرك فالأصل في هذه الألفاظ المنع، والقاعدة مثل هذه المنهيات الواردة في النصوص لأن المراد به ماذا؟ المراد به ما ذكر من هذه الألفاظ مما مر معنا (لا يقال: السلام على الله) لأنه موهم، كذلك لا يقال: (اغفر لي إن شئت) لأنه موهم قد لا يقصد المعنى حينئذ نقول: يمنع منه، كذلك عبدي الأصل فيه جوازه في اللغة لكن منع منه لماذا؟ لكونه يوهم. إذا قد يقول: هذا عبدي إن كان أو يقول يا عبدي، دعك من هذا الإخبار قد يجوز، لكن إذا كان في حال النداء عبدي زيد يناديه فحينئذ هذا فيه إيهام فمنع منه، حينئذ كل لفظ يوهم معنى باطلا وفيه قدح في جناب الربوبية أو الألوهية أو ما يتعلق بالأسماء والصفات فالأصل المنع سدا لكل طريق يوهم الوصول أو يوقع في الشرك ولو كان باللفظ حماية للتوحيد لسد الذرائع المفضية إلى الشرك.

ذكر المصنف حديثا واحدا تحت الترجمة.." [(١)]

"ذكر المصنف خمسة أحاديث تحت الترجمة، فقال رحمه الله تعالى: (عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «قال الله تعالى») - إذا هذا حديث قدسي -: («ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة». أخرجاه) أخرجاه في ((الصحيحين))، قوله: («قال الله تعالى»). هذا حديث قدسي يعني رفعه النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى الباري جل وعلا وأسنده إليه وأضاف القول لله تعالى، حينئذ يأتي القول الراجح في مسألة أن الحديث القدسي قولا لفظا ومعنى هو من الله تعالى لأن القول المراد به اللفظ الدال على معنى، إذا نجمع بين الأمرين **اللفظ والمعنى**، والقول بأن المعنى من الله تعالى واللفظ من ... النبي - صلى الله عليه وسلم - هذا ينافي الظاهر، لأن الظاهر هنا الإسناد («قال الله») إذا الله تعالى قائل تلفظ بهذا الكلام، كونه لم يحفظ، كونه تسقط بعض الألفاظ، كونه قد يأتي الضعيف فيروي الموضوع، حينئذ نقول: هذا لا يلزم منه أن يكون قولا منسوبا إلى الباري جل وعلا، وإنما نفرق بينه وبين القرآن بكون القرآن محفوظا عن الزيادة وكذلك عن النقصان، والحديث القدسي ليس محفوظا حينئذ

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٥/٨٩

الفرق ثابت بينهما، («قال الله تعالى: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي») أي لا أحد أظلم منه، («ومن أظلم ممن ذهب») أي لا أحد، لا شخص أظلم منه، فإن الله تعالى له الخلق والأمر وهو رب كل شيء ومليكه، وهو خالق كل شيء وهو الذي صور جميع المخلوقات على غير مثال سابق، وهذا هو معنى الإبداع صور جميع المخلوقات يعني شكلها خلقها على غير مثال سابق، وجعل فيها الأرواح التي تحصل بها الحياة كما قال تعالى: ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين * ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين * ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون﴾ [السجدة: ٧ – ٩]. فالمصور لما صور الصورة على شكل ما خلقه الله تعالى من إنسان أو بهيمة، يعني من حيوان على جهة الإجمال ما كان ذا روح، حينئذ لما صور وشكل ذلك الإنسان أو تلك الصورة على شكل إنسان أو بهيمة صار مضاهيا لخلق الله، يعني مشابها بفعله فعل الله تعالى، فصار لا أظلم منه، فكان أشد الناس عذابا يوم القيامة، إذا بفعله صار ماذا؟ صار مضاهيا ومشابها ومشاركا لله تعالى في الخلق والإيجاد، وهذا الفعل إنما يكون من الباري جل وعلا، ومن أسمائه ((المصور)) ومن أسمائه جل وعلا ... (المصور)).

قوله: («ومن أظلم»)، (من) هذه اسم استفهام، والمراد منه النفي كما مر معنا مرارا، أي لا أحد أظلم، وهو أبلغ من النفي الصريح المحض لأنه يكون مشربا معنى التحدي والتعجيز، وهذه صيغة تستعمل كثيرا في الكتاب والسنة.." (١)

"معنى لفظ الجلالة وأصل اشتقاقه

قال الشارح رحمه الله: [قوله (الله) قال الكسائي والفراء: أصله (الإله)، حذفوا الهمزة وأدغموا اللام في اللام، فصارتا لاما واحدة مشددة مفخمة.

قال ابن القيم رحمه الله: الصحيح أنه مشتق، وأن أصله (الإله)، كما هو قول سيبويه وجمهور أصحابه إلا من شذ، وهو الجامع لمعاني الأسماء الحسنى والصفات العلى].

الاشتقاق هنا ليس معناه أن له مادة متقدمة عليه اشتق منها، كما توهمه بعضهم، وإنما معناه أنه يلاقي المعنى الذي دل عليه، ويكون معناه مثلما جاء عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: (الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين) ذو الألوهية يعني: الذي تألهه القلوب وتعبده وتحبه، وبين سيبويه أن هذا أصله، فأصله (إله)، وأنه مثل الناس، فأصلهم أناس، فأدخلت (أل) على (إله) ثم أدغمت، فأدغمت اللام في اللام ثم فخم فصار (الله)، وهو علم على الذات الإلهية الكريمة المقدسة، تجري عليه جميع الأسماء، وقد قيل: إنه الاسم الأعظم، لأنه في جميع الموارد موارد الأسماء يأتي متبوعا لا تابعا، وقد جاء في موضع من القرآن تابعا، ولكن الغالب الكثير أنه يأتي متبوعا، كقوله جل وعلا: ﴿هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم * هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر﴾ [الحشر:٢٢ – ٢٣]، فصارت كلها تتبع هذا الاسم (الله)، لهذا قالوا: إنه هو اسم الله الأعظم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب، وإذا استغيث به أغاث، ولكن هذا في الواقع حسب ما يقوم في قلب الإنسان من العبودية والإخلاص والتذلل لله جل وعلا، أما إذا دعا الإنسان وقلبه ساه أو غافل أو معرض، أو هو متلبس بالمعاصي فهذه من موانع الإجابة،

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٢/٩٣

وإن سأل بالاسم الأعظم.

والمقصود أن أسماء الله جل وعلا أسماء وأوصاف، فهذا معنى الاشتقاق، أنها تكون أسماء أعلاما عليه، ولكن في معناها الصفات، والأصل أنها مشتقة من الصفات، والصفات هي الأصل، كما قال سيبويه هنا وجماعة من كبار أهل اللغة ك الخليل بن أحمد: إن أصله (إله) أو (الإله).

وهذا يكون مثلما قالوا في قوله: ﴿لكنا هو الله ربي﴾ [الكهف:٣٨] يكون أصلها: (لكن أنا هو الله ربي)، فلما حصل الإدغام -إدغام الحرف في الحرف- صار: (لكنا هو الله ربي)، وكما مثلنا في قول سيبويه: إن (الناس) أصله (أناس)، فلما جاءت (أل) التقى ساكنان فحذفت الهمزة وأدغم واحد في الآخر فصار (الناس)، فكذلك (الله)، فهو مأخوذ من (الإله) الذي يؤله، وتألهه القلوب وتحبه وتئوب إليه رغبة ورهبة وخوفا ورجاء.

قال الشارح رحمه الله: [والذين قالوا بالاشتقاق إنما أرادوا أنه دال على صفة له تعالى، وهي الإلهية، كسائر أسمائه الحسنى كالعليم، والقدير، والسميع، والبصير ونحو ذلك، فإن هذه الأسماء مشتقة من مصادرها بلا ريب وهي قديمة، ونحن لا نعني بالاشتقاق إلا أنها ملاقية لمصادرها في **اللفظ والمعنى**، لا أنها متولدة منه تولد الفرع من أصله.

وتسمية النحاة للمصدر والمشتق منه أصلا وفرعا، ليس معناه: أن أحدهما متولد من الآخر، وإنما هو باعتبار أن أحدهما يتضمن الآخر وزيادة].

يعني أن المصدر يتضمن ما اشتق منه وزيادة، بخلاف الفعل فإنه لا يتضمن ذلك، وهذا سبب الذي جعلوه مشتقا، وهذا من مباحث النحو.

قال الشارح رحمه الله: [قال أبو جعفر بن جرير: (الله) أصله (الإله)، أسقطت الهمزة التي هي فاء الاسم، فالتقت اللام التي هي عين الاسم، واللام الزائدة وهي ساكنة، فأدغمت في الأخرى، فصارتا في اللفظ لاما واحدة مشددة، وأما تأويل (الله) فإنه على معنى ما روي لنا عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه، قال: (هو الذي يألهه كل شيء، ويعبده كل خلق)، وساق بسنده عن الضحاك عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه، قال: (الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين)].

معنى قول ابن عباس هذا: (الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين) أنه المستحق أن يؤله ويعبد من جميع الخلق، يعني أن هذا أمر واجب عليهم حتم، فإن تركوه عذبوا؛ لأنهم تركوا الألوهية التي تجب عليهم له أن يعبدوه ويتألهوه، والتأله هو محبة القلب، أن يحبه حب عبادة، يقال: أله يألهه، أي: أنه أحبه حبا يتضمن الذل والتعظيم، هذا هو التأله، وهذا لا يجوز أن يكون إلا لله جل وعلا، ولا يجوز أن يكون لمخلوق من الخلق، فإن وقع لمخلوق فقد وقع الشرك؛ لأن هذا خالص حق الله جل وعلا، أما العبودية فهي بمعنى الإلهية، ولا يوجد بينهما فرق، فالعبودية والألهية شيء واحد مثل التأله والتعبد لا فرق بينهما.

قال الشارح رحمه الله: [فإن قال لنا قائل: وما دل على أن الألوهية هي العبادة، وأن الإله هو المعبود، وأن له أصلا في فعل ويفعل قيل: لا تمانع بين العرب في الحكم، وذكر بيت رؤبة بن العجاج: لله در الغانيات المده سبحن واسترجعن من تألهي يعني من تعبدي وطلبي الله بعملي، ولا شك أن التأله التفعل، من (أله يأله)، وأن معنى أله -إذا نطق به- عبد الله].

ومجرد النطق لا يكفي، وإنما عول عليه هذا الشيء لهذا المعنى، أي: للعبادة.

قال الشارح رحمه الله: [وقد جاء منه مصدر يدل على أن العرب قد نطقت منه بـ (فعل يفعل)، بغير زيادة، وذلك ما حدثنا به سفيان بن وكيع وساق السند إلى ابن عباس رضي الله عنه أنه قرأ: ﴿ويذرك وإلهتك﴾ [الأعراف:١٢٧]، قال: عبادتك ويقول: إنه كان يعبد ولا يعبد].

هذه قراءة شاذة (ويذرك وإلهتك) يعني: عبادتك التي تعبد؛ لأنه قد كان يعبد فرعون، أي أن: موسى يذرك وعبادتك التي جعلتها على قومه، فإنه قال لهم: ﴿ما علمت لكم من إله غيري﴾ [القصص:٣٨]، فهو كان يعبد.

أما القراءة المعروفة السبعية فهي: (ويذرك وآلهتك)، أي: التي تعبدها، فعلى هذه يكون فرعون له آلهة يعبدها غير الله جل وعلا، أما القراءة الأولى فيكون هو المألوه الذي يؤله، والمقصود أن هذا جاء على أن العرب قد نطقوا به، والقراءة الشاذة تكون دليلا وإن لم تجز القراءة بها ولا تثبت قراءة في الصلاة، فلا يجوز القراءة بها ولا تكون من القرآن حتى تتواتر وتتفق مع رسم المصحف وتشهد لها اللغة العربية، فلا بد من هذه الشروط الثلاثة: أن يثبت التواتر، وتتفق مع رسم المصحف العثماني، وتكون صحيحة المعنى في اللغة العربية، وإذا تخلف واحد من هذه الشروط الثلاثة لا يجوز أن تثبت قراءة، ولكن يستدل بها وتكون دليلا كأخبار الآحاد التي يرويها فرد عن فرد من الناس.

[وذكر مثله عن مجاهد ثم قال: فقد بين قول ابن عباس ومجاهد هذا أن أله: (عبد)، وأن الإلهة مصدره، وساق حديثا عن أبي سعيد مرفوعا أن عيسى أسلمته أمه إلى الكتاب ليعلمه، فقال له المعلم: اكتب (باسم الله) فقال عيسى: أتدري ما الله؟ الله إله الآلهة].

هذا حديث لا يثبت فهو ضعيف، فلا يصلح أن يكون حجة، وعيسى نبي كريم علمه الله جل وعلا وهو صبي كما جاء نص القرآن بذلك، ثم جاءت به أمه تحمله إلى قومها وهو رضيع صبي: ﴿قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا * يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا * فأشارت إليه﴾ [مريم:٢٧ - ٢٩]، يعني: قالت: كلموه، ﴿قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا﴾ [مريم:٢٩]، فأقبل عليهم وقال: ﴿إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا﴾ [مريم:٣٠] أي: من ذلك الوقت، ﴿وجعلني مباركا أين ما كنت﴾ [مريم:٣١]، فأول ما نطق به قوله: (إني عبد الله) يعني: أعبده، وهذا رد له لما فعلوه ولما سيكون بعد؛ لأنهم قالوا: إنه الله أو إنه ابن الله أو إنه ثالث ثلاثة، تعالى الله وتقدس عن قولهم، والمقصود أن هذا الحديث لا يثبت ولا يصلح أن يكون دليلا.." (١)

"الفرق بين الحديث القدسي وغيره

ثم ذكر الحديث، وهو حديث ثابت وصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر وأنا الدهر) فهذا يسمى حديث قدسي، نسبة للرب جل وعلا أنه قاله وتكلم به، والقداسة هي التنزيه والطهارة؛ لأن الله منزه عما يصفه به الظالمون.

والحديث القدسي اختلف العلماء فيه، فمنهم من قال: إن معناه من الله ولفظه من الرسول صلى الله عليه وسلم، فالرسول

---

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان، عبد الله بن محمد الغنيمان ٧/١

يضيف ذلك إلى الله جل وعلا، ولكن هو الذي يتلفظ بالكلام، ويقوله، ولهذا قالوا: يجوز روايته بالمعنى.
القول الثاني وهو الصواب: أن معناه ولفظه من الله، ولكنه ليس كالقرآن يتعبد بتلاوته، وذلك أن كلام الله جل وعلا لا ينحصر لا في القرآن ولا في الإنجيل ولا في غير ذلك، ولهذا يذكر الرسول صلى الله عليه وسلم قول الله جل وعلا الذي يقوله في الوقت الحاضر وفي المستقبل، ويكون هو قول لله مثل قوله صلى الله عليه وسلم: (ينزل ربنا إلى السماء الدنيا في ثلث الليل الآخر فيقول: هل من مستغفر فيغفر له؟! هل من سائل فيعطى؟!) وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم فيما ثبت عنه في الصحيحين وغيرهما أن الله يقول لآخر من يخرج من النار من أهل التوحيد: (لعلك تسأل غير ما سألت! فيقول: لا يا رب، ويعطي المواثيق والعهود أنه لا يسأل غير ذلك، ثم إذا أعطي ما سأل رأى شيئا أحسن منه، فيبقى صابرا ما شاء الله أن يصبر ثم يسأل ربه ذلك الذي رآه، فيقول الله جل وعلا له: ويلك يا ابن آدم ما أغدرك! إلى أن قال له: اذهب فادخل الجنة فإن لك ما رأيت).
وغير ذلك من القول الكثير الذي يذكره النبي صلى الله عليه وسلم عن الله جل وعلا، فهو قوله **بالمعنى واللفظ**، وإلا فإن كل ما يذكره، وكل ما جاء به فمعناه من الله، فإذا: لا يكون هناك فرق بين الحديث القدسي وبين الحديث النبوي؛ لأن المعنى من الله، لقول الله جل وعلا: ﴿وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى﴾ [النجم:٣ – ٤].." (١)

"قوله صلى الله عليه وسلم: (لتتبعن سنن من كان قبلكم) وعلاقته بالشرك

قال المصنف رحمه الله تعالى: وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟) أخرجاه].
هذا الحديث مخرج في الصحيحين ولكن بغير هذا **اللفظ والمعنى** واحد، والآية التي ذكرها قبل هذا واضحة الدلالة مع ذكر الحديث أنها تدل على الذم، يعني: ذم هؤلاء الذين غلبوا على أمر قومهم؛ يعني: لأنهم الكبراء والوجهاء فبنوا عليهم المسجد، فالآية سيقت على وجه الذم، وليس كما يقول من فتن بالقبور وبعبادة أصحابها والبناء عليها: إن الآية تدل على جواز البناء على القبور؛ لأن كلام الله جل وعلا مع كلام رسوله لا يتعارضان، بل يؤيد أحدهما الآخر، ويبينه ويوضحه، وقد أخبرنا ربنا جل وعلا أنه أنزل على رسوله الوحي ليبين ما نزل إليه للناس، وقد بين ذلك، والذي يقول مثلا أن الآية تدل على الجواز هو مغالط، فهذا كلام مغالطة ومحادة لله جل وعلا، ولرسوله صلى الله عليه وسلم؛ لأنه قد يقول جاهل هذا القول: الآية تدل على ذلك؛ لأن الله ذكر هذا عنهم، وما ذكر عن شرع من كان قبلنا يكون شرعا لنا، هذا لا يكون صحيحا بل هذه مغالطة، والله ذكر ذلك على سبيل الواقع منهم، والرسول صلى الله عليه وسلم بين أن هذا لا يجوز، وأن فعلهم مذموم، فيجب أن يعلم هذا وأن يعتقد؛ بأنه على سبيل الذم وليس على سبيل الجواز.
حديث أبي سعيد هذا: (لتتبعن) ابتدأه صلى الله عليه وسلم باللام، اللام التي وقعت في جواب القسم، وهذا هو الصواب أنها وقعت في جواب القسم، والتقدير: والله لتتبعن، ومن المعلوم أن الرسول صلى الله عليه وسلم إذا أخبر بخبر فإنه صدق وحق؛ لأنه كما قال الله جل وعلا عنه: لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، يوحيه الله جل وعلا إليه.

---

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان، عبد الله بن محمد الغنيمان ١١٠/٩

وكذلك إذا أخبر الله جل وعلا بشيء فإنه صدق وحق بلا ريب، فيأتي القسم لزيادة التأكيد، والمؤكدات سواء كان قسما أو كان تأكيدا لفظيا، أو تكرارا أو غير ذلك، واهتمامي بهذا الموضوع ولفت الأنظار إليه ليعلم هذا أنه واقع لا محالة.

والسنن: هي الطرق -ويجوز أن تكون (سنن وسنن) - التي يسلكونها، وتخص بأمور الدين التي يتعبدون بها أو يعتقدونها.

وقوله: (من كان قبلكم) هذا مجمل؛ لأنه إذا قيل: (من كان قبلنا) يشمل كل الذين قبلنا، ولهذا استفسر الصحابة عن ذلك وقالوا: من تريد؟ من هم الذين قبلنا اليهود والنصارى؟ فقال: فمن؟ يعني: أن هذا هو المراد، وهذا لا ينافي أو يخالف ما جاء في الرواية الأخرى، وهي رواية صحيحة أيضا: (أهم فارس والروم؟ فقال: ومن الناس إلا أولئك) يعني: من المقصود إلا فارس والروم، المقصود يريد أن يخبر أن هذه الأمة ستتبع الذين قبلهم من الأمم القريبة منهم، مثل اليهود والنصارى وفارس والروم وغيرهم، وجاء في بعض الآثار الأعاجم أيضا.

فكل لفظ يدل على ما يدل عليه الآخر إلا أنه يدل على أنه لم يرد أمة معينة بخصوصها غير أن هؤلاء هم الذين لهم كلمة ولهم دين، ولهم كيان وقد يقتدى بهم، وينظر إليهم، فبين أن هذا هو المراد.

وقوله: (حذو القذة بالقذة) المعنى أنكم تسيرون خلفهم، فكل ما فعلوه سوف تفعلونه دقيقا أو كبيرا، لا تخطئون شيئا مما فعلوا، فقوله: (حذو القذة بالقذة) كقولك: خطوة خطوة.

بل كقولك: إنك تفعل هذا كما يفعل فلان هذا الشيء تماما بلا زيادة ولا نقصان.

والقذة: هي ريشة السهم، وريشة السهم غير معروفة لنا الآن، ولكن هي الحربة التي تحدد وتجعل في السهم ليطلق منه، والسهم القوس الذي يرمى به سابقا، ويقابل ذلك الرصاصة الموجودة الآن التي تجعل في بندقية واحدة ما تزيد عن الأخرى، كل واحدة مساوية للأخرى تماما بلا زيادة، هذا هو المعنى المراد، يعني: أنكم تفعلون كل ما فعلوه.." (١)

"إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله

وأيضا من معتقدهم: أنهم يعرفون الله بصفاته وأسمائه وأفعاله، وهذه الصفات والأسماء والأفعال إنما تؤخذ من الوحيين الكتاب والسنة، وليس للناس أن يخترعوا لله أسماء وصفات من عند أنفسهم، وهذا هو معنى قول أهل العلم: الأسماء والصفات توقيفية، يعني: يوقف فيها عند النصوص، فما ورد إثباته لله من الأسماء والصفات في الكتاب العزيز أو في السنة المطهرة نثبته لله، وما ورد في الكتاب العزيز أو في السنة المطهرة نفيه عن الله ننفيه عن الله، كما نفى عن نفسه السنة والنوم والعجز والظلم: ﴿ولا يظلم ربك أحدا﴾ [الكهف:٤٩]، ﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾ [البقرة:٢٥٥]، وما لم يرد في الكتاب ولا في السنة إثباته ولا نفيه نتوقف فيه، لا نثبته ولا ننفيه، مثل الجسم والحيز والعرض والحد والجهة والأعراض والأبعاض، فهذه الأمور التي أثبتها أهل البدع نتوقف فيها لا نثبتها ولا ننفيها؛ لأنه لم يرد في الكتاب ولا في السنة إثباتها ولا نفيها، وهي مشتملة على حق وباطل، ونستفصل ممن أطلقها.

من قال: إن لله جسما، أو قال: ليس بجسم.

لا نطلق لا نفيه ولا إثباته، فلا نقول: إن لله جسما، ولا نقول: ليس بجسم، ولا نقول: إنه في حيز ولا غير متحيز؛ لأنه لم

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان، عبد الله بن محمد الغنيمان ٣/٧٠

يرد في الكتاب والسنة لا إثباته ولا نفيه، ومن أطلقها نفيا أو إثباتا فإننا نستفصل منه، نقول له: ما مرادك؟ إن قال: أنا مرادي أن الله متصف بالصفات، نقول: هذا المعنى صحيح، لكن هذا اللفظ مشتمل على حق وباطل.

إذا: إذا كان المعنى صحيحا نقبله، لكن اللفظ نرده ونقول: عبر بالتعبيرات التي جاءت في النصوص؛ لأنها بريئة وسالمة من الخطأ، أما هذا اللفظ الذي جئت به فلا نقبله والمعنى صحيح.

فإذا قال: أنا مقصودي أن الله يشبه المخلوقات، نقول: المعنى باطل، واللفظ باطل، ونرد **المعنى واللفظ** جميعا.

فإذا قال: ماذا أقول؟ نقول: قل ما قال الله وقال رسوله، إن الله هو السميع البصير، هو العليم الحكيم، هذه ألفاظ من النصوص بريئة وسالمة من احتمال الخطأ، أما هذا اللفظ الذي أتيت به لا نقبله والمعنى سليم.

إذا: القاعدة عند أهل السنة والجماعة في إثبات الأسماء والصفات والأفعال: ما ورد في الكتاب العزيز أو في السنة المطهرة إثباته لله وجب إثباتها لله، وما ورد في كتابه أو في السنة نفيه عن الله وجب نفيه عن الله، وما لم يرد في الكتاب ولا في السنة نفيه ولا إثباته لا ننفيه ولا نثبته، ومن أطلقه نفيا أو إثباتا نستفصل منه: فإن أراد حقا قبلنا المعنى ورددنا اللفظ، وإن أراد باطلا رددنا **اللفظ والمعنى** جميعا.." (١)

"إثبات جميع الصفات الواردة في الكتاب والسنة من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تكييف ولا تحريف

قال المصنف رحمه الله تعالى: [وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن، ووردت به الأخبار الصحاح من السمع والبصر والعين والوجه والعلم والقوة والقدرة والعزة والعظمة والإرادة والمشيئة والقول والكلام والرضا والسخط والحب والبغض والفرح والضحك وغيرها].

في نسخة: (والحياة واليقظة)، بدون: (والحب والبغض)، وهذه أحسن.

أما قوله: [من غير تشبيه لشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين، بل ينتهون فيها إلى ما قاله الله تعالى وقاله رسوله صلى الله عليه وسلم من غير زيادة عليه، ولا إضافة إليه، ولا تكييف له، ولا تشبيه، ولا تحريف، ولا تبديل، ولا تغيير، ولا إزالة للفظ الخبر عما تعرفه العرب وتضعه عليه بتأويل منكر مستنكر، ويجرونه على الظاهر، ويكلون علمه إلى الله تعالى، ويقرون بأن تأويله لا يعلمه إلا الله، كما أخبر الله عن الراسخين في العلم أنهم يقولونه في قوله تعالى: ﴿والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾ [آل عمران:٧].

وآيات الكتاب وأخبار الرسول صلى الله عليه وسلم الصحيحة المنيرة الناطقة بهذه الصفات وغيرها كثيرة يطول الكتاب بإحصائها، وذكر اتفاق أئمة الملة وعلمائها على صحة تلك الأخبار الواردة بها، وأكثرها مخرج بالأسانيد الصحيحة في كتاب الانتصار، وشرطنا في أول هذا الكتاب الاختصار، والاقتصار على أدنى المقدار دون الإكثار برواية الأخبار وذكر أسانيدها الصحيحة عن نقلة الآثار، ومصنفي المسانيد الصحاح الكبار].

يقول المؤلف رحمه الله: وكذلك معتقد أصحاب الحديث: أنهم في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن ووردت فيها الأخبار الصحاح يجرونها مجرى واحدا، ويثبتون جميع الصفات كما يليق بجلال الله وعظمته، وينفون عنها التمثيل والتكييف، ويثبتون

---

(١) شرح عقيدة السلف وأصحاب الحديث - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ٣/٣

الصفات إثباتا بلا تمثيل ولا تشبيه، وينفون عن الله مماثلة المخلوقين.

وهم يثبتون الصفات، لا يعطلون كما تفعل المعطلة، ولا يمثلونها بصورة المخلوقين كما تفعل المشبهة.

قوله: (كذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن، ووردت بها الأخبار الصحاح) يعني: لا يشترط في ثبوت الصفة أن تأتي في القرآن وفي السنة، بل إذا أتت في القرآن أو في السنة وجب إثباتها.

قوله: (من السمع والبصر) قال تعالى: ﴿وهو السميع البصير﴾ [الشورى:١١] هذا فيه إثبات صفة السمع والبصر.

قوله: (والعين) صفة العين ثابتة في حديث الدجال، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (وإن ربكم ليس بأعور، وإن المسيح الدجال أعور عينه اليمنى، كأن عينه عنبة طافية)، استدل العلماء بهذا الحديث على إثبات العينين لله، وأن لله تعالى عينين سليمتين بخلاف الدجال؛ فإن له عينا واحدة، والعين الأخرى طافية كأنها عنبة طافية.

قوله: (والوجه) وكذلك إثبات الوجه قال تعالى: ﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ [الرحمن:٢٧]، والعلم: ﴿وكان الله سميعا بصيرا﴾ [النساء:١٣٤].

قوله: (والقوة) قال الله تعالى: ﴿إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾ [الذاريات:٥٨].

قوله: (والقدرة) قال الله تعالى:: ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ [المائدة:١٢٠].

قوله: (والعزة) قال الله تعالى:: ﴿فلله العزة جميعا﴾ [فاطر:١٠]، ﴿ولله العزة ولرسوله﴾ [المنافقون:٨].

قوله: (والعظمة) لحديث: (العظمة إزاري والكبرياء ردائي).

قوله: (والإرادة) قال الله تعالى: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ [البقرة:١٨٥] والإرادة تنقسم إلى قسمين: إرادة كونية قدرية ترادف المشيئة، وإرادة دينية شرعية ترادف المحبة.

قوله: (والمشيئة) قال الله تعالى: ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله﴾ [الإنسان:٣٠].

قوله: (والقول) قال الله تعالى: ﴿إذ قال الله يا عيسى ابن مريم﴾ [المائدة:١١٠].

قوله: (والكلام): ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾ [النساء:١٦٤].

قوله: (والرضا): ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ [المائدة:١١٩].

قوله: (والسخط): ﴿سخط الله عليهم﴾ [المائدة:٨٠].

قوله في نسخة أخرى: (والحياة واليقظة)، الحياة نعم ثابتة، قال تعالى: ﴿هو الحي القيوم﴾ [البقرة:٢٥٥] أما اليقظة فهذا يحتاج إلى دليل.

قوله: (والحب) قال تعالى: ﴿يحبهم ويحبونه﴾ [المائدة:٥٤].

قوله: (والبغض): (إن الله إذا أحب عبدا نادى جبريل: إن الله يحب فلانا فأحبوه، ويحبه جبريل وتحبه الملائكة، ويوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبدا نادى جبريل: إني أبغض فلانا فأبغضه، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يبغض فلانا فأبغضوه، فيبغضه أهل السماء ثم توضع له البغضاء في الأرض).

وفي الآية الكريمة يقول الله تعالى: ﴿إن الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم﴾ [غافر:١٠] والمقت أشد البغض.

إذا: الحياة ثابتة، أما اليقظة فيحتاج إلى دليل إثبات أنها من صفات الله، ولا أعلم دليلا في الكتاب أو السنة فيه إثبات صفة اليقظة لله، إنما الحب والبغض والحياة.

قوله: (والفرح) الفرح صفة ثابتة لله: (لله أشد فرحا بتوبة عبده من أحدكم يفقد راحلته في فلاة عليها طعامه ومتاعه)، إلى آخر الحديث.

قوله: (والضحك): (يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر ثم يدخلان الجنة)، قوله: (وغيرها).

أي أن أهل السنة والجماعة والسلف وأهل الحديث يثبتون الصفات التي وردت في القرآن العزيز أو في السنة المطهرة، ومثل لهذه الصفات بالسمع والبصر والعينين والوجه والعلم والقوة والقدرة والعزة والعظمة والإرادة والمشيئة والقول والكلام والرضا والسخط والحياة والحب والبغض والفرح والضحك وغيرها.

قوله: (من غير تشبيه لشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين) يعني: لا يقولون: إن سمع الخالق مثل سمع المخلوق، بل الله تعالى له صفات تليق بجلاله وعظمته، لا يماثل أحدا من خلقه.

قوله: (بل ينتهون فيها إلى ما قاله الله تعالى وقاله رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير زيادةولا إضافة عليه).

يعني: يقفون عند النصوص من غير زيادة على قول الله وقول الرسول، ولا يضيفون إليها شيئا، بل يقولون كما قالوا: أثبت الله لنفسه السمع نثبت السمع، أثبت الله لنفسه البصر نثبت البصر، وهكذا من غير زيادة عليه ولا إضافة إليه.

قوله: (ولا تكييف له)، لا يقولون: إن كيفية سمع الله كذا، إن بصره كيفيته كذا، لا يكيف ولا يشبه بصفات المخلوقين.

قوله: (ولا تحريف) لا يحرفون الصفات ويقولون: معنى اليد النعمة أو القدرة، فهذا تحريف وتبديل وتغيير، وهم لا يحرفون الألفاظ ولا المعاني.

الجهمية حرفت وقالوا: معنى ((استوى)) استولى، ولهذا يقول العلماء: إن الجهمية شابهوا اليهود، فإن اليهود قال الله لهم: ﴿وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة﴾ [البقرة:٥٨] يعني: حط عنا يا الله ذنوبنا واغفرها لنا، وهم حرفوا وقالوا: حنطة، حرفوا في **اللفظ والمعنى**، وأمرهم الله أن يدخلوا سجدا فدخلوا يزحفون على أدبارهم.

والجهمية غيروا (استوى) وقالوا: استولى، ولهذا يقول العلماء: لام الجهمية مثل نون اليهود، لام الجهمية استولى زادوها في النص، ونون اليهود زادوها في النص.

أما أهل السنة والجماعة فلا يحرفون ولا يغيرون ولا يبدلون كما تفعل الجهمية وكما يفعل اليهود؛ ولهذا قال المؤلف رحمه الله: (بل ينتهون فيها إلى ما قاله الله تعالى وقاله رسوله من غير زيادة عليه ولا إضافة إليه ولا تكييف له ولا تشبيه ولا تحريف ولا تبديل ولا تغيير).

فهم لا يقولون: كيفية الصفة على كذا وكذا، ولا يقولون: تشبه صفة المخلوقين، ولا يحرفون اللفظ، ولا يحرفون المعنى، ولا يبدلون ولا يغيرون.

قوله: ولا إزالة للفظ الخبر عما تعرفه العرب، وتضعه عليه في تأويل المنكر).

فأهل السنة لا يزيلون لفظ الخبر عما تعرفه العرب، وتؤوله عليه بتأويل منكر، مثل تأويل الجهمية في (استوى) باستولى، هذا

إزالة للفظ الخبر عما تعرفه العرب بتأويل منكر.
قوله: ويجرونه على الظاهر ويكلون علمه إلى الله، ويقرون بأنه تأويل لا يعلمه إلا الله، كما أخبر الله عن الراسخين في العلم أنهم يقولون في قوله عز وجل: ﴿والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا﴾ [آل عمران:٧]) فالراسخون في العلم يؤمنون بالنصوص ولا يمثلون ولا يكيفون ولا يشبهون، يقولون: ﴿آمنا به كل من عند ربنا﴾ [آل عمران:٧] آمنا بالمتشابه وبالمحكم، ويعملون بالمحكم، ويؤمنون بالمتشابه، ولا يحرفون.
قوله: (وآيات الكتاب وأخبار الرسول صلى الله عليه وسلم الصحيحة المنيرة الناطقة بهذه الصفات وغيرها كثيرة) يعني: الآيات والنصوص التي فيها إثبات الصفات سواء من الكتاب ومن السنة كثيرة، يطول الكتاب بإحصائها، لكن أنا أعطيك قاعدة هي: يجب على كل مسلم أن يثبت النصوص التي وردت في الكتاب وفي السنة إثباتا بغير تكييف ولا تمثيل، لكن تنزيه الله عن مشابهة المخلوق من غير تعطيل للصفات، ولا تمثلها بصفات المخلوقين كما يفعل المشركون، ولا تعطل بأن تنفي الصفات كما نفتها المعطلة.
فكل نص في القرآن العزيز أو في السنة المطهرة جاء بإثبات صفة من صفات الله، أو اسم من أسماء الله، أو فعل من الأفعال أثبته لله، واجتنب أمرين باطلين: الباطل الأول: التمثيل بصفات المخلوقين، والباطل الثاني: تعطيل الصفة.
إذا: من مثل فقد شابه." (١)

"عقيدة السلف في القرآن وصفة الكلام لله

قال: [ويشهد أصحاب الحديث ويعتقدون أن القرآن كلام الله وخطابه ووحيه وتنزيله غير مخلوق، ومن قال بخلقه واعتقده فهو كافر عندهم، والقرآن -الذي هو كلام الله ووحيه- هو الذي نزل به جبريل على الرسول صلى الله عليه وسلم قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا، كما قال عز وجل: ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين﴾ [الشعراء:١٩٢ - ١٩٥].
وهو الذي بلغه الرسول صلى الله عليه وسلم أمته كما أمر به في قوله تعالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ [المائدة:٦٧] فكان الذي بلغهم بأمر الله تعالى كلامه عز وجل، وفيه قال صلى الله عليه وسلم: (أتمنعونني أن أبلغ كلام ربي) وهو الذي تحفظه الصدور، وتتلوه الألسنة، ويكتب في المصاحف، كيفما تصرف بقراءة قارئ ولفظ لافظ وحفظ حافظ، وحيث تلي، وفي أي موضع قرئ أو كتب في مصاحف أهل الإسلام وألواح صبيانهم وغيرها كله كلام الله جل جلاله غير مخلوق؛ فمن زعم أنه مخلوق فهو كافر بالله العظيم.
سمعت الحاكم أبا عبد الله الحافظ يقول: سمعت أبا الوليد حسان بن محمد يقول: سمعت الإمام أبا بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق؛ فمن قال: إن القرآن مخلوق فهو كافر بالله العظيم، ولا تقبل شهادته، ولا يعاد إن مرض، ولا يصلى عليه إن مات، ولا يدفن في مقابر المسلمين، يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه].
هذا الكلام ذكره المؤلف رحمه الله في إثبات القرآن، وأنه كلام الله عز وجل، وهو من الصفات التي اشتد فيها النزاع بين

(١) شرح عقيدة السلف وأصحاب الحديث - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ٦/٣

أهل السنة وبين أهل البدع.

وهناك صفات اشتد فيها النزاع بين أهل السنة وبين أهل البدع، من أثبتها فهو من أهل السنة، ومن نفاها فهو من أهل البدعة، وهي ثلاث صفات: الصفة الأولى: صفة الكلام، والصفة الثانية: صفة رؤية الله عز وجل، والصفة الثالثة: صفة العلو.

فالكلام لا يثبته الجهمية ولا المعتزلة، والأشاعرة يثبتون الكلام على أنه معنى قائم بالنفس، والرؤية كذلك ينكرها الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، وكذلك العلو.

وهنا يبين المؤلف رحمه الله عقيدة السلف وأصحاب الحديث: أنهم يعتقدون أن القرآن كلام الله، تكلم به بصوت وحرف، وسمعه منه جبرائيل عليه الصلاة والسلام، ونزل به وحيا على قلب محمد صلى الله عليه وسلم، كما قال الله عز وجل: ﴿نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين﴾ [الشعراء:١٩٤ - ١٩٥].

أما الجهمية فقد أنكروا أن يكون الله تكلم، يقولون: هذا ليس كلام الله وإنما هو مخلوق.

وكذلك المعتزلة قالوا: ليس لله كلام، وأنكروا **اللفظ والمعنى**، وقالوا: إن الله خلق الكلام وأضافه إليه، فيقولون: إن الله خلق الكلام في الشجرة، والشجرة هي التي كلمت موسى، وقالت: ﴿يا موسى إني أنا الله رب العالمين﴾ [القصص:٣٠] هل الشجرة تقول: (إني أنا الله رب العاملين)؟ يقولون: الكلام نحن نثبت الكلام لكن ما نثبت الكلام على أنه لفظ ولا حرف ولا صوت، الكلام معنى قائم بنفس الرب لا يسمع، كما أن العلم في نفسه فكذلك الكلام قائم في نفسه.

أما الأشاعرة فهم أقرب الطوائف إلى أهل السنة ومع ذلك ما أثبتوا الكلام، يقولون: إن القرآن الموجود في المصاحف ليس كلام الله، إنما كلام الله معنى قائم بنفسه، لكن هذا عبارة عن كلام الله عبر به جبريل أو عبر به محمد، وقالوا: إن الله لم يتكلم بحرف ولا صوت، ولم يسمع جبريل من الله حرفا ولا صوتا، ولكن يضطر اضطرارا جبريل، ففهم المعنى القائم بنفسه، وجعلوا الله والعياذ بالله كالأخرس لا يتكلم، والكلام معنى قائم بنفسه ولا يستطيع أن يتكلم به نعوذ بالله!! ليس بحرف ولا صوت ولا يتكلم بقدرته ومشيئته، ومن أين هذا القرآن؟ قالوا: هذا القرآن الله تعالى اضطر جبريل اضطرارا ففهم المعنى القائم بنفسه، ثم ذهب فعبر بهذا القرآن وأوصله إلى محمد، فلفظه من جبريل، فهمه جبريل من الله فعبر عنه.

وقالت طائفة من الأشاعرة: الذي عبر به محمد وليس بجبريل، وقالت طائفة أخرى من الأشاعرة: إن جبريل أخذ القرآن من اللوح المحفوظ وأنزله على محمد، وكل هذه أقوال باطلة، والذي يعتقده أهل السنة والجماعة وأهل الحديث والسلف: أن القرآن كلام الله لفظه ومعناه، بحرف وصوت، وأن الله تكلم به، فسمعه جبرائيل، ونزل به على محمد صلى الله عليه وسلم.

قوله: (ويشهد أصحاب الحديث ويعتقدون: أن القرآن كلام الله وكتابه وخطابه ووحيه وتنزيله غير مخلوق) فالقرآن لفظه ومعناه تكلم الله به، وهو كتاب الله وهو خطابه وهو وحيه وتنزيله، وهو كلام الله **اللفظ والمعنى** بحرف وصوت.

قوله: (ومن قال بخلقه واعتقده فهو كافر عندهم) ولهذا قال كثير من السلف: من قال: القرآن مخلوق فهو كافر.

وهذا الحكم إنما هو على العموم، أما المعين فلان بن فلان إذا قال: القرآن مخلوق، فلا يكفر حتى تقام عليه الحجة وتزال الشبهة إذا كانت له شبهة، لكن على العموم يقال: من قال: القرآن مخلوق، أو كلام الله مخلوق فهو كافر، أما الشخص

المعين إذا تكلم بهذا فإنه يكفر إذا وجدت الشروط وانتفت الموانع وزالت الشبهة، فلابد أن يزال اللبس وتزال الشبهة، فإذا أصر قتل لكفره.

قوله: (والقرآن الذي هو كلام الله ووحيه هو الذي نزل به جبريل على الرسول عليه الصلاة والسلام) نعم لفظه ومعناه نزل به من عند الله.

قوله: (قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا) أي: فيه البشارة والنذارة.

قوله: (كما قال عز من قائل: ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين﴾ [الشعراء:١٩٢ - ١٩٣] وهو جبريل: ﴿على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين﴾ [الشعراء:١٩٤ - ١٩٥].

وهو الذي بلغه الرسول صلى الله عليه وسلم أمته كما أمر به في قوله تعالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ [المائدة:٦٧])، هذا القرآن تكلم الله به وبلغه جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم والرسول صلى الله عليه وسلم بلغه أمته، فهذا القرآن الذي نتلوه ونسمعه ونقرأه ونحفظه هو كلام الله الذي تكلم به بلفظه ومعناه، وسمعه منه جبرائيل، ونزل به على قلب محمد صلى الله عليه وسلم، والنبي صلى الله عليه وسلم بلغه أمته، فالقرآن منزل من عند الله.

قوله: (فكان الذي بلغهم بأمر الله تعالى كلامه عز وجل)، الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بالتبليغ: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ [المائدة:٦٧] فالرسول بلغ كلام الله بأمر الله.

قوله: (وفيه قال صلى الله عليه وسلم: (أتمنعونني أن أبلغ كلام ربي)) هذا الحديث صحيح، لما منعه الكفار من دعوة الناس، قال: (أتمنعونني أن أبلغ كلام ربي)، فالرسول صلى الله عليه وسلم أثبت أنه كلام الله الذي تكلم به.

قوله: (وهو الذي تحفظه الصدور، وتتلوه الألسنة، ويكتب في المصاحف، كيفما تصرف بقراءة قارئ ولفظ لافظ وحفظ حافظ، وحيث تلي، وفي أي موضع قرئ أو كتب في مصاحف أهل الإسلام، وألواح صبيانهم وغيرها كله كلام الله) يعني: كلام الله عز وجل كيفما تصرف فهو كلام الله، إن حفظه الحافظ فكلام الله له محفوظ، وإن تلاه التالي فكلام الله له متلو، وإن كتب فكلام الله مكتوب، كيفما تصرف فهو كلام الله حقيقة وليس مجازا، كلام الله محفوظ في الصدور، متلو بالألسنة، مكتوب في المصاحف، إذا قرأه قارئ فهو كلام الله، إذا تلاه التالي يقال: تلا التالي كلام الله، إذا حفظه الحافظ يقال: حفظ الحافظ كلام الله، إذا كتبه كاتب يقال: كتب الكاتب كلام الله.

وهذا حقيقة ليس مجازا، ولو كان مجازا لصح أن يوجه النفي إليه فيقال: ما قرأ القارئ كلام الله، ما تلا التالي كلام الله، ما كتب الكاتب كلام الله، وهذا باطل لا يقال، فإذا قرأ القارئ كلام الله يقال: كلام الله مقروء حقيقة، إذا تلاه يقال: كلام الله متلو، إذا حفظه يقال: كلام الله محفوظ في صدور المؤمنين، أو الذين أوتوا العلم، كما قال الله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون * وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون * وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون * بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم﴾ [العنكبوت:٤٦ - ٤٩].

إذا: القرآن محفوظ في الصدور، متلو بالألسن، مكتوب في المصاحف، كيفما تصرف فهو كلام الله، حيث تلي أو لفظ أو

حفظ أو قرئ أو كتب في مصاحف أهل الإسلام وفي ألواح الصبيان قبل أن توجد، اللوح قطعة من الخشب يطلى بالطين ثم يكتب عليه حتى يتعلم الصبي، فيقال: كتب في اللوح كلام الله، كتب في المصحف كلام الله، فكلام الله مكتوب في مصاحف الإسلام، وألواح الصبيان، وغيرها كله كلام الله جل جلاله.

قوله: (فمن زعم أنه مخلوق فهو كافر بالله العظيم) يعني: كلام الله في القرآن الذي مكتوب في المصاحف ومتلو بالألسن، وموضوع في الصدور هو القرآن بعينه الذي نقول: إنه غير مخلوق، فمن زعم." (١)

"الخلاف بين أهل السنة ومرجئة الفقهاء

Q الخلاف بين أهل السنة وبين مرجئة الفقهاء هل هو خلاف لفظي أم حقيقي يترتب عليه أشياء في مسألة الإيمان؟

A ليس لفظيا من جميع الوجوه، وشارح الطحاوية يقول: إنه لفظي، والصواب أنه ليس لفظيا من جميع الوجوه، صحيح أنه لا يترتب عليه فساد في الاعتقاد لكن له آثار تترتب عليه، من آثاره: أن جمهور أهل السنة وافقوا الكتاب والسنة في **اللفظ والمعنى**، ومرجئة الفقهاء وافقوا الكتاب والسنة في المعنى وخالفوهما في اللفظ، ولا يجوز للإنسان أن يخالف النصوص لا في اللفظ ولا في المعنى، بل الواجب على المسلم أن يتأدب وأن يوافق النصوص في **اللفظ والمعنى**.

ومن الآثار التي ترتبت على الخلاف: فتح الباب للمرجئة المحضة، فمرجئة الفقهاء في اختلافهم مع جمهور أهل السنة فتحوا الباب للمرجئة المحضة، فلما قال مرجئة الفقهاء: إن الأعمال ليست داخلة في مسمى الإيمان فتحوا الباب للمرجئة المحضة وهم الجهمية فقالوا: الأعمال ليست مطلوبة، فالواجبات ليست واجبات والمحرمات ليست محرمات.

ومن آثار الخلاف: أنهم فتحوا الباب للفسقة والعصاة، فلما قال مرجئة الفقهاء: إن الأعمال ليست داخلة في مسمى الإيمان سيأتي السكير العربيد فيقول: أنا مؤمن كامل الإيمان كإيمان أبي بكر وعمر، فإذا قيل له: أبو بكر وعمر عنده أعمال عظيمة، قال: الأعمال شيء آخر، لكن تصديقي وتصديق أبي بكر واحد، الإيمان هو التصديق، فالذي فتح هذا الباب للفسقة هم مرجئة الفقهاء.

ومن ثمرة الخلاف مسألة الاستثناء في الإيمان، وهو أن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله، فمرجئة الفقهاء يمنعون الاستثناء ويقولون: لا تقل إن شاء الله، ومن قال: إن شاء الله فهو شاك في إيمانه؛ لأن الإيمان تصديق القلب وأنت تعلم أنك مصدق فهل تشك أنك مصدق؟ لا تشك، كما أنك لا تشك بأنك قرأت الفاتحة، أو أنك تحب الرسول وتبغض اليهود فلا تشك في تصديقك.

أما جمهور أهل السنة فيقولون: المسألة فيها تفصيل: إن قصد الشك في أصل إيمانه فهذا ممنوع، وأما إن قصد أن الإيمان شعب متعددة وأنها تدخل فيه الأعمال كلها والأقوال، ولا يذكر الإنسان نفسه، ولا يجزم بأنه أدى ما عليه، بل يتهم نفسه ويزري على نفسه فلا بأس، فإنه في هذه الحالة يستثني ويقول: أنا مؤمن إن شاء الله، فيكون الاستثناء راجع إلى الأعمال، وكذلك أيضا إذا أراد عدم علمه بالعاقبة فله أن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله، وكذلك إذا أراد التبرك بذكر اسم الله فيقول: أنا مؤمن إن شاء الله.

---

(١) شرح عقيدة السلف وأصحاب الحديث - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ٢/٤

فجمهور أهل السنة يجيزون الاستثناء باعتبار ويمنعونه باعتبار، أما مرجئة الفقهاء فيمنعوه، وبهذا يتبين أن الخلاف ليس لفظيا كما يقول شارح الطحاوية، وإنما له آثار تترتب عليه، وإن لم يترتب عليه فساد في العقيدة.." (١)

"أتوهم أن مسلما يتوهم أن الله لا يتكلم بشيء مرتين. (١)

- قال الحاكم: سمعت محمد بن صالح بن هانئ، سمعت ابن خزيمة يقول: من لم يقر بأن الله على عرشه قد استوى فوق سبع سماواته فهو كافر حلال الدم، وكان ماله فيئا.

قلت -أي الذهبي-: من أقر بذلك تصديقا لكتاب الله، ولأحاديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وآمن به مفوضا معناه (٢) إلى الله ورسوله، ولم يخض في التأويل ولا عمق، فهو المسلم المتبع، ومن أنكر ذلك، فلم يدر بثبوت ذلك في الكتاب والسنة فهو مقصر والله يعفو عنه، إذ لم يوجب الله على كل مسلم حفظ ما ورد في ذلك، ومن أنكر ذلك بعد العلم، وقفا غير سبيل السلف الصالح، وتمعقل على النص فأمره إلى الله، نعوذ بالله من الضلال والهوى. وكلام ابن خزيمة هذا -وإن كان حقا- فهو فج، لا تحتمله نفوس كثيرة من متأخري العلماء. (٣)

- قال أبو الوليد حسان بن محمد الفقيه: سمعت ابن خزيمة يقول: القرآن كلام الله تعالى، ومن قال: إنه مخلوق. فهو كافر، يستتاب، فإن تاب وإلا قتل، ولا يدفن في مقابر المسلمين. (٤)

- قال الحاكم: وحدثني عبد الله بن إسحاق الأنماطي المتكلم قال: لم يزل الطوسي بأبي بكر بن خزيمة حتى جرأه على أصحابه، وكان أبو بكر بن

---

(١) درء التعارض (٢/ ٧٩ - ٨١) والسير (١٤/ ٣٨٠) والتذكرة (٢/ ٧٢٦ - ٧٢٧).

(٢) والذي ينبغي أن يقال: يجب الإيمان **باللفظ والمعنى**، ويفوض الكيف.

(٣) السير (١٤/ ٣٧٣ - ٣٧٤).

(٤) السير (١٤/ ٣٧٤) والتذكرة (٢/ ٧٢٨ - ٧٢٩).." (٢)

"وكذلك قالت طائفة منهم: ﴿إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ ١ كما قال جهم٢ والمريسي سواء٣ لا فرق بينهما في **اللفظ والمعنى**: إن هذا إلا مخلوق، فأنكر عليهم٤ قولهم: فقال للوحيد: ﴿سأصليه سقر﴾ ٥ لما قال٦: ﴿إن هذا إلا قول البشر﴾ ٧ وقال للذي قال: ﴿لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ ٨: ﴿فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ ٩ ولن يفعلوا١٠.

---

١ الآية من سورة الأنفال رقم "٣١" ومثله من حكاه الله تعالى عن مشركي العرب، حيث قال: ﴿وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين، ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون﴾ النحل

---

(١) شرح عقيدة السلف وأصحاب الحديث - الراجحي، عبد العزيز الراجحي ٩/١٠

(٢) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المغراوي ٣٠/٥

٢٤-٢٥، وقال تعالى: ﴿وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا، قل أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض إنه كان غفورا رحيما﴾ الفرقان "٥-٦"، ومثل ما حكى الله تعالى عن الكافر الجاحد، حيث قال: ﴿إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين﴾ القلم "١٥".

٢ جهم، تقدم ص"١٤٧".

٣ في الأصل "سواء" وبما أثبتناه جاء في ط، س، ش وهو الصواب إملائيا.

٤ في ط، ش "فأنكر عليهم".

٥ سورة المدثر آية ٢٦.

٦ قوله: "لما قال" ليس في الأصل، وأثبته من بقية النسخ.

٧ سورة المدثر، آية ٢٥.

٨ سورة الأنفال آية ٣١.

٩ سورة البقرة، آية ٢٣.

١٠ في ط، س، ش ﴿فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا﴾ وهوأول الآية رقم "٢٤" من سورة البقرة.." (١)

"بسقر حيث قال تعالى (سأصليه سقر) [المدثر: ٢٦] فلما أوعد الله بسقر لمن قال: (إن هذا إلا قول البشر) [المدثر: ٣٢] علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر ولا يشبه قول البشر (١)

---

(١) نقل هذا الكلام عن المصنف رحمه الله شيخ الإسلام ابن تيمية في " مجموع الفتاوى " (١٢ / ٥٠٧) مستشهدا به وقال الشارح ابن أبي العز رحمه الله (ص ١٧٩ الطبعة الرابعة) [الصفحة ١٦٨ - ١٦٩ الطبعة التاسعة طبع المكتب الإسلامي] :

وهذا الذي حكاه الطحاوي رحمه الله هو الحق الذي دلت عليه الأدلة من الكتاب والسنة لمن تدبرهما وشهدت به الفطرة السليمة التي لم تغير بالشبهات والشكوك والآراء الباطلة. وقد افترق الناس في مسألة الكلام على تسعة أقوال

: ثم ساقها ومنها الثالث وهو أنه معنى واحد قائم بذات الله هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار وإن عبر عنه بالعربية كان قرآنا وإن عبر عنه بالعبرانية كان توراة وهذا قول ابن كلاب ومن وافقه كالأشعري وغيره قال: وسابعها أن كلامه يتضمن معنى قائما بذاته هو ما خلقه في غيره وهذا قول أبي منصور الماتريدي

وتاسعها أنه تعالى لم يزل متكلما إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء وهو يتكلم به بصوت يسمع وأن نوع الكلام قديم وإن لم يكن الصوت المعين قديما وهذا المأثور عن أئمة الحديث والسنة

وقوله: "كلام الله منه بدا بلا كيفية قولا " - رد على المعتزلة وغيرهم

فإن المعتزلة تزعم أن القرآن لم يبد منه كما تقدم حكاية قولهم. وقال الشيخ محمد بن مانع رحمه الله تعالى (ص ٨) :

---

(١) نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد الدارمي، أبو سعيد ٥٢٩/١

القرآن العظيم كلام الله لفظه ومعانيه فلا يقال اللفظ دون المعنى كما هو قول أهل الاعتزال ولا المعنى دون اللفظ كما هو قول الكلابية الضلال ومن تابعهم على باطلهم من أهل الكلام الباطن المذموم فأهل السنة والجماعة يقولون ويعتقدون أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق ألفاظه ومعانيه عين كلام الله سمعه جبريل من الله والنبي سمعه من جبريل والصحابة سمعوه من النبي فهو المكتوب بالمصاحف المحفوظ بالصدور المتلو بالألسنة

قال الحافظ ابن القيم رحمه الله:

وكذلك القرآن عين كلامه ال مسموع منه حقيقة ببيان

هو قول ربي كله لا بعضه لفظا ومعنى ما هما خلقان

تنزيل رب العالمين ووحيه **اللفظ والمعنى** بلا روغان

وقال الشارح رحمه الله (ص ١٩٤ - ١٩٥) [١٨١] :

وكلام الطحاوي رحمه الله يرد قول من قال: إنه معنى واحد لا يتصور سماعه منه وأن المسموع المنزل المقروء والمكتوب ليس كلام الله وإنما هو عبارة عنه. فإن الطحاوي رحمه الله يقول:

كلام الله منه بدا ". وكذلك قال غيره من السلف ويقولون: منه بدا وإليه يعود. وإنما قالوا: منه بدا لأن الجهمية من المعتزلة وغيرهم كانوا يقولون إنه خلق الكلام في محل فبدا الكلام من ذلك المحل. فقال السلف: " منه بدا " أي هو المتكلم به فمنه بدا لا من بعض المخلوقات كما قال تعالى: (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) [الزمر: ١] (ولكن حق القول مني) [السجدة: ١٣] (قل نزله روح القدس من ربك الحق) [النحل: ١٠٢] . ومعنى قولهم: " وإليه يعود ": يرفع من الصدور والمصاحف فلا يبقى في الصدور منه آية ولا في المصاحف. كما جاء ذلك في عده آثار

وقولهم " بلا كيفية ": أي: لا تعرف كيفية تكلمه به " قولا " ليس بالمجاز " وأنزله على رسوله وحيا " أي: أنزله إليه على لسان الملك فسمعه الملك جبرائيل من الله وسمعه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم من الملك وقرأه على الناس. قال تعالى: (وقرآنا عربيا لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا) [الإسراء: ١٠٦] وقال تعالى: (نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين) [الشعراء: ١٩٣] وفي ذلك إثبات صفة العلو لله تعالى." (١)

"قلنا: واختلف الأصحاب في جواب هذا، والمختار أن تقول هذا نظر يتعلق أحد طرفيه بالمعنى والآخر بإطلاق الاسم من حيث اللغة. فأما حظ المعنى فقد انكشف وهو أن الاقتضاء القديم معقول وإن كان سابقا على وجود المأمور كما في حق الولد ينبغي أن يقال اسم الأمر ينطلق عليه بعد فهم المأمور ووجوده أم ينطلق عليه قبله؟ وهذا أمر لفظي لا ينبغي للناظر أن يشتغل بأمثاله، ولكن الحق أنه يجوز اطلاقه عليه كما جوزوا تسمية الله تعالى قادرا قبل وجود المقدور، ولم يستبعدوا قادرا ليس له مقدور موجود بل قالوا القادر يستدعي مقدورا معلوما لا موجودا فكذلك الآمر يستدعي مأمورا معلوما موجودا والمعدوم معلوم الوجود قبل الوجود، بل يستدعي الأمر مأمورا به كما يستدعي مأمورا ويستدعي آمرا أيضا والمأمور به يكون معدوما ولا يقال إنه كيف يكون آمر من غير مأمور به، بل يقال له مأمور به هو معلوم وليس يشترط

---

(١) متن الطحاوية بتعليق الألباني الطحاوي ص/٤١

كونه موجودا، بل يشترط كونه معدوما بل من أمر ولده على سبيل الوصية بأمر ثم توفي فأتى الولد بما أوصي به يقال امتثل أمر والده والأمر معدوم والأمر في نفسه معدوم ونحن مع هذا نطلق اسم امتثال الأمر، فإذا لم يستبعد كون المأمور ممتثلا للأمر ولا وجود للأمر ولا للآمر ولم يستبعد كون الأمر أمرا قبل وجود المأمور به، فمن أين يستدعي وجود المأمور؟ فقد انكشف من هذا حظ **اللفظ والمعنى** جميعا ولا نظر إلا فيهما. فهذا ما أردنا أن نذكره في استحالة كونه محلا للحوادث إجمالا وتفصيلا.

الحكم الرابع

إن الأسامي المشتقة لله تعالى من هذه الصفات السبعة صادقة عليه أزلا وأبدا، فهو في القدم كان حيا قادرا عالما سميعا بصيرا متكلما، وأما ما يشتق له من الأفعال كالرازق والخالق والمعز والمذل فقد اختلف في أنه يصدق في الأزل أم لا. وهذا إذا كشف الغطاء عنه تبين استحالة الخلاف فيه.

والقول الجامع أن الأسامي التي يسمى بها الله تعالى أربعة: الأول: أن لا يدل إلا على ذاته كالموجود، وهذا صادق أزلا وأبدا.

الثاني: ما يدل على الذات مع زيادة سلب كالقديم، فإنه يدل على وجود غير مسبوق بعدم أزلا، والباقي فإنه يدل على الوجود وسلب العدم عنه آخرا وكالواحد فإنه يدل على الوجود وسلب الشريك، وكالغني فإنه يدل على الوجود وسلب الحاجة فهذا أيضا يصدق أزلا وأبدا لأن ما يسلب عنه يسلب لذاته فيلازم الذات على الدوام.." (١)

"الفصل الثاني

أقانيم القدرة والعلم والحياة

في حكاية كلامه أيضا

قال

فإن قلت لم لا تقولون بسم العالم القادر المريد إذا قلتم بإسم الآب والإبن والروح القدس فيتبين آب وابن وروح القدس ثالثا

اعلم أن المسيح لما بعث الحواريين إلى جميع الأجناس قال لهم من آمن منهم فعمدوه على اسم الآب والإبن والروح القدس وإنما خاطبنا بمثل تعاقلنا فجعل هذه الأسماء كاختلاف قضايا تلك الأفعال ثم واسط ثم أخر

فأول القضايا خلق الله الجميع بيد سماها أبا وأضافها إلى القدرة وأضاف قضية وعظ المسيح للناس إلى العلم وسماه ابنا لأن العلم لا يوقع عليه حتى يتولد كلاما وأضاف قضية فناء جميع الدنيا ومكافأة أهلها بأعمالهم إلى الإرادة وسماها روح القدس الذي هو قادر عالم مريد اسما للواحد الذي لا يتكثر

والجواب عن قوله

اعلم يا هذا إنك لم تحسن السؤال ولا حصلت منه على صواب مقال بل حصل منه في عنقك غل وفي رجليك عقال قلبت

---

(١) الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي أبو حامد الغزالي ص/٨٧

السؤال ولم تشعر وجهلت من حيث ظننت أنك تستبصر اردت أن تقول في الإعتراض الذي وجهته على نفسك لم لا تكتفون باسم القادر العالم المريد ولا تقولون باسم الآب والإبن وروح القدس فقدمت وأخرت **وباللفظ والمعنى** أخللت." (١)

"الصحابة والصحابيات، وأن ذلك كيف شاء لا كما نفهمه (١) من مواجيد ذواتنا، وأنه كلما خطر بالبال أو تصور في الذهن فالله تعالى بخلافه (٢).

وقد نفى بعضهم النزول، وضعف الأحاديث، أو تأولها خوفا من التحيز (٣)،

= وتجل.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في شرح حديث النزول (ص ٣٧٧): (وأما قرب الرب قربا يقوم بفعله القائم بنفسه: فهذا تنفيه الكلابية ومن يمنع قيام الأفعال الاختيارية بذاته، وأما السلف وأئمة الحديث والسنة فلا يمنعون ذلك، وكذلك كثير من أهل الكلام.

فنزوله كل ليلة إلى السماء الدنيا ونزوله عشية عرفة، ونحو ذلك: هو من هذا الباب).

ويقول أيضا في مجموع الفتاوى (٦/ ٨): هذا القرب عند المتفلسفة والجهمية هو مجرد ظهوره، وتجليه لقلب العبد فهو قرب المثال .... - إلى أن قال - وأما أهل السنة فعندهم مع التجلي والظهور تقرب ذات العبد إلى ذات الرب، وفي جواز دنو ذات الله القولان .... - إلى أن قال - وعلى مذهب النفاة من المتكلمة لا يكون إتيان الرب ومجيئه ونزوله إلا تجليه وظهوره لعبده. بتصرف واختصار، وانظر مجموع الفتاوى (٥/ ٤٦٦ - ٤٦٧).

(١) في (ظ) و (ن): (نفهم).

(٢) انظر: التدمرية (ص ٤٣).

(٣) التحيز: من الحيز، وهو الفراغ مطلقا، وقيل: هو المكان. وهذا اللفظ يستعمله المعطلة - نفاة الصفات - في نفي الصفات وخاصة صفة العلو. ويقال لهم: لا ينبغي إطلاق نفي الحيز عن الله تعالى؛ لأن لفظ الحيز من الألفاظ المجملة التي يراد بها معان متعددة، ولا تثبت أو تنفى عن الله تعالى إلا بعد الاستفصال عن مراد قائلها بها، فإن أراد بها معنى موافقا للكتاب والسنة قبل منه المعنى دون اللفظ، وإن كان مخالفا رد **اللفظ والمعنى**.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: (لفظ التحيز إن أراد به أن الله تحوزه المخلوقات فالله أعظم وأكبر، بل قد وسع كرسيه السموات والأرض .... ، وإن أراد به أنه منحاز عن المخلوقات، أي: مباين لها، منفصل عنها، ليس حالا فيها، فهو سبحانه =." (٢)

---

(١) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام شمس الدين القرطبي ص/٦٣

(٢) الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد ابن العطار ص/١١٤

"وحفظ حافظ، وحيث تلي، وفي أي موضع [قرئ] (١)، أو كتب في مصاحف الإسلام، وألواح صبيانهم، وغيرها، [كله] (٢) كلام الله، وهو القرآن (٣)، الذي نقول: إنه غير مخلوق، فمن زعم أنه مخلوق فهو كافر بالله العظيم (٤).
ويجب أن نعتقد جميع ذلك، وأنه كلام الله، منه بدأ (٥) بلا كيفية قولا (٦)، وأنزله على نبيه وحيا، وصدقه المؤمنون على ذلك حقا،

---

(١) في (ص): (تلي)، وفي (ن) ما أثبته.

(٢) في (ن) وليست في (ص).

(٣) قوله: (وهو الذي تحفظه الصدور .... كله كلام الله وهو القرآن) فيه رد على الأشاعرة القائلين بأن القرآن العربي ليس كلام الله، وإنما خلقه في الهواء، أو في اللوح المحفوظ، أو أحدثه جبريل – عليه السلام – أو محمد – صلى الله عليه وسلم –، والقائلين أيضا بأن القرآن المنزل إلى الأرض ليس هو كلام الله، فما نزل به جبريل – عليه السلام – من المعنى واللفظ، وما بلغه محمد – صلى الله عليه وسلم – لأمته من المعنى واللفظ ليس هو كلام الله، لا حروفه ولا معانيه، بل هو مخلوق عندهم، وإنما يقولون هو عبارة عن كلام الله القائم بالنفس. انظر: موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من الأشاعرة للدكتور عبد الرحمن المحمود (٣/ ١٣٠٠).

(٤) من قوله: (وهو الذي تحفظه الصدور ...)، وإلى: (.... فهو كافر بالله العظيم) نقله المؤلف بتصرف من عقيدة السلف للصابوني (ص ١٦٦).
وأقول: لعل الصابوني – رحمه الله – اقتبسه من الإسماعيلي – رحمه الله – في كتابه: اعتقاد أهل السنة، حيث قال الإسماعيلي: (ويقولون: القرآن كلام الله غير مخلوق وأنه كيفما تصرف؛ بقراءة القاريء له، وبلفظه، ومحفوظا في الصدور، متلوا بالألسن، مكتوبا في المصاحف؛ غير مخلوق ....).
انظر: كتاب اعتقاد أهل السنة لأبي بكر الإسماعيلي (ص ٣٦).

(٥) قول السلف: إن القرآن بدأ من الله، يعنون به أنه خرج وظهر من الله، وتكلم به، ونقل هذا المعنى شيخ الإسلام ابن تيمية في التسعينية (١/ ٣٦٤ – ٣٦٩) وساق كلام السلف في ذلك.

(٦) أي: بلا كيفية نعلمها قولا.." [1]

"وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة (١)، وليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر، وقد ذمه الله تعالى وعابه وأوعده، حيث قال: ﴿سأصليه سقر﴾ [المدثر: ٢٦]، وعد الله سقر لمن قال: ﴿إن هذا إلا قول البشر﴾ [المدثر: ٢٥]، فعلمنا أنه قول خالق البشر، ولا يشبهه قول البشر. ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر، فمن أبصر هذا اعتبر، وعن مثل قول الكفار انزجر، وعلم أن الله تعالى في صفاته (٢) ليس كالبشر (٣) قلت: ونبغت (٤) طائفة فتكلمت في كيفية كلام الله، وهل هو بحرف وصوت كما نتكلم به؟، وكل هذا بدعة (٥) محدثة (٦)

---

(١) الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد ابن العطار ص/١٥٤

يلزم منه الحكم في صفات الله تعالى بالقياس، وقياس الغائب على الشاهد، وهما باطلان، والله أعلم.

---

(١) الحقيقة هنا تشمل **اللفظ والمعنى**.

(٢) في (ن): (بصفاته).

(٣) من قوله: (منه بدأ ..) وإلى: (.. ليس كالبشر) نقله المؤلف بتصرف من متن العقيدة الطحاوية (ص ٩).

(٤) في (ن): (ونبعث).

(٥) لعل المؤلف يقصد بذلك: أن إطلاق الكلام في هذه المسألة من حيث النفي والإثبات بدعة محدثة، لم تكن معروفة في القرون المفضلة، وهذا ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية عندما سئل عن كلام الله: هل هو حرف وصوت أم لا؟. فأجاب: (بأن إطلاق الجواب في هذه المسألة نفيا وإثباتا خطأ، وهي من البدع المولدة، الحادثة بعد المئة الثالثة، ثم قال: والصواب الذي عليه سلف الأمة - كالإمام أحمد والبخاري صاحب الصحيح، في كتاب خلق أفعال العباد وغيره وسائر الأئمة قبلهم وبعدهم - اتباع النصوص الثابتة، وإجماع سلف الأمة، وهو أن القرآن جميعه كلام الله حروفه ومعانيه، ليس شيء من ذلك كلاما لغيره، ولكن أنزله على رسوله ... وأن الله تعالى يتكلم بصوت كما جاءت به الأحاديث الصحاح، وليس ذلك كأصوات العباد، لا صوت القارئ ولا غيره ...). انظر: مجموع الفتاوى (١٢/ ٢٤٣ - ٢٤٤).

(٦) في (ن): (محرمة).." [١]

"كان هو التصديق كما ذكرتم، فالتصديق نوع من أنواع الكلام، فاستعمال لفظ الكلام والقول ونحو ذلك في **المعنى واللفظ**، بل في اللفظ الدال على المعنى أكثر في اللغة من استعماله في المعنى المجرد عن اللفظ، بل لا يوجد قط إطلاق اسم الكلام ولا أنواعه: كالخبر أو التصديق والتكذيب والأمر والنهي على مجرد المعنى من غير شيء يقترن به من عبارة ولا إشارة ولا غيرهما، وإنما يستعمل مقيدا.

وإذا كان الله إنما أنزل القرآن بلغة العرب، فهي لا تعرف التصديق والتكذيب وغيرهما من الأقوال إلا ما كان معنى ولفظا، أو لفظا يدل على معنى؛ ولهذا لم يجعل الله أحدا مصدقا للرسل بمجرد العلم والتصديق الذي في قلوبهم حتى يصدقوهم بألسنتهم، ولا يوجد في كلام العرب أن يقال: فلان صدق فلانا أو كذبه، إذا كان يعلم بقلبه أنه صادق أو كاذب ولم يتكلم بذلك، كما لا يقال: أمره أو نهاه، إذا قام بقلبه طلب مجرد عما يقترن به من لفظ أو إشارة أو نحوهما. ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم: " إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الناس ". وقال: " إن الله يحدث من أمره ما شاء، وإن مما أحدث ألا تكلموا في الصلاة " اتفق العلماء على أنه إذا تكلم في الصلاة عامدا لغير مصلحتها، بطلت صلاته. واتفقوا كلهم على أن ما يقوم بالقلب من تصديق بأمور دنيوية وطلب لا يبطل الصلاة، وإنما يبطلها التكلم بذلك، فعلم اتفاق المسلمين على أن هذا ليس بكلام.

وأيضا، ففي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم

---

(١) الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد ابن العطار ص/١٥٥

به أو تعمل به " فقد أخبر أن الله عفا عن حديث النفس إلا أن تتكلم، ففرق بين حديث النفس وبين الكلام، وأخبر أنه لا يؤاخذ به حتى يتكلم به، والمراد حتى ينطق به اللسان باتفاق العلماء، فعلم أن هذا هو الكلام في اللغة؛ لأن الشارع كما قرر إنما خاطبنا بلغة العرب.." (١)

"وبالجملة، فمن احتاج إلى أن يعرف مسمى الكلام في لغة العرب، والفرس، والروم، والترك، وسائر أجناس بني آدم بقول شاعر، فإنه من أبعد الناس عن معرفة طرق العلم. ثم هو من المولدين، وليس من الشعراء القدماء، وهو نصراني كافر مثلث، واسمه الأخطل، والخطل فساد في الكلام، وهو نصراني والنصارى قد أخطؤوا في مسمى الكلام، فجعلوا المسيح القائم بنفسه هو نفس كلمة الله.

فتبين أنه إن كان الإيمان في اللغة هو التصديق، والقرآن إنما أراد به مجرد التصديق الذي هو قول، ولم يسم العمل تصديقا، فليس الصواب إلا قول المرجئة: إنه **اللفظ والمعنى**. أو قول الكرامية: إنه قول باللسان فقط، فإن تسمية قول اللسان قولا أشهر في اللغة من تسمية معنى في القلب قولا، كقوله تعالى: ﴿يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم﴾ [الفتح: ١١] ، وقوله: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين﴾ [البقرة: ٨] وأمثال ذلك، بخلاف ما في النفس، فإنه إنما يسمى حديثا. والكرامية يقولون: المنافق مؤمن وهو مخلد في النار؛ لأنه آمن ظاهرا لا باطنا، وإنما يدخل الجنة من آمن ظاهرا وباطنا.

قالوا: والدليل على شمول الإيمان له أنه يدخل في الأحكام الدينية المعلقة باسم الإيمان كقوله تعالى: ﴿فتحرير رقبة مؤمنة﴾ [النساء: ٩٢] ويخاطب في الظاهر بالجمعة، والطهارة، وغير ذلك مما خوطب به الذين آمنوا.

وأما من صدق بقلبه ولم يتكلم بلسانه، فإنه لا يعلق به شيء من أحكام الإيمان، لافي الدنيا ولا في الآخرة، ولا يدخل في خطاب الله لعباده بقوله:." (٢)

"على وجه يبين أن الهدى كله مأخوذ من كلامالله ورسوله بإقامة الدلائل الدالة، لا بذكر الأقوال التي تقبل بلا دليل وترد بلا دليل، أو يكون المقصود بها نصر غير الله والرسول، فإن الواجب أن يقصد معرفة ما جاء به الرسول واتباعه بالأدلة الدالة على ما بينه الله ورسوله.

ومن هذا الباب أقوال السلف وأئمة السنة في [تفسير الإيمان] ، فتارة يقولون: هو قول وعمل. وتارة يقولون: هو قول وعمل ونية. وتارة يقولون قول وعمل ونية واتباع السنة. وتارة يقولون: قول باللسان، واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، وكل هذا صحيح. فإذا قالوا: قول وعمل؛ فإنه يدخل في القول قول القلب واللسان جميعا، وهذا هو المفهوم من لفظ القول والكلام، ونحو ذلك إذا أطلق.

والناس لهم في مسمى الكلام و [القول] عند الإطلاق أربعة أقوال، فالذي عليه السلف والفقهاء والجمهور أنه يتناول **اللفظ والمعنى** جميعا، كما يتناول لفظ الإنسان للروح والبدن جميعا. وقيل: بل مسماه هواللفظ، المعنى ليس جزء مسماه، بل هو

---

(١) الإيمان لابن تيمية ابن تيمية ص/١٠٩

(٢) الإيمان لابن تيمية ابن تيمية ص/١١٥

مدلول مسماه، وهذا قول كثير من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم وطائفة من المنتسبين إلى السنة، وهو قول النحاة؛ لأن صناعتهم متعلقة بالألفاظ. وقيل: بل مسماه هو المعنى وإطلاق الكلام على اللفظ مجاز لأنه دال عليه، وهذا قول ابن كلاب ومن اتبعه، وقيل: بل هو مشترك بين **اللفظ والمعنى**، وهو قول بعض المتأخرين من الكلابية، ولهم قول ثالث يروى عن أبي الحسن أنه مجاز في كلام الله حقيقة في كلام الآدميين؛ لأن حروف الآدميين تقوم بهم، فلا يكون الكلام قائما بغير المتكلم، بخلاف الكلام القرآني، فإنه لا يقوم عنده بالله، فيمتنع أن يكون كلامه، ولبسط هذا موضع آخر.

والمقصود هنا أن من قال من السلف: الإيمان قول وعمل، أراد قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح، ومن أراد الاعتقاد رأي أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر، أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب، ومن قال: قول." [1]

"العنوان ... الصفحة

---

(١) الإيمان لابن تيمية ابن تيمية ص/١٣٧

فصل: إذا قيد الإيمان فقرن بالإسلام أو بالعمل الصالح فإنه قد يراد به ما في القلب باتفاق الناس وهل يراد به أيضا المعطوف عليه؟

...

١٣٠

عامة الأسماء يتغير مسماها بالإطلاق والتقييد والتجريد والاقتران كلفظ المعروف والمنكر والعبادة والطاعة والتقوى والبر ... الخ

...

١٣١

من أنفع الأمور في معرفة دلالة الألفاظ مطلقا وخصوصا ألفاظ الكتاب والسنة وبه تزول شبهات كثيرة كثر فيها نزاع العلماء

...

١٣٦

عبارات السلف في حد الإيمان ومعناها ...

١٣٧

عطف الشيء على الشيء في القرآن وسائر الكلام يقتضي مغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه في الحكم الذي ذكر لهما

...

١٣٨." [١]

"أحدها: أنه يتناول **اللفظ والمعنى** جميعا، كما يتناول لفظ الإنسان الروح والبدن معا، وهذا قول السلف.

الثاني: اسم للفظ فقط، والمعنى ليس جزء مسماه، بل هو مدلول مسماه، وهذا قول جماعة من المعتزلة وغيرهم.

الثالث: أنه اسم للمعنى فقط، وإطلاقه على اللفظ مجاز، لأنه دال عليه، وهذا قول ابن كلاب ومن اتبعه.

الرابع: أنه مشترك بين **اللفظ والمعنى**، وهذا قول بعض المتأخرين من الكلابية، ولهم قول خامس، يروى عن أبي الحسن، أنه مجاز في كلام الله، حقيقة في كلام الآدميين لأن حروف الآدميين تقوم بهم، فلا يكون الكلام قائما بغير المتكلم، بخلاف كلام الله، فإنه لا يقوم عنده بالله، فيمتنع أن يكون كلامه. وهذا مبسوط في موضعه. وأما من قال إنه معنى واحد، واستدل عليه بقول الأخطل:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما ... جعل اللسان على الفؤاد دليلا

: فاستدلال فاسد. ولو استدل مستدل بحديث في الصحيحين لقالوا هذا خبر واحد! ويكون مما اتفق العلماء على تصديقه

---

(١) الإيمان لابن تيمية ابن تيمية ص/٣٧٩

وتلقيه بالقبول والعمل به! فكيف وهذا البيت قد قيل إنه موضوع منسوب إلى الأخطل، وليس هو في ديوانه؟ ! وقيل إنما قال: إن البيان لفي الفؤاد وهذا أقرب إلى الصحة، وعلى تقدير صحته عنه فلا يجوز الاستدلال." (١)

"فقد وافق قول من قال: ﴿إن هذا إلا قول البشر﴾ [المدثر: ٢٥] (المدثر: ٢٥) . في بعض ما به كفر، وأولئك الذين استزلهم الشيطان - وسيأتي الكلام عليه عند قول الشيخ ((ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله)) إن شاء الله تعالى.

[إعجاز القرآن من جهة **اللفظ والمعنى**]

وقوله: ((ولا يشبه قول البشر)) يعني أنه أشرف وأفصح وأصدق. قال تعالى: ﴿ومن أصدق من الله حديثا﴾ [النساء: ٨٧] (النساء: ٨٧) وقال تعالى: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله﴾ [الإسراء: ٨٨] الآية. (الإسراء: ٨٨) . وقال تعالى: ﴿قل فأتوا بعشر سور مثله﴾ [هود: ١٣] (هود: ١٣) وقال تعالى: ﴿قل فأتوا بسورة مثله﴾ [يونس: ٣٨] (يونس: ٣٨) . فلما عجزوا - وهم فصحاء العرب، مع شدة العداوة - عن الإتيان بسورة مثله، تبين صدق الرسول صلى الله عليه وسلم أنه من عند الله. وإعجازه من جهة نظمه ومعناه، لا من جهة أحدهما فقط. هذا مع أنه قرآن عربي غير ذي عوج بلسان عربي مبين، أي بلغة العربية. فنفي المشابهة من حيث التكلم، ومن حيث النظم والمعنى، لا من حيث الكلمات والحروف. وإلى هذا وقعت الإشارة بالحروف المقطعة في أوائل السور، أي: أنه في أسلوب كلامهم وبلغتهم التي يتخاطبون بها. ألا ترى أنه يأتي بعد الحروف المقطعة بذكر القرآن؟ كما في قوله تعالى: ﴿الم ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾ [البقرة: ١] (البقرة: ١ - ٢) . ﴿الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق﴾ [آل عمران: ١] (آل عمران: ١ - ٣) الآية. ﴿المص كتاب أنزل إليك﴾ [الأعراف: ١] (الأعراف: ١ - ٢) ، الآية. ﴿الر تلك آيات الكتاب الحكيم﴾ [يونس: ١] (يونس: ١ - ٢) . وكذلك الباقي ينبههم أن هذا الرسول الكريم لم يأتكم بما لا تعرفونه، بل خاطبكم بلسانكم.

ولكن أهل المقالات الفاسدة يتذرعون بمثل هذا إلى نفي تكلم." (٢)

"فلان، كما جاء في الأثر: إذا أحب أحدكم أن يعرف كيف منزلته عند الله، فلينظر كيف منزلة الله في قلبه، فإن الله ينزل العبد من نفسه حيث أنزله العبد من قلبه. فقوله: منزلة الله في قلبه: هو ما يكون في قلبه من معرفة الله ومحبته وتعظيمه وغير ذلك، فإذا عرف أن المكانة والمنزلة: تأنيث المكان والمنزل، والمؤنث فرع على المذكر في **اللفظ والمعنى**، وتابع له، فعلو المثل الذي يكون في الذهن يتبع علو الحقيقة، إذا كان مطابقا كان حقا، وإلا كان باطلا.

فإن قيل: المراد علوه في القلوب، وأنه أعلى في القلوب من كل شيء. قيل: وكذلك هو، وهذا العلو مطابق لعلوه في نفسه على كل شيء، فإن لم يكن عاليا بنفسه على كل شيء، كان علوه في القلوب غير مطابق، كمن جعل ما ليس بأعلى

---

(١) شرح الطحاوية ت الأرناؤوط ابن أبي العز ١/١٩٩

(٢) شرح الطحاوية ت الأرناؤوط ابن أبي العز ١/٢٠٥

أعلى.

[ثبوت علو الله سبحانه بالعقل من وجوه]

وعلوه سبحانه وتعالى كما هو ثابت بالسمع، ثابت بالعقل والفطرة، أما ثبوته بالعقل، فمن وجوه:

أحدها: العلم البديهي القاطع بأن كل موجودين، إما أن يكون أحدهما ساريا في الآخر قائما به كالصفات، وإما أن يكون قائما بنفسه بائنا من الآخر.

الثاني: أنه لما خلق العالم، فإما أن يكون خلقه في ذاته أو خارجا عن ذاته، والأول باطل: أما أولا: فبالاتفاق، وأما ثانيا: فلأنه يلزم أن يكون محلا للخسائس والقاذورات تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.." (١)

"وعلى هذه الوجوه كلها فالولاية لمن كان من الذين آمنوا وكانوا يتقون، وهم أهل الوعد المذكور في الآيات الثلاث. وهي عبارة عن موافقة الولي الحميد في محابه ومساخطه، ليست بكثرة صوم ولا صلاة، ولا تمزق ولا رياضة. وقيل: الذين آمنوا مبتدأ، والخبر: ﴿لهم البشرى﴾ [يونس: ٦٤] ، وهو بعيد، لقطع الجملة عما قبلها، وانتثار نظم الآية.

ويجتمع في المؤمن ولاية من وجه، وعداوة من وجه، كما قد يكون فيه كفر وإيمان، وشرك وتوحيد، وتقوى وفجور، ونفاق وإيمان. وإن كان في هذا الأصل نزاع لفظي بين أهل السنة، ونزاع معنوي بينهم وبين أهل البدع، كما تقدم في الإيمان. ولكن موافقة الشارع في **اللفظ والمعنى** - أولى من موافقته في المعنى وحده، قال تعالى: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ [يوسف: ١٠٦] . وقال تعالى: ﴿قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾ [الحجرات: ١٤] الآية. وقد تقدم الكلام على هذه الآية، وأنهم ليسوا منافقين على أصح القولين. وقال صلى الله عليه وسلم: «أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر» . وفي رواية «وإذا ائتمن خان بدل: وإذا وعد أخلف» . أخرجاه في ((الصحيحين)) . وحديث شعب الإيمان تقدم. وقوله صلى الله عليه وسلم: «يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان» .." (٢)

"ثم على الجنوب (١).

وكذلك يجب بذل الوسع في تعرف ما آتانا (٢) الله، وأمرنا بأخذه، وذكر ما فيه، وبذل الوسع في ذلك حسب الطاقة ومراتبها، فأعلى المراتب أن نعلم **اللفظ والمعنى**، وهذا يكون في كثير من القرآن، وكثير من السنة المتواترة، ودون هذه المرتبة أن نعلم اللفظ ونظن المعنى، وذلك يكون (٣) أيضا كثيرا في القرآن والمتواتر من السنة.

والمرتبة الثالثة أن نظن **اللفظ والمعنى**، أو نعلم المعنى، ونظن اللفظ وكلاهما في السنة المنقولة بطريق الآحاد، وهما متقاربان.

واعلم أنه لو لم يجب علينا من ألفاظ السنة إلا ما علمنا، لما وجب علينا من معاني القرآن إلا ما علمنا، لأن ذلك كله يرجع إلى العمل في الشريعة بالظن، وذلك يؤدي إلى خلاف الإجماع، ومما يؤيد ما ذكرته في العمل بالمظنون مما آتانا الله من

---

(١) شرح الطحاوية ت الأرناؤوط ابن أبي العز ٣٨٩/٢

(٢) شرح الطحاوية ت الأرناؤوط ابن أبي العز ٥٠٧/٢

الشريعة أنه تعالى لما أمرنا ببر الوالدين والأقربين، والصدقة على المساكين وجب في ذلك أنه يراد به من ظننا قرابته ومن ظننا فقره ومسكنته، لأنه لا طريق معلومة إلى معرفة القرابة والفقر غالبا، وأمثال ذلك في الشريعة كثيرة.

الحجة التاسعة عشرة: قوله تعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى

يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت

---

(١) أخرج البخاري في " صحيحه " (١١١٧)، وأبو داود (٩٥٢)، والترمذي (٣٧٢) عن عمران بن حصين، قال: سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن صلاة المريض، فقال: " صل قائما، فإن لم تستطع فقاعدا، فإن لم تستطع فعلى جنب " وانظر " الفتح " ٢/ ٥٨٨.

(٢) في (ب): أتى.

(٣) ساقطة من (ب).." [1]

"**المعنى واللفظ.**

قلت: فالترجيح بمرجح مجمع على أنه مرجح، ومجمع على الإجماع على الترجيح به، أولى من الترجيح بالنزاهة عن البدعة، لأنه غير مجمع على الترجيح به، أو متنازع في الإجماع على الترجيح به، وكذلك من يرى أن الواجب حكاية اللفظ، وأن الرواية بالمعنى حرام، فإن روايته أقوى من رواية من يرى جواز الحكاية بالمعنى متى استويا في جميع وجوه الترجيح إلا في هذا.

فإن قلت: وما مثال تلك الصورة التي يكون الظن مرجحا لخبر المبتدع فيها؟

قلت: لذلك صور كثيرة:

فمنها: أنا نعلم أن المبتدع لو كان حافظا لكتاب من الكتب عن ظهر قلبه، إما القرآن الكريم، أو من كتب الحديث، أو اللغة، أو النحو، أو الفقه، أو غير ذلك، وكان معروفا بالتجويد فيه، والإتقان له، معروفا بأنه يعيده كل ليلة أو كل أسبوع أو نحو ذلك عن ظهر قلبه، مشهورا بالتدريس فيه، منقطعا في الاشتغال به، مجربا في سرعة الجواب، وإصابة محز الصواب إذا سئل عن شيء من مسائله وألفاظه، وما يتعلق بضبطه، مختبرا حين يعارض في ذلك بالتبريز على الأقران، والتجويد عند (١) الامتحان، فإنك متى عرفته بهذه الصفة، وتمكنت في نفسك هذه المعرفة، وأخبرك عن مسألة في كتابه هذا الذي اشتهر بحفظه، وجود في نقله بلفظه، ثم عارضه رجل من أهل العدل والتوحيد في تلك المسألة،

---

(١) تحرفت في (ب) إلى " عن ".." [2]

"يكون مؤثرا في عدم استوائهما في الحكم ولم يقم دليل قاطع على أنه وصف ملغى لا تأثير له وبيان ذلك أنهم قالوا أن المبتدعة حين غلطوا في صفات الله تعالى فقد عبدوا غير الله فيكون قياسا على المشركين فان بعضهم عبد الرب الذي

---

[1] العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ابن الوزير ٢/٣٦٦

[2] العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ابن الوزير ٢/٤١٦

يشبه العباد وهم المشبهة وبعضهم عبد الرب الذي يجبرهم وهم المجبرة ونحو ذلك

والجواب أنهم عبدوا الرب الذي خلق الخلق وغلطهم في بعض صفاته لا يخرجهم عن عبادته ويصيرهم كمن يعبد الاصنام لوجهين أحدهما أن علماء الكلام يختلفون في كثير من الصفات كالمدرك والوصف الأخص والمريد بل كالسميع والبصير ولم يلزم بعضهم بعضا ذلك ولو كان حقا لزمهم وثانيهما أن من شهد أن محمدا رسول الله وغلط في بعض صفات جسده أو نسبه لم يكفر قطعا فدل على أن من غلط في وصف شيء لم يكن مثل جاحده وربما قالوا إن ذلك نقص له فيكون كفرا قياسا على من تعمد انتقاصه بما هو نقص بالاجماع قلنا الخطأ فارق مؤثر شرعا كالاكراه والنسيان كما سيأتي ومن اعتقد حسن القبيح وأضافه اليه لحسنه عنده لا لقبحه لا يكون كمن عكس ودليله اختلافهم في الاعراض وفي الوجه فيها من غير تكفير وبعضهم يلزمه نسبة الظلم اليه وبعضهم يلزمه نسبة العبث اليه عز وجل عن ذلك وقد جود الرد عليهم صاحبهم الشيخ مختار في المسألة التاسعة من التكفير من كتابه المجتبى وفيما قبلها وبعدها فليطالع فيه وقد نقلته بألفاظه أو معظمه إلى مواضعه من العواصم

قلت وأما بقية أدلتهم السمعية فلا تخلو من الظن في معانيها إن لم تكن ظنية **اللفظ والمعنى** معا كما يعرف ذلك النقاد من أهل الأصول الفقه لأنها إما عمومات وظواهر ومعناها ظني وإن كانت ألفاظها قرآنية معلومة ولها أو لأكثرها أسباب نزلت عليها تدل على أنها نزلت في المشركين المصرحين وتعديتها عن أسبابها ظنية مختلف فيها أو نصوص جلية لكن ثبوتها ظني لا ضروري ثم لا تخلو بعد ذلك مما يعارضها أو يكون أظهر في المعنى منها من الأحاديث الدالة على اسلام أهل الشهادتين أو الاكتفاء بهما حتى في أحاديث فتنة القبر مع كثرتها وصحتها وتلقيها بالقبول واتفاق الفرق على." [(١)]

"حرم تحريما ظنيا اجتهاديا [مختلفا] (١) في صحته بين علمائهم وسائر علماء الإسلام، كما قدمنا في الفصل الثاني (٢) ، وللزيدية والمعتزلة ما يلزمهم موافقة الفقهاء على هذا، فإنهم نصوا في باب النهي عن المنكر على أنه لا يحسن متى كان يؤدي إلى وقوع منكر اكبر منه، والمسألة واحدة.

الموضع الثاني: -وهو محل الخلاف على الحقيقة- وهو في صحة أخذ الولاية من أئمة الجور على ما يتعلق بمصالح المسلمين من القضاء ونحوه، وقد وافقهم على أخذ ولاية القضاء من أئمة الجور: إمام الزيدية المؤيد بالله، ذكره في كتاب ((الزيادات)) ، واحتج عليه وبالغ في ذلك، والمسألة ظنية ليس فيها نص معلوم **اللفظ والمعنى،** ولا إجماع قطعي، وقد تمسك جمهور الفقهاء في هذا الأمر بظواهر الأحاديث الواردة في طاعة السلطان، وأنه ولي من لا ولي لها من النساء في التزويج، والأحاديث في ذلك كثيرة شهيرة لا حاجة إلى ذكرها، وفي بعضها ما يدل على أن السلطان قد يكون جائرا بلفظ خاص مثل الحديث المرفوع: ((وإنما الإمام جنة يتقى بها ويقاتل من ورائه، فإن عدل كان له بذلك أجرا، وإن جار كان عليه بذلك وزر)) رواه البخاري (٣). وحديث مسلم (٤) وفيه: ((فإن كان

---

(١) في (أ) و (ي): ((مختلف)) والمثبت من (س).

---

(١) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات ابن الوزير ص/٣٧٨

(٢) (٢/ ٣٨١).

(٣) ((الفتح)): (٦/ ١٣٥) ، ومسلم برقم (١٨٤١) ، من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه –.

(٤) برقم (١٨٤٧)..." [1]

"الظنية من المعاني القرآنية/ والأخبار الآحادية، وإنما لم يؤثموا المجتهدين إذا خالفوا شيئا من الأدلة الظنية؛ لأنهم اتبعوا ما ظنوا صحته.

الحجة السابعة: قوله تعالى: ((خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون)) [البقرة/٦٣] وهي عامة في كل ما آتانا الله من معلوم ومظنون، وقد ثبت في ((الصحيح)) (١) عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: ((إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم)) فيجب بذل الاستطاعة في تعرف ما آتانا الله تعالى من معلوم ومظنون، فأعلى المراتب: أن نعلم **اللفظ والمعنى،** ودون ذلك: أن نعلم اللفظ ونظن المعنى. ودون ذلك: أن نعلم المعنى ونظن اللفظ أو نظنهما معا، على أن في علم المعنى مع ظن اللفظ بحثا ليس هذا موضعه.

الحجة الثامنة: قوله تعالى: ((ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)) [المائدة/٤٤] وفي آية: ((الفاسقون)) [المائدة/٤٧] وفي آية ((الظالمون)) [المائدة/٤٥] وقد ثبت أن ما أنزل الله منقسم إلى معلوم ومظنون وقد مر تقريره.

الحجة التاسعة: حديث الحسن بن علي –رضي الله عنهما– عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: ((دع ما يريبك إلى ما لا يريبك)) وهو حديث حسن معمول به، ذكره النووي في ((مباني الإسلام)) وحسنه (٢) وأخرجه

---

(١) أخرجه البخاري: ((الفتح)): (١٣/ ٢٦٤) ، ومسلم برقم (١٣٣٧) من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه –.

(٢) ((جامع العلوم والحكم)): (١/ ٢٧٨).." [2]

"البيان السادس

أن بولس قد كتب إلى فيلبي قائلا عن عيسى: الذي إذا كان له صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون عديل الله١، فعلى هذا يستندون أن عيسى عديل الله في الجوهر– تعالى شأنه–.

فأجيب: أن هذه الجملة ٢غير كافية في **اللفظ والمعنى**، لأننا إذا تعقلنا جملتها فنراها٣أنها لاتفيد مساواة عيسى لله تعالى في الجوهر، بل إنها تظهر المعادلة في الصورة وليس في الجوهر؛ لأنه قال عنه: إذا كان له صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون عديل الله؛ يعني بالصورة.

فهذه المعادلة [من القرائن] قد علمت بهذا الوجه المشروح، وأما بالجوهر فلم يقال عنه إنه عديل الله بالجوهر ومساويه٤. وهكذا لفظة

---

(١) الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم – صلى الله عليه وسلم – ابن الوزير ٢/ ٤٠٣

(٢) الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم – صلى الله عليه وسلم – ابن الوزير ٢/ ٤٩١

١ فيلبي ٢:٦ وقوله لم يحسب خلسة أن يكون عديل اللهمعناه عند النصارى إما أن مساواته لله حق له فلم يكن بحاجة إلى اختلاسها وخطفها، أو أنه مع أنه على صورة الله فقد تخلى عن أن يكون عديلا لله باتخاذه صورة البشر. انظر: تفسير العهد الجديد، وليم باركلي، ص٥٢.

٢ في. ت الجملة هي غير، وما أثبت من. د.

٣ في. ت فقد نراها أنها وهي ركيكة، والمثبت من. د بعد حذف فقد.

٤ وردت في. د هنا حاشية، وقد وردت في. ت في موضع آخر مع اختلاف في اللفظ، وسأبينه عند موضع الحاشية في. ت. انظر: ص ٩٢." (١)

": وعلى تقدير كونه في الأصل صفة، فقد انقلب علما مشعرا بصفات الكمال للاشتهار. قال الإمام المحقق ابن القيم في كتابه (بدائع الفوائد) : زعم السهيلي وشيخه ابن العربي أن اسم الله غير مشتق ؛ لأن الاشتقاق يستلزم مادة يشتق منها، واسمه - سبحانه - قديم، لا مادة له فيستحيل الاشتقاق، ولا ريب أنه إن أريد بالاشتقاق هذا المعنى فهو باطل، ولكن من قال بالاشتقاق لم يرد هذا المعنى، ولا ألم بقلبه، وإنما أراد أنه دال على صفة له - تعالى - وهي الإلهية، كسائر أسمائه الحسنى من العليم والقدير، فإنها مشتقة من مصادرها بلا ريب، وهي قديمة، والقديم لا مادة له، فما كان جوابكم عن هذه الأسماء، فهو جواب من قال بالاشتقاق في الله، ثم الجواب عن الجميع أنا لا نعني بالاشتقاق إلا أنها ملاقية لمصادرها في **اللفظ والمعنى**، لا أنها متولدة منها تولد الفرع من أصله، وتسمية النحاة المصدر والمشتق منه أصلا وفرعا ليس معناه أن أحدهما متولد من الآخر، وإنما هو باعتبار أن أحدهما متضمن للآخر وزيادة، فالاشتقاق هنا ليس هو اشتقاق مبادئ، وإنما هو اشتقاق تلازم يسمى المتضمن (بالكسر) مشتقا، والمتضمن (بالفتح) مشتقا منه، ولا محذور في اشتقاق أسماء الله بهذا المعنى. انتهى.

ثم اختلف من قال بأنه مشتق في مأخذ الاشتقاق، فقيل: إنه من تأله إذا تذلل، فمعناه المتذلل له، والثلاثي منه أله يأله، بفتح الحشو في الماضي والمضارع والمصدر، بمعنى اعتمد ولجأ إلى غيره، كما قال:

ألهت إليه في بلايا تنوبنا ... فألفيته فيها كريما ممجدا.

أي التجأت إليه واعتمدت عليه، والتفعل في تأله للدلالة على حصول شيء فشيء، كما في تفهم وتعلم ونظائره، ووجهه أن معنى أله إلى الشيء استند إليه، وهو يقتضي الذل والافتقار ؛ لأنه لا يعتمد على غيره إلا بعد ذله لديه وافتقاره إليه، فكان معنى تأله تذلل وافتقر واحتاج، وقيل من وله يوله من باب علم ولها، ومعناه تحير، لكن قلبت الواو همزة فصار ألها، كما أبدلوا وسادة، فقالوا: إسادة، ونحوه، فلما دخلت عليه أداة التعريف صار الإله، ثم حذفت الهمزة لكثرة دورانه على الألسنة، فصار الله، فزيدت الألف بين اللام والهاء لتكون كالعوض عن الهمزة، فصار: إله، لكن لا تكتب بالألف كما لا تكتب." (٢)

---

(١) البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح زيادة الراسي ص/٩٤

(٢) لوامع الأنوار البهية السفاريني ٣٠/١

"وإذا كان روح القدس: نزل به من الله علم أنه سمعه منه تبارك وتعالى لم يؤلفه روح القدس، وهذا بيان من الله تعالى أن القرآن الذي هو باللسان العربي المبين سمعه روح القدس من الله سبحانه وتعالى، ونزل به منه، وقد قال الله تعالى: ﴿وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين﴾ [الأنعام: ١١٤].

والكتاب اسم للقرآن العربي بالضرورة والاتفاق، فإن الكلابية أو بعضهم، ومن وافقهم يفرقون بين كلام الله، وكتاب الله، فيقولون كلامه هو القائم بالذات، وهو غير مخلوق، وكتابه المنظوم المؤلف من الحروف العربي وهو مخلوق، والقرآن يراد به هذا تارة، وهذا تارة.

وقد سمى الله تعالى نفس مجموع **اللفظ والمعنى** قرآنا وكتابا وكلاما، فقال الله تعالى: ﴿الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين﴾ [الحجر: ١] ، وقال ﴿طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين﴾ [النمل: ١] ، وقال ﴿وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن﴾ [الأحقاف: ٢٩] إلى قوله تعالى: ﴿ياقومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى﴾ [الأحقاف: ٣٠] فبين أن الذي سمعوه هو القرآن وهو الكتاب، وقال ﴿بل هو قرآن مجيد - في لوح محفوظ - إنه لقرآن كريم - في كتاب مكنون﴾ [الواقعة: ٢١ - ٧٨].

والمقصود أن قوله تعالى ﴿هو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا﴾ [الأنعام: ١١٤] يتناول نزول القرآن العربي على كل قول، وقد أخبر تعالى إن الذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق إخبار مستشهد بهم لا مكذب لهم.

وقال: إنهم يعلمون ذلك، ولم يقل: إنهم يظنونه أو يقولونه، والعلم لا يكون إلا حقا مطابقا للمعلوم بخلاف القول، والظن الذي ينقسم إلى حق وباطل فعلم أن القرآن العربي منزل من الله تعالى لا من الهواء، ولا من اللوح، ولا من جسم آخر، ولا من جبريل، ولا من محمد - عليهما السلام - ولا من غيرهما، فمن لم يقر بذلك من هذه الأمة كان أهل الكتاب خيرا منه من هذا الوجه.

فإن قلت قد جاء عن ابن عباس - رضي الله عنهما - وغيره من السلف في تفسير قوله تعالى ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ [القدر: ١] أنزل إلى بيت العزة في السماء الدنيا ثم أنزله بعد ذلك منجما مفرقا بحسب الحوادث قد أخبر الله تعالى أن القرآن الكريم مكتوب في اللوح المحفوظ قبل نزوله كما قال تعالى: ﴿بل هو قرآن مجيد - في لوح محفوظ﴾ [البروج: ٢١ - ٢٢] وقال تعالى." (١)

"مفرع على قوله وأخذ العلم من غير تسديد معناه أن هذا الرجل لما لم يأخذ العلم عن تسديد اعتاز إلى تمييز الخطأ الذي هو ضد الصواب، عن الصواب الذي هو مطابق للحق، أي اعتاز إلى من يميز له ذلك ويفرق له بينهما ويميز له أيضا بين ما التبس عليه من القشر الذي هو الظرف الساتر عن اللباب الذي قد ستره القشر فهو مظروف فيه استعار لفظ القشر واللباب للتشبيه والتكنية من عدم تمييز معاني المسائل التي يفصل بعضها عن بعض في **اللفظ والمعنى** لأخذه العلم من غير تسديد، وإلى من يميز له بيان ما عليه من الفرقة الناجية وهم أهل السنة والجماعة، من ضدهم وهم من ترك السنة

---

(١) لوامع الأنوار البهية السفاريني ١٦٧/١

وفارق الجماعة. والعلة في اعتيازه التمييز بين هذه الأشياء المذكورة ظهور الحق بلا التباس بضده لقليل البضاعة من المعرفة بمعاني مسائل العلم قبل ظهور الحق له بالتمييز المذكور.

فنقول يكفي في تمييزه ومعرفته وإدراكه في قصده ومرامه ما قد شاع عنه وذاع وتقطعت به الأسماع من أنه يدعو الناس إلى سبيل النجاة والفوز الأبدي وهو الصراط المستقيم الذي أمر الله تعالى عباده أن يسألوه إياه في كل صلاة والدليل على ذلك أنه لا أحد كائنا من كان يفعل خصلة يحبها الله ويكرهها أهل الفساد والعناد إلا ونسب ذلك الفعل والفاعل إليه فقيل له وعنه وهابي أو عارضي أو شرقي، وهذا كقول كفار قريش لمن تبع ما جاء من عند الله أنه صابىء وإن كان ذلك الفاعل في نفس الأمر عدوا ظاهرا وباطنا نسبوه إليه بفعله فلو لم يكن فيه من السمة والعلامة على فضله ومعرفته وتمييزه وهديه إلا ذلك لكفى.

شهد العدو بفضلها ... والفضل ما شهدت به الأعداء

فبذلك يستدل على فضله المستدلون، ويهتدي بما دعا إليه المهتدون، ويرجع إلى إتباع الحق المبعدون، ويكف عن خوضهم في طغيانهم الخائضون، فإن من رزق التوفيق تأمل بعين انصافه ما قاله هذا الرجل ودعا الناس إليه من الإخلاص لملك الناس، فميز بينه وبين ما اعتقده أصحاب العقائد الفاسدة والبضايع من الدين الكاسدة الآمرين بالباطل، والقائمين عليه لم والناهين عن سبيل الحق وما يوصل إليه، وهم المجوزون لمن شاء." (١)

"الرجل: إذا تعبد، كما قرأ ابن عباس: ﴿ويذرك وإلهتك﴾ ١، أي: عبادتك، وأصله الإله، أي: المعبود، فحذفت الهمزة التي هي فاء الكلمة، فالتقت اللام التي هي عينها مع اللام التي للتعريف، فأدغمت إحداهما في الأخرى، فصارتا في اللفظ لاما واحدة مشددة وفخمت تعظيما، فقيل: الله.

قال ابن القيم: "القول الصحيح أن (الله) ، أصله: (الإله) ، كما هو قول سيبويه وجمهور أصحابه إلا من شذ منهم، وإن اسم الله تعالى هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى والصفات العلا. قال: وزعم السهيلي وشيخه أبو بكر بن العربي: "أن اسم الله غير مشتق، لأن الاشتقاق يستلزم مادة يشتق منها، واسمه تعالى قديم، والقديم لا مادة له فيستحيل الاشتقاق"، ولا ريب أنه إن أريد بالاشتقاق هذا المعنى، وأنه مستمد من أصل آخر فهو باطل، ولكن الذين قالوا بالاشتقاق لم يريدوا هذا المعنى، ولا ألم بقلوبهم، وإنما أرادوا أنه دال على صفة له تعالى، وهي الإلهية كسائر أسمائه الحسنى، كالعليم، والقدير، والغفور، والرحيم، والسميع، والبصير. فإن هذه الأسماء مشتقة من مصادرها بلا ريب، وهي قديمة، والقديم لا مادة له، فما كان جوابكم عن هذه الأسماء فهو جواب القائلين باشتقاق اسم الله تعالى، ثم الجواب عن الجميع أنا لا نعني بالاشتقاق إلا أنها ملاقية لمصادرها في **اللفظ والمعنى**، لا أنها متولدة منه تولد الفرع من أصله. وتسمية النحاة للمصدر والمشتق منه . أصلا وفرعا . ليس معناه أن أحدهما تولد من الآخر، وإنما

هو باعتبار أن أحدهما يتضمن الآخر وزيادة.

وذكر ابن القيم لهذا الاسم الشريف عشر خصائص لفظية ثم قال: وأما خصائصه المعنوية فقد قال فيها أعلم الخلق به .

---

(١) التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب سليمان بن عبد الله آل الشيخ ص/٥٨

صلى الله عليه وسلم:

---

١ من سورة الأعراف من الآية: ١٢٧، وهي ليس من القراءات العشر.." (١)

"[٢٢- باب ما جاء في التطير]

مصدر تطير يتطير والطيرة أيضا - بكسر الطاء وفتح الياء وقد تسكن - مصدر تطير، يقال: تطير طيرة وتخير خيرة ولم يجئ من المصادر هكذا غيرهما، وأصله فيما يقال: التطير بالسوانح، والبوارح من الطير والظباء وغيرهما، وكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم. فإذا أرادوا أمرا، فإن رأوا الطير مثلا طار يمنة، تيمنوا به، وإن طار يسرة، تشاؤموا به، فنفاه الشرع وأبطله ونهى عنه وأخبر أنه ليس له تأثير في جلب نفع أو دفع ضر. قال المدائني: سألت رؤبة بن العجاج ما السانح؟ قال: ما ولاك ميامنه قلت: فما البارح؟ قال: ما ولاك مياسره. قال والذي يجيء من أمامك فهو الناطح والنطيح، والذي يجيء من خلفك هو القاعد والقعيد.

ولما كانت الطيرة بابا من الشرك منافيا للتوحيد أو لكماله، لأنها من إلقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته، ذكره المصنف في كتاب "التوحيد" تحذيرا منها وإرشادا إلى كمال التوحيد بالتوكل على الله. واعلم أن ما كان معتنيا بها قابلا بها كانت إليه أسرع من السيل إلى منحدره، وتفتحت له أبواب الوساوس فيما يسمعه ويراه ويعطاه، ويفتح له الشيطان فيها من المناسبات البعيدة والقريبة في **اللفظ والمعنى** ما يفسد عليه دينه، وينكد عليه عيشه، فالواجب على العبد التوكل على الله ومتابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يمضي لشأنه لا يرده شيء من الطيرة عن حاجته فيدخل في الشرك.

قال: وقول الله تعالى: ﴿ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ ١. ش: أول الآية قوله تعالى: ﴿فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ... ﴾ ٢ الآية. المعنى أن آل فرعون إذا أصابتهم ﴿الحسنة﴾ ، أي: الخصب والسعة والعافية

---

١ سورة الأعراف آية: ١٣١.

٢ سورة الأعراف آية: ١٣١.." (٢)

"هو الظاهر وهو صريح رواية "فعلمت ما في السماء والأرض" ورواية "فعلمت ما بين المشرق والمغرب" وما موصولة، أي فعلمت الذي بين المشرق والمغرب، أي الموجود بينهما ١، يوضح ذلك لو ٢ قلت: دخلت دار فلان فعلمت ما فيها، إنما يتناول علمك الموجود فيها من الأشياء حين دخولك، لا ما يوجد فيها بعد ذلك والله أعلم، ولما ذكر ابن كثير قول بعض المفسرين على قوله سبحانه وتعالى: ﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض﴾ [الأنعام:٧٥] . أنه فرجت له السموات فنظر إلى ما فيهن حتى انتهى بصره إلى العرش، وفرجت له الأرضون السبع فنظر إلى ما فيهن، قال ٣: فيحتمل

---

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد سليمان بن عبد الله آل الشيخ ص/١٠

(٢) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد سليمان بن عبد الله آل الشيخ ص/٣٦٠

هذا أنه كشف له بصره حتى رأى ذلك عيانا، ويحتمل أن يكون عن بصيرته حتى شاهده بفؤاده وتحققه وعرفه وعلم ما في ذلك من الحكم الباهرة والدلالات القاطعة، كما روي الإمام أحمد والترمذي وصححه عن معاذ بن جبل رضي الله عنه في حديث المنام: "أتاني ربي في أحسن صورة فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى -فذكر الحديث- ثم تلا وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين " ٤. انتهى.

وذكر المعترض حديث حذيفة أنه قال: "إن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا عن كل ما يقع إلى يوم القيامة حتى دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار حتى إنا لنرى الطائر يقلب جناحيه فنذكر منه علما ". هكذا أورده البغدادي، جعل ذلك كله من قول حذيفة، وحرف **اللفظ والمعنى**، فأول هذه الجملة من كلام حذيفة، وآخرها من قول أبي ذر، لكنه غير الكلام فأفسد **اللفظ والمعنى**. فنميز قول حذيفة من قول أبي ذر رضي الله عنهما ليتبين للناظر

---

١ في "ب" "والذي في السماء والأرض".

٢ في "ب" "إنك لو قلت".

٣ ابن كثير رحمه الله تعالى.

٤ تقدم تخريجه ص ٣٩.." (١)

"الرد على تفسير الورقة لكلمة إله

ثم إن هذا قال في ورقته: اعلم أن الإله هو المعبود فقط غير مقيد بقيد الحقيقة والبطلان إذ اشتقاقه من أله، إذا عبده، يوجب اتحاده معه في المعنى لعدم وجوده بدونه، إذ الاشتقاق وجود التناسب في **اللفظ والمعنى**.

(فالجواب) : أن نقول: سبحان الله، كيف يشكل على من له أدنى مسكة من عقل ما في هذا القول من الكذب والضلال والإلحاد والمحال؟ فلقد صادم الكتاب والسنة والفطر والعقول واللغة والعرف.

أما مصادمته الكتاب والسنة فإن الله تعالى يقول: ﴿ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل﴾ ١ في عدة مواضع من الكتاب والسنة، فالله تعالى الحق وعبادته وحده هي الحق أزلا وأبدا، وما يدعى من دونه هو الباطل قبل وضع اللغات وبعدها، وهذا لا يمتري فيه مسلم أصلا.

وأما مصادمته للعقل: فإن كل مألوه معبود ولا بد أن يكون حقا أو باطلا، فإن كان هو الله فهو الحق سبحانه كما في حديث الاستفتاح الذي رواه البخاري وغيره: "ولك الحمد، أنت الحق، ووعدك حق" ٢. وإن كان المعبود غيره فهو باطل بنص القرآن. والقرآن كله يدل على أن الله هو الحق وأن ما يدعى من دونه فهو باطل.

وأما مخالفته للفطر: فباتفاق الناس على ما دل عليه الكتاب والسنة والمعقول، حتى أهل البدع من كل طائفة لا يقول بهذا القول الذي قاله هذا أحد منهم، لكن كل طائفة تدعي أنها أسعد من غيرها بالدليل، على ما في أدلة كل طائفة من التحريف والتأويل.

---

(١) تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس عبد الله أبا بطين ص/٤٠

وأما مخالفته للغة: فلا ريب أن الواضع وضع الألفاظ بإزاء معانيها، فكل لفظ وضع لمدلوله الذي وضع له لأجل الدلالة عليه، والواضع وضع الألفاظ دالة على معانيها، فاللفظ دال والمعنى مدلوله، يعرف هذا كل من له أدنى مسكة من عقل. وكل ما ذكرناه لا نزاع فيه ولا يعرف أن أحدا قال بخلاف ما ذكرنا.

---

١ سورة الحج آية: ٦٢.

٢ البخاري: الجمعة (١١٢٠) ، ومسلم: صلاة المسافرين وقصرها (٧٦٩) ، والترمذي: الدعوات (٣٤١٨) ، والنسائي: قيام الليل وتطوع النهار (١٦١٩) ، وأبو داود: الصلاة (٧٧١) ، وابن ماجه: إقامة الصلاة والسنة فيها (١٣٥٥) ، وأحمد (٢٩٨/١، ٣٠٨/١، ٣٥٨/١) ، ومالك: النداء للصلاة (٥٠٠) ، والدارمي: الصلاة (."[(١)]

". . . . .

كوني مستعينا بذكره، متبركا به. وأما ظهوره في: ﴿اقرأ باسم ربك﴾ ١ وفي: ﴿بسم الله مجراها﴾ ٢؛ فلأن المقام يقتضي ذلك كما لا يخفى.

والاسم مشتق من السمو وهو العلو. وقيل: من الوسم وهو العلامة؛ لأن كل ما سمي فقد نوه باسمه ووسم.

قوله: "الله" قال الكسائي والفراء: أصله الإله، حذفوا الهمزة، وأدغموا اللام في اللام، فصارتا لاما واحدة مشددة مفخمة.

قال العلامة ابن القيم -رحمه الله-: الصحيح: أنه مشتق، وأن أصله الإله كما هو قول سيبويه وجمهور أصحابه إلا من شذ. وهو الجامع لمعاني الأسماء الحسنى والصفات العلى. والذين قالوا بالاشتقاق إنما أرادوا أنه دال على صفة له تعالى. وهي الإلهية كسائر أسمائه الحسنى، كالعليم والقدير،

والسميع، والبصير؛ ونحو ذلك. فإن هذه الأسماء مشتقة من مصادرها بلا ريب، وهي قديمة، ونحن لا نعني بالاشتقاق إلا أنها ملاقية لمصادرها في **اللفظ والمعنى**، لا أنها متولدة منه تولد الفرع من أصله. وتسمية النحاة للمصدر والمشتق منه: أصلا وفرعا، ليس معناه أن أحدهما متولد من الآخر، وإنما هو باعتبار أن أحدهما يتضمن الآخر وزيادة.

قال أبو جعفر ابن جرير: "الله" أصله "الإله" أسقطت الهمزة التي هي فاء الاسم فالتقت اللام التي هي عين الاسم واللام الزائدة وهي ساكنة فأدغمت في الأخرى، فصارتا في اللفظ لاما واحدة مشددة. وأما تأويل "الله" فإنه على معنى ما روي لنا عن عبد الله بن عباس قال: "هو الذي يألهه كل شيء ويعبده كل خلق ". لما وساق بسنده عن الضحاك عن عبد الله بن عباس قال: " الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين ". فإن قال لنا قائل: وما دل على أن الألوهية هي العبادة وأن الإله هو المعبود، وأن له أصلا في فعل ويفعل، وذكر بيت رؤبة بن العجاج٣:

---

(١) بيان كلمة التوحيد والرد على الكشميري عبد المحمود (مطبوع ضمن الرسائل والمسائل النجدية، الجزء الرابع، القسم الأول) عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص/٣٢٥

١ سورة العلق آية: ١.

٢ سورة هود آية: ٤١.

٣ كذا في الأصل، والعبارة ناقصة. ونصها: فإن قال لنا قائل: فهل لذلك في فعل ويفعل أصل كان منه بناء هذا الاسم؟ قيل: أما سماعا من العرب فلا، ولكن استدلالا. فإن قال: وما دل على أن الألوهية هي العبادة وأن الإله هو المعبود، وأن له أصلا في فعل يفعل؟ قيل: لا تمانع العرب في الحكم لقول القائل يصف رجلا بعبادة الله ويطلب مما عند الله: "تأله فلان" بالصحة ولا خلاف. ومن ذلك قول رؤبة. إلخ.." (١)

"الهمزة وادغموا اللام فصارتا لاما واحدة مشددة مفخمة قال الناظم في (بدائع الفوائد (زعم السهيلي وشيخه ابن العربي أن اسم الله غير مشتق لان الاشتقاق يستلزم مادة يشتق منها واسمه سبحانه قديم لا مادة له فيستحيل الاشتقاق ولا ريب أنه ان اريد بالاشتقاق هذا المعنى فهو باطل ولكن من قال بالاشتقاق لم يرد هذا المعنى ولا ألم بقلبه وانما اراد انه دال على صفة له تعالى وهي الالهية كسائر اسمائه الحسنى من العليم والقدير فانها مشتقة من مصادرها بلا ريب وهي قديمة والقديم لا مادة له فما كان جوابكم عن هذه الاسماء كان جواب من قال بالاشتقاق في الله تعالى ثم الجواب عن الجميع أنا لا نعني بالاشتقاق الا أنها ملاقية لمصادرها في **اللفظ والمعنى** لا أنها متولدة منها تولد الفرع من أصله وتسمية النحاة المصدر والمشتق منه أصلا وفرعا ليس معناه أن أحدهما تولد من الآخر وانما هو باعتبار أن احدهما متضمن للآخر وزيادة فالاشتقاق هنا ليس هو اشتقاقا ماديا وانما هو اشتقاق تلازم يسمى المتضمن فيه بالكسر مشتقا والمتضمن بالفتح مشتقا منه ولا محذور في اشتقاق أسماء الله تعالى بهذا المعنى انتهى وقال أبو جعفر بن جرير (الله (أصله الاله أسقطت الهمزة التي هي فاء الاسم فالتقت اللام التي هي عين الاسم واللام الزائدة وهي ساكنة فأدغمت في الاخرى فصارتا في اللفظ لاما واحدة مشددة انتهى

وأما تأويل الله فانه على ما روي لنا عن عبد الله بن عباس قال هو الذي يألهه كل شيء ويعبده كل خلق وساق بسنده عن الضحاك عن عبد الله ابن عباس قال الله ذو الالوهية والعبودية على خلقه أجمعين فان قال لنا قائل وما دل على أن الالوهية هي العبادة وأن الاله هو المعبود وأن له." (٢)

"لام التعليل داخلة في أفعال الله واحكامه والقاضي ابو يعلى وابو الحسن ابن الزعفراني ونحوهما من اصحاب احمد وإن كانوا قد يقولون بالأول فهم يقولون بالثاني أيضا في غير موضع وكذلك امثالهم من الفقهاء أصحاب مالك والشافعي وغيرهما واما ابن عقيل في بعض المواضع والقاضي ابو حازم ابن القاضي ابي يعلي وابو الخطاب فيصرحون بالتعليل والحكمة في أفعال الله موافقة لمن قال ذلك من اهل النظر والحنفية هم من أهل السنة القائلين بالقدر وجمهورهم يقولون بالتعليل والمصالح والكرامية وامثالهم هم أيضا من القائلين بالقدر والمثبتين لخلافة الخلفاء المفضلين لأبي بكر وعمر وعثمان وهم ايضا يقولون بالتعليل والحكمة وكثير من أصحاب مالك والشافعي وأحمد يقولون بالتعليل والحكمة بل وبالتحسين والتقبيح

---

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص/٧

(٢) توضيح المقاصد شرح الكافية الشافية نونية ابن القيم أحمد بن عيسى ١٢/١

العقليين كأبي بكر القفال وأبي علي ابن أبي هريرة وغيرهم من أصحاب الشافعي وأبي الحسن التميمي وأبي الخطاب من اصحاب أحمد انتهى كلامه قوله وكلامه مذ كان الخ أي إن كلام الله غيره عندهم وما كان غير الله فهو مخلوق بائن عنه خلقه الله في بعض الاجسام نحو ذلك الجسم ابتداء ولا يقوم عندهم بالله كلام بل ولا ارادة قول وقد حقق الناظم رحمه الله تعالى ذلك بما يزيل اللبس والايهام فقال في كتابه (بدائع الفوائد اللفظ (المؤلف من الزاء والياء والدال مثلا له حقيقة متميزة متحصلى فاستحق ان يوضع له لفظ يدل عليه لانه شيء موجود في اللسان مسموع الآذان فاللفظ المؤلف من همزة الوصل والسين والميم عبارة عن اللفظ المؤلف من الزاي والياء والدال مثلا واللفظ المؤلف من الزاء والياء والدال عبارة عن الشخص الموجود في الاعيان والاذهان وهو المسمى **والمعنى واللفظ** الدال عليه هو الاسم وهذا اللفظ ايضا قد صار مسمى من حيث كان لفظ الهمزة والسين والميم عبارة عنه فقد بان لك أن الاسم في أصل الوضع ليس." (١)

"جعل كلام الله لا يقوم الا بغيره كان المتصف به هو ذلك الغير فتكون الشجرة هي القائلة لموسى ﴿إنني أنا الله﴾ طه ١٤ ولهذا اشتد نكير السلف على من قال ذلك وقالوا هذا نظير قول فرعون ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ النازعات ٢٤ أي هذا كلام قائم بغير الله وهذا كلام قائم بغير الله وأهل هذا القول الموافقون للسف لا يقولون إن الرب كان مسلوب صفات الكمال في الازل وإنه كان عاجزا عن الكلام حتى حدث له قدرة عليه كالطفل والذين يقولون إن القرآن مخلوق يجعلون الكلام لغيره فيسلبونه صفات الكمال ويقولون إنه لا يقدر على الكلام في الازل لا على كلام مخلوق ولا غيره وهم وإن لم يصرحوا بالعجز عن الكلام فهو لازم لقولهم

قوله وكلامه المسموع بالآذان أي إن كلام الله تعالى يسمع كما يسمعه جبريل عليه السلام وكما سمع موسى عليه السلام

قال الناظم رحمه الله تعالى

... ورسوله قد عاذ بالكلمات من

لدغ ومن عين ومن شيطان ... أيعاذ بالمخلوق حاشاه من ال

إشراك وهو معلم الايمان ... بل عاذ بالكلمات وهي صفاته

سبحانه ليست من الاكوان ... وكذلك القرآن عين كلامه ال

مسموع منه حقيقة ببيان ... هو قول ربي كله لا بعضه

لفظا ومعنى ما هما خلقان ... تنزيل رب العالمين وقوله

اللفظ والمعنى بلا روغان ...." (٢)

"المكان وعلمه قراءته ثم جبريل أداه في الارض وهو يهبط في المكان وفي التنزيل طريقان

أحدهما ان النبي صلى الله عليه وسلم انخلع من صورة البشرية الى صورة الملكية وأخذه من جبريل

(١) توضيح المقاصد شرح الكافية الشافية نونية ابن القيم أحمد بن عيسى ٦٨/١

(٢) توضيح المقاصد شرح الكافية الشافية نونية ابن القيم أحمد بن عيسى ٢٦٣/١

والثاني أن الملك انخلع الى البشرية حتى يأخذه الرسول منه والاول اصعب الحالين انتهى

وقال القطب الرازي في حواشي (الكشاف (الانزال لغة بمعنى الايواء وبمعنى تحريك الشيء من علو الى اسفل وكلاهما لا يتحققان في الكلام فهو مستعمل فيه في معنى مجازي فمن قال القرآن معنى قائم بذات الله تعالى فانزاله أن يوجد الكلمات والحروف الدالة على ذلك المعنى ويثبتها في اللوح المحفوظ ومن قال القرآن هو الالفاظ فانزاله مجرد اثباته في اللوح المحفوظ وهذا المعنى مناسب لكونه منقولا عن المعنيين اللغويين ويمكن ان يكون المراد بانزاله اثباته في السماء الدنيا بعد الاثبات في اللوح المحفوظ وهذا مناسب للمعنى الثاني والمراد بانزال الكتب على الرسل أن يتلقفها الملك من الله تلقفا روحانيا أو يحفظها من اللوح المحفوظ وينزل بها فيلقيها عليهم انتهى وذكر بعضهم ان أحرف القرآن في اللوح المحفوظ كل حرف منها بقدر جبل قاف وأن تحت كل حرف منها معان لا يحيط بها الا الله انتهى وقال بعضهم في المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة أقوال

أحدها أنه اللفظ والمعنى وأن جبريل حفظ القرآن من اللوح المحفوظ ونزل به

والثاني أن جبريل انما نزل بالمعاني خاصة وانه صلى الله عليه وسلم علم تلك المعاني." (١)

"قال الناظم رحمه الله تعالى

فصل

في مجامع طرق أهل الارض واختلافهم في القرآن

... وإذا أردت مجامع الطرق التي ... فيها افتراق الناس في القرآن

فمدارها أصلان قام عليهما ... هذا الخلاف هما له ركنان

هل قوله بمشيئة أم لا وهل ... في ذاته أم خارج هذان

أصل اختلاف جميع أهل الارض في ال ... قرآن فاطلب مقتضى البرهان

ثم الالى قالوا بغير مشيئة ... وإرادة منه فطائفتان

احداهما جعلته معنى قائما ... بالنفس او قالوا بخمس معان

والله أحدث هذه الالفاظ كي ... تبديه معقولا الى الاذهان

وكذاك قالوا انها ليست هي القرآن ... بل مخلوقة دلت على القرآن

ولربما سمي بها القرآن تسمية ال ... مجاز وذاك وضع ثان

وكذلك اختلفوا فقيل حكاية ... عنه وقيل عبارة لبيان

اذ كان ما يحكى كمحكي ... وهذا اللفظ والمعنى فمختلفان

ولذا يقال حكى الحديث بعينه ... اذ كان أوله نظير الثاني ...." (٢)

---

(١) توضيح المقاصد شرح الكافية الشافية نونية ابن القيم أحمد بن عيسى ٢٧٦/١

(٢) توضيح المقاصد شرح الكافية الشافية نونية ابن القيم أحمد بن عيسى ٢٧٨/١

"النفسي فيا لله العجب من هذا الاعتذار البارد فان الحنابلة لا يعتقدون ثبوت الكلام النفسي بل ينفونه أشد النفي ويرونه من أعظم الباطل والكلام عندهم اسم **اللفظ والمعنى** جيمعا كما هو مذهب السلف رحمة الله عليهم ويسأل هذا المتحذلق هل يوجد كلام لفظي ليس له معنى اللهم الا كلام المجانين واللفظ المهمل فهو لا يسمى كلاما إذ ليس له معنى وهذا معنى قول النحاة الكلام لفظ مفيد فانه لا يفيد حتى يكون له معنى

الثالث قوله والكرامية لما رأوا مخالفة الضرورة التي التزمها الحنابلة الخ يقال إن كان مخالفة الضرورة ضارا فأصحابك الاشاعرة قد خالفوا الضرورة في إثبات المعنى النفسي فالتزموا أن الساكت متكلم والاخرس متكلم وغير ذلك من الشناعات

الرابع قوله والمعتزلة قالوا بحدوث كلامه وأنه مؤلف من أصوات وحروف وهو قائم بغيره الخ

يقال هذا في الحقيقة هو قول أصحابك الاشاعرة فانهم قضوا بحدوث الحروف وأنها مخلوقة وصرحوا بانها إنشاء جبريل او انشاء محمد صلى الله عليه وسلم او أنها خلقت في محل آخر كاللوح المحفوظ والشجرة أو أن جبريل أخذها من اللوح المحفوظ فكان حقيقة قولهم إذا قالوا إن محمدا صلى الله عليه وسلم أنشأه هو قول من قال ﴿إن هذا إلا قول البشر﴾ المدثر ٢٥ ثم اصحابك أثبتوا شيئا لا دليل على ثبوته وهو المعنى النفسي وخالفوا إجماع السلف والمعتزلة جميعا فإن الكلام عند السلف والحنابلة اسم للفظ والمعنى جميعا عندالمعتزلة لا كلام لله تعالى إلا اللفظ المخلوق في محل وإنه غير قائم بالله تعالى وإلزم السلف وأصحابك المعتزلة أن الكلام لا يكون كلاما إلى لمن قام به الكلام ثم نقض من نقض من أصحابك هذا الالزام." (١)

"وقالوا الكلام يطلق على **المعنى واللفظ** بالاشتراك فانهدم أصلهم الذي ردوا به على المعتزلة ولا خلاف بينكم وبين المعتزلة في الحقيقة إذ الالفاظ عندهم مخلوقة كما هو قولكم والمعنى الذي اثبتموه وخالفتم به جميع فرق الامة هو شيء لا حقيقة له وليس بأيديكم الا بيت الاخطل

إن الكلام لفي الفؤاد الخ

وهذا البيت لم ينقل عن قائله باسناد لا واحد ولا أكثر ولو احتج عليكم محتج بحديث مخرج في (الصحيحين) لم تقبلوه وقلتم هذه أخبار آحاد

الخامس أن أصحابك خالفوا فرق الامة في إثبات هذا المعنى والامر كما قال الامام أبو اليمن الكندي النحوي الحنفي قال إن الاشعري رحمه الله سلب الكلام اسمه وسماه عبارة وسلب الفكر والروية اسمها وسماها كلاما

السادس قولك قولك الاشاعرة قالوا كلامه تعالى معنى واحد بسيط ثم نقلت عن صاحب (المواقف (أنه أفرد لذلك مقالة حمل فيها كلام الشيخ ابي الحسن الاشعري لما قال هو المعنى النفسي أن ذلك يكون شاملا للفظ والمعنى جميعا ثم سكت عن إنكاره فكيف كان في الاول بسيطا ثم صار مركبا من **المعنى واللفظ**

السابع أن تلميذك عفيف الدين الايجي قد رد مذهب أصحابك وقدح فيه غاية القدح فقال ما حاصله ان هذا الذي

---

(١) توضيح المقاصد شرح الكافية الشافية نونية ابن القيم أحمد بن عيسى ٢٨٣/١

تدعيه الاشاعرة من أن الكلام معنى آخر يسمى النفسي باطل فاذا قلنا زيد قائم فهناك أربعة اشياء الاول العبارة الصادرة عنه والثاني مدلول هذه العبارة وما وضعت له هذه الالفاظ من المعاني المقصودة بها الثالث علمه بثبوت تلك." (١)

"الإسناد لا يختلف أهل الحديث في صحته وهو منقول من طرق سوى هذه من أخبار العدول عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه دليل على أن الله عز وجل في السماء على العرش من فوق سبع سموات كما قاله الجماعة وهو من حجتهم على المعتزلة في قولهم إن الله تعالى في كل مكان بذاته المقدسة قال والدليل على صحة قول أهل الحق قول الله تعالى وذكر بعض الآيات إلى أن قال وهذا أشهر وأعرف عند العامة والخاصة من أن يحتاج إلى أكثر من حكايته لأنه إضطرار لم يخالفهم عليه أحد ولا انكره عليهم مسلم وقول الناظم فيقول لست بسائل غيري الخ يشير إلى الحديث الذي رواه النسائي وابن ماجة وغيرهما بسند صحيح انه تعالى يقول لا يسأل عن عبادي غيري

وقوله يا قوم ليس نزوله وعلوه حقا لديكم بل هما عدمان يعني أن النزول والعلو عندهم باطلين فلهذا حرفوا نصوص الفوقية والنزول كما روى بعضهم حديث النزول (ينزل) بالضم وهذا كما قرأ بعضهم ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾ النساء ١٦٤ ونحو ذلك من تحريفهم **اللفظ والمعنى** وبعضهم يفسر النزول بنزول الرحمة أو نزول ملك أو غير ذلك فيقال له الرحمة التي تثبتها إما أن تكون عينا قائمة بنفسها وإما أن تكون صفة قائمة بغيرها فإن كانت عينا وقد نزلت إلى السماء الدنيا لم يمكن أن تقول (من يدعوني فأستجيب له كما لا يمكن الملك أن تقول ذلك وأن كانت صفة من الصفات فهي لا تقوم بنفسها بل لا بد لها من محل ثم لايمكن الصفة أن تقول هذا الكلام أو محلها ثم إذا نزلت الرحمة إلى السماء الدنيا ولم تنزل إلينا فأي منفعة في ذلك." (٢)

".. أم لا وهل حاز البلاغة كلها ... **فاللفظ والمعنى** له طوعان

فإذا انتهت هذي الثلاثة فيه كا ... ملة مبرأة من النقصان

فلأي شيء عاش فينا كاتما ... للنفي والتعطيل في الازمان

بل مفصحا بالضد منه حقيقة ال ... إفصاح موضحة بكل بيان

ولأي شيء لم يصرح بالذي ... صرحتم في ربنا الرحمن

ألعجزه عن ذاك أم تقصيره ... في النصح أم لخفاء هذا الشان

حاشاه بل ذا وصفكم يا أمة التعطيل لا المبعوث بالقرآن ...

هذا هو الدليل التاسع عشر من أدلة علو الله تعالى على خلقه وحاصله أن الناظم سأل عن ثلاث مسائل وكلها مسلمة عند المنازعين وهو أن تسأل المعطل هل تقول إن الرسول صلى الله عليه وسلم يعرف ربه فبالضرورة يقول نعم ثم سله هل كان في غاية النصح فلا بد أن يقول نعم ثم سله هل حاز البلاغة كلها فلا بد ان يقول نعم فإذا أقر بهذه الثلاثة فقل له

---

(١) توضيح المقاصد شرح الكافية الشافية نونية ابن القيم أحمد بن عيسى ٢٨٤/١

(٢) توضيح المقاصد شرح الكافية الشافية نونية ابن القيم أحمد بن عيسى ٤١٤/١

فلأي شيء عاش منذ أرسله الله تعالى الى أن توفي صلوات الله وسلامه عليه وهو يفصح بالاثبات ويعيد فيه في كل محضر ومجمع ولأي شيء كتم النفي والتعطيل ولأي شيء لم يصرح بما صرحتم به في ربنا تعالى وهل كان عاجزا عن أن يقول استولى وينزل أمره أو ملك ويقول (من الله) موضع (أين الله) فلازم قولكم عدم معرفة الرسول بربه او عدم النصح او عدم البلاغة وهذا اللازم من أفسد اللوازم وأبطلها فيدل على فساد لازمه وبطلانه لان فساد اللازم يدل على فساد الملزوم." (١)

"مقدرة في الاذهان لا وجود لها في الاعيان وهؤلاء الذين جردوا الحقائق عن قيودها وأخذوها مطلقة أخرجوها عن مسمياتها وماهياتها جميع القيود الخارجة فلم يجعلوها داخلة في حقيقتها فأثبتوا إنسانا لا طويلا ولا قصيرا ولا أسود ولا أبيض ولا في زمان ولا في مكان ولا ساكنا ولا متحركا ولا هو في العالم ولا خارجه ولا له لحم ولا له عظم ولا عصب ولا ظفر ولا له شخص ولا ظل ولا يوصف بصفة ولا يتقيد بقيد ثم رأوا الانسان الخارجي بخلاف ذلك كله فقالوا هذه عوارض خارجة عن حقيقته وجعلوا حقيقته تلك الصورة الخالية التي جردوها فهي المعنى لحقيقة هؤلاء الذين اعتبروها مجردة عن سائر القيود وجعلهم تلك الأمور التي لا تكون إنسانا في الخارج لأنها خارجة عن حقيقته كجعل هؤلاء القيود التي لا يكون اللفظ مقيدا إلا بها مقتضية لمجازه فتأمل هذا التشابه والتناسب بين الفريقين هؤلاء في تجريد المعاني وهؤلاء في تجريد الألفاظ وتأمل ما دخل على هؤلاء وهؤلاء من الفساد في **اللفظ والمعنى** وبسبب هذا الغلط دخل من الفساد في العلوم ما لا يعلمه إلا الله تعالى وهذا معنى قول الناظم فتجرد الأعيان عن وصف الخ أي إن تجرد المعين عن الوصف والوضع والوقت والمكان إنما هو شيء يفرضه الذهن كفرض المستحيل قوله الله أكبركم دهي من فاضل فاياك والإصغاء إلى التجريدين لأن الحق أنهما مفروضان في الذهن فلا تسلإم ما ادعاه المتكلمون والفلاسفة فيهما فيقودك الخصم المعاند بهذا الذي سلمته وتصير مغلوبا معه مقهورا والله اع." (٢)

".. فتحملوا عنا الشهادة واشهدوا ... في كل مجتمع وكل مكان

انا مجسمة بفضل الله وليشهد بذلك معكم الثقلان ... الله أكبر كشرت عن نابها الحرب العوان وصيح بالأقران

وتقابل الصفان وانقسم الورى ... قسمين واتضحت لنا القسمان ...

معنى كلام الناظم ان الحقيقة عند المثبتة مقصودة بالنص والمراد به التبيان وأما عندكم أيها النفاة فهي غير مرادة لأن الحقيقة عندكم لم تدل إلا على التشبيه والتجسيم فكلام الله ورسوله في آيات العلو والصفات وكذا كلام رسوله صلى الله عليه وسلم ليس بحقيقة بل هو مجاز والمجاز هو ما يصح نفيه وحقائق الألفاظ دل العقل بزعمكم على نفيها فاستوى أي تم عندكم نفيان نفي الحقيقة ونفي الدلالة اللفظ عليها واما المثبتة فهم أثبتوا **اللفظ والمعنى** بغير تشبيه ولا تمثيل فلهم اثباتان فأنتم المعطلة حقا وإذا سببتم بالكذب والمحال فسبنا بالأدلة والحجج ويا بعد ما بين السبابين لأنكم تسبون بالكذب والطغيان ونحن نسب بالبرهان فمن سب بالبرهان فليس بظالم وإنما الظلم هو السب بالبهتان

(١) توضيح المقاصد شرح الكافية الشافية نونية ابن القيم أحمد بن عيسى ٥٠٢/١

(٢) توضيح المقاصد شرح الكافية الشافية نونية ابن القيم أحمد بن عيسى ٤٦/٢

وقوله كشرت عن نابها الخ قال في القاموس كشر عن أسنانه يكشر كشرا أبدى يكون في الضحك وغيره

قوله العوان هي الحرب بعد الحرب قال في مختار الصحاح العوان النصف في سنها من كل شيء والجمع عون والعوان من الحرب التي قوتل فيها مرة بعد مرة كأنهم جعلو الاولى بكر." (١)

".. والله يصرف ذاك عن اهل الهدى ... كمحمد ومذمم اسمان

هم يشتمون مذمما ومحمد ... عن شتمهم في معزل وصيان

صان الإله محمدا عن شتمهم ... في **اللفظ والمعنى** هما صنوان

كصيانة الأتباع عن شتم المعطل للمشبه هكذا الإرثان ... والسب مرجعه عليهم إذ هم ... أهل لكل مذمة وهوان ...

وكذا المعطل يلعن اسم مشبه ... واسم الموحد في حمى الرحمن

هذي حسان عرائس زفت لكم ... ولدى المعطل هن غير حسان

والعلم يدخل قلب كل موفق ... من غير بواب ولا استئذان

ويرده المحروم من خذلانه ... لاتشقنا اللهم بالحرمان

يا فرقة نفت الاله وقوله ... وعلوه بالمجد والكفران

موتوا بغيظكم فربي عالم ... بسرائر منكم وخبث جنان

فالله ناصر دينه وكتابه ... ورسوله بالعلم والسلطان

والحق ركن لا يقوم لهده ... أحد ولو جمعت له الثقلان

توبوا إلى الرحمن من تعطيلكم ... فالرب يقبل توبة الندمان

من تاب منكم فالجنان مصيره ... أو مات جهميا ففي النيران ...

مضمون هذه اللطيفة التي ابداها الناظم رحمه الله تعالى ان المعطلة دائما يلعنون المجسمة والمشبهة والله يصرف ذلك عن اهل الهدى والسنة المتبعين." (٢)

"القياس فالذي تراه في الثالث عشر مساو في الحد وفي الحقيقة والصفة لدم اليوم العاشر وقدم حديث لا مهر أقل من عشرة دراهم وأجمعوا على ضعفه بل بطلانه على محض القياس فان بذل الصداق معاوضة في مقابلة بذل البضع فما تراضيا عليه جاز قليلا أو كثيرا وقدم الشافعي تحريم صيد وج مع ضعفه على القياس وقدم خبر جواز الصلاة بمكة على ضعفه ومخالفته لقياس غيرها من البلدان وقدم في احد قوليه حديث من قاء او رعف فليتوضأ وليبن على صلاته على القياس مع ضعف الخبر وارساله وأما مالك فانه يقدم الحديث المرسل والمنقطع والبلاغات وقول الصحابي على القياس فاذا لم يكن عند الامام احمد في المسألة نص ولا قول الصحابة أو واحد منهم ولا أثر مرسل او ضعيف عدل الى الاصل الخامس وهو

---

(١) توضيح المقاصد شرح الكافية الشافية نونية ابن القيم أحمد بن عيسى ٢/٨٤

(٢) توضيح المقاصد شرح الكافية الشافية نونية ابن القيم أحمد بن عيسى ٢/١١٣

القياس فاستعمله للضرورة وقد قال في كتاب الخلال سالت الشافعي عن القياس فقال انما يصار اليه عند الضرورة انتهى
قال الناظم رحمه الله تعالى ... فاذا رأيت النص عنه ساكتا فسكوته عفو من الرحمن
وهو المباح اباحة العفو الذي مافيه من حرج ولا نكران
فأضف إلى هذا عموم اللفظ والمعنى وحسن الفهم في القرآن
فهناك تصبح في غنى وكفاية عن كل ذي رأي وذي حسبان ...

قال الحافظ ابن رجب في شرح الأربعين على قوله صلى الله عليه وسلم إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها الحديث قال وأما المسكوت عنه فهو مالم يذكر جملة بتحليل ولا تحريم فيكون معفوا." (١)
"بقوله ... شبهتم الرحمن بالأوثان في ... عدم الكلام وذاك للاوثان ... مما يدل بأنها ليست بآ ... لهة وذا البرهان في القرآن
في سورة الأعراف مع طه وثا ... لثها فلا تعدل عن القرآن ...

يعني قوله تعالى في سورة الاعراف ﴿واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا﴾ الآية وفي سورة طه ﴿فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا﴾ الآية ... أيصح كون الجاحدين لكونه ... متكلما بحقيقة وبيان
هم اهل تعطيل وتشبيه معا ... بالجامدات عظيمة النقصان
لا تقذفوا بالداء منكم شيعة الرحمن أهل العلم والعرفان ...
أي لا تسموا أهل الحديث والسنة مشبهة فانكم أهل التشبيه لأنكم شبهتم الرحمن بالجامدات في عدم الكلام ... ان الذي نزل الامين به على ... قلب الرسول الواضح البرهان ... هو قول ربي اللفظ والمعنى جميعا اذ هما أخوان مصطحبان
لا تقطعوا رحما تولى وصلها الرحمن تنسلخوا من الايمان ... ولقد شفانا قول شاعرنا الذي ... قال الصواب وجاء بالاحسان
... إن الذي هو في المصاحف مثبت ... بأنامل الاشياخ والشبان ...." (٢)
"ثم إنهم نظموا في هذه الأيام أرجوزة مختلة اللفظ والمعنى فاسدة التركب والمبنى، وزعموا أنهم ردوا بها الكتاب، وأين القمر من نبح الكلاب؟ !.
ولكن أبى الله إلا أن يفضح من تنقص بالصحابة الأخيار، وسادة هذه الأمة الأبرار، وأن يرى الناس عورته، ويغريه أن يكشف سوءته.." (٣)

---

(١) توضيح المقاصد شرح الكافية الشافية نونية ابن القيم أحمد بن عيسى ٢/٣٨٥
(٢) توضيح المقاصد شرح الكافية الشافية نونية ابن القيم أحمد بن عيسى ٢/٤٤٤
(٣) صب العذاب على من سب الأصحاب الألوسي، محمود شكري ص/٢٣٠

"ما له وجه ويدان وسمع وبصر، فنحن نؤمن بوجه ربنا الأعلى وبيديه وبسمعه وبصره وغير ذلك من صفاته التي أطلقها على نفسه، وإن أردتم بالجسم ما يكون فوق غيره ومستويا على غيره فهو سبحانه فوق عباده مستو على عرشه.
وكذلك إن أردتم بالتشبيه والتركيب هذه المعاني التي دل عليها الوحي والعقل فنفيكم لها بهذه الألقاب المنكرة خطأ في **اللفظ والمعنى** وجناية على ألفاظ الوحي، أما الخطأ اللفظي فتسميتكم الموصوف بذلك جسما مركبا مؤلفا مشبها بغيره وتسميتكم هذه الصفات تركيبا وتجسيما وتشبيها، فكذبتم على القرآن وعلى الرسول وعلى اللغة ووضعتم لصفاته ألفاظا منكم بدأت وإليكم تعود، وأما خطأكم في المعنى فنفيكم وتعطيلكم لصفات كماله بواسطة هذه التسمية والألقاب فنفيتم المعنى الحق وسميتموه بالاسم المنكر.
إلى أن قال: وكذلك إذا قال الفرعوني لو كان على السموات رب أو على العرش إله لكان مركبا، قيل له لفظ المركب في اللغة هو الذي ركبه غيره في محله، كقوله تعالى ﴿في أي صورة ما شاء ركبك﴾ وقولهم ركبت الخشبة والباب وما يركب من أخلاط أجزاء بحيث كانت أجزاؤه مفرقة فاجتمعت وركبت حتى صار شيئا واحدا كقولهم ركبت الدواء من كذا وكذا، وإن أردتم بقولكم لو كان فوق العرش كان مركبا هذا التركيب المعهود وأنه كان متفرقا فاجتمع فهو كذب وفرية وبهت على الله وعلى الشرع وعلى العقل، وإن أردتم أنه لو كان فوق العرش لكان عاليا على خلقه." [(١)]
"رسوله فيعطلون أسماءه وصفاته العليا، ويحرفون الكلم عن مواضعه، ويلحدون في أسماء الله وآياته.
فإذا عرفت هذا فإنا نثبت لله اليد كما أثبتها لنفسه، كما قال تعالى: ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾ [المائدة:٦٤] ، وقال تعالى: ﴿يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾ [ص:٧٥] ، وقال تعالى: ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ [الفتح:١٠] ، وقال تعالى: ﴿والسماوات مطويات بيمينه﴾ [الزمر:٦٧] ، إلى غير ذلك من الآيات.
ونثبت أن لله وجها كما قال تعالى: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ [القصص:٨٨] ، وقوله: ﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال والأكرام﴾ [الرحمن:٢٧] ، وقوله: ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ ١ [البقرة:١١٥] ، إلى غير ذلك من الآيات.

---

١ قال شيخ الإسلام ابن تيمية في المناظرة عن الواسطية: " ... قلت هذه الآية ليست من آيات الصفات أصلا، ولا تندرج في عموم قول من يقول: لا تؤول آيات الصفات. قال –أي أحد المناظرين-: أليس فيها ذكر الوجه؟ فلما قلت: المراد بها قبلة الله. قال –أي المناظر-: أليست هذه من آيات الصفات؟ قلت: لا، ليست من موارد النزاع، فإني إنما أسلم أن المراد بالوجه هنا القبلة، فإن الوجه هو الجهة في لغة العرب، يقال: قصدت هذا الوجه، وسافرت إلى هذا الوجه أي: إلى هذه الجهة.
وهذا كثير مشهور، فالوجه هو الجهة. وهو الوجه كما في قوله تعالى: ﴿ولكل وجهة هو موليها﴾ أي متوليها. فقوله تعالى: ﴿وجهة هو موليها﴾ كقوله: ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ كلا الآيتين في **اللفظ والمعنى** متقاربتان، وكلاهما في شأن القبلة،

---

(١) تنبيه ذوي الألباب السليمة عن والوقوع في الألفاظ المبتدعة الوخيمة سليمان بن سحمان ص/١٣

والوجه والجهة هو الذي ذكر في الآيتين: أنا نوليه: نستقبله ... ثم قرر شيخ الإسلام هذا بكلام حسن، فانظره في الفتاوى ج ٦/١٥، ١٦، ١٧. وج ٢/٤٢٨، ٤٢٩.." [١]

"من أنواع العلوم والصنائع والدول وغيرها. فإنه يبتدئ قليلا قليلا ولا يزال ينمو ويزيد إلى أن يصل إلى غاية هي منتهاه، ثم لا يعود. وكأن غاية هذا العلم: انتهت إلى البخاري ومسلم ومن كان في عصرهما. ثم نزل وتقاصر إلى ما شاء الله تعالى حتى لا يوجد اليوم ممن يعلم الحديث، واحد في الجمع الجم من الناس. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الناس كالإبل المائة، لا تكاد توجد فيها راحلة، وإنما هم كحفالة الشعير" (١) فإنا لله وإنا إليه راجعون.

الفصل الثالث: في اختلاف الأغراض من تصانيف علم الحديث. اعلم أن هذا العلم، على شرفه وعلو منزلته: كان علما غزيرا، مشكل **اللفظ والمعنى**. ولذلك كان الناس في تصانيفهم مختلفي الأغراض، فمنهم من قصر همته على تدوين الحديث مطلقا ليحفظ لفظه، ويستنبط منه الحكم. كما فعله عبد الله بن موسى الضبي، وأبوا داود الطيالسي وغيرهما أولا. وثانيا أحمد بن حنبل ومن بعده. فإنهم أثبتوا الأحاديث من مسانيد ذواتها. فيذكرون مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه ويثبتون فيه كل ما رووه عنه. ثم يذكرون بعده الصحابة واحدا بعد واحد على هذا المنسق، قال القسطلاني: فمنهم من رتب عل المسانيد، كالإمام أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وأبي بكر بن أبي شيبة، وأحمد بن منيع، وأبي خيثمة، والحسن بن سفيان، وأبي بكر البزار، وغيرهم. انتهى.

ومنهم من يثبت الأحاديث في الأماكن التي هي دليل عليها، فيضعون لكل حديث بابا يختص به فإن كان في معنى الصلاة: ذكروه في باب الصلاة وإن كان في معنى الزكاة ذكروه فيها. كما فعل مالك في الموطأ، إلا أنه لقلة ما فيه من الأحاديث: قلت أبوابه، ثم اقتدى به من بعده. فلما انتهى الأمر إلى زمن البخاري ومسلم كثرت الأحاديث المودعة في كتابيهما، واقتدى بهما من جاء بعدهما. وهذا النوع أسهل من الأول، لأن الإنسان قد يعرف المعنى وإن لم يعرف راويه، بل ربما لا يحتاج إلى معرفة راويه. فإذا أراد حديثا يتعلق بالصلاة

---

(١) حقالة الشعير: حثالته.." [٢]

"باب ما جاء في التطير (١)

---

(١) أي من النهي عنه والوعيد فيه، مصدر تطير يتطير، والطيرة اسم مصدر من تطير طيرة، كما يقال تخير خيرة، ولم يجيء في المصادر على هذه الزنة غيرهما، والتطير التشاؤم بالشيء بما يقع من المرئيات أو المسموعات في قلوب أهل الشرك والعقائد الضعيفة، الذين لا يجعلون توكلهم على الله، وأصله التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظباء والعطاس والنجوم وغير ذلك، فكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم، فنفاه الشرع وأبطله، وأخبر أنه لا تأثير له في جلب نفع أو دفع ضر، وإنما هو خواطر

---

(١) الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق سليمان بن سحمان ص/١٨٢

(٢) البيان والإشهار لكشف زيغ الملحد الحاج مختار فوزان السابق ص/٢٦٣

وحدوس وتخمينات لا أصل لها. قال المدائني: ((سألت رؤبة بن العجاج ما السانح؟ قال: ما ولاك ميامنه، قلت: فما البارح؟ قال: ما ولاك مياسره، والذي يجيء من خلفك فهو القاعد والقعيد)) . اهـ.

ومن العرب من يتشاءم بالبارح، ويتبرك بالسانح وبالعكس، ولم تكن قاطبة تعتقد هذا وتقول به، بل قد جاء عن بعضهم إنكاره ومنه:

وما أنا ممن يزجر الطير همه ... أطار غراب أم تعرض ثعلب

ولا السانحات البارحات عشية ... أمر سليم القرن أم مر أعضب

وغير ذلك مما هو مشهور عنهم، وفي الصحيح عنه -عليه الصلاة والسلام- حين سئل عنه قال: "ذلك شيء يجده أحدكم فلا يصدنه". وقال: "إذا تطيرت فلا ترجع". ولا يضر إلا من أشفق منه وخاف واعتنى به، فيكون أسرع إليه من السيل إلى منحدره، وتفتح له أبواب الوساوس فيما يسمعه ويراه، ويفتح له الشيطان من المناسبات القريبة والبعيدة في اللفظ والمعنى ما يفسد عليه دينه، وينكد عليه عيشه، ولما كان التطير من الشرك المنافي لكمال التوحيد الواجب؛ لكونه من إلقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته، ولكونه يتعلق القلب به خوفا وطمعا، ولكونه منافيا للتوكل على الله، واعتقاد نفع أو ضر بسبب طائر ونحوه، أفرده المصنف -رحمه الله- بالترجمة، وإن كان من الشرك الأصغر فهو من أقبح الشرك.." [١]

"عن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة دخل حديث بعضهم في بعض (١) أنه "قال رجل في غزوة تبوك (٢) ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا (٣)

= ابن حمير الأشجعي حليف بني سلمة، قال ابن إسحاق: قال: لوددت أني أقاضي على أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة، وأنا ننفلت أن ينزل فينا قرآن لمقالتكم هذه، وقال: يا رسول الله قعد بي اسمي واسم أبي، فكان الذي عناه بالآية، فسمي عبد الرحمن، وسأل أن يقتل شهيدا لا يعلم مكانه، فقتل يوم اليمامة فلم يوجد له أثر. وقوله: ﴿نعذب طائفة﴾ ١ أي لا يعفى عن جميعكم، ولا بد من عذاب بعضكم: ﴿بأنهم كانوا مجرمين﴾ ٢ أي بهذه المقالة الفاجرة الخاطئة.

(١) أي ما ذكر عنهم مجموعا من رواياتهم متقارب المعنى، وقد ذكره كذلك شيخ الإسلام، فلذلك دخل بعضه في بعض. ومحمد بن كعب أو ابن سليم بن أسد أبو حمزة القرظي من حلفاء الأوس، كان أبوه من سبي قريظة، روى عن جماعة من الصحابة، وعنه يزيد بن عجلان وموسى بن عبيدة وغيرهم، ثقة عالم. قال نافع: ما رأيت أحدا أعلم منه في تأويل القرآن، توفي سنة ١٢٠ هـ. وزيد بن أسلم هو العدوي مولى عمر، أبو عبد الله أو أبو أسامة المدني، ثقة عالم، روى عن أبيه وابن عمر وأبي هريرة وغيرهم، وعنه أولاده الثلاثة وغيرهم، قال نافع لعلي بن الحسين: تخطأ مجالس قومك لعبد عمر، فقال: إنما يجلس الرجل إلى من ينفعه في دينه، وأثر ابن عمر رواه ابن جرير وغيره بنحو هذا اللفظ، وأثر ابن كعب وزيد وقتادة معروف، لكن بغير هذا اللفظ والمعنى متقارب.

(٢) وكانت في رجب سنة ٩ هـ. قال ابن إسحاق: وقد كان جماعة من المنافقين منهم وديعة بن ثابت أخو بني أمية بن

---

(١) حاشية كتاب التوحيد عبد الرحمن بن قاسم ص/٢١٢

زيد بن عمرو بن عوف، ومخشي بن حمير الذي تاب الله عليه، وهو لم يقل ذلك، وإنما حضره.

(٣) ولفظ ابن جرير وغيره: ما أرى قراءنا هؤلاء إلا أرغبنا بطونا. أي أوسع، يريد كثرة الأكل، وهو وإن كان مذموما لكن المنافقون قد افتروا أعظم فرية =

---

١ سورة التوبة آية: ٦٦.

٢ سورة التوبة آية: ٦٦.." (١)

"وقوله: وكذلك سمى الله نفسه عليما حليما وسمى بعض عباده عليما فقال: ﴿وبشروه بغلام عليم﴾ إلى قوله: ونظائر هذا متعددة: المراد أنه يقال في هذه الأسماء التي سمى الله بها نفسه وسمى بها بعض عباده كالعليم، والحليم، والرؤوف والرحيم، الخ. يقال في هذا مثل ما قيل في تسمية الله حيا وتسمية المخلوق بذلك فيقال: وليس الحليم كالحليم، ولا العليم كالعليم، ولا الرؤوف كالرؤوف، ولا العزيز كالعزيز، ولا الجبار كالجبار، ولا السميع كالسميع، ولا البصير كالبصير لأن ما أضيف إلى الله اسم له سبحانه، مختص به، وما أضيف إلى المخلوق اسم له مختص به، وإنما يشتركان في المعنى العام في حالة التجرد عن الإضافة وقوله:" ولكن ليس للمطلق مسمى موجود في الخارج ولكن العقل يفهم من المطلق قدرا مشتركا بين المسميين" يعني أن المعنى العام الذي يحصل فيه الاشتراك لا وجود له خارج عن الذهن بحيث يكون متشخصا في عين من الأعيان، ولكن العقل يفهم من المطلق قدرا مشتركا بين المسميين.

وقوله:" وعند الاختصاص يقيد ذلك بما يتميز به الخالق عن المخلوق والمخلوق عن الخالق" يعني عندما تضاف الصفة إلى واحد منهما يقيد ذلك يعني المعنى العام المطلق بما يتميز به الخالق من المخلوق، أو المخلوق من الخالق- فصفة الله كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه، وصفة المخلوق ناقصة وهذا هو المميز بينهما، وقوله: "ولابد من هذا في جميع أسماء الله وصفاته" يعني أن الباب في هذا باب واحد فبين أسماء الله وأسماء المخلوقات تواطؤ وتوافق في **اللفظ والمعنى** العام المطلق فعند القطع عن الإضافة والتخصيص يحصل التوافق بينهما، وحينما يحصل التخصيص يمتاز كل منهما بما يناسبه ويليق به، وكذلك خصائص الله التي لا يتصف بها سواه، فإنه لا اشتراك في شيء من ذلك بين الخالق والمخلوق، وكذلك خصائص المخلوق التي لا يتصف بها إلا مخلوق، هذا أيضا لا شركة فيه بين الخالق والمخلوق، وسيأتي لذلك أمثلة في مواضعها إنشاء الله تعالى، ومعنى." (٢)

"فنفيهم للصفات بهذه الألقاب المنكرة خطأ في **اللفظ والمعنى**، وجناية على ألفاظ الوحي أما الخطأ اللفظي فتسميتهم هذه الصفات تركيبا وتجسيما وتشبيها، فكذبوا على القرآن، وعلى الرسول، وعلى اللغة، ووضعوا للصفات ألفاظا منهم بدأت وإليهم تعود، وأما خطؤهم في المعنى فنفيهم وتعطيلهم لصفات كماله بواسطة هذه التسمية والألقاب، فنفوا المعنى الحق، وسموه بالاسم المنكر، وكانوا في ذلك بمنزلة من سمع أن في العسل شفاء ولم يره، فسأل عنه فقيل له مائع رقيق أصفر

---

(١) حاشية كتاب التوحيد عبد الرحمن بن قاسم ص/٣٢٠

(٢) التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية فالح بن مهدي آل مهدي ٥٧/١

يشبه العذرة –تتقيؤه الزنابير– فمن لم يعرف العسل ينفر عنه بهذا التعريف، ومن عرفه وذاقه لم يزده هذا التعريف عنده إلا محبة له، ورغبة فيه، ولله در القائل:

تقول هذا جناء النحل تمدحه ... وإن تشأ قلت ذا قيء الزنابير

مدحا وذما وما جاوزت وصفهما ... والحق قد يعتريه سوء تعبير

وقوله:"وبهذه الطريقة أفسدت الملاحدة على طوائف الناس عقلهم ودينهم حتى أخرجوهم إلى أعظم الكفر والجهالة وأبلغ الغي والضلالة"

يعني وبسبب تسمية الحق الثابت بأسماء منكرة وتلقيب أصحاب العلم الإلهي، وأهل الديانة والصلاح بالألقاب الشنيعة أفسدت الملاحدة فطر الناس ولوثت عقولهم فإن أشد ما سلكت الملاحدة في التنفير عن الحق سوء التعبير عنه، وضرب الأمثال القبيحة له والتعبير عن تلك المعاني التي لا أحسن منها بألفاظ منكرة، ألقوها في مسامع المغترين المخدوعين فوصلت إلى قلوبهم، وأكثر العقول يقبل القول بعبارة ويرده بعبارة أخرى، ومثل هذا ما يستعمله الفساق والملاحدة في زماننا من الألفاظ البذيئة التي يطلقونها على الفضلاء وأهل الديانة كقولهم: متحجرون، وجامدون، ورجعيون، ومتأخرون، بينما ينعتون أشباههم بالتقدميين، والمتنورين، والراقين فهي إذا شنشنة معروفة من اخزم في قديم." (١)

"ش: يعني إذا عرف أننا نعلم ما أخبرنا به من وجه دون وجه وعرفت أنواع التأويل وأن منها ما يعلمه العباد وهو التفسير، ومنها مالا يعلمه إلا الله وهو الكيفيات وعرف انقسام الكلام إلى خبر وأمر، وأن تأويل الخبر هو عين وقوع المخبر ووجوده، وتأويل الأمر هو نفس فعل المأمور به.

إذا عرف ذلك كله فإن تأويل ما أخبر الله به عن نفسه هو نفس الحقيقة التي أخبر عنها، وهي كنه ذاته وصفاته وتأويل ما أخبر الله به عن الوعد والوعيد هو نفس ما يكون من البعث والنشور والحساب والجزاء والجنة والنار، فكيفية صفات الله هي التأويل الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، وكذلك ما وعد به في الجنة يعلم العباد تفسيره.

وأما حقائقه على ما هي عليه فلا يمكن أن نعلمها نحن حتى تكون الساعة، ومن أجل أن من التأويل مالا يعلمه إلا الله، يتعين على المسلم أن يعمل بمحكم السنة ويؤمن بمتشابهها. فما جاء في القرآن الكريم أو حديث الرسول صلى الله عليه وسلم وجب العمل بمحكمه والإيمان بمتشابهه، وفي نصوص القرآن والحديث ألفاظ ومعاني تشبه ما نعلمه في الدنيا، ولكن ليست الحقيقة هي نفس الحقيقة، كما أن هذه الحقيقة ليست مماثلة لتلك الحقيقة، بل بينهما قدر مشترك وقدر مميز، فأسماء الله وصفاته وأن كان بينها وبين أسماء العباد وصفاتهم تشابه في **اللفظ والمعنى** الكلي، إلا أن حقيقة الخالق وصفاته ليست كحقيقة المخلوق وصفاته، وكذلك الشأن بالنسبة إلى إخبار الله عن اليوم الآخر ففيها ألفاظ تشبه معانيها ما هو معروف لدينا في الدنيا، إلا أن الحقيقة ليست مثل الحقيقة، ففي الآخرة لبن وعسل وخمر وأنهار من ماء، وفيها سرر مرفوعة وأكواب

(١) التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية فالح بن مهدي آل مهدي ٨٢/١

موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة، فبينهما اتفاق في الاسم وفي المعنى الكلي المشترك، بواسطته عرفنا معاني ما خوطبنا به، فإن الإخبار عن الغائب لا يفهم أن لم يعبر عنه." (١)

"موجود في المشاهد هو عين ماهيته فلا فرق بين الوجود والماهية في المشاهدة. بخلاف الماهية التي في الذهن. فإنها مغايرة للموجود في الخارج إذ الماهية التي في الذهن عامة مشتركة والماهية التي في الشاهد معينة خاصة. ثانيا: الصواب في لفظ الذات ولفظ الشيء والماهية ونحو ذلك كالحياة أنها متواطئة لتوافقها في **اللفظ والمعنى**، ومن أطلق عليها اسم المشكك فهو مصيب. فإن المشكك نوع من المتواطيء فإن الحقائق إما أن تتساوى في محالها وإما أن تتفاضل. فالأول هو التواطؤ العام الذي يلاحظ فيه وجود القدر المشترك بين الحقائق مع قطع النظر عن تساويها أو تفاوتها، والثاني هو المسمى بالمتواطيء المشكك. ثالثا: الصواب أن المعدوم شيء بالنسبة للعلم به وكونه متصورا في الذهن أما أنه موجود في المشاهد فلا. والثبوت والوجود بمعنى وأحد. والوجود الذهني يخالف الوجود في الشاهد والتصور الذهني للشيء ليس هو عين حقيقته وإنما هو تابع للعلم القائم بتلك الحقيقة المعلومة. رابعا: الصواب أن الأحوال لا وجود لها إلا في الذهن أما في المشاهدة فلا يوجد إلا الذوات وصفاتها القائمة بها، والأحوال عند القائلين بها هي كون الصفة قائمة بالذات فهي عبارة عن نسبة الصفة إلى الموصوف. والأحوال تختلف وتتشابه باختلاف الذوات وصفاتها والجواب على المسالة الخامسة هو الجواب على المسالة الأولى فالصواب أن الوجود الخارجي لسائر الموجودات هو عين ماهيتها الخارجية. وبين رحمه الله أن هذه الجمل الموجزة التي ذكر في هذه الرسالة المختصرة لا تتسع لبسط القول في هذه المقامة العظيمة. ومقام الاختصار غير مقام الإطالة والإسهاب ولكل مقام مقال كما قرره أهل البيان. وأنا أذكر لك هنا خلاصة مما بسطه المؤلف في غير هذه الرسالة تكون كالتفصيل لما أسلفت من الشرح الموجز لهذه المسائل. فالذي عليه أهل السنة والجماعة وسائر العقلاء أن ماهية كل شيء عين وجوده وأنه ليس وجود الشيء قدرا زائدا على ماهيته بل ليس في الخارج إلا الشيء الذي هو الشيء وهو عينه ونفسه وماهيته وحقيقته. قال الشيخ: فيقال إن أريد بالذات المجردة التي يقر بها نفاة الصفات فالصفات." (٢)

"الإجمال، و (من) هنا للتبعيض، والمعنى ومن جملة إيمان أهل السنة والجماعة بالأصل الأول الذي هو أعظم الأصول وأساسها، وهو الإيمان بالله: أنهم يؤمنون بما وصف به نفسه ... إلخ.

وقوله: ((من غير تحريف)) متعلق بالإيمان قبله؛ يعني أنهم يؤمنون بالصفات الإلهية على هذا الوجه الخالي من كل هذه المعاني الباطلة؛ إثباتا بلا تمثيل، وتنزيها بلا تعطيل.

والتحريف في الأصل مأخوذ من قولهم: حرفت الشيء عن وجهه حرفا، من باب ضرب؛ إذا أملته وغيرته، والتشديد للمبالغة.

وتحريف الكلام: إمالته عن المعنى المتبادر منه إلى معنى آخر لا يدل عليه اللفظ إلا باحتمال مرجوح، فلا بد فيه من قرينة تبين أنه المراد (١) .

---

(١) التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية فالح بن مهدي آل مهدي ٢٠١/١

(٢) التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية فالح بن مهدي آل مهدي ٢٧/٢

= أهل السنة والجماعة في هذا الباب، لأنهم مخالفون لما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في إجراء صفات الله سبحانه وتعالى على حقيقتها، ولهذا يخطئ من يقول: إن أهل السنة والجماعة ثلاثة: سلفيون، وأشعريون، وماتريديون، فهذا خطأ، نقول: كيف يمكن الجميع أهل سنة وهم مختلفون؟! فماذا بعد الحق إلا الضلال؟! وكيف يكونون أهل سنة وكل واحد يرد على الآخر؟! هذا لا يمكن، إلا إذا أمكن الجمع بين الضدين، فنعم، وإلا، فلا شك أن أحدهم وحده هو صاحب السنة، فمن هو؟ الأشعرية، أم الماتريدية، أم السلفية؟ نقول: من وافق السنة، فهو صاحب السنة ومن خالف السنة، فليس صاحب سنة، فنحن نقول: السلف هم أهل السنة والجماعة، ولا يصدق الوصف على غيرهم أبدا والكلمات تعتبر معانيها لننظر كيف نسمى من خالف السنة أهل سنة؟ لا يمكن وكيف يمكن أن نقول عن ثلاث طوائف مختلفة: إنهم مجتمعون؟ فأين الاجتماع؟ فأهل السنة والجماعة هم السلف معتقدا، حتى المتأخر إلى يوم القيامة إذا كان على طريقة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فإنه سلفي.

(١) والتحريف يكون في **اللفظ والمعنى**، أما في اللفظ؛ فمثاله نصب اسم الجلالة بدل رفعه في قوله تعالى: ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾ ، وأما في المعنى؛ فمثاله قولهم: ﴿استوى﴾ ؛ أي: استولى، ويده؛ أي: قدرته.." (١)

"انتفى أصل الصفة، استحال ثبوت حكمها، وأيضا فلو لم تكن أسماؤه ذوات معان وأوصاف لكانت كلها سواء ولم يكن فرق بين مدلولاتها: وهذه مكابرة صريحة، وبهت بين. فإن من جعل معنى اسم (القدير) هو معنى اسم (السميع البصير) ، ومعنى اسم (التواب) هو معنى اسم (المنتقم) ، ومعنى اسم (المعطي) هو معنى اسم (المانع) ، فقد كابر العقل واللغة والفطرة.

فنفي أسمائه من أعظم الإلحاد فيها: والإلحاد فيها أنواع، هذا أحدها، والثاني تسمية الأوثان بها، كما يسمونها آلهة إلى أن قال رحمه الله: وحقيقة الإلحاد فيها العدول بها عن الصواب فيها، وإدخال ما ليس من معانيها فيها وإخراج حقائق معانيها عنها. هذه حقيقة الإلحاد١ اهـ.

وقال في موضع آخر من كتابه (مدارج السالكين) :

"إن الاسم من أسمائه تبارك وتعالى، كما يدل على الذات والصفة التي اشتق منها بالمطابقة٢، فإنه يدل دلالتين أخريين بالتضمن واللزوم. فيدل على الصفة بمفردها بالتضمن، وكذلك على الذات المجردة عن الصفة، ويدل على الصفة الأخرى باللزوم. فإن اسم (السميع) يدل على ذات الرب وسمعه بالمطابقة، وعلى الذات وحدها، وعلى السمع وحده بالتضمن، ويدل على اسم (الحي) وصفة الحياة بالالتزام وكذلك سائر أسمائه وصفاته٣ اهـ.

١ مدارج السالكين ١/٢٨-٣٠.

٢ مدارج السالكين ١/٢٢.

(١) شرح العقيدة الواسطية للهراس محمد خليل هراس ص/٦٦

٣ أنواع الدلالة اللفظية الوضعية:

تنقسم الدلالة إلى ثلاثة أقسام:

١ – الدلالة المطابقية.

٢ – الدلالة التضمنية.

٣– الدلالة الالتزامية.

فالدلالة المطابقية: هي دلالة اللفظ على تمام ما وضع له من حيث أنه وضع له، وذلك مثل لفظ (البيت) على الجدار والسقف معا، ودلالة لفظ (إنسان) على الحيوان الناطق، ودلالة اسم الله (العليم) مثلا على ذات الله وعلمه أي دلالة الاسم على المسمى والصفة المشتقة من الاسم نفسه.

وسميت مطابقية لتطابق **اللفظ والمعنى**، وتوافقهما في الدلالة.

أما الدلالة التضمنية: فهي دلالة اللفظ على جزء ما وضع له في ضمن كل المعنى، مثل دلالة لفظ البيت على الجدار وحده، وعلى السقف وحده، وسميت وضعية لأنها عبارة عن فهم جزء من الكل، فالجزء داخل ضمن الكل أي في داخله، ومن هذا النوع مثلا دلالة اسم الله (السميع) على ذات الله وحدها، وعلى صفة السمع وحدها، بصرف النظر عن استعمال (الجزء والكل) بل يقال على الصفة والموصوف.

وأما الدلالة الالتزامية: فهي دلالة اللفظ على خارج عن معناه الذي وضع له، مثل دلالة لفظ (الأربعة) على الزوجية، ودلالة لفظ (إنسان) على قبول التعليم مثلا وعلى التعجب والحركة والسكون، ودلالة اسم الله (القدير) على صفة (الحياة) وعلى العلم وغيرهما من صفات الله تعالى.

يقول المناطقة: يشترط لهذه الدلالة اللزوم الذهني البين مثل لزوم الحياة من العلم والحلم والقدرة مثلا إذ الميت لا يوصف بهذه الصفات، ويعللون ذلك، لأنها تدل على الخارج عن المعنى الذي وضع اللفظ له، والخارج عن المعنى غير محدود، فلا بد من اللزوم الذهني البين، وقد مثلنا لذلك آنفا.

ويقول المناطقة: إن بين الدلالة المطابقية والدلالة التضمنية العموم والخصوص المطلق، فإذا وجدت التضمنية وجدت المطابقية دون العكس، أي لا يلزم من وجود المطابقية وجود التضمنية.

استقينا هذه المعلومات (بالمعنى) عن كتاب: المرشد السليم إلى المنطق الحديث والقديم. الطبعة الرابعة، دار الطباعة المحمدية بالقاهرة. د. عوض الله جاد حجازي.." (١)

"حميد﴾ ١، والتناقض لا يجتمع مع الإبانة والوضوح، وقد وصف الله كتابه فقال: ﴿بلسان عربي مبين﴾ ٢.

وهذا الاختلاف ينحصر في وجوه ثلاثة:

أولها: اختلاف **اللفظ والمعنى** واحد.

مثالها: كلمة "الصراط" تقرأ بالصاد والسين٣، والإشمام، وكلمة "عليهم"٤ بكسر الهاء وضمها.

---

(١) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه محمد أمان الجامي ص/١٧٨

ثانيهما: اختلاف اللفظ والمعنى مع جواز اجتماعهما في شيء واحد.

مثالها: "مالك٥، ملك" في الفاتحة، فبرغم أن الملك يزيد عن المالك معنى السلطة إلا أن المراد بهما واحد وهو الله تعالى.

ومثل قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿كيف ننشزها﴾ ، "ننشرها"٦ بالراء والزاي؛ لأن المراد بهما العظام؛ لأن الله تعالى أنشرها أي أحياها، وأنشزها؛ أي: رفع بعضها إلى بعض حتى التأمت، فيجتمع المعنيان في القراءتين أخيرا في معنى واحد.

ثالثها: اختلافهما في اللفظ والمعنى، وامتناع اجتماعهما في شيء واحد جوازا، بل يتفقان من وجه آخر يساير المعنى العام وينتفي معه التضاد.

---

١ فصلت: ٤٣.

٢ الشعراء: ١٩٥.

٣ قرأ بالسين قنبل عن ابن كثير -الكشف ج١ ص ٣٤.

٤ قرأ بضم الهاء حمزة ووافقه يعقوب -راجع الكشف ج ١ ص ٣٥.

٥ قرأ "ملك" بغير ألف جماعة من الصحابة وغيرهم، منهم أبو الدرداء، وابن عباس، وابن عمر، ومروان بن الحكم ومجاهد، المرجع السابق ص٢٧.

٦ قرأها الكوفيون وابن عامر بالزاي، وقرأها الباقون بالراء -الكشف ج١ ص٣١.." (١)

"ومن أدلة السنة قول النبي صلى الله عليه وسلم: "يقول الله تعالى: يا آدم! فيقول: لبيك وسعديك. فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار" (١) .

وكلامه سبحانه هو اللفظ والمعنى جميعا، ليس هو اللفظ وحده أو المعنى وحده. هذا هو قول أهل السنة والجماعة في كلام الله تعالى، أما أقوال غيرهم فإليك ملخصها من "مختصر الصواعق المرسلة":

١ - قول الكرامية: وهو كقول أهل السنة، إلا أنهم قالوا: "إنه حادث بعد أن لم يكن"، فرارا من إثبات حوادث لا أول لها.

٢ - قول الكلابية: "إنه معنى قائم بذاته لازم لها كلزوم الحياة والعلم، فلا يتعلق بمشيئته، والحروف والأصوات حكاية عنه خلقها الله لتدل على ذلك المعنى القائم بذاته، وهو أربعة معان: أمر، ونهي، وخبر، واستخبار".

٣ - قول الأشعرية: وهو كقول الكلابية إلا أنهم يخالفونهم في شيئين:

أحدهما - في معاني الكلام، فالكلابية يقولون: "إنه أربعة معان" والأشعرية يقولون: إنه معنى واحد، فالخبر،

---

(١) مدخل في علوم القراءات السيد رزق الطويل ص/٢٨

(١) -رواه البخاري (٤٧٤١) كتاب التفسير، ١ - باب ﴿وترى الناس سكارى﴾ [سورة الحج] .

ومسلم (٢٢٢) كتاب الإيمان، ٩٦ - باب قوله: يقول الله لآدم: أخرج بعث النار ...." [1]

"اللفظ فإنه لم يمره، ومن نفى المعنى فإنه لم يمره، بل الواجب أن نمرها كما جاءت، ولا نتعرض بقولنا: كيف؟ ولم؟ لان هذا التعرض من سبيل أهل البدع بدليل قول الإمام مالك رحمه الله عندما سئل عن الاستواء كيف استوى؟ قال: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، ولا أراك إلا رجل سوء، فأمر به فأخرج (١) .

فقال: ((والسؤال عنه بدعة)) ، فلا يجوز أبدا أن نسأل عن صفة من صفات الله فنقول: كيف؟ ، ولا يجوز أيضا أن نقول: إذا صح هذا لزم منه هذا مما يمتنع على الله، يعني مثل الذين يقولون: إذا صح نزوله إلى السماء الدنيا لزم أن تكون السماء الثانية فوقه، فهذا حرام ولا يجوز، ولا يمكن أن يقدر هذا التقدير من عرف الله وقدره قدره، بل نحن موقفنا في هذه الأمور هو التسليم، وعدم التعرض لأي سؤال مثل هذه الأسئلة.

أما لو قال: ما معنى النزول؟ أو ما معنى المجيء؟ أو ما معنى الضحك؟ فهذا لا باس أن يسأل عن المعنى حتى يبين له معنى الاستواء مثلا، لكن كيف استوى؟ كيف ينزل؟ كيف يجيء؟ كيف عينه؟ كيف يده؟ كيف قدمه؟ فهذا لا يجوز.

فالحاصل أن موقف أهل السنة والجماعة من الآيات والأحاديث الواردة في صفات الله عز وجل أن يمروها كما جاءت من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، فهي ألفاظ جاءت لمعنى وهم يمرون **اللفظ والمعنى**، وقلنا هذا احترازا من مذهب المفوضة الذين يقولون: نمر لفظها، دون أن

(١) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للاكائي ٣/٣٩٨.." [2]

"إنسان عنده المواد الخام، وعنده قدرة ونشاط وذكاء، لكن ليس عنده علم. فهذا لا يمكن أن يصنع المسجل لعدم علمه.

وإذا كان هناك إنسان عنده علم، فهو مهندس ودارس ويقرأ ويعرف، لكنه مشلول لا يقدر أن يصلح شيئا، فهذا لا يقدر أن يصنع المسجل لعدم القدرة.

إذا اسم الله الخلاق تضمن ثلاث صفات: الخلق، والعلم، والقدرة، ولهذا قال الله عز وجل: (الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما) (الطلاق: ١٢) ، يعني أخبرناكم بذلك لتعلموا أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علما، ولولا علمه وقدرته

(١) فتح رب البرية بتلخيص الحموية ابن عثيمين ص/٧٦

(٢) شرح العقيدة السفارينية ابن عثيمين ص/١٠٨

ما خلق السموات والأرض.

ويعبر عن هذا البحث بأن أسماء الله أعلام وأوصاف، فباعتبار دلالتها على الذات هي أعلام؛ وباعتبار دلالتها على المعاني هي أوصاف.

ويترتب على هذا البحث: هل أسماء الله متباينة أو مترادفة؟

والجواب أن نقول: إما باعتبار دلالتها على الذات فهي مترادفة؛ لأنها دلت على شيء واحد وهو الله، وأما باعتبار دلالتها على المعنى فهي متباينة؛ لأن لكل اسم منها معنى غير المعنى في الاسم الآخر.

والمترادف: هو متعدد اللفظ متحد المعنى، والمتباين: هو متعدد **اللفظ والمعنى**، فحجر وإنسان متباين؛ لأن اللفظ مختلف والمعنى مختلف، وبشر وإنسان مترادف؛ لأن اللفظ متعدد والمعنى واحد.

فالله والرحمن، والرحيم، والملك، والقدوس، والسلام، إلى آخر ما." (١)

"الإنسان: (لا أدري) هذه سلامة.

وقولهم في طريقة الخلف: إنها أعلم وأحكم؛ فأعلم لأنهم يثبتون معنى؛ وأحكم لأنهم قالوا: إن من المحال أن ينزل الله علينا كتابا في أعظم ما نحتاج إليه ثم لا يكون له معنى معلوم، فلو قال إنسان: عن آيات الصفات وأحاديثها ليس لها معنى أو ليس معناها معلوما، لكان هذا مناقضا للحكمة.

ولهذا قالوا: طريقة الخلف أعلم وأحكم، وقد بينا أن هذه المقولة باطلة متناقضة (١) ، وقد كذبوا بذلك على السلف فيما فهموا من مذهبهم.

وقوله: (نمرها كما أتت في الذكر) ، سبق أن السلف قالوا في آيات الصفات وأحاديثها: أمروها كما جاءت بلا كيف. وهذه العبارة لا تدل على أن السلف يفوضون المعنى، بل الذي تدل عليه أن السلف يثبتون معنى آيات الصفات وأحاديثها، وتدل العبارة على هذا من وجهين:

الأول: قولهم: (أمروها كما جاءت) ومن المعلوم أنها جاءت ألفاظا لمعان، ولم تأت ألفاظا لغير معنى كالحروف الهجائية أبدا، فإذا أمررناها كما جاءت فمعنى ذلك أننا نثبت **اللفظ والمعنى**.

والثاني: قولهم: (بلا كيف) يعني بلا تكييف، وهذه أيضا تدل على ثبوت المعنى، لأنه لولا ثبوت أصل المعنى ما احتجنا إلى قول بلا كيف، إذ نفي الكيف عما ليس بموجود لغو من القول، وهذا واضح.

---

(١) انظر فتح رب البرية بتلخيص الحموية ص ٥." (٢)

"فالجواب: نعم، لكن المغايرة تارة تكون بالأعيان، وتارة تكون بالأوصاف، وهذا تغاير أوصاف، على ان التغاير قد يكون لفظيا غير معنوي مثل قول الشاعر:

---

(١) شرح العقيدة السفارينية ابن عثيمين ص/١٦٤

(٢) شرح العقيدة السفارينية ابن عثيمين ص/٢٩٥

فألقى قولها كذبا ومينا

فالمين هو الكذب ومع ذلك عطفه عليه، لتغاير **اللفظ والمعنى** واحد، فالتغاير إما عيني أو معنوي أو لفظي وفلو قلت: جاء زيد وعمرو وبكر وخالد، لاتغاير عيني، لو قلت: جاء زيد الكريم والشجاع والعالم، فالتغاير معنوي، ولو قلت: هذا الحديث كذب مين، فالتغاير لفظي.

واستفدنا من هذه الآية الكريمة إثبات أربعة أسماء لله، وهي الأول والآخر والظاهر والباطن.

واستفدنا منها خمس صفات: الأولية، والآخرية، والظاهرية، والباطنية وعموم العلم.

واستفدنا من مجموع الأسماء: إحاطة الله تعالى بكل شيء زمنا ومكانا، لأنه قد يحصل من اجتماع الأوصاف زيادة صفة.

فإذا قال قائل: هل هذه الأسماء متلازمة، بمعنى أنك إذا قلت: الأول، فلابد أن تقول: الآخر، أو: يجوز فصل بعضها عن بعض؟!

فالظاهر أن المتقابل منها متلازم، فإذا قلت: الأول، فقل: الآخر، وإذا قلت: الظاهر، فقل: الباطن، لئلا تفوت صفة المقابلة." (١)

"تقرأ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستعيذ إذا أراد أن يقرأ لا إذا فرغ من القراءة.

وإن لم يدل عليه دليل صحيح كان باطلا مذموما، وجديرا بأن يسمى تحريفا لا تأويلا.

مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه: ٥] . فإن ظاهره أن الله تعالى علا على العرش علوا خاصا يليق بالله عز وجل، وهذا هو المراد، فتأويله إلى أن معناه "استولى" و"ملك" تأويل باطل مذموم، وتحريف للكلم عن مواضعه؛ لأنه ليس عليه دليل صحيح.

فصل

* اعلم أن الله تعالى وصف القرآن بأنه محكم، وبأنه متشابه، وبأن بعضه محكم وبعضه متشابه.

فالأول كقوله تعالى: ﴿تلك آيات الكتاب الحكيم﴾ [لقمان: ٢] .

والثاني كقوله: ﴿الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها﴾ [الزمر: ٢٣] .

والثالث كقوله: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات﴾ [آل عمران: ٧] .

- فالإحكام الذي وصف به جميع القرآن هو: الإتقان والجودة في **اللفظ والمعنى**، فألفاظ القرآن كله في أكمل البيان والفصاحة والبلاغة، ومعانيه أكمل المعاني وأجلها وأنفعها للخلق حيث تتضمن كمال الصدق في الأخبار، وكمال الرشد والعدل في الأحكام، كما قال الله تعالى: ﴿وتمت كلمت ربك صدقا وعدلا﴾ [الأنعام: ١١٥] .

- والتشابه الذي وصف به جميع القرآن هو: تشابه القرآن في الكمال." (٢)

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للعثيمين ابن عثيمين ١/١٨٣

(٢) تقريب التدمرية ابن عثيمين ص/٧٨

"وأما البيت الذي يحكى عن الأخطل، أنه قال:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

فهذا لا تعرف صحة نسبته إلى الأخطل النصراني، ثم هو من المولدين.

ثم إن نفاة الصفات، ومنها نفيهم ((صفة الكلام)) عن الله تعالى كما يليق بجلاله، أولوا النصوص بكلام الله تعالى بأنه ((كلام نفساني)) وهذا من أبطل الباطل، فإن تعالى وصف نفسه بصفة الكلام ولم يقيدها سبحانه بأنه كلام نفساني، فهذا قيد بدعي حادث فاسد لغة وشرعا لا تعرفه العرب بلسانها الذي نزل به القرآن، فإذا أطلق الكلام شمل **اللفظ والمعنى**.

وهم يرمون بهذا القيد ((النفسي)) نفي صفة الكلام لله تعالى والأيلولة إلى مقالة الجهمية بخلق القرآن.

وماذا يقول النفاة بحديث: ((إن الله يحدث لنبيه ما شاء وأن مما أحدث لنبيه أن لا تكلموا في الصلاة)) رواه أحمد ١/ ٣٧٧، وأبو داود، والنسائي، والبخاري تعليقا.

ولم يقل مسلم بل ولا عاقل قط بأن الكلام الممتنع في الصلاة هو ((كلام النفس)) .

فالتزم أيها المسلم نصوص الكتاب والسنة، وطريقة السلف في فهم المراد منها ﴿ولا مبدل لكلمات الله﴾ ، ﴿ويحق الله الحق بكلماته﴾ فأثبت ما أثبته الله لنفسه بلا تحريف ولا تشبيه ولا تعطيل. والله الموفق.

الكلام غير المتكلم: (١)

للمتكلمة عبارات يصلون بها إلى تحقيق مذاهبهم، مع ما فيها من تلبيس على السامع، منها:

الكلام غير المتكلم.

القول غير القائل.

القدرة غير القادر.

الصفة غير الموصوف.

وهكذا في ألفاظ أخر، وقد بين الأئمة مقاصدهم، ومرامي كلامهم.

ونقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية

---

(١) (الكلام غير المتكلم: الفتاوى: ٣/ ٣٣٦ - ٣٣٧، ١٢ / ٥٦٠ - ٥٦١.." [1]

"مسمى الكلام عند الفرق

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وللناس في مسمى الكلام والقول عند الإطلاق أربعة أقوال: أحدها: أنه يتناول **اللفظ والمعنى** جميعا، كما يتناول لفظ الإنسان الروح والبدن معا.

وهذا قول السلف.

---

(١) معجم المناهي اللفظية بكر أبو زيد ص/٤٤٢

الثاني: اسم اللفظ فقط، والمعنى ليس جزء مسماه، بل هو مدلول مسماه.

وهذا قول جماعة من المعتزلة وغيرهم.

الثالث: أنه اسم للمعنى فقط، وإطلاقه على اللفظ مجاز؛ لأنه دال عليه.

وهذا قول ابن كلاب ومن اتبعه.

الرابع: أنه مشترك بين **اللفظ والمعنى**.

وهذا قول بعض المتأخرين من الكلابية.

ولهم قول يروى عن أبي الحسن أنه مجاز في كلام الله حقيقة في كلام الآدميين؛ لأن حروف الآدميين تقوم بهم، فلا يكون الكلام قائما بغير المتكلم، بخلاف كلام الله فإنه لا يقوم عنده بالله، فيمتنع أن يكون كلامه، وهذا مبسوط في موضعه.

وأما من قال إنه معنى واحد واستدل عليه بقول الأخطل: إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا فاستدلال فاسد، ولو استدل مستدل بحديث في الصحيحين لقالوا: هذا خبر واحد.

ويكون مما اتفق العلماء على تصديقه وتلقيه بالقبول والعمل به، فكيف وهذا البيت قد قيل إنه موضوع منسوب إلى الأخطل وليس هو في ديوانه؟! وقيل: إنما قال: (إن البيان لفي الفؤاد) وهذا أقرب إلى الصحة.

وعلى تقدير صحته عنه فلا يجوز الاستدلال به، فإن النصارى قد ضلوا في معنى الكلام، وزعموا أن عيسى عليه الصلاة السلام نفس كلمة الله، واتحد اللاهوت بالناسوت، أي: شيء من الإله بشيء من الناس، أفيستدل بقول نصراني قد ضل في معنى الكلام على معنى الكلام ويترك ما يعلم من معنى الكلام في لغة العرب؟ وأيضا فمعناه غير صحيح؛ إذ لازمه أن الأخرس يسمى متكلما لقيام الكلام بقلبه وإن لم ينطق به ولم يسمع منه، والكلام على ذلك مبسوط في موضعه، وإنما أشير إليه إشارة] .

ذكر الشارح أن الفرق لها في مسمى الكلام عدة تعريفات: فمنهم من يقول: إن الكلام اسم للفظ وللمعنى جميعا، اللفظ الذي هو الحروف، والمعنى الذي اشتملت عليه تلك الحروف وتلك الكلمات.

والنحويون عندهم تعريف الكلام يقولون: إنه ما أفاد وصيغ بالألفاظ العربية وتركب من كلمتين فأكثر، فأما إذا كان من كلمة واحدة فلا يسمى كلاما، وهكذا إذا لم يفد فلا يسمى كلاما، وهكذا إذا كان مركبا ولكن ليس بالألفاظ العربية فلا يسمى كلاما.

وهناك من يقول: إن الكلام هو الحروف والكلمات التي ينطق بها، وأما المعاني التي اشتمل عليها فلا تدخل في مسمى الكلام.

وهذا قول المعتزلة.

وهناك قول ثالث بعكسه، وهو أن الكلام هو المعنى، وأما الحروف فإنما هي دالة عليه.

وهناك قول رابع أنه مشترك بينهما.

وعلى كل حال فهذه الأقوال كلها خطأ إلا القول الأول، وهو أن الكلام اسم للفظ وللمعنى جميعا، لا يسمى كلاما إلا

إذا كان له معنى مفيد، وكان بالحروف التي يسمعها المتكلم، ولو كان الكلام مصوغا بغير العربية سميناه كلاما بلغة أهله، فهناك الأعاجم لهم عدة لغات، ونسمي لغاتهم كلاما، فنقول: تكلم بلغته، ولا نفهم كلامه، ونقول له: فسر لنا كلامك، فنسميه كلاما إذا فسره بلغة نفهمها.

فعلى هذا يكون الكلام العربي اسما لموصوف بالحروف وبالكلمات التي استعملتها العرب إذا كانت ذات معان مفهومة عند الذين وضعوا اللغة وعند الذين تكلموا عليها.

فإذا: القرآن كلمات وحروف، وجمل وآيات وسور، وكل جملة لها معنى مستقل، وقد تكون الآية فيها عدة جمل، كآية الكرسي، فقد اشتملت على عشر جمل: الجملة الأولى: قوله: ﴿الله لا إله إلا هو﴾ [البقرة:٢٥٥] فيها إثبات الإلهية.

الجملة الثانية: قوله: ﴿الحي القيوم﴾ [البقرة:٢٥٥] مشتملة على اسمين من أسماء الله مؤكدين لوصفه.

الجملة الثالثة: قوله: ﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾ [البقرة:٢٥٥] نفي لهذين النقصين، والسنة النعاس، والنوم معروف إلى آخر ما في الآية.

ففيها عشر جمل كل جملة ذات معنى، فتسمى الجملة كلاما، فيقال: هذه الجملة من كلام الله، ويقال كذلك في بقية القرآن: إنه مشتمل على كلمات وجمل ذات معان، كل جملة دالة على معنى يفهمه من تعلمه وعرفه، ويترجم إلى لغة أخرى لمن لا يفهمه، وهذا القول هو الصحيح؛ فالكلام اسم للفظ والمعنى، وكلام الله اسم للحروف والكلمات مع المعاني التي دلت عليها تلك الكلمات.." (١)

"صلة شعر الأخطل بعقيدة النصارى

ثم يحتج عليهم الشارح بأنه تكلم على عقيدة النصارى؛ وذلك لأن النصارى ضلوا في مسمى الكلام الذي نحن في تعريفه، فعندهم أن عيسى نفس كلمة الله، فيقولون: إنه نفس الكلمة، وإنه هو الكلمة.

والصحيح أنه خلق بها لا أنه هي.

يقولون: إن قوله: (كن) هو نفس الكلمة، فعيسى هو الكلمة، وهو (كن) في قوله تعالى: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾ [آل عمران:٥٩] ، فهو خلقه وقال له: (كن) ، كما خلق آدم وقال له: (كن) ، وسمي كلمة الله في قوله تعالى: ﴿إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾ [النساء:١٧١] والكلمة التي ألقاها هي قوله: (كن) ، فـ (كن) كلام الله، خلق بها كما خلقت سائر المخلوقات بقول: (كن) ﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾ [يس:٨٢] .

فالنصارى ضلوا في هذا الباب، واعتقدوا أن عيسى نفس الكلمة، وإذا كان هذا شاعرا نصرانيا، فإنه تكلم بالبيت على عقيدة النصارى، فكيف نقلد النصارى فيما اعتقدوا؟ وهذا كله على تقدير أن البيت ثابت.

ثم لسنا بحاجة إلى الاستدلال بأقوال النصارى، وكتاب الله وسنة نبيه وكلام العرب واضح في أنه يسمى المتكلم متكلما، والذي لا يتكلم يسمى أخرس، ومعلوم أنه قد يقوم بقلب الأخرس كلام، وقد يشير إليه، وإذا أشار إليه فهم منه، فمعناه

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين ابن جبرين ٣/١٨

أن الأخرس الذي لا ينطق- وهو الأبكم- يسمى متكلما على قول هؤلاء الأشاعرة، فعرف بذلك أنه لا دلالة لهم في ذلك، وأن القول الثابت والصحيح أن الكلام هو **اللفظ والمعنى** جميعا، ليس هو المعنى الذي يستشهد له بهذا البيت.

قال رحمه الله تعالى: [وهنا معنى عجيب، وهو أن هذا القول له شبه قوي بقول النصارى القائلين باللاهوت والناسوت؛ فإنهم يقولون: كلام الله هو المعنى القائم بذات الله الذي لا يمكن سماعه، وأما النظم المسموع فمخلوق.

فإفهام المعنى (القديم) بالنظم المخلوق يشبه امتزاج اللاهوت بالناسوت الذي قالته النصارى في عيسى عليه الصلاة السلام، فانظر إلى هذا الشبه ما أعجبه] .

اللاهوت عندهم الإله، والناسوت: الناس، والنصارى يدعون أن اللاهوت اتصل بالناسوت، فتكون منهما هذا الإنسان، وتبعهم على هذا الاعتقاد أيضا ملاحدة يقال لهم: أهل الاتحاد وأهل الوحدة.

فعندهم أن اللاهوت متصل بالناسوت ومتحد معه، وفي ذلك يقول حلاجهم: سبحان من أظهر ناسوته سر سنا لاهوته الثاقب حتى بدا في خلقه ظاهرا في صورة الآكل والشارب هذا معناه لعنه الله، ولا شك أن هذا أكفر الكفر، ولا شك أن الله تعالى هو الخالق وما سواه المخلوق، وأنه ليس في ذاته شيء من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته، فكلام النصارى في قولهم: إن عيسى هو عين الكلمة، وإن الكلمة جزء من ذات الرب سبحانه وتعالى شبيه بقول الاتحادية الذين يزعمون كزعم النصارى أن اللاهوت اتحد بالناسوت، وأصبح شيئا واحدا، وأن من جملة ذلك عيسى، فإنه وجد من أنثى، ولكن بعد اتصال اللاهوت بالناسوت.

وجلود المؤمنين تقشعر من أن يتصور هذا التصور، ولكن قلوب أولئك صدت عن معرفة الحق وزين لهم هذا الباطل والعياذ بالله.." (١)

"وقوع الأشاعرة في القول بخلق القرآن

قال المؤلف رحمه الله: [ولا شك أن من قال: إن كلام الله معنى واحد قائم بنفسه تعالى، وإن المتلو المحفوظ المكتوب المسموع من القارئ حكاية كلام الله وهو مخلوق؛ فقد قال بخلق القرآن وهو لا يشعر؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله﴾ [الإسراء:٨٨] .

أفتراه سبحانه وتعالى يشير إلى ما في نفسه، أو إلى المتلو المسموع؟ ولا شك أن الإشارة إنما هي إلى هذا المتلو المسموع؛ إذ ما في ذات الله غير مشار إليه ولا منزل ولا متلو ولا مسموع، وقوله: ﴿لا يأتون بمثله﴾ [الإسراء:٨٨] أفتراه سبحانه يقول: (لا يأتون بمثل ما في نفسي مما لم يسمعوه ولم يعرفوه) ؟ وما في نفس الله عز وجل لا حيلة إلى الوصول إليه ولا إلى الوقوف عليه] .

قول الله تعالى: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾ [الإسراء:٨٨] ، وقوله تعالى: ﴿فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين﴾ [الطور:٣٤] ، وقوله تعالى: ﴿فأتوا بسورة من مثله﴾ [البقرة:٢٣] وقوله تعالى: ﴿فأتوا بعشر سور مثله مفتريات﴾ [هود:١٣] الإشارة هل هي إلى المعنى أو إلى اللفظ؟

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين ابن جبرين ٥/١٨

لا شك أن الإشارة إلى هذه الكلمات والآيات الموجودة في المصاحف، فهو الذي يسمى سورا وآيات وكلمات وحروفا، ومجموعه هو القرآن، أشار الله إليه بقوله: ﴿بمثل هذا القرآن﴾ [الإسراء:٨٨] .

هل الإعجاز بالنسبة إلى المعنى الذي في نفس الرب تعالى الذي قام به؟ إنه يستحيل أن يعلم أحد ما يقوم في نفس الرب سبحانه، وقد حكى الله عن نبيه عيسى أنه قال: ﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾ [المائدة:١١٦] .

فإذا: الذين يقولون إن كلام الله هو ما يقوم بنفسه، وإن هذا القرآن عبارة أو حكاية عنه، وليس هو عين كلام الله؛ لا شك أنهم قد جعلوا هذا القرآن مفترى ومخلوقا، وجعلوا الإنسان قادرا على أن يأتي بمثله، فجعلوه إما من صياغة الملك، وإما من صياغة محمد صلى الله عليه وسلم، وحاشاه أن يكون منه ذلك، وحكى الله عنه أنه يقول: ﴿قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله﴾ [يونس:١٦] لبث فيهم قبله أربعين سنة، فكيف مع ذلك جاء به بعد هذه المدة وافتراه وقاله من قبل نفسه، ولو أنه أوحي إليه المعنى وقيل له وعليك صياغة اللفظ، وعليك صياغة الكلمات لكان ذلك من إنشائه لا من إنشاء الله سبحانه، فعلم بهذا أنه لما نزه نفسه عن أن يقول إنه كلامه، صدق عليه أن **اللفظ والمعنى** كله من كلام الله.

وهذا هو الصحيح، والإشارة بقوله: ﴿فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين﴾ [الطور:٣٤] أي: على أن يأتوا بمثل هذا القرآن، والإشارة إلى الحروف والمعاني، لا على ما يقوم بذات الرب أو بنفسه سبحانه وتعالى؛ فإن ذلك غير ممكن الاطلاع عليه ولا معرفته.." (١)

"من قال: إن القرآن عبارة عن كلام الله فقد قال إنه قول البشر

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وقوله: (ومن سمعه وقال: إنه كلام البشر فقد كفر) ، لا شك في تكفير من أنكر أن القرآن كلام الله، بل قال: إنه كلام محمد أو غيره من الخلق، ملكا كان أو بشرا.

وأما إذا أقر أنه كلام الله ثم أول وحرف فقد وافق قول من قال: ﴿إن هذا إلا قول البشر﴾ [المدثر:٢٥] في بعض ما به كفر، وأولئك الذين استزلهم الشيطان، وسيأتي الكلام عليه عند قول الشيخ: ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله إن شاء الله تعالى] .

صاحب المتن -وهو الطحاوي - عبارته هنا تقتضي تكفير من يقول إن هذا القرآن قول البشر.

وما ذاك إلا أن الله كفر من قال ذلك، فقد حكى الله عن بعض المشركين قوله تعالى: ﴿إنه فكر وقدر * فقتل كيف قدر * ثم قتل كيف قدر * ثم نظر * ثم عبس وبسر * ثم أدبر واستكبر * فقال إن هذا إلا سحر يؤثر * إن هذا إلا قول البشر﴾ [المدثر:١٨-٢٥] ، فالشاهد قوله: ﴿إن هذا إلا قول البشر﴾ [المدثر:٢٥] ، فجعله أولا سحرا يؤثر، ثم صرح بأنه قول البشر.

فهؤلاء الذين يقولون: إنه إنشاء محمد قد أشبهوا هذا الكافر الذي قال: إنه سحر يؤثر، إنه قول البشر، وتوعده الله فقال: ﴿سأصليه سقر﴾ [المدثر:٢٦] ، وهذا وعيد شديد، وهو عام لكل من زعم أن هذا القرآن قول البشر لا أنه قول رب

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين ابن جبرين ١٠/١٨

البشر، والذين يعتقدون أنه كلام الله يعرفون أن الله تعالى هو الذي تكلم بما شاء، وأنزله وحيا على نبيه، وأمر نبيه أن يبلغه إلى أمته **باللفظ والمعنى**، فعلى هذا يكون البشر جميعا كلهم يقرءونه على أنه كلام الله، لا على أنه كلام لأحدهم.

فالحاصل أن من ادعى أنه ليس هو عين كلام الله، وأن كلام الله هو المعاني دون الألفاظ ودون الحروف، فقد أبطل هذه النصوص وادعى أن كلام الله إنما هو المعنى.

وهذه الطائفة هي طائفة الأشاعرة، وهم من أكثر الطوائف انتشارا في القرون الوسطى؛ إما لأنهم تمكنوا وكثروا وصار الخلفاء يقربونهم، فصاروا يؤلفون وينصرون بذلك معتقدهم، واشتهر هذا القول وكثرت الكتابة فيه، وتستر الذين يقولون بقول الحق؛ لكونهم قلة وأذلاء فاستخفوا، ولم يستطيعوا أن يصرحوا بما يعتقدونه طوال أكثر القرون؛ في القرن الرابع والخامس والسادس وأغلب السابع، وفي آخر القرن الثامن ظهر من يقول بالحق ويصدع به، فقيض الله للأمة من انتصر انتصارا شديدا لقول الحق، وهو شيخ الإسلام ابن تيمية، ومن قرأ عليه، ومن انتفع به من تلاميذه وأهل زمانه إلى أن وصل الأمر إلى مؤلف هذا الشرح.

فهؤلاء الذين في هذه القرون الكثيرة وكذلك من بعدهم لا شك أنهم ذوو منزلة، فلأجل ذلك توقف العلماء في الحكم عليهم، قالوا: هل نحكم على هؤلاء كلهم أنهم كفار؛ حيث إنهم يقولون: إن كلام الله هو المعنى، وليس كلام الله هو الحروف، ويقولون: إن كلام الله معنى قائم بنفسه.

ففي زعمهم أن الكلام إنما يخطر ممن تقوم به الحوادث كما يدعون ذلك، فعند ذلك توقفوا وقالوا: نعذرهم باجتهادهم ونكل أمرهم إلى الله تعالى ولا نكفرهم، ولكن من قامت عليه الحجة وانقطع عذره، ومات مصرا على ذلك، نتبرأ منه وأمره إلى الله تعالى، ولا نصرح بكفره.." (١)

"إعجاز القرآن في **اللفظ والمعنى** دليل على أنه كلام الله

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [قوله: (ولا يشبه قول البشر) ، يعني: أنه أشرف وأفصح وأصدق، قال تعالى: ﴿ومن أصدق من الله حديثا﴾ [النساء:٨٧] ، وقال تعالى: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله﴾ [الإسراء:٨٨] ، وقال تعالى: ﴿قل فأتوا بعشر سور مثله﴾ [هود:١٣] ، وقال تعالى: ﴿قل فأتوا بسورة مثله﴾ [يونس:٣٨] ، فلما عجزوا -وهم فصحاء العرب مع شدة العداوة - عن الإتيان بسورة مثله، تبين صدق الرسول صلى الله عليه وسلم أنه من عند الله.

وإعجازه من جهة نظمه ومعناه لا من جهة أحدهما فقط، هذا مع أنه قرآن عربي غير ذي عوج بلسان عربي مبين، أي: باللغة العربية.

فنفي المشابهة من حيث التكلم ومن حيث النظم والمعنى لا من حيث الكلمات والحروف، وإلى هذا وقعت الإشارة بالحروف المقطعة في أوائل السور، أي أنه في أسلوب كلامهم وبلغتهم التي يتخاطبون بها، ألا ترى أنه يأتي بعد الحروف المقطعة بذكر القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿الم * ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾ [البقرة:١-٢] ، ﴿الم * الله لا إله إلا هو

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين ابن جبرين ١٢/١٨

الحي القيوم * نزل عليك الكتاب بالحق﴾ [آل عمران:١-٣] الآية، ﴿المص *كتاب أنزل إليك﴾ [الأعراف:١-٢] ، وقوله تعالى: ﴿الر تلك آيات الكتاب الحكيم﴾ [يونس:١] .

وكذلك الباقي، ينبههم أن هذا الرسول الكريم لم يأتكم بما لا تعرفونه بل خاطبكم بلسانكم.

ولكن أهل المقالات الفاسدة يتذرعون بمثل هذا إلى نفي تكلم الله به وسماع جبرائيل منه، كما يتذرعون بقوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾ [الشورى:١١] إلى نفي الصفات، وفي الآية ما يرد عليهم قولهم، وهو قوله تعالى: ﴿وهو السميع البصير﴾ [الشورى:١١] ، كما أن في قوله تعالى: ﴿فأتوا بسورة مثله﴾ [يونس:٣٨] ما يرد على من ينفي الحرف؛ فإنه قال: ((فأتوا بسورة)) ولم يقل: (فأتوا بحرف أو بكلمة) وأقصر سورة في القرآن ثلاث آيات، ولهذا قال أبو يوسف ومحمد رحمهما الله: إن أدنى ما يجزئ في الصلاة ثلاث آيات قصار أو آية طويلة؛ لأنه لا يقع الإعجاز بدون ذلك.

والله أعلم] .

هذا رد على هؤلاء الذين يدعون أن هذا القرآن ليس هو كلام الله إنما كلام الله هو المعنى دون اللفظ، وقد عرفنا أن الإعجاز الذي تحدى الله به البشر هو **المعنى واللفظ**، ففي قوله: ﴿فأتوا بسورة من مثله﴾ [البقرة:٢٣] ، وقوله تعالى: ﴿فأتوا بعشر سور مثله مفتريات﴾ [هود:١٣] يراد بذلك: ائتوا بما يحصل به الإعجاز، وذلك بأقل سور القرآن كسورة الكوثر، وسورة الإخلاص، ولا شك أن هذه السور تتركب من كلمات وحروف، وأن هذه الحروف التي تركبت منها هي من جنس ما يتكلم به العرب، والعرب ينطقون بهذه الحروف، لا ينطقون إلا بثمانية وعشرين حرفا، وهي التي في لغتهم، والحروف التي ينطق بها الأعاجم زائدة عليها لم يعتبروها، وقد سجلوا هذه الحروف، وكتبوا كل حرف وجعلوا له هيكلا وصورة حتى ينطقوا بهذه الكلمات إذا جمعت الحروف بعضها إلى بعض، وإذا كان كذلك فإن أكثر الكلام هو ما جمع **اللفظ والمعنى**.

وقد ذكر النحويون أن الكلام عبارة عما أفاد، وكان مشتملا على بعض الحروف الهجائية، وكان ذا معنى مفيد، وكان مركبا من كلمتين فأكثر، وكانت الكلمات مما وضعته العرب، أي: مما تكلمت به، لا أنه بالكلمات الأعجمية، ولا بالحروف اللاتينية أو بالحروف الأردية أو غير ذلك من الكلمات التي لا تعرفها العرب، فلا شك أن هذه لا تسمى كلاما.

ففي كتاب العقيدة في آخر الكلام على القرآن وأنه كلام الله تعالى الرد على من زعم أنه مفترى، وأن من قال ذلك فإنه كافر، وهكذا من زعم أنه من إنشاء أي بشر.

دليل ذلك قول الله تعالى حكاية عن بعض الكفار: ﴿فقال إن هذا إلا سحر يؤثر * إن هذا إلا قول البشر﴾ [المدثر:٢٤-٢٥] ، فوعده الله فقال: ﴿سأصليه سقر﴾ [المدثر:٢٦] يعني: من قال بهذه المقالة فإنه يستحق أن يصلى بسقر، وهي من أسماء النار، ولا شك أن ذلك إنكار لأن يكون القرآن من كلام الله، وإنكار أن يكون معجزة لنبيه عليه الصلاة والسلام، وادعاء أنه من كلام محمد أو من كلام غيره من البشر.

وقد حكى الله تعالى عن بعض الكفار أنهم قالوا: ﴿إنما يعلمه بشر﴾ [النحل:١٠٣] ادعوا أن الذي يتعلم منه إنسان بمكة كان أعجميا، قال الله تعالى: ﴿لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾ [النحل:١٠٣] يعني: أن ذلك الذي يدعون أنه هو الذي علم محمدا هذا القرآن ليس فصيحا بالعربية بل هو أعجمي، أما هذا القرآن فإنه كلام عربي

فصيح واضح، ليس فيه شيء من العجمة ولا من اللكنة ولا من الوصمة أو العيب، بل هو كلام الله.

وكذلك أيضا حكى الله عنهم أنهم قالوا: ﴿إن هذا إلا سحر مبين﴾ [المائدة:١١٠] ، وقالوا: إنه لقول شاعر، وقال بعضهم: بل هو قول كاهن.

﴿وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا﴾ [الفرقان:٥] و (الأساطير) أي: الأكاذيب التي جمعها الأولون، والتي هي من كلام الأولين، ادعوا أن محمدا جمعها، وأن هناك من يأخذها منه فهي تملى عليه بكرة وعشيا، أي: أول النهار وآخره، فأخبر تعالى بأنه كلام الله حيث قال: ﴿وقالوا أساطير الأولين﴾ [الفرقان:٥] ، ثم قال: ﴿قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفورا رحيما﴾ [الفرقان:٦] .

وعلى كل حال فمهما قال الذين لفقوا هذه الأقاويل من الأولين والآخرين، فقد رد الله عليهم، وقد فضح أكاذيبهم، وما بقي إلا القول الحق وهو عقيدة كل مسلم أن يعتقد أن القرآن كلام الله، وأنه أنزله على أنبيائه، وأنه أرسل به رسله، فهو من جنس الكتب التي أنزل بها ملائكته على رسله، وجعلها معجزة لهم وآية لهم تدل على صدقهم، فآخر هذه الكتب هو هذا القرآن الذي من الله ببقائه على هذه الأمة، وجعله معجزة لهذا النبي الكريم، فعلينا أن نعتقد فيه أنه آية ودلالة ومعجزة لنبينا عليه الصلاة والسلام، وأن نتلوه حق تلاوته، وأن نتدبره ونعمل بما فيه حتى نكون من الذين يؤمنون به ويتبعونه ويتلونه حق تلاوته.." (١)

"الأدلة العقلية على علو الله سبحانه

قال الشارح رحمه الله تعالى: [وإنما يثبت هذا المعنى من الفوقية في ضمن ثبوت الفوقية المطلقة من كل وجه، فله سبحانه وتعالى فوقية القهر، وفوقية القدر، وفوقية الذات، ومن أثبت البعض ونفى البعض فقد تنقص.

وعلوه تعالى مطلق من كل الوجوه، فإن قالوا: بل علو المكانة لا المكان، فالمكانة: تأنيث المكان، والمنزلة: تأنيث المنزل، فلفظ (المكانة والمنزلة) تستعمل في المكانات النفسانية والروحانية، كما يستعمل لفظ المكان والمنزل في الأمكنة الجسمانية، فإذا قيل: لك في قلوبنا منزلة، ومنزلة فلان في قلوبنا، وفي نفوسنا أعظم من منزلة فلان، كما جاء في الأثر: (إذا أحب أحدكم أن يعرف كيف منزلته عند الله، فلينظر كيف منزلة الله في قلبه، فإن الله ينزل العبد من نفسه حيث أنزله العبد من قلبه) ، فقوله: (منزلة الله في قلبه) : هو ما يكون في قلبه من معرفة الله ومحبته وتعظيمه وغير ذلك، فإذا عرف أن (المكانة والمنزلة) تأنيث المكان والمنزل، والمؤنث فرع على المذكر في **اللفظ والمعنى**، وتابع له، فعلو المثل الذي يكون في الذهن يتبع علو الحقيقة، إذا كان مطابقا كان حقا، وإلا كان باطلا.

فإن قيل: المراد علوه في القلوب، وأنه أعلى في القلوب من كل شيء.

قيل: وكذلك هو، وهذا العلو مطابق لعلوه في نفسه على كل شيء، فإن لم يكن عاليا بنفسه على كل شيء كان علوه في القلوب غير مطابق، كمن جعل ما ليس بأعلى أعلى.

وعلوه سبحانه وتعالى كما هو ثابت بالسمع، ثابت بالعقل والفطرة، أما ثبوته بالعقل فمن وجوه: أحدها: العلم البديهي

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين ابن جبرين ١٣/١٨

القاطع بأن كل موجودين، إما أن يكون أحدهما ساريا في الآخر، قائما به كالصفات، وإما أن يكون قائما بنفسه بائنا من الآخر.

الثاني: أنه لما خلق العالم، فإما أن يكون خلقه في ذاته أو خارجا عن ذاته، والأول باطل.

أما أولا: فبالاتفاق، وأما ثانيا: فلأنه يلزم أن يكون محلا للخسائس والقاذورات تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

والثاني: يقتضي كون العلم واقعا خارج ذاته، فيكون منفصلا، فتعينت المباينة؛ لأن القول بأنه غير متصل بالعالم وغير منفصل عنه غير معقول.

الثالث: أن كونه تعالى لا داخل العالم ولا خارجه يقتضي نفي وجوده بالكلية؛ لأنه غير معقول، فيكون موجودا إما داخله وإما خارجه، والأول باطل، فتعين الثاني، فلزمت المباينة] .

العلو على ثلاثة أنواع: علو الذات، وعلو القدر، وعلو القهر.

وكذلك الفوقية: فوقية القدر، وفوقية القهر، وفوقية الذات.

وفوقية القدر مثل أن يقال: الذهب فوق الفضة.

يعني: فوقها قدرا، هذه فوقية القدر، وفوقية القهر: كأن يقال: الأمير فوق الرعية.

يعني: فوقية قهر، أي: قاهرا لهم.

وفوقية الذات كأن يقال: الأمير فوق الكرسي.

يعني: أنه فوقه بذاته، فنثبت لله تعالى الفوقية بأنواعها، والعلو بأنواعه، وإذا أثبتنا لله فوقية الذات فإننا نثبت مع ذلك قربه ومعيته ومراقبته لعباده، وكونه لا تخفى عليه خافية، بل هو قريب منهم كما أخبر عن نفسه بقوله: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب﴾ [البقرة:١٨٦] .

فالذين تأولوا أن قوله تعالى: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ [الأنعام:١٨] ، وقالوا: المراد: فوقية الغلبة، واستدلوا بكلمة (القهر) ، يرد عليهم بأن هذا نوع من أنواع الفوقية، وقد دل على النوع الثاني قوله تعالى: ﴿يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ [النحل:٥٠] فإن هذه الآية لا تحتمل أنها فوقية القهر، بل هي فوقية الذات.

يعني: أنهم يخافون ربهم، وربهم فوقهم، ومع ذلك فهو مطلع عليهم وقريب منهم.

كذلك (العلو) قد يستعمل بمعنى: الغلبة، كما حكى الله عن فرعون أنه قال: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ [النازعات:٢٤] ، فأراد بالعلو هنا: الغالب.

يعني: أنا الغالب، وأنا القاهر، وأنا المتصرف، وأنا المالك، فهذا نوع من أنواع العلو، فالله تعالى وصف نفسه بقوله: ﴿إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى﴾ [الليل:٢٠] ، فنقول: (الأعلى) علو غلبة، وعلو قهر، وعلو قدر وذات، فله أنواع العلو كلها، ولا يلزم من ذلك أن يكون محتاجا إلى شيء من مخلوقاته، بل هو غني عن العرش وما دونه كما تقدم.

وصفة العلو دل عليها العقل والفطرة، كما دل عليها النقل، فالنصوص التي وردت فيها أكثر من أن تحصر، وكلها دالة على صفة العلو، والفطرة والعقل تدل على صفة العلو عند كل عاقل، أما صفة الاستواء فدل عليها النقل، فدلت عليها النصوص والآيات الصريحة التي لا تحتمل التأويل، وقد ذكر العلماء في تفسير آيات الاستواء ما يدل على أنهم متفقون على دلالتها

على العلو، حيث إنها عديت بـ (على) كما في قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه:٥] فكلمة (على) تدل على الفوقية، أي: فوق العرش.." (١)

"تفاوت المؤمنين في الولاية

قال المؤلف: [والولاية أيضا نظير الإيمان، فيكون مراد الشيخ أن أهلها في أصلها سواء، وتكون كاملة وناقصة؛ فالكاملة تكون للمؤمنين المتقين، كما قال تعالى: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون * لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ [يونس:٦٢-٦٤] .

فـ (الذين آمنوا وكانوا يتقون) منصوب على أنه صفة أولياء الله، أو بدل منه، أو بإضمار: أمدح، أو مرفوع بإضمار (هم) ، أو خبر ثان لـ (إن) ، وأجيز فيه الجر بدلا من ضمير (عليهم) .

وعلى هذه الوجوه كلها فالولاية لمن كان من الذين آمنوا وكانوا يتقون، وهم أهل الوعد المذكور في الآيات الثلاث، وهي عبارة عن موافقة الولي الحميد في محابه ومساخطه، ليست بكثرة صوم ولا صلاة، ولا تملق ولا رياضة.

وقيل: الذين آمنوا: مبتدأ، والخبر: لهم البشرى، وهو بعيد؛ لقطع الجملة عما قبلها، وانتثار نظم الآية.

ويجتمع في المؤمن ولاية من وجه، وعداوة من وجه، كما قد يكون فيه كفر وإيمان، وشرك وتوحيد، وتقوى وفجور، ونفاق وإيمان، وإن كان في هذا الأصل نزاع لفظي بين أهل السنة، ونزاع معنوي بينهم وبين أهل البدع، كما تقدم في الإيمان.

ولكن موافقة الشارع في **اللفظ والمعنى** أولى من موافقته في المعنى وحده، قال تعالى: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ [يوسف:١٠٦] وقال تعالى: ﴿قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾ [الحجرات:١٤] الآية، وقد تقدم الكلام على هذه الآية، وأنهم ليسوا منافقين على أصح القولين.

وقال صلى الله عليه وسلم: (أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر) وفي رواية (وإذا اؤتمن خان) بدل: (وإذا وعد أخلف) أخرجاه في الصحيحين، وحديث: شعب الإيمان تقدم.

وقوله: (يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان) ، فعلم أن من كان معه من الإيمان أقل القليل لم يخلد في النار، وإن كان معه كثير من النفاق، فهو يعذب في النار على قدر ما معه من ذلك، ثم يخرج من النار.

فالطاعات من شعب الإيمان، والمعاصي من شعب الكفر، وإن كان رأس شعب الكفر الجحود، ورأس شعب الإيمان التصديق.

وأما ما يروى مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ما من جماعة اجتمعت إلا وفيهم ولي لله، لا هم يدرون به، ولا هو يدري بنفسه) ، فلا أصل له، وهو كلام باطل، فإن الجماعة قد يكونون كفارا، وقد يكونون فساقا يموتون على الفسق] .." (٢)

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين ابن جبرين ٣/٣٤

(٢) شرح الطحاوية لابن جبرين ابن جبرين ٩/٤٩

"واقع استخدام الإعلام المدرسي في تنمية مهارات الاتصال اللغوي لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية بالمدينة المنورة

عدنان محمد علي الأحمدي

ماجستير

١٤٤٩

ترجمة إرشادات الحج (اقتراحات لتحسينها) مع التعليق

خلود سراج عمر مشاط

ماجستير

١٤٥٠

الأصول المشتركة لدعاوى تجديد نظام العربية في العصر العباسي والعصر الحديث (جذورها – مناهجها – تناقضاتها)

أحمد جار الله الزهراني

دكتوراه

١٤٥١

الحمل الحراري لطبقة مسامية أفقية تتعرض لتأثير الدوران

عبير حبيب الله بخش

ماجستير

١٤٥٢

ابتكار تصميمات لأزياء النساء مستوحاة من الطبيعة البحرية بالمملكة العربية السعودية

نوره صديق مكرش

ماجستير

١٤٥٣

فرقة الجارودية الزيدية عرض ونقد

يوسف عبد الله الحازمي

ماجستير

١٤٥٤

المضامين التربوية المستنبطة من غزوة أحد وتطبيقاتها التربوية

أبو بكر عبد الرحمن العمودي

ماجستير

١٤٥٥

دراسة الشكل الابتدائي للنواة على طيف النيوكلونات الناتجة من تفاعل نيوكلون على نواة عند الطاقات المتوسطة

شرين عواض السلمي

ماجستير

١٤٥٦

جواهر البحرين في تناقض الحبرين من أول باب السلم إلى نهاية كتاب أمهات الأولاد

طلال أحمد الزهراني

ماجستير

١٤٥٧

ليلة على ضفة النهر

مها عبد الله الحجيلي

ماجستير

١٤٥٨

عناقيد التربية منظومة إشرافية لتطوير الاداء المدرسي

سعد عبد الرحمن القرني

ماجستير

١٤٥٩

العلاقة بين أحرف الصفير وأثرها في **اللفظ والمعنى**

مقبل علي الدعدي

ماجستير

١٤٦٠

العلاقة بين محتوى الأغذية من مضادات الأكسدة والحالة الصحية للحوامل

نسرين عصام الباز

ماجستير

١٤٦١

مواقع الجار والمجرور المتعلقتين بمحذوف في القرآن الكريم

علي حامد الهلالي

ماجستير

١٤٦٢

تأصيل الطابع المعماري المكي في عمارتها الحديثة

صدقة سعيد فقيه

ماجستير

١٤٦٣

جهود علماء المغرب الاسلامي في دراسة مشكل الحديث العقدي في القرن السادس الهجري

خالد العربي المدرك

دكتوراه

١٤٦٤." [1]

"٦ ـ زعمه أن مصطلح العقيدة مبتدع، والرد عليه

قال في (ص: ٢٤) : "ولأبدأ مساهما في نقد ما أحجم عنه الآخرون طلبا للدنيا، وإما حبا للثناء بصلابة العقيدة وحسن السيرة، وإما إيثارا للسلامة، وإما جهلا بأهمية أصول وقواطع الإسلام، وستكون البداية ببيان مصطلح العقيدة، وكيف استحدث المتخاصمون هذا المصطلح ليتسع لتكفير وتبديع المخالفين لهم من المسلمين!! ".

وقال في (ص: ٣٠) تحت عنوان: مصطلح العقيدة بين السنة والبدعة: "مع أنني أستخدم مصطلح العقيدة بشروط سيأتي ذكرها، إلا أنه عند تعريفي لعنوان المحاضرة (قراءة في كتب العقائد) لفت نظري عدم وجود كلمة (عقيدة) في النصوص المتقدمة، لا في القرآن ولا كتب السنة، ولا المؤلفات المشهورة في القرون الثلاثة الأولى، فكانت هذه أول فائدة، وفي الوقت نفسه كانت أكبر مصيبة؛ إذ لا يتم التنبيه على ذلك، مع حرصنا ـ فيما نزعم ـ على هجران المصطلحات البدعية المستحدثة

---

(١) كل الرسائل ٢/٤٣٩

التي لا أصل لها في الكتاب والسنة!! ".

وفي (ص: ٣٤ . ٣٥) قال تحت عنوان: الخلاصة في مصطلح العقيدة: "إذا لم ترد العقيدة لا لفظا ولا معنى في القرآن الكريم، ولا في الأحاديث النبوية، ولا الآثار السلفية المأثورة عن السلف من الصحابة وكبار التابعين، وأقصد **باللفظ والمعنى** هنا: أي أنها لم ترد بهذا اللفظ للمعنى الذي وضع له هذا اللفظ في الأزمنة المتأخرة، مثل قولهم: (فلان حسن المعتقد، فلان كان صلبا في العقيدة، كان ضالا في العقيدة، كان سيئ المعتقد ...) ونحو هذا، فهذا المعنى لم يرد تحت لفظ العقيدة مع توفر الدواعي لوجود المنافقين وأهل." [(١)]

"[المبحث الرابع الإيمان بالقرآن وخصائصه]

المبحث الرابع: الإيمان بالقرآن وخصائصه تعريف القرآن والحديث القدسي والحديث النبوي والفرق بينهما: القرآن الكريم: هو كلام الله منه بدا بلا كيفية قولا، وأنزله على رسوله وحيا، وصدقه المؤمنون على ذلك حقا، وأيقنوا أنه كلام الله حقيقة، سمعه جبريل عليه السلام من الله عز وجل، ونزل به على خاتم رسله محمد صلى الله عليه وسلم بلفظه ومعناه المنقول بالتواتر المفيد للقطع واليقين المكتوب في المصاحف المحفوظ من التغيير والتبديل (١) .

والحديث القدسي: هو ما رواه النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه **باللفظ والمعنى** ونقل إلينا آحادا أو متواترا ولم يبلغ تواتر القرآن (٢) .

ومثاله حديث أبي ذر الغفاري عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: «يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا» (٣) .

والحديث النبوي: ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو وصف (٤) .

والفرق بين القرآن والحديث القدسي والنبوي: أن القرآن متعبد

---

(١) الطحاوية ١ / ١٧٢ . مباحث في علوم القرآن لمناع القطان، ص٢١، وقواعد التحديث لجمال الدين القاسمي ص٦٥.

(٢) انظر قواعد التحديث لجمال الدين القاسمي ص٦٥.

(٣) رواه مسلم برقم (٢٥٧٧) .

(٤) مصطلح الحديث لابن عثيمين ص٧، وقواعد التحديث للقاسمي ص٦١-٦٢.." [(٢)]

"لا تبلغه الأوهام ولا تدركه الأفهام:

ولا يشبه الأنام:

حي لا يموت:

---

(١) الانتصار لأهل السنة والحديث في رد أباطيل حسن المالكي عبد المحسن العباد ص/٢١

(٢) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة مجموعة من المؤلفين ص/١٤٣

الأعمال الصالحة، والجزاء على الأعمال السيئة، له الحكمة في ذلك سبحانه وتعالى، لم يخلق ذلك عبثا.
فالله سبحانه وتعالى لا يحاط به، فالله أعظم من كل شيء سبحانه وتعالى (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما) [طه: ١١٠] ، فالله سبحانه يعلم ولكن لا يحاط به، فالله أعظم من كل شيء، فلا يتخيله الفكر، ولا يجوز لإنسان أن يقول في الله إلا ما قاله سبحانه عن نفسه، أو قاله عنه رسوله عليه الصلاة والسلام.
هذه مثل العبارة التي مضت، ولا شيء مثله، والأنام معناه: الخلق، فالله سبحانه وتعالى منزه عن مشابهة الخلق: (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) [الشورى: ١١] ، (ولم يكن له كفوا أحدا) [الإخلاص: ٤] فهو سبحانه منزه عن مشابهة خلقه، وإن كان له أسماء وصفات تشترك مع أسماء وصفات الخلق في **اللفظ والمعنى**، لكن في الحقيقة والكيفية لا تشابه بينهما.
حياته كاملة لا يعتريها نقص ولا نوم (الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم) [البقرة: ٢٥٥] ، (وتوكل على الحي الذي لا يموت) [الفرقان: ٥٨] فنفي عن نفسه السنة، وهي النوم الخفيف والنوم." (١)
"المصدر الثالث: لغة العرب.
لقد خاطب الله – عز وجل – الناس في القرآن الكريم بلغة العرب، وكان محمد – صلى الله عليه وسلم – أفصح الناس لسانا، وقد نشأ بين قريش أفصح العرب جميعا، فكان لابد لبيان معاني كلام الله –تعالى –، وكلام رسوله – صلى الله عليه وسلم –، من معرفة بلغة العرب، وفهم لدلالتها على المعاني.
وعلى ضوء فهم لغة العرب وتشعب معانيها يمكن تفسير كلام الله، وكلام رسوله – صلى الله عليه وسلم –. يقول الإمام الشافعي – رحمه الله –: "وإنما بدأت بما وصفت من أن القرآن نزل بلسان العرب دون غيره؛ لأنه لا يعلم من إيضاح جمل علم الكتاب أحد جهل سعة لسان العرب، وكثرة وجوهه، وجماع معانيه وتفرقها، ومن علمه انتفت عنه الشبه التي دخلت على من جهل لسانها "١. ويقول شيخ الإسلام – رحمه الله –: ".. الاستدلال بالقرآن إنما يكون على لغة العرب التي أنزل بها، بل قد نزل بلغة قريش، كما قال –تعالى –: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾ [إبراهيم –٤] وقال: ﴿بلسان عربي مبين﴾ [الشعراء –١٩٥] ، فليس لأحد أن يحمل ألفاظ القرآن على غير ذلك من عرف عام أو اصطلاح خاص"٢.
وكذلك ألفاظ السنة لا طريق لبيانها إلا بمعرفة لغة العرب ودلالتها على المعاني، يقول شيخ الإسلام – رحمه الله –: "والطريق إلى معرفة ما جاء به الرسول أن تعرف ألفاظه الصحيحة، وما فسرها به الذين تلقوا عنه **اللفظ والمعنى**، ولغتهم التي كانوا يتخاطبون بها، وما حدث من العبارات وتغير من الاصطلاحات"٣.

---

١ – الرسالة للإمام الشافعي ص٥٠.

---

(١) التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية صالح الفوزان ص/٣٧

٢ – بيان تلبيس الجهمية ٤٩٢/١.

٣ – المرجع السابق ١٥٩/١.." (١)

"المصدر الرابع: آثار السلف

يعتمد أهل السنة على الآثار المنقولة عن السلف؛ من الصحابة والتابعين، في بيان كلام الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم –، فهم الأعلم بها من غيرهم، وهكذا فألفاظهم في العقيدة مأخوذة من كلام الله ورسوله، أو مبينة لها بعبارات صحيحة، بناء على لغتهم العربية الفصيحة، وصحة فهمهم للألفاظ الشرعية.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: "والطريق إلى معرفة ما جاء به الرسول أن تعرف ألفاظه الصحيحة، وما فسرها به الذين تلقوا عنه **اللفظ والمعنى**، ولغتهم التي كانوا يتخاطبون بها، وما حدث من العبارات وتغير من الاصطلاحات"١.

ويقول أيضا: "إن المرجع في ثبوت هذه الأسماء عن الشارع، وفي بيان معناها إلى من نقل عنه القرآن والحديث لفظه ومعناه، وهم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، الذين تلقوا الإيمان والقرآن والحديث بعضهم عن بعض حتى يصل إليه، أو أخذ ذلك هو بلغته التي كان يخاطب بها"٢.

وهكذا كان السلف المتقدمون، يأخذون عن سلفهم من الصحابة والتابعين ألفاظهم في العقيدة، يقول الإمام أحمد – رحمه الله –: "لست أتكلم إلا ما كان في كتاب الله، وسنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أو عن الصحابة أو عن التابعين، وأما غير ذلك فالكلام فيه غير محمود"٣.

ويقول الإمام ابن القيم – رحمه الله –: "فإذا كان الصحابة تلقوا عن نبيهم معاني القرآن كما تلقوا عنه ألفاظه، لم يحتاجوا بعد ذلك إلى لغة أحد، فنقل معاني القرآن عنهم كنقل

---

١ – بيان تلبيس الجهمية ١٥٩/١.

٢ – المرجع السابق ١٩٠/١.

٣ – الإبانة لابن بطة ٥٣٨/٢ – ٥٣٩.." (٢)

"أبو صالح المصري كاتب الليث، قال الحافظ في التقريب: "صدوق كثير الغلط، ثبت في كتابه، وكانت فيه غفلة".

ثم هو أيضا لم يدرك ربيعة، فقد كان مولده سنة سبع وثلاثين ومائة كما في ترجمته في تهذيب الكمال١، وكانت وفاة ربيعة الرأي على الصحيح كما في التقريب لابن حجر٢ سنة ست وثلاثين ومائة.

أورد هذه الآثار الثلاثة – أعني أثر أم سلمة وربيعة ومالك – ابن قدامة في كتابه (ذم التأويل) ثم قال: "وهذه الأقوال الثلاثة متقاربة **المعنى واللفظ**، فمن المحتمل أن يكون ربيعة ومالك بلغهما قول أم سلمة فاقتديا بها وقالا مثل قولها لصحته وحسنه وكونه قول إحدى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، ومن المحتمل أن يكون الله تعالى وفقهما للصواب وألهمهما من القول

---

(١) الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية آمال بنت عبد العزيز العمرو ص/٦٧

(٢) الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية آمال بنت عبد العزيز العمرو ص/٧١

السديد مثل ما ألهمها"٣.

وقد تقدم أن أثر أم سلمة – رضي الله عنها – لم يثبت عنها، فلم يبق إلا الاحتمال الثاني وهو أن الله وفقهما للصواب وألهمهما هذا القول السديد، وربما أن مالكا – رحمه الله – سمعه من شيخه فاقتدى به، أو أنه لم يسمعه منه ولكن وفق إليه كما وفق إليه شيخه.

وذكر الذهبي في كتابه الأربعين أن هذا الأثر يروى أيضا عن وهب بن منبه٤، لكن لم أقف عليه في مصادر التخريج.

ويشبه تماما قول ربيعة ومالك هذا قول أبي جعفر الترمذي (ت٢٩٥هـ) – رحمه الله – عندما سئل عن صفة النزول.

(١٠٧/١٥) .

(ص:٣٢٢) .

٣ ذم التأويل (ص:٢٦) .

٤ الأربعين "ص:٨٠ ضمن مجموع الرسائل الست له".." [1]

"مدخل

...

اضطراب الناس في مسألة الكلام مع بيان الحق الذي تدل عليه الأدلة وتشهد به الفطر السليمة

للشيخ عبد الكريم مراد أستاذ مشارك بكلية الشريعة

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى.

وبعد: فهذا بيان موجز لأقوال الناس واضطرابهم في مسألة هي من أهم مسائل الدين وهي: مسألة الكلام مع بيان الحق الذي تدل عليه الأدلة وتشهد به الفطرة السليمة.

أقول وبالله التوفيق: الكلام والقول واحد، وهو في عرف الناس ولغاتهم اسم للفظ والمعنى معا، فاللفظ بمفرده لا يسمى كلاما ولا المعنى بمفرده كلاما إلا مع قرينة.

ولهذا تجد الكثيرين من المصنفين في أصول الفقه من جميع الطوائف من أتباع الأئمة الأربعة إذا تكلموا في الأمر والنهي ذكروا: أن الأمر والنهي هو **اللفظ والمعنى** معا وخالفوا من قال: إن الأمر والنهي هو المعنى ١ قال الشيخ الموفق في روضة الناظر (٦٣/٢) : "وللأمر صيغة مبنية تدل بمجردها على كونها أمرا إذا تعرت عن القرائن وهي (إفعل) للحاضر و (ليفعل) للغائب، هذا قول الجمهور، وزعمت طائفة من المبتدعة أنه لا صيغة للأمر بناء على خيالهم الفاسد: أن الكلام معنى قائم بالنفس، فخالفوا الكتاب والسنة واللغة والعرف.! "

وعلى هذا مضى السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولم يكن بينهم أي نزاع في مسمى الكلام ومعناه. وهل يعقل أن ينازعوا فيما هو من أجلى الأمور عند الناس مثل الماء والنار والرأس واليد ونحو ذلك.

---

(١) الأثر المشهور عن الإمام مالك رحمه الله في صفة الاستواء عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص/٧٨

والكلام تكلم به الأولون والآخرون منذ خلقوا، وهل يقول عاقل: إنهم ما فهموا معنى الكلام ومسماه.

---

١ مجموع الفتاوى: (١٢/ ٣٥/٣٦)." (١)

"ولوترك الناس على فطرهم السليمة وعقولهم الصحيحة لم يقع بينهم نزاع في مثل ذلك من الضروريات ولكن الشياطين يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا فيضلون ويضلون غيرهم. ونعوذ بالله من فتن المضلين.

وإنما حصل النزاع في معنى الكلام ومسماه عند المتأخرين بعد ما حدثت البدع وكثرت بها الشبه والشكوك فمرضت القلوب وفسدت العقول وكثر القيل والقال.

فقال بعضهم: "الكلام حقيقة في اللفظ مجاز في المعنى تسمية المدلول باسم الدال"، وقال آخرون: "عكس ذلك".

وقيل: "يطلق الكلام على **اللفظ والمعنى** بطريق الاشتراك اللفظي"، وقيل: "حقيقة في كلام الناس؛ لأن لكلامهم حروفا وأصواتا تقوم بهم ومجاز في كلام الله عز وجل"١.

والصواب في ذلك هو ما ذكرناه آنفا بأن الكلام: "مجموع **اللفظ والمعنى** فمسماه مركب".

---

١ شرح العقيدة الطحاوية.." (٢)

"كلاب – على تناول "الكلام" و "القول" للفظ والمعنى جميعا، كما ذكرناه عن السجزي وشيخ الإسلام.

٢ – قوله تعالى: ﴿ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا﴾ [الأعراف: ١٤٨].

هذه الآية ظاهرة في كون المنفي عنهم الكلام الذي هو **اللفظ والمعنى** جميعا، إذ الخطاب لهم لا يكون معنى مجردا يقوم في أنفسهم، ولا لفظا مجردا غير دال على معنى.

٣ – وقوله تعالى: ﴿وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا (٤) ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا﴾ [الكهف: ٤ – ٥].

فأطلق الكلمة على اللفظ الخارج من الأفواه.

وكذلك سائر ما جاء في كتاب الله تعالى من إطلاق لفظ الكلام مرادا به الحقيقة.

ومثله القول.

قال تعالى: ﴿لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾ [الأنبياء: ٢٧].

٤ – حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها، ما لم تكلم به، أو تعمل به" (٨).

---

(١) اضطراب الناس في مسألة الكلام مع بيان الحق الذي تدل عليه الأدلة وتشهد به الفطر السليمة عبد الكريم مراد ص/١٠٥

(٢) اضطراب الناس في مسألة الكلام مع بيان الحق الذي تدل عليه الأدلة وتشهد به الفطر السليمة عبد الكريم مراد ص/١٠٦

(٨) حديث صحيح.." [١]

""إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن" (١٢).

ولا خلاف بين أهل العلم أن من تكلم في صلاته عامدا لغير مصلحة الصلاة فصلاته باطلة، ولا يرون بما تحدث الإنسان به نفسه مما لا تعلق له بالصلاة من أمور الدنيا وغيرها مبطلا للصلاة، لأنه بالاتفاق ليس بكلام، ذكر نحو هذا شيخ الإسلام.

ونظائر هذا في الكتاب والسنة كثيرة جدا، وهي دلائل قاطعة بأن مطلق لفظ "الكلام" شامل للألفاظ والمعاني جميعا، خلافا لأهل البدع الذين أرادوا نصرة أهوائهم بإبطال الدلائل الصحيحة الصريحة من المعقول والمنقول.

وقد ذكرنا أن "الكلام" و "القول" قد يراد بهما المعنى فقط، أو اللفظ فقط، لكن بقرينة تبين ذلك، لا عند الإطلاق والتجرد من القرائن.

قال شيخ الإسلام: "الكلام إذا أطلق يتناول **اللفظ والمعنى** جميعا، وإذا سمي المعنى وحده كلاما، أو اللفظ وحده كلاما، فإنما ذاك مع قيد يدل على ذلك" (١٣).

قلت: وذلك كقول عنترة:

---

(١٢) حديث صحيح.

أخرجه أحمد ٥/ ٤٤٧، ٤٤٨ ومسلم رقم (٥٣٧) وأبو داود رقم (٩٣٠، ٩٣١) والنسائي ٣/ ١٤ - ١٨ والدارمي رقم (١٥١٠، ١٥١١) من طريق هلال بن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار عن معاوية بن الحكم به مرفوعا في قصة.

(١٣) "مجموع الفتاوى" ٦/ ٥٣٣.." [٢]

"يا دار عبلة بالجواء تكلمي ... وعمي صباحا دار عبلة واسلمي (١٤)

وكقول الآخر:

وامتلأ الحوض وقال: قطني ... قطني رويدا قد ملأت بطني

فمحصل ما ذكرنا:

أن لفظ "الكلام" و"القول" وما تصرف منهما، من فعل، ومصدر، واسم فاعل، وغير ذلك، كل ذلك راجع إلى **اللفظ والمعنى** جميعا.

فإذا قال قائل في كلام ما: إن المراد بالكلام ههنا اللفظ وحده، أو المعنى وحده، طالبناه بالقرينة المقيدة التي صرفت الكلام عن حقيقته المعلومة، وإلا كان كاذبا.

---

(١) العقيدة السلفية فى كلام رب البرية وكشف أباطيل المبتدعة الردية عبد الله الجديع ص/٥٨

(٢) العقيدة السلفية فى كلام رب البرية وكشف أباطيل المبتدعة الردية عبد الله الجديع ص/٦١

ولنا بسط آخر لهذه المسألة في الباب الثالث عند إبطال قول بعض أهل البدع –الكلابية والأشعرية وأشباههم– إن الكلام حقيقة في المعنى، وهو ما سموه بـ "الكلام النفسي" وإنما هذا تقرير موجز لإزالة ما قد يرد من لبس في هذا الموضوع.

*****

---

(١٤) معلقته: البيت الثاني.." [1]

"إطلاقه، ونحن نقر أنه قد تراد به المعاني أو الألفاظ بالقرائن، فلما قيده العربي ههنا بالنفس أخرجه من مطلق الكلام، فكيف يصح لكم –معشر الأشعرية– أن تحتجوا بما هو مجاز على قواعدكم لتقرير ما هو الحقيقة؟

وذلك أنكم تقولون: ما تصرفه القرائن عن حقيقته إنما هو المجاز.

وأما قول عمر يوم السقيفة، فجوابنا عنه من وجهين:

الأول: أن (التزوير) كما يقول الأصمعي: "إصلاح الكلام وتهيئته" (١٠) فمعناه إذا: أنه قدر في نفسه كلاما وهيأه لم يتكلم به بعد، فليس كلاما حتى يتكلم به.

ومثاله: من يقدر في نفسه أن يعمل عملا كان يصلي مثلا، ثم لا يفعل، فهل يقال: إنه صلى في نفسه؟ مع أن القلب له عمل، كما أن للجوارح عملا.

والثاني: لو صح ما قالوه لكان موافقا لمذهبنا لا لمذهبهم، فإنهم يعدون مطلق الكلام كلام النفس، أما نحن فعندنا مطلق الكلام **اللفظ والمعنى** جميعا، وقد يراد أحدهما بقرينة، وهي موجودة في قول عمر المذكور، ألا وهي التقييد بالنفس، فكيف صححتم تعريف الكلام المطلق بالكلام المقيد؟

وأما شعر الأخطل، فالجواب عنه من وجوه:

الأول: أنكر بعض العلماء كونه من شعره، وذلك أنهم فتشوا دواوينه فلم يجدوه فيه.

---

(١٠) "غريب الحديث" لأبي عبيد ٣/ ٢٤٢.." [2]

"قال أبو محمد الخشاب نحوي العراق: "فتشت شعر الأخطل المدون كثيرا فما وجدت هذا البيت" (١١).

والثاني: أنه لم يثبت نقله عن قائله بإسناد، لا صحيح ولا ضعيف.

والثالث: لم يتلقه أهل العربية بالقبول.

والرابع: أورده بعضهم بلفظ:

إن البيان لفي الفؤاد ... ...

وهذا يفسد المعنى الذي أرادوا –كما لا يخفى–.

---

(١) العقيدة السلفية فى كلام رب البرية وكشف أباطيل المبتدعة الردية عبد الله الجديع ص/٦٢

(٢) العقيدة السلفية فى كلام رب البرية وكشف أباطيل المبتدعة الردية عبد الله الجديع ص/٣٥٢

والخامس: الأخطل شاعر مولد، لا يحتج بشعره في اللغة، وهذا معلوم عند أهل التحقيق.
والسادس: أنه نصراني مثلث كافر، وقد ضلت النصارى في معنى كلام الله تعالى ومسماه، فجعلوا المسيح نفس كلمة الله.
والسابع: أكثر من يحتج من أهل البدع بهذا الشعر يخفي البيت الأول، لأنه عند التحقيق حجة عليهم، وذلك أن الشاعر حين ذكر الكلام في البيت الأول ذكره مطلقا، ليشمل **اللفظ والمعنى**، إذ الذي يسمع من الخطيب ألفاظه، فأبان الشاعر عن حقيقة الكلام المؤثر الذي يقع من النفوس موقعا بأنه ما اشتمل على المعاني التي موضعها القلب، لا مجرد الألفاظ التي تسمع من المتكلم، ولم يرد تعريف الكلام ووضع حد له بكونه المعاني المجردة.

---

(١١) "العلو" للذهبي ص: ١٩٤.." [1]

"هو المراد بقولهم: القرآن حادث، ومدلوله قديم، فأرادوا بمدلوله الكلام النفسي، وتكفي الإضافة الإجمالية وإن لم يكن اللفظي قائما بالذات" (٦٨).

وقال صاحب "الجوهرة":

فكل لفظ للحدوث دلا ... احمل على اللفظ الذي قد دلا

فقال الباجوري في "شرحه": " (على اللفظ) أي على القرآن، بمعنى: اللفظ المنزل على نبينا –صلى الله عليه وسلم–، المتعبد بتلاوته المتحدى بأقصر سورة منه، والراجح أن المنزل **اللفظ والمعنى**، وقيل: المنزل المعنى، وعبر عنه جبريل بألفاظ من عنده، وقيل: المنزل المعنى، وعبر عنه النبي –صلى الله عليه وسلم– بألفاظ من عنده، لكن التحقيق الأول، لأن الله خلقه أولا في اللوح المحفوظ، ثم أنزله في صحائف إلى سماء الدنيا، في محل يقال له: بيت العزة، في ليلة القدر، كما قال تعالى: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ ثم أنزله على النبي –صلى الله عليه وسلم– مفرقا بحسب الوقائع".

حتى قال: "والحاصل أن كل ظاهر من الكتاب والسنة دل على حدوث القرآن فهو محمول على اللفظ المقروء، لا على الكلام النفسي" (٦٩).

قلت: يعنون بهذا قوله تعالى: ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث﴾ وما في معناه مما ذكرناه عن أسلافهم الجهمية في الفصل

---

(٦٨) "شرح الجوهرة" ص: ٧٣.

(٦٩) "شرح الجوهرة" ص: ٩٥.." [2]

"١– اللغة العربية بحسب وضعها فيها كثير من الصور البلاغية والبيانية التي تلجأ إلى التمثيل والتشبيه والاستعارة والكناية، وفيها من وجوه المجاز ما فيها. ولقد ساعد هذا على اختلاف الآراء وتباين الأفكار، ليس في الأمور العملية

---

(١) العقيدة السلفية فى كلام رب البرية وكشف أباطيل المبتدعة الردية عبد الله الجديع ص/٣٥٣

(٢) العقيدة السلفية فى كلام رب البرية وكشف أباطيل المبتدعة الردية عبد الله الجديع ص/٣٩٩

الشرعية وحدها بل وأيضا في الأمور العقائدية الإيمانية. وليست هذه ثغرة في اللغة العربية أو نقص، وإنما كل اللغات كذلك، وإن كان اللغة العربية أثراها، وأكثرها تصرفا في القول وتحسينا في البيان وهذا في حقيقته ميزة وليس بثغرة إذا عرف الأصل الذي تحدثت عنه آنفا وهو وجوب تفسير كلام المتكلم حسب المعنى الذي يريده لا حسب المعنى الذي يحتمله اللفظ.

٢- استغل المبطلون من أعداء الإسلام وأهل الأهواء هذا فلجأوا إلى تحريف الإسلام من داخله بدعوى أن هذا مضمون **اللفظ والمعنى** المقصود، ولجأوا إلى تحريف الآيات والأحاديث التي تعارض المعنى الخبيث الذي يريدون الوصول إليه.

ثم جاء من يحمل كلام الله على معان لا يريدها الله ورسوله جملة وتفصيلا وبذلك نشأت التأويلات البعيدة وكلها تحت ستار الإسلام.." [(١)]

"القائلون بالوقف

[وأما القسمان الواقفان:

فقوم يقولون: يجوز أن يكون ظاهرها المراد اللائق بجلال الله، ويجوز ألا يكون المراد صفة الله ونحو ذلك ..

وهذه طريقة كثير من الفقهاء وغيرهم].

يفصل المصنف هنا طريقة التفويض، فعلى طريقته هنا يضاف إلى التفويض: من يعتقد انتفاء الصفة التي فوضها في نفس الأمر، لكنه يفوض اللفظ أو يفوض النص من حيث تعيين المراد، فلا يعين المراد بالنص.

والقسم الثاني -وهو المذكور في قوله: وأما القسمان الواقفان-: فهم الذين يجوزون الظاهر ويجوزون عدمه، أي: يجوزون ثبوت الصفة ويجوزون نفيها ولكنهم يفوضون.

والفرق بين القسم الثاني من التقسيم الثاني وبين هذا التقسيم يقال فيه: إن الأول مفوض للفظ ناف للمعنى، وهذا القسم هو المقصود بقوله: وقسم يقولون: الله أعلم بما أراد بها، لكن نعلم أنه لم يرد إثبات صفة خارجية فهؤلاء مفوضة للفظ نافية للمعنى الظاهر منه، يعني: ينفون الصفة التي دل عليها النص، لكن تعيين المراد يقفون فيه.

والثاني يجوز كلا الأمرين، يعني: يجوز ثبوت الصفة ويجوز عدم ثبوتها، وهذا القسم هو المقصود بقوله: فقوم يقولون: يجوز أن يكون ظاهرها المراد اللائق بجلال الله، ويجوز ألا يكون المراد صفة الله ونحو ذلك

.

ثم قال: وقسم يمسكون عن هذا كله، ولا يزيدون على تلاوة القرآن ..

وهؤلاء لا يشتغلون بمسألة التجويز من أصلها، وهذا هو الفرق بينهم وبين القسم الذي قبلهم.

إذا صار المفوضة ثلاثة أقسام:

الأول: وهم من يفوض اللفظ دون المعنى، بل يجزم بنفي المعنى ويفوض اللفظ عن تعيين المراد به.

وهو القسم المذكور في القسمين الذين ينفون الصفة في نفس الأمر.

الثاني: وهم الذين يفوضون **اللفظ والمعنى**، مع تجويز ثبوت الصفة وعدم ثبوتها.

---

(١) الحد الفاصل بين الإيمان والكفر عبد الرحمن بن عبد الخالق ص/١٠٦

الثالث: وهم الذين يفوضون اللفظ والمعنى، لكنهم لا يشتغلون بمسألة تجويز المتقابلين -أي: ثبوت الصفة وعدم ثبوتها-.

والقسم الأول في التفويض -وهو تفويض اللفظ ونفي المعنى- هو الذي يستعمله متكلمة الصفاتية فيما نفوه من الصفات حينما يقولون: إن طريقة السلف في هذه الصفات -أي: الصفات الفعلية التي اتفق متكلمة الصفاتية على نفيها، وأعني بمتكلمة الصفاتية الطوائف الثلاث في هذا المقام: الكلابية، الأشعرية، الماتريدية .. - هي التفويض.

ومقصودهم بهذا أنهم مفوضة للفظ مع نفي الصفة في نفس الأمر.

والقسم الثاني: وهو الذي اشتغل به كثير من الفقهاء ممن لم يعرف حقيقة مذهب المتكلمين ولا حقيقة مذهب السلف، فلم يتأثر تأثرا بينا بأحد المذهبين.

والطريقة الثالثة: وقعت في كلام بعض أعيان الصوفية وغيرهم.

[وقوم يمسكون عن هذا كله ولا يزيدون على تلاوة القرآن وقراءة الحديث معرضين بقلوبهم وألسنتهم عن هذه التقديرات.].

يعني: لا يشتغلون بتجويز المتقابلين، فيفوضون اللفظ والمعنى تفويضا مطلقا؛ ولهذا كان أشدهم في التفويض القسم الثالث، وهم الذين يفوضون اللفظ والمعنى ولا يشتغلون بالتجويز بوجه ما.

[فهذه الأقسام الستة لا يمكن أن يخرج الرجل عن قسم منها].

لا يمكن أن يخرج الرجل عن قسم منها هذا هو النتيجة العلمية هنا، وليس المقصود: أن هذه الأقسام الستة هي عبارة عن ست طوائف منضبطة مطردة، بل إن بعض الفقهاء وبعض المتكلمين يستعملون أكثر من طريقة من هذه الطرق الست التي ذكرها المصنف، وإن كان بعض هذه الطرق اطرد قوم على تحقيقه والتزامه كاطراد المعتزلة -وبخاصة أئمة المعتزلة والجهمية- في مسألة التأويل، وكاطراد أئمة السلف على الإثبات اللائق بجلال الله.." (١)

"المقصد التاسع: بيان الأصناف الممكنة في باب الأسماء والصفات

يذكر المصنف الأقسام الممكنة في باب الأسماء والصفات، فيذكر ستة أقسام، على كل قسم طائفة من أهل القبلة.

وهو لا يقصد بهذا أن كل طائفة التزمت قسما ورفضت غيره، وإن كان هذا يقع فإن أهل السنة التزموا الإثبات مع التنزيه عن التشبيه، لكن بعض طرق الوقف -الذي هو التفويض- يستعمله بعض من يستعمل التأويل.

وهذه الأقسام الستة هي: قسمان ينفيانه، وقسمان يتوقفان، وقسمان يثبتان.

ثم فصل المصنف رحمه الله هذه الأقسام التي أجملها.

فقال: قسمان يقولان على ظاهرها، ثم إما يجعلون ظاهرها التشبيه وإما يجعلونه الإثبات مع التنزيه عن التشبيه، كما هي طريقة أهل السنة.

وقسمان يقولان: ليست على ظاهرها، وقسمان يتوقفان.

ثم ذكر أن القسمين اللذين ينفيان ظاهر النصوص إما أنهم ينفون اللفظ والمعنى أو أنهم ينفون المعنى ويتوقفون في اللفظ،

---

(١) شرح الحموية - يوسف الغفيص يوسف الغفيص ٥/٢٠

ولهذا كانت أقسام المفوضة في كلام المصنف ثلاثة: القسمان الواقفان -وهذا صريح أنهم مفوضة- والقسم الثاني من القسمين اللذين ينفيان ظاهرها، إما أنهم ينفون الظاهر لفظا ومعنى، أو ينفون المعنى ويسكتون عن اللفظ.." (١)

"وذلك لأن الخالق لا يمكن أن يخلق إلا وهو قادر، وكذلك لا يمكن أن يخلق إلا وهو عالم (١) .

القاعدة الخامسة أسماء الله توقيفية لا مجال للعقل فيها:

ومعنى ذلك أن نتوقف على ما جاء في الكتاب والسنة، فلا نسمي الله تعالى إلا بما سمى به نفسه، أو سماه به رسوله"لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه الله تعالى من الأسماء.

---

(١) هذه الأنواع الثلاثة تسمى أنوع الدلالة اللفظية الوضعية.

وإليك بعض التفصيل في هذه الأنواع زيادة على ما مضى؛ لتتضح بصورة أجلى.

١_ الدلالة المطابقية: وهي دلالة اللفظ على تمام ما وضع له من حيث إنه وضع له. وذلك مثل دلالة لفظ (البيت) على الجدار والسقف معا.

ودلالة لفظ (إنسان) على الحيوان الناطق، ودلالة اسم (العليم) على ذات الله وعلمه، أي دلالة الاسم على المسمى، والصفة المشتقة من الاسم نفسه وسميت مطابقية؛ لتطابق **اللفظ والمعنى،** وتوافقهما في الدلالة.

٢_ الدلالة التضمنية: وهي دلالة اللفظ على جزء ما وضع له في ضمن كل المعنى.

مثل دلالة البيت على الجدار وحده، وعلى السقف وحده.

وسميت تضمنية لأنها عبارة عن فهم جزء من الكل؛ فالجزء داخل ضمن الكل، أي في داخله.

ومن هذا النوع مثلا دلالة اسم الله (السميع) على ذات الله وحدها، وعلى صفة السمع وحدها، بصرف النظر عن استعمال الجزء والكل، بل يقال على الصفة والموصوف.

٣_ الدلالة الالتزامية: هي دلالة اللفظ على خارج عن معناه الذي وضع له.

مثل دلالة اسم الله (القدير) على صفة الحياة، وعلى العلم وغيرهما من صفات الله _تعالى_.

يقول المناطقة: إن بين الدلالة المطابقية والدلالة التضمنية العموم والخصوص المطلق؛ فإذا وجدت التضمنية وجدت المطابقية دون العكس، أي لا يلزم من وجود المطابقية وجود التضمنية.

انظر المرشد السليم إلى المنطق الحديث والقديم د. عوض الله جاد حجازي، والصفات الإلهية د. محمد أمان ص١٧٨_١٧٩.." (٢)

---

(١) شرح الحموية - يوسف الغفيص يوسف الغفيص ١١/٢١

(٢) رسائل الشيخ الحمد في العقيدة محمد بن إبراهيم الحمد ١٤/٤

"مذهب الأشعري وابن كلاب في كلام الله

الأشعري وابن كلاب أثبتوا صفة الكلام لله إثباتا غير متصور في العقل، فقالوا: إن الكلام معنى واحد يقوم في النفس، ليس بحرف ولا بصوت، ولا يتعلق بالقدرة والمشيئة، وهذا مذهب شاذ أحدثه عبد الله بن سعيد بن كلاب وتبعه عليه الأشعري وأمثاله، وليس هو قول أهل السنة ولا يعرف عن أحد من سلف الأمة، بل كما قرر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أنه قول مخالف للعقل فضلا عن مخالفته للشرع.

فلما قال ابن كلاب والأشعري: إن الكلام معنى واحد يقوم في النفس ليس بحرف ولا صوت، جعلوا القرآن الذي هو حرف حكاية أو عبارة عن كلام الله، وليس كلاما له، ولا شك أن هذا تناقض؛ فإن من أثبت الكلام لله، لزمه أن يجعله بحرف وصوت؛ لأن الكلام كذلك.

وهذا يقود إلى مسألة، وهي: حقيقة الكلام؛ فإن الذي أجمع عليه أهل السنة أن الكلام يتناول **اللفظ والمعنى** جميعا، ليس هو اللفظ وحده ولا المعنى وحده، والمشهور عند النحاة أن الكلام هو اللفظ، وإن كان من يطلق ذلك من النحاة، ليس بالضرورة أنه يلتزم بعض النتائج المقولة في أصول الدين، ومن هنا قال ابن مالك:

كلامنا لفظ مفيد ....

وجعلوا المعنى مدلولا لهذا اللفظ، ولم يجعلوا لفظ الكلام متناولا له، وغلط ابن كلاب والأشعري، فقالوا: إن الكلام هو المعنى وحده، وقال طائفة: إنه مشترك بين اللفظ وبين المعنى على الانفكاك، فيكون اللفظ وحده كلاما ويكون المعنى وحده كلاما.

والله سبحانه لم يذكر الكلام مطلقا إلا وأراد به ما كان بحرف وصوت، وأما قوله تعالى: ﴿ويقولون في أنفسهم﴾ [المجادلة:٨]، فمثل هذا السياق لا يدل على مذهب الأشعري، لأنه سياق مقيد، فضلا عن كون طائفة من المفسرين قالوا في تفسيرها: أنهم يقولون فيما بينهم كلاما لا يسمعه غيرهم.." (١)

"مناقشة متكلمة المرجئة في تفسيرهم الإيمان بالتصديق

وأما الاستدلال الذي احتج به جمهور متكلمة المرجئة، فهو استدلال من جهة اللغة، فإنهم قالوا: الإيمان في اللغة هو التصديق، وعلى هذا قالوا: الإيمان الشرعي هو التصديق، ثم رتبوا على ذلك أن الإيمان شيء واحد لا يزيد ولا ينقص، وبنوا ذلك على مقدمتين:

المقدمة الأولى: أن الإيمان في اللغة مرادف للتصديق.

المقدمة الثانية: أنه إن كان في اللغة يراد به التصديق لزم أن يكون في الشرع كذلك ولا يتعداه إلى غيره.

وكلا المقدمتين مما ينازعون فيه، فإن الإيمان وإن استعمل في كلام العرب مرادفا للتصديق في بعض السياقات، إلا أنه يقع في بعض السياقات بخلاف ذلك، وبينه وبين التصديق فرق من جهة **اللفظ والمعنى** ذكره جماعة من أهل السنة.

والجواب عن المقدمة الثانية من وجهين:

---

(١) شرح الطحاوية - يوسف الغفيص يوسف الغفيص ٦/٥

الوجه الأول: أنه إذا سلم أن الإيمان في اللغة مرادف للتصديق فإنه لا يلزم أن يكون في سائر موارده في الشريعة كذلك، ومعلوم أن المرجئة يسمون العمل إسلاما، مع أن هذا مما لا توجبه اللغة، فما كان مسوغا أو موجبا عندهم لتسمية العمل إسلاما من جهة اللغة فيمكن طرده على مسمى الإيمان، فإذا قالوا: إن الصلاة لا تسمى في اللغة إيمانا، بل الصلاة في اللغة هي الدعاء، والإيمان هو التصديق، قيل لهم: وهل الصلاة والزكاة والحج والأعمال الظاهرة تسمى في اللغة إسلاما؟
فالجواب: لا.
فيقال: فما الذي سوغ أن تسمى إسلاما مع أن الإسلام اسم شرعي بالإجماع، كاسم الإيمان من جهة كونه اسما شرعيا؟ فتبين أن هذا مما لا توجبه اللغة بذاتها، بل لا بد فيه من اعتبار تسمية الشارع، فلما كان الأمر كذلك تعلق اسم الإيمان بسائر الأعمال على هذا الوجه.
الوجه الثاني: أن يقال: إن ما استعمله متكلمة المرجئة -لما دخل في أصولهم الكلامية- من تجريد الماهيات إلى صور يفرضها الذهن لا حقيقة لها في الخارج، ومعنى هذا الكلام: أنهم إذا قالوا: الصلاة عمل، والعمل ليس داخلا في مسمى الإيمان، إذ الإيمان هو التصديق.
فإنا نقول: ليس في الأعمال الشرعية الظاهرة كلها عمل ينفك عن التصديق، أما العمل الظاهر من حيث هو عمل ظاهر مجرد عن التصديق فإنه لا يسمى إيمانا بالإجماع، وهذا مما لا ينازع فيه أحد، والعمل الذي قصد السلف أنه إيمان هو العمل الشرعي، وهو العمل الذي أوجبه الشارع أو ندب إليه، كالصلاة والصيام والطواف بالبيت، إلى غير ذلك، وإلا فالأعمال العادية كلعب بني آدم وحركتهم لا تسمى إيمانا.
فالصلاة لا يمكن أن تكون شرعية وهي مجردة عن التصديق بالباطن، وهو التصديق بأن هذه الصلاة أوجبها الله، وأن الله أوجبها أربع ركعات مثلا كصلاة الظهر، وأنه شرعها في هذا الوقت، وأنه يقال فيها كذا وأركانها كذا، ويتعبد بها إلى القبلة، وأن من شرطها الإخلاص والإيمان؛ فإن هذه وإن كانت أعمالا ظاهرة كالركوع والسجود والقيام والقراءة إلى غير ذلك إلا أنها متعلقة بالتصديق، ولهذا لو أن أحدا صلى صلاة الظهر خمسا فإن عمله يسمى بدعة وضلالا، ومن صلى صلاة وقال: إن الصلاة ما شرعها الله وإنما هي من أقوال الفقهاء، فهذا يكون كافرا، ولا تكون صلاته شرعية.
فتحقق من هذا أن سائر الأعمال الظاهرة الشرعية ليست هي مجرد أعمال ظاهرة منفكة عن التصديق.
وقد تفطن بعض أئمة المرجئة من المتكلمين لهذا، فقالوا: العمل من حيث هو ليس إيمانا.
فيقال: العمل من حيث هو عمل إذا لم يكن له وجود في الخارج لا يمكن أن يسمى إيمانا عند أحد من المسلمين، فهم يقولون: الصلاة من حيث هي صلاة -أي: كحقيقة مجردة وعمل ظاهر- ليست إيمانا.
فيقال: الحقيقة المجردة عن التصديق لا يلتفت إليها، وليس هناك أحد من المسلمين يصلي هذه الصلاة.
ولهذا لو أن الإنسان أثناء لعبه أو رياضته مثلا أتى بحركة تشاكل حركة الركوع لم يسم راكعا في الشرع وعمله هذا لا يسمى إيمانا، لكن لو أدى ذلك داخل ركن من أركان الصلاة فإنه يكون ركوعا شرعيا ويسمى إيمانا، فتحقق من هذا أن الأصول الشرعية والعقلية واللغوية إذا سلمنا أنها تدل على أن الإيمان مرادف للتصديق، فإن كل ما تضمن التصديق وتحقق به فإنه يسمى إيمانا.

ولهذا فإن الصلاة وإن كانت عملا ظاهرا من جهة، إلا أن فيها تصديقات وفيها أعمال قلوب.

ويقال: إذا لم تكن الصلاة إيمانا امتنع أن تكون إسلاما، وامتنع أن يكون الإيمان تصديقا، وعليه فإن قولهم: إن العمل ليس داخلا في مسمى الإيمان لأن الإيمان هو التصديق، يعتبر مناقضا للعقل فضلا عن مخالفته للشرع، فإنه مبني على مقدمة مفروضة يفرضها الذهن، وهي: أن العمل الظاهر الذي سماه السلف إيمانا يمكن تجريده عن التصديق، وليس الأمر كذلك.

فإن قالوا: إن التصديق الذي في الصلاة يسمى إيمانا، والحركة الظاهرة لا تسمى إيمانا؟

قيل: هذا فرض يفرضه الذهن ولا وجود له في الخارج، فإنه إذا تجرد هذا العمل عن التصديق لم يسم صلاة ولا ركوعا ولا سجودا، ولا يوجد في الخارج إلا حركة يقصد بها التعبد أو حركة لا يقصد بها التعبد، أما وجود حركة في الخارج يقال إن تصديقها إيمان، وأما هي من حيث هي فليست إيمانا، فهذا، فإن من حنى ظهره إما أن يكون راكعا لله سبحانه وتعالى في صلاة من الصلوات، وإما أن يكون فعل ذلك لغرض وموجب احتاجه من أجله.

ومعلوم أن الأول يسمى عمله إيمانا، والثاني لا يسمى إيمانا ..." (١)

"فقال: ننفي هذه ونبقي كلام الله – عز وجل – غير مخلوق وأنه على حقيقته؛ ولكن نقول هو معنى دون لفظ، دون سماع.

إذا تبين ذلك فنأخذ من هذا تفصيل وهو: أن دلالة الكلام في اللغة على **اللفظ والمعنى** فيها مذاهب:

١ – مذهب أهل السنة والجماعة وأهل الحديث والأثر:

أن الكلام والقول إذا أطلق، يعني إذا قيل الكلام كلام فلان،قول فلان،قول الله – عز وجل – فإنه يراد به شيئان معا دون تفريق بين والواحد والآخر؛ يراد به **اللفظ والمعنى** جميعا.

٢ – مذهب المعتزلة:

وهو أن الكلام هو في المعنى وفي اللفظ مجاز.

٣ – مذهب الكلابية:

وهو أن الكلام للمعاني ولكن الحديث إخراجه هذا دليل عنه.

واستدلوا على هذا بقول الأخطل في الشعر المشهور المعروف عندهم في الاستدلال:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

والكلام على هذا البيت ورد الإحتجاج به إلى آخره مر معنا في الواسطية فنحيلكم عليها؛ لأنه معروف مشهور كررناه أكثر من مرة.

نرجع على أصل المسألة وهو أن الكلابية والأشاعرة قالوا إن الكلام معنى.

كلام الله – عز وجل – معنى، ألقاه في روع جبريل.

وهذا لأجل أنهم أصلوا تأصيلات، ومنها أن الكلام لا يدل على الإخراج وإنما يدل على ما قام في النفس، كما استدلوا

---

(١) شرح الطحاوية – يوسف الغفيص يوسف الغفيص ٩/١٩

بهذا البيت.
لهذا ذكرت لكم في أول الكلام تعريف كلم وكلم وهذه المادة واشتقاقها ليبطل معه قول من قال إن الكلام معنى، فإن اللغة دلت على أن الكلام لابد أن يكون لفظا ومعنى.
وحتى كلمة لفظ تدل على شيء ملفوظ مفرد.
وما أحسن قول المعري وإن كان ليس مجال احتجاج قال:
من الناس من لفظه لؤلؤ يبادره اللقط إذ يلفظ
وبعضهم قوله كالحصى يقال فيلغى ولا يحفظ
يعني (من الناس من لفظه لؤلؤ) اللفظ لابد أن يلفظ، يخرج، فكيف يكون الكلام والقول في الداخل دون الخارج؟
وكيف يكون المعنى يدل عليه في الإنسان بلا لفظ؟
وإذا كان ثم لفظ فإذا ثم معنى، واللفظ لابد أن يلفظ ويخرج.
فدل ذلك على أن قولهم بأن الكلام معنى وأن هذا هو الأصل فيه، هذا لاشك أنه معارض باللغة في تأصيلاتها أو اشتقاقاتها وأيضا معارض بالنصوص التي سقنا لك بعضا منها.
الكلابية ورثهم أبو الحسن الأشعري والماتريدي في الكلام في هذه المسألة:
- تارة يعبرون عنه بقولهم الكلام صفة نفسية.
- وتارة يعبرون عنه بأن كلام الله - عز وجل - قديم؛ يعني قبل أن يخلق الخلق، قبل أن يوجد شيء، تكلم بكلام قديم وانتهى.
- تارة يعبرون عنه بأنه معنى قائم بالنفس.
- وتارة يعبرون عنه بأنه عبارة، يعني القرآن عبارة عن كلام الله؛ يعني عبر به عن كلام الله.
إذا تبين لك ذلك، فحاصل معتقد هذه الطوائف -الكلابية الأشاعرة والماتريدية- أن القرآن قديم كلام الله - عز وجل - قديم.
يعني تكلم الله - عز وجل - به في الأزل ثم لما أراد إنزاله على محمد صلى الله عليه وسلم قام ما تكلم به في الأزل به معنى فألقاه في روع جبريل فنزل به جبريل وعبر عنه، وإلا فكلام الله عندهم ليس بالعربية وليس بالسريانية وليس إلى آخره لتنزهه عندهم اللغات.
إذا تبين ذلك، فمن أحسن الردود عليهم ما استشكله الآمدي.
والآمدي من حذاق الأشاعرة المعروفين ومن الأذكياء.
قال: إني نظرت في هذا القول وهو أن كلام الله قديم، وأن القرآن قديم، وأنه حين أوحي إلى محمد صلى الله عليه وسلم إنما أوحي بالعبارة وبما ألقي في نفس جبريل، فأشكل علي أن القرآن فيه آيات كثيرة فيها التعبير عنه بلفظ الماضي ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها﴾ [المجادلة:١] ، وهل كان ثم مجادلة؟ وهل كان ثم زوج؟ وهل كان ثم صوت حتى يسمع الله؟

قال ﴿قد سمع الله﴾ فإذا كان الله – عز وجل – قال هذا القول في الأزل ولا زوجة ولا مجادلة ولا قول، فما الذي سمع؟ فيلزم منه أن قوله ﴿قد سمع﴾ وكل أفعال الماضي في القرآن أنها غير مطابقة للواقع، وهذا هو الكذب.

وهذا لاشك أنه رد منطقي جميل لأنه يلزمهم على أصولهم ولا فرار لهم منه.

إذا تبين لك ذلك، فنقول خلاصة الرد على هذه الطوائف يكمن في أشياء:

@ الرد الأول:

الاستدلال باللغة في معنى كلم في معنى الوحي، هذا واحد.

@ الرد الثاني:

الاستدلال بالنصوص من القرآن والسنة التي فيها الإضافة، والقاعدة الفرق ما بين إضافة المخلوقات وإضافة المعاني.

@ الرد الثالث:

أنه يرد ما استدلوا به من أنواع الأدلة مثل ما أصلوه في أن الكلام يدل على المعنى فقط في اللغة، وأن الوحي يكون بالمعنى والإلقاء في الروع، وغير ذلك من الاستدلالات، مثل قولهم يلزم التشبيه يلزم التجسيم إلى آخره.

@ الرد الرابع:

بقول الآمدي في التفريق ما بين الماضي والحاضر.." (١)

"مثل ما يقول الجاحظ وغيره؛ يعني فيما ساقه في كتاب الحيوان يقول: الشأن في المعاني أما الألفاظ فهي ملقاة على قارعة الطريق.

يعني أن الألفاظ يتداولها الناس؛ لكن الشأن في الدلالة بالألفاظ على المعاني.

وهذا لاشك أنه قصور لأن القرآن كما ذكرنا مشتمل على فصاحة الألفاظ وعظمة المعاني جميعا. (١)

٤ – القول الرابع:

من قال إن القرآن معجز في نظمه، ومعنى النظم هو الألفاظ المتركبة والمعاني التي دلت عليها الألفاظ وما بينها من الروابط. يعني أن الكلام يحتاج فيه إلى أشياء، يحتاج فيه إلى ألفاظ وإلى معان في داخل هذه الألفاظ يعبر بها، يعبر بالألفاظ عن المعاني وإلى رابط يربط بين هذه الألفاظ والمعاني في صور بلاغية، وفي صور نحوية عالية، وهذا المجموع سماه أصحاب هذا القول النظم.

وهذا هو مدرسة الجرجاني المعروفة، العلامة عبد القادر الجرجاني فيما كتب في دلائل الإعجاز وفي أسرار البلاغة.

وهذا القول لما قال به الجرجاني وهو مسبوق إليه من جهة الخطابي وغيره يعني في كلمة، هو أراد به الرد على عبد الجبار المعتزلي في كتابه المغني، فإنه ألف كتاب المغني وجعل مجلدا كاملا في إعجاز القرآن، ورد عليه بكتاب دلائل الإعجاز وأن الإعجاز راجع إلى **اللفظ والمعنى** والروابط؛ يعني إلى النظم،نظم القرآن جميعا، المقصود بالنظم يعني تآلف الألفاظ والجمل مع دلالات المعاني البلاغية واللفظية وما بينها من صلات نحوية عالية.

---

(١) شرح الطحاوية لصالح آل الشيخ = إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل صالح آل الشيخ ص/١١٣

وهذا القول قول جيد؛ ولكن لا ينبغي أن يقصر عليه إعجاز القرآن.

٥ - القول الخامس:

من قال إن إعجاز القرآن فيما اشتمل عليه.

فالقرآن اشتمل على:

- أمور غيبية لا يمكن أن يأتي بها النبي صلى الله عليه وسلم؛ بأمر الماضي وبأمر المستقبل.

- واشتمل القرآن أيضا على أمور تشريعية لا يمكن أن تكون من عند النبي صلى الله عليه وسلم.

- واشتمل القرآن على هداية ومخالطة للنفوس لا يمكن أن تكون من عند بشر.

وهذا قول لبعض المتقدمين وجمع من المعاصرين بأن القرآن محتمل على هذه الأشياء جميعا.

ولكن هذا القول يشكل عليه أن إعجاز القرآن الذي تحديت به العرب، والعرب حينما خوطبوا به،خوطبوا بكلام مشتمل على أشياء كثيرة، وكان التحدي واقعا أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو بمثل سورة أو بعشر سور مثله مفتريات كما زعموا، وهذا يؤول إلى ما تميزت به العرب، وهو مسألة البلاغة وما تميزوا به من رفعة الكلام وفصاحته وبلاغته.

والعرب لم تكن متقدمة عارفة بالأمور الطبية ولا بالأمور الفلسفية ولا بالأمور العقدية ولا بالغيبيات، وليس عندهم معرفة بالتواريخ على تفاصيلها ونحو ذلك، حتى يقال إن الإعجاز وقع في هذه الجهة؛ لكنهم خوطبوا بكلام من جنس ما يتكلمون به -يعني من جهة الألفاظ والحروف-؛ لكنهم عجزوا عن الإتيان بذلك لأنه كلام الله - عز وجل -.

٦ - القول الأخير -والأقوال متنوعة؛ لأن المدارس كثيرة-:

أن القرآن معجز لأنه كلام الله - عز وجل -، وكلام الله - عز وجل - لا يمكن أن يشبه كلام المخلوق.

وهذا القول هو الذي ذكره الطحاوي هنا،قال (علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر، ولا يشبه قول البشر، ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر، فقد كفر، فمن أبصر هذا اعتبر، وعن مثل قول الكفار انزجر، وعلم أنه بصفاته-التي منها القرآن- ليس كالبشر) .

وهذا القول الذي أشار إليه لم يتفرع إليه شارحوا هذه الرسالة سواء من السلفيين أو من المبتدعة من الماتريديين وغيرهم- في تقرير هذه المسألة، وهو من أرفع وأعظم الأقوال؛ بل هو القول الحق في هذه المسألة: أن كلام الله - عز وجل - لا يمكن أن يشبه كلام البشر.

خذ مثلا فيما يتميز به المخلوقات ترى فلانا فتقول هذا عربي، وترى آخر فتقول هذا أوروبي، وترى ثالثا فتقول هذا من شرق آسيا، لم؟

لأن الصفة العامة دلت على ذلك، ولو أخذ الآخذ يعدد أشياء كثيرة متنوعة دلته على أن هذه الصورة هي صورة عربي، وهذه الصورة صورة أوروبي، هذه الصورة الخلقية صورة من شرق آسيا وهكذا.

فإذا الصورة العامة بها تتفرق الأشياء، فالذي يدل على الفرقان ما بين شيء وشيء، وأهمها الصورة العامة له.

كلام الناس -إذا انتقلنا من الصورة الخلقية- كلام الناس يختلف بعضه عن بعض.

قول الصحابة إذا سمعنا كلاما نقول هذا من قول الصحابة أو من قول السلف؛ لأن كلامهم لا يشبه كلام المتأخرين، كما

قال ابن رجب (كلام السلف قليل كثير الفائدة وكلام الخلف كثير قليل الفائدة) .

فكلام السلف له صورة عامة تعلم أن هذا من كلام السلف، فلو أتينا بكلام إنسان معاصر وبكلمات له كثيرة وقارناها بكلام السلف لاتضح الفرق.

فإذا المخلوق البشر في كلامه متباين.

---

(١) انتهى الوجه الأول من الشريط التاسع.." [١]

"ومسمى الكلام اختلفوا فيه هل اللفظ أو المعنى؟ قال بعضهم: إن مسمى الكلام حقيقة في المعنى مجاز في اللفظ وهم الأشاعرة، والأصل في الكلام المعنى، وأما اللفظ مجاز.

وقيل: إن الكلام حقيقة في اللفظ مجاز في المعنى، وهذا مذهب المعتزلة، وقيل: إن الكلام حقيقة في كل من **اللفظ والمعنى** فإطلاقه على المعنى وحده حقيقة وإطلاقه على اللفظ حقيقة، وهذا مذهب ابن علي الجويني: وقيل إن الكلام حقيقة في **اللفظ والمعنى** على سبيل الجواز فإطلاقه على أحدهما إطلاقه على جزء معناه، وإطلاقه عليهم على سبيل الجمع إطلاق على كل معناه.

وهذا هو الذي عليه أكثر العقلاء وهو: الصواب مسمى الكلام **اللفظ والمعنى**، ليس مسمى الكلام اللفظ فقط، كما تقول المعتزلة، ولا مسمى الكلام المعنى كما تقول الأشاعرة، ولا مسمى اللفظ وحده والمعنى وحده كما يقول ابن علي الجويني فمسمى الكلام **اللفظ والمعنى**.

بسم الله الرحمن الرحيم

وقيل: إن الكلام حقيقة في كل من **اللفظ والمعنى**، فإطلاقه على المعنى وحده حقيقة، وإطلاقه على اللفظ حقيقة، وهذا مذهب أبي علي الجويني، وقيل: إن الكلام حقيقة في **اللفظ والمعنى** على سبيل الجمع، فإطلاقه على أحدهما إطلاق على جزء المعنى، وإطلاقه عليهما على سبيل الجمع إطلاق على كل المعنى.

وهذا هو الذي عليه أكثر العقلاء، وهو الصواب أن مسمى الكلام **اللفظ والمعنى**، ليس مسمى الكلام اللفظ فقط كما تقول المعتزلة، ولا مسمى الكلام المعنى كما تقول الأشاعرة، ولا مسمى اللفظ وحده والمعنى وحده كما يقول أبو علي الجويني.

فالمسمى الكلام **واللفظ والمعنى**، لكي أتكلم أو كلام أو هذا الكلام اسم للفظ والمعنى.

حقيقة مذهب أهل السنة والجماعة في كلام الرب عز وجل أن كلام الله محفوظ في الصدور مقروء بالألسن مكتوب في المصاحف محفوظ في الصدور معلوم في القلوب، مقروء مسموع بالآذان، وهو في هذه المواضع كلها حقيقة.

فإذا قيل في المصحف كلام الله فهم منه معنى حقيقي، وإذا قيل فيه مداد كتب به فهم منه معنى حقيقي، وإذا قيل: في المصحف خط فلان الكاتب فهم منه معنى الحقيقية.

---

(١) شرح الطحاوية لصالح آل الشيخ = إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل صالح آل الشيخ ص/١٢٤

وإذا قيل المداد في المصحف فالظرفية فيه غير الظرفية المفهومة من قولك: فيه السماوات والأرض وفيه محمد وعيسى، وهي غير الظرفية المفهومة من قولك: فيه خط فلان الكاتب، وهي غير الظرفية المفهومة من قولك: فيه مداد كتب به، وهي غير الظرفية المفهومة من قولك: في المصحف كلام الله.

هذه كلها حقائق فالمصحف فيه كلام الله، وفيه خط فلان، وفيه مداد كتب به وفيه محمد وعيسى يعني ذكر محمد وعيسى وفيه السماوات والأرض أي ذكر السماوات والأرض.

ومن لم يتنبه لهذه الفروق ضل ولن يهتدي إلى الصواب، وكذلك لا بد من الانتباه للفرد بين القراءة والمقروء فالقراءة فعل القارئ والمقروء كلام الرب.

وقد استدل الإمام البخاري -رحمه الله- في كتابه الصحيح على أن أفعال العباد مخلوقة في نصوص التبليغ على أن أفعالهم -ومن ذلك كلامهم وأفعالهم وأصواتهم- كلها مخلوقة، استدل بنصوص التبليغ كقوله سبحانه: ﴿* يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ وقوله: ﴿إن عليك إلا البلاغ﴾ وهذا من رسوخه في العلم، فإن ذلك يتضمن أصلين عظيمين ضل فيها أهل الزيغ:

الأصل الأول: أن المبلغ ليس له من الكلام إلا مجرد التبليغ فليس منشئا ولا محدثا للكلام؛ إذ لو كان الكلام من عنده لكان منشئا محدثا للكلام ولم يكن مبلغا؛ فالمبلغ إنما يبلغ كلام غيره إذا قرأت: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى) تقول هذا كلامك أو كلام الرسول؟ كلام الرسول.

وإذا قرأت قول امرئ القيس:-

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل *** بسقط اللوى بين الدخول فحومل

تقول هذا كلام امرئ القيس، أنت مبلغ عنه، والكلام لامرئ القيس ليس لك. (إنما الأعمال بالنيات) - الكلام للرسول ليس لك، فالمبلغ إنما يبلغ كلام غيره.

الأصل الثاني: أن التبليغ فعل المبلغ وحقيقته أن يورد إلى الموصل إليه ما حمله إليه غيره فله مجرد التبليغ، قد ترجم الإمام البخاري -رحمه الله- في الصحيح في كتاب التوحيد باب قراءة الفاجر والمنافق لا تجاوز حناجرهم، أراد من ذلك أن أفعال العباد وقراءتهم وأصواتهم مخلوقة، هم يقرءون كلام الله بأصواتهم فأصواتهم وقراءتهم هي أفعالهم، والمقروء كلام الله.." (١)

"الأسئلة:

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على رسول الله، يقول السؤال: فضيلة الشيخ

س- أليس من الغلط أن تبين الحوادث للربط جملة لاحتمال هذا البحث معنى حق كما يحتمل معنى باطلا، وعلى هذا فعلى من ينتسب إلى مذهب أهل السنة أن يستفصل عن المراد فإن أريد بحلول الحوادث أن الرب يشبه المخلوقين فإن هذا المعنى يحمل على الرب سبحانه، وإذا أريد يشبه المخلوقين فإن هذا المعنى يحمل على الرب سبحانه، وإن أريد بحلول الحوادث

---

(١) شرح الطحاوية للراجحي عبد العزيز الراجحي ص/٨٨

اتصاف الرب بصفات اختيارية فإن هذا المعنى يحمل بكون الرب سبحانه يتصف بصفات اختيارية متى شاء؟ .

ج – نعم هذا قلناه، قلنا: إن قولهم يلزم من ذلك حلول الحوادث بالرب ارتبط بكل هذا في الدرس الماضي ذكرنا كل هذا أنه يستفسر إن أردتم أنه يتصف بقيام الحوادث وأنه يحل في شيء من مخلوقاته هذا باطل، وإن أردتم أنه يتصف بالصفات الاختيارية مثل الخلق والتصوير والطي والاستواء والنزول فهذه المعاني ثابتة لله ومتصف بها، ولا يضرنا تسميتكم إياها بأنها حوادث، نعم هذا التفصيل لا بد منه وبينا هذا.

س– يقول السائل: كيف أجمع بين أن آحاد كلام الله حادثة كما في قصة المجادلة، وأن كلام الله حدث بعد سماع التي تجادل في زوجها، وبين أن القرآن نزل جملة واحدة في اللوح المحفوظ، ثم نزل منجما للحوادث؟

ج– أنت أجبت على السؤال نزل منجما على الحوادث منجم يعني نجوما منجما على حسب الحوادث، وهذه من الحوادث، أما القول هذا مروي عن ابن عباس أن الكلام نزل جملة واحدة إلى اللوح المحفوظ هذا قول ابن عباس، وقد يقال إن هذا يتمشى مع مذهب الأشاعرة؛ لأن الأشاعرة كما سيأتي يقولون: إن الكلام معنى قائم بنفس الرب، وأن جبريل ما سمع كلام الله لكن الله اضطر جبريل ففهم المعنى القائم بنفسه فعبر عنه وأحيانا يقولون: إن جبريل أخذه من اللوح المحفوظ فالقول فيه كلام.

ورد عن ابن عباس أن القرآن أنزل جملة واحدة إلى بيت العزة، ثم أنزل منجما على حسب الحوادث فهذا فيه نظر. قول ابن عباس: وقوله ثم نزل منجما على حسب الحوادث هذا هو الجواب يعني أنه إذا حدثت حادثة تكلم الله كما في قصة المجادلة هذا هو التنزيل، التنزيل نزوله شيئا بعد شيء كلام الله نزول القرآن شيئا بعد شيء على حسب الحوادث نعم أحسن الله إليكم.

س – هل كلام الأنبياء الموجود في القرآن مخلوق أو غير مخلوق؟

ج– مثل ما سبق عن الإمام أبي حنيفة يقول ما ذكر الله في القرآن عن موسى وعن الأنبياء هذا كلام الله إخبارا عنهم ما في القرآن قال الله عن موسى: ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم﴾ هذا كلام الله إخبارا عن موسى أما كلام موسى الذي يتكلم به مخلوق لكن ما أخبر الله في القرآن عن موسى فهذا كلام الله إخبارا عن موسى ما أخبر الله في القرآن عن فرعون أنه قال: ﴿أنا ربكم الأعلى (٢٤) ﴾ هذا كلام الله إخبارا عن فرعون ما أخبر الله عن إبليس أنه قال امتنع عن السجود لآدم هذا كلام الله إخبارا عن إبليس، أما كلام فرعون في زمانه هذا مخلوق، وكلام إبليس حينما يتكلم مخلوق، لكن ما ذكر الله في القرآن هذا كلام الله إخبارا عنهم لا يلتبس الأمر.

س – يقول السائل: هلا بينتم لنا الفرق بين قول السالبية في القرآن وقول الكلابية إذ إن ظاهرهما التشابه.

ج– هناك فرق واضح، السالبية يقولون: القرآن كلام الله ألفاظ ومعان وحروف وأصوات، حرف وصوت موجود في الأزل لا يتعلق الكلام بقدرته ومشيئة تقول لم يزل الرب يتكلم ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك﴾ قد سمع الله قول التي تجادلك في الأزل مستمر الكلام هكذا يقولون ألفاظ ومعان وحروف وأصوات تسمع.

أما الكلابية فهناك فرق بينهم من جهتين: الكلابية لا يقولون: إن كلام الله **اللفظ والمعنى** بس المعنى فقط، وكذلك الأشاعرة

والسالبية يقولون **اللفظ والمعنى**.

ثانيا: أن الكلابية يقولون: إن كلام الله حرف وصوت يسمع والكلابية والأشاعرة يقولون: كلام الله ليس بحرف ولا صوت الحروف والأصوات هذه مخلوقة، والكلام معنى قائم بنفس الرب لا يسمع خبط خبط واضح نعم. أحسن الله إليك.

س- يقول السائل: من المعروف أن القول بأن الكلام صفة ذاتية فعلية من كلام المتأخرين وكان المتقدمون يقولون بأنه صفة فعلية فهل هم مخطئون؟

ج - ما قالوها، ما قالوا هذا المتقدمون لم يبتلوا بأهل البدع فهم يقولون القرآن كلام الله ويسكتون لكن لما جاء أهل البدع وتكلموا بكلام الباطل بين العلماء أن كلام الله قديم النوع وهو صفة ذاتية وحادث الآحاد نعم. أحسن الله إليكم

س- يقول السائل ما معنى أن أفراد كلام الله حادثة؟." (١)

"فإذن حقيقة مذهب الأشاعرة أن كلام الله معنى قائم بنفسه، وأما النظم المسموع المقروء في المصاحف فهو دليل على القرآن مخلوق فعلى هذا يكون القرآن من شيئين أو كلام الله من شيئين، شيء له نصفان، نصفه غير مخلوق وهو المعنى القائم بنفس الرب والحروف والكلمات مخلوقة فيقولون نصفه مخلوق ونصفه غير مخلوق نصفه مخلوق وهو الحروف والكلمات التي يقرؤها القارئ ونصفه غير مخلوق وهو المعنى القائم بنفس الرب كيف عرف جبريل ما في نفس الله قالوا: لهم أقوال في ذلك بعضهم يقول: إن الله اضطر جبريل ففهم المعنى القائم بنفسه اضطرارا فعبر عنه فهذا عبارة عبر بها جبريل، الله اضطره ففهم المعنى القائم بنفسه فعبر عنه يعني مثل، مثال ذلك أن يكون عندك أخرس لا يتكلم فيشير إليك بالإشارة ثم تكتب إشارته تفهم إشارته وتكتبها هذا، والعياذ بالله، جعل الله كالأخرس نسأل الله العافية عاجز عن الكلام.

وبعضهم يقول: إن جبريل أخذه من اللوح المحفوظ وبعضهم يقول: فهمه من الرب؛ لأن الله اضطره ففهم المعنى القائم بنفسه؛ فإذن حقيقة مذهب الأشاعرة أن نصفه مخلوق، وهو الحروف والكلمات ونصفه غير مخلوق، وهو المعنى القائم بنفسه، وهذا يوافق نصف مذهب المعتزلة، المعتزلة يقولون: القرآن مخلوق لفظه ومعناه **اللفظ والمعنى** مخلوق، والأشاعرة يقولون: معناه غير مخلوق، ولفظه مخلوق.

فهم يوافقون المعتزلة في نصف مذهبهم كما أن الأشاعرة يشابهون النصارى في مسألة اعتقادهم في عيسى، فإن النصارى يعتقدون أن عيسى مكون من شيئين جزء من الإله وجزء من الناس اتحدا وامتزجا فصارا شيئا واحدا يقال له المسيح المسيح عيسى ابن مريم فيه جزء من الإله وجزء من الناس امتزجا وصارا هذا هو المسيح عندهم.

والأشاعرة له شبه بهذا المذهب، فإن الأشاعرة يقولون: إن كلام الله معنى قائم بنفسه، وأما الألفاظ والحروف والكلمات دليل يفهم بها المعنى القائم بنفس الرب فإفهام المعنى القديم الذي هو في نفس الرب بواسطة الألفاظ والحروف والكلمات يشبه امتزاج اللاهوت بالناسوت الذي قالته النصارى في عيسى، عيسى النصارى قالوا: امتزج اللاهوت بالناسوت والأشاعرة قالوا: إن القرآن معنى قائم بنفس الرب لكنه لا يفهم إلا بواسطة الألفاظ التي يتكلم بها الآدميون فإفهام المعنى القديم بواسطة اللفظ الذي يتكلم به الآدميون يشبه امتزاج اللاهوت بالناسوت الذي قالته النصارى في عيسى.

---

(١) شرح الطحاوية للراجحي عبد العزيز الراجحي ص/٩٣

كما أن قول الأشاعرة: إن محمدا أحدث لفظ القرآن؛ لأنهم يقولون إما أحدثه جبريل أو محمد يشبه قول الوليد بن المغيرة عن القرآن إنه قول البشر قال: ﴿إن هذا إلا قول البشر (٢٥) ﴾ ويتناولهم هذا الوعيد فإن الوليد بن المغيرة قال: ﴿إن هذا إلا قول البشر (٢٥) ﴾ والأشاعرة قالوا: هذا الذي في المصحف قول البشر فيدخلون في هذا الوعيد من أدلة الأشاعرة على أن القرآن معنى قائم بالنفس لا يسمع ليس بحرف ولا صوت ولا لفظ استدلوا بقول الله تعالى: ﴿ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير (٨) ﴾ .

قالوا: وجه الدلالة أن الله قال: ﴿ويقولون في أنفسهم﴾ فدل على أن القول إنما يكون في النفس وأما الألفاظ والحروف والأصوات فليست من القول؛ لأن الله قال: ﴿ويقولون في أنفسهم﴾ فدل على أن كلام الله معنى قائم بنفسه.

وأجيب عن هذا الاستدلال بجوابين: الجواب الأول جواب بالمنع والجواب الثاني جواب بالتسليم.

الجواب الأول جواب بالمنع، وهو أن نقول: نمنع أن يكون المراد في الآية في قوله: ﴿ويقولون في أنفسهم﴾ المعنى القائم بالنفس، وإنما المراد القول سرا ﴿ويقولون في أنفسهم﴾ يعني يقولون سرا يتكلمون بألسنتهم سرا كما قاله أكثر المفسرين، وذلك أن اليهود كانوا يأتون النبي ويقولون سام عليك، والسام الموت، وهم يظهرن أنهم يلقون السلام فيحلفون لله ويقولون سام عليك يعني الموت ثم إذا خرجوا من عند النبي صلى الله عليه وسلم قال بعضهم البعض سرا لو كان نبيا عذبنا بقولنا له ما نقول، فأنزل الله ﴿ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول﴾ يعني يقولون سرا فيما بينهم وبين بعضهم إذا خرجوا من عند النبي صلى الله عليه وسلم لو كان نبيا لعذبنا بقولنا؛ لأننا نقول سام عليك وهذا هو الذي عليه أكثر المفسرين ويؤيده ما ثبت في الصحيحين في الحديث القدسي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم من ذكرني في نفسه) معناه تكلم سرا ذكر الله سرا بدليل قوله: (ومن ذكرني في ملأ) (من ذكرني في نفسه) يعني سرا ذكرته في نفسي (ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه) .." (١)

"وقد أجمع العلماء على أن الإنسان المصلي لو تكلم عامدا بغير مصلحتها بطلت صلاته، وقد أجمعوا أيضا على أنه لو حدث نفسه بشيء في صلاته، وأن ما يقوم في القلب من تصديق بأمور دنيوية وطلب لا يبطل الصلاة فحديث النفس الذي يكون في القلب من تصديق بأمور دنيوية وطلب لا يبطل الصلاة وإنما يبطله عندما يتكلم بلسانه عامدا لغير مصلحتها، فدل على أن الكلام إنما هو لفظ ومعنى، والكلام الذي يتكلم به اللسان بلسانه دل على أن كلام الله لفظ ومعنى وأن الله تكلم به بحرف وصوت يسمع.

ومن الأدلة أيضا ما ثبت في الصحيحين عن النبي-صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم به أو تعمل) ففرق النبي صلى الله عليه وسلم بين حديث النفس وبين الكلام، وأخبر أن الله عفا عن حديث النفس وأن ما تكلم به الإنسان بلسانه لا يعفى عنه فدل على أن الكلام لفظ ومعنى حروف وأصوات.

ومن الأدلة أيضا ما ثبت في السنين من حديث معاذ - رضي الله عنه - لما قال النبي صلى الله عليه وسلم (ألا أدلك على ملاك ذلك كله ...) في حديث معاذ الطويل لما سئل النبي صلى الله عليه وسلم فسأله الرجل (... عن عمل يدخله الجنة

---

(١) شرح الطحاوية للراجحي عبد العزيز الراجحي ص/٩٨

ويبعده عن النار قال: لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه تعبد الله لا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله ثم أخذ بلسان نفسه ثم قال: كف عليك هذا قال معاذ فقلت يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوهم أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم) .

فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الإنسان إنما يؤاخذ بما يتكلم به بلسانه فدل على أن الكلام ألفاظ ومعاني حروف وأصوات وكذلك كلام الله عز وجل تكلم به كلام الله اسم للمعنى واللفظ جميعا والله تكلم به وحرف وصوت يسمع بهذا يتبين أن مسمى كلام الله **المعنى واللفظ** جميعا، وأن كلام الله بحرف وصوت يسمع والحق أن التوراة والإنجيل والزبور والقرآن كلهم من كلام الله وكلام الله لا يتناهى، ولو كان البحر ومد بسبعة أبحر وجعل ما في الأرض من الأشجار كله أقلام والبحار مداد يكتب به لتكرث الأقلام ونفذت مياه البحر وما نفذت كلمات الله:

﴿قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا (١٠٩) ﴾ ﴿ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم (٢٧) ﴾ .

فهذه المسألة مسألة الكلام مسألة عظيمة اشتد النزاع فيها بين أهل السنة وبين المخالفين لهم، والتبس الأمر على كثير من الناس، ولا سيما مذهب الأشاعرة ثم مذهب المعتزلة فينبغي لطالب العلم أن يعتني بهذا الأمر، وأن يعتني بالنصوص، وأن ينبغي لطالب العلم أن يعتني بهذا الأمر، وأن يعتني بالنصوص، وأن يتأمل حينما يقرأ في الكتب حتى لا يلتبس عليه معتقد أهل السنة والجماعة المأخوذ من نصوص الكتاب والسنة من كتاب الله وسنة رسوله في مذهب المعتزلة والأشاعرة المبني على الأراء والأهواء والشهوات. نعم اقرأ وإن القرآن كلام الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال الإمام الطحاوي -رحمه الله تعالى-: "وإن القرآن كلام الله منه بدا بلا كيفية قولا".

وإن القرآن كلام الله، الطحاوي الآن يقرر مذهب أهل السنة والجماعة أن القرآن كلام الله يعني لفظه ومعناه، هذا هو الأصل، فالكلام هي لفظة تشمل **اللفظ والمعنى**، وإن القرآن كلام الله لفظ ومعنى منه بدا.

هذا فيه الرد على المعتزلة والرد على الأشاعرة فإن المعتزلة لا يقولون منه بدا يقولون بدا من شيء آخر بدأ من الشجرة أو بدأ من الهواء أو بدأ من اللوح المحفوظ خلقه الله في اللوح المحفوظ فأضافه إليه إضافة تشريف وتكريم وكذلك الأشاعرة لا يقولون منه بدا بل يقولون: لم يبد منه شيء، الكلام معنى قائم بنفسه لم يبد ما سمع منه ما سمع جبريل كلاما ولا لفظا ولا حرفا ولا صوتا وإنما جبريل هو الذي أحدث لفظ القرآن أو أحدثه محمد لأنه فهم المعنى القائم بنفس الرب اضطره الله ففهم المعنى أو أن الله خلقه في الهواء وأخذه من الهواء.

وأهل السنة يقولون: القرآن منزل غير مخلوق منه بدا وإليه يعود، فالقرآن كلام الله منزل نزله الله ﴿تنزيل من الرحمن الرحيم

(٢) ﴾ غير مخلوق كما تقوله المعتزلة منه بدا، بدا من الله ﴿وكلم الله موسى﴾ وإليه يعود في آخر الزمان في آخر الزمان.
من أشراط الساعة الكبار التي تعقبها الساعة مباشرة أشراط الساعة كما هو معروف عشرة:." (١)
"والتفاضل بينهم بالخشية والتقي ومخالفة الهوي وملازمة الأولى

هكذا يقول الطحاوي يقول: التفاضل بين الناس ما هو في الإيمان الإيمان متساوون فيه، التفاضل بينهم بين المؤمنين بأعمال القلوب، وأما التصديق فلا تفاوت فيه، وفي بعض النسخ وأهله في أصله سواء، والتفاضل بينهم بالحقيقة ومخالفة الهوى وملازمة الأولى، يشير إلي أن الكل مشتركون في أصل التصديق، ولكن التصديق يكون بعضهم أفضل من بعض وأثبت، وهذه الأسطر والعبارة في النسخة الثانية، والتفاضل بينهم بالخشية والتقوي، يعني يقول: لا تفاضل بين الناس في الإيمان، وإنما التفاضل يكون بينهم بأعمال القلوب، وهذا من أبطل الباطل، ليس التفاضل بأعمال القلوب فقط، بل التفاضل في الإيمان نفس التصديق، نفس الإيمان والتصديق يتفاضل الناس فيه، تفاضل بالتصديق، وفي أعمال القلوب وفي أعمال الجوارح، وعلى هذا هل لهذا الخلاف ثمرة، أو ليس له ثمرة؟ .

الخلاف بين الجمهور وبين الأحناف، هل له ثمرة أو ليس له ثمرة؟ الشارح ابن أبي العز يقول: الخلاف لفظي ليس له ثمرة، وقال لأن الجمهور، جمهور أهل السنة والأحناف اتفقوا على أن الأعمال واجبة، والواجبات واجبات، والمحرمات محرمات، وأن من فعل الواجبات، فهو قد أدى ما أوجب الله عليه وهو مثاب وممدوح، ومن فعل المحرمات، فإنه يستحق الوعيد، ويقام عليه الحد إذا كان ارتكب حدا، وهو مذموم، لكن الخلاف هل هذه الواجبات هل هي من الإيمان أو ليس من الإيمان؟ .

قال الجمهور: من الإيمان، وقال الأحناف: ليست من الإيمان، فالخلاف لفظي؛ لأنهم اتفقوا على أن الواجبات واجبات، والمحرمات محرمات، وأن من فعل الواجبات، أثابه الله، وهو ممدوح ومن فعل المحرمات يعاقب، ومستحق للوعيد، ويقام عليه الحد، لكن الخلاف إنما هو في التسمية، هل نسميها إيمانا؟ قال بذلك الجمهور، أولا نسميها إيمانا؟ واجب آخر قال بذلك الأحناف، هكذا قال شارح الطحاوية، يريد أن يجمع بين القولين، يقول: الخلاف في اللفظ ليس له ثمرة، بمعني أنه لا يترتب عليه فساد في العقيدة، صحيح لا يترتب عليه فساد في العقيدة، لكن الصواب أن الخلاف له آثار تترتب عليه غير اللفظ.

من هذه الآثار أولا: جمهور أهل السنة والجماعة وافقوا الكتاب والسنة في **اللفظ والمعنى**، فإن نصوصا كثيرة أدخلت الأعمال في مسمى الإيمان، جمهور أهل السنة وافقوا الكتاب والسنة في **اللفظ والمعنى**، وأما الأحناف ومرجئة الفقهاء فوافقوا الكتاب والسنة في المعنى، وخالفوهما في اللفظ ولا يجب للإنسان أن يخالف النصوص حتى في اللفظ، بل يجب على المسلم أن يتأدب مع النصوص مع كتاب الله وسنة رسول الله، يتأدب فلا يخالف النصوص لا لفظا ولا معنى.

فأهل السنة تأدبوا مع النصوص، ووافقوا النصوص لفظا ومعنى، ومرجئة الفقهاء لم يتأدبوا مع النصوص وافقوا النصوص في المعنى، لكن خالفوهما في اللفظ هذه ثمرة.

---

(١) شرح الطحاوية للراجحي عبد العزيز الراجحي ص/١٠١

ومن ثمرة الخلاف فتح الباب للمرجئة المحضة؛ لأن المرجئة كما قلت لكم طائفتان، المرجئة المحضة وهم من؟ الجهمية يقولون: الإيمان هو المعرفة بالقلب، والأعمال ليست واجبة، والمحرمات ليست محرمات، إذا صدق بقلبه، ولو فعل جميع المحرمات، وارتكب جميع المحرمات، وترك الواجبات لا يضره، هو كامل الإيمان، ويستردها من أول وهلة، مرجئة الفقهاء يقولون: الإيمان هو التصديق، لكن الأعمال واجبة الواجبات واجبات والمحرمات محرمات، يعاقب الإنسان ويذم.

من الثمرة الثانية أن مرجئة الفقهاء، وهم الأحناف فتحوا بابا للمرجئة المحضة، فدخلوا معهم، فتحوا بابا لم يستطيعوا إغلاقه وسده لما قال مرجئة الفقهاء: إن الأعمال ليست من الإيمان، فتحوا الباب للمرجئة المحضة، فقالوا: إن الأعمال ليست مطلوبة من أساسه، الواجبات لا ليست مطلوبة، والمحرمات لا يجب تركها، والواجبات لا يجب فعلها، من الذي فتح لهم الباب؟ مرجئة الفقهاء هذه من الآثار.

الثمرة الثالثة من آثار الخلاف بين الجمهور والأحناف: أن الأحناف ومرجئة المحضة فتحوا بابا للفسقة والعصاة، فدخلوا معهم، لما قال الأحناف: الأعمال ليست من الإيمان، قالوا: أن إيمان أهل السماء وأهل الأرض واحد، إيمان الأنبياء وإيمان الفساق واحد، فيأتي السكير العربيد، الذي يفعل الفواحش والمنكرات، فيقول إيماني كإيمان جبريل وميكائيل وكإيمان أبي بكر وعمر، فإذا قلت له أبو بكر يعمل الصالحات ويجتنب المحرمات وأنت تفعل ذلك قال هذا ليس محلا للخلاف محل الخلاف غير هذا ليس في الأعمال أنا مصدق وأبو بكر مصدق، فإيماننا واحد، أما كوني أفعل المحرمات، وأترك الواجبات، هذا شيء آخر، هذه مسألة أخرى غير الإيمان. من الذي فتح الباب لهم؟ مرجئة الفقهاء.." (١)

"وتاسعها: أنه تعالى لم يزل متكلما إذا شاء، ومتى شاء، وكيف شاء، ويتكلم به بصوت يسمع، وأن نوع الكلام قديم، وإن لم يكن الصوت المعين قديما، وهذا هو المأثور عن أئمة الحديث والسنة، أنه تعالى لم يزل متكلما إذا شاء، ومتى شاء، وكيف شاء، ويتكلم به بصوت يسمع، يعني بصوت حرف، وأن نوع الكلام قديم، وإن لم يكن الصوت المعين قديما، وهذا المأثور عن أئمة الحديث والسنة.

يقول ابن القيم -رحمه الله تعالى- في النونية في كلام طويل جدا حول مسألة الكلام، يقول -رحمه الله تعالى-:

والله ربي لم يزل متكلما ... وكلامه المسموع بالآذان

صدقا وعدلا أحكمت كلماته ... طلبا وإخبارا بلا نقصان

ورسوله قد عاذ بالكلمات من ... لدغ ومن عين ومن شيطان

((أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق)) ((أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة)) فاستعاذ النبي -عليه الصلاة والسلام- بكلمات الله.

ورسوله قد عاذ بالكلمات من ... لدغ ومن عين ومن شيطان

---

(١) شرح الطحاوية للراجحي عبد العزيز الراجحي ص/٢٤٥

أيعاذ بالمخلوق؟! يعني لو كان القرآن مخلوق يستعاذ به؟ لا.

أيعاذ بالمخلوق حاشاه من الـ ... إشراك وهو معلم الإيمان
بل عاذ بالكلمات وهي صفاته ... سبحانه ليست من الأكوان
وكذلك القرآن عين كلام الـ ... مسموع منه حقيقة ببيان
هو قول ربي كله لا بعضه ... لفظا ومعنى ما هما خلقان
تنزيل رب العالمين وقوله ... **اللفظ والمعنى** بلا روغان
لكن أصوات العباد وفعلهم ... كمدادهم والرق مخلوقان
فالصوت للقاري ولكن الكلام ... كلام رب العرش ذي الإحسان
هذا إذا ما كان ثم وساطة ... كقراءة المخلوق للقرآن
فإذا انتفت تلك الوساطة ... مثلما قد كلم المولود من عمران
فهناك المخلوق نفس السمع لا ... شيء من المسموع ففهم ذان
هذه مقالة أحمد ومحمد ... وخصومهم من بعد طائفتان

الإمام أحمد ومحمد بن إسماعيل البخاري ... إلى أن قال بعد أن جاء الكلام النفسي:

ودليلهم في ذاك بيت قاله ... فيما يقال الأخطل النصراني
يا قوم قد غلط النصارى قبل في ... معنى الكلام وما اهتدوا لبيان
ولأجل ذا جعلوا المسيح إلههم ... إذ قيل كلمة خالق رحمن
ولأجل ذا جعلوه ناسوتا ... ولاهوتا قديما بعد متحدان." (١)

"أنواع التحريف

واعلم أن التحريف قد يكون تحريفا في المعنى، وقد يكون تحريفا في اللفظ، وقد يكون تحريفا في **اللفظ والمعنى**، وكل هذه الأنواع تفضي بصاحبها إلى التعطيل، فتحريف المعنى -وهو الغالب الكثير في أهل الكلام-: صرف اللفظ عن ظاهره، أي: عن المعنى الظاهر، وإزالة اللفظ عن معناه، مثال ذلك: تأويل وتحريف الاستواء بالاستيلاء، فقالوا: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه:٥] أي: استولى، هل هذا تحريف لفظي أو معنوي؟ تحريف معنوي، هم ما غيروا ما في المصحف، إنما غيروا المعنى، ومن التحريف المعنوي: قولهم في قوله تعالى: ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾ [النساء:١٦٤] قالوا: كلمه أي: جرحه بأظافير الحكمة، فحملوا الكلم هنا على معنى غير المعنى المتبادر من اللفظ، وهو الكلام المعروف، وهذا من التحريف

(١) شرح العقيدة الواسطية - عبد الكريم الخضير عبد الكريم الخضير ٢٠/٣

المعنوي.

ومن التحريف اللفظي: ما اقترحه ابن أبي دؤاد على المأمون من تغيير قوله تعالى وكان مكتوبا على ستار الكعبة: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ [الشورى:١١] قال: أزل: السميع البصير، وضع: العزيز الحكيم (ليس كمثله شيء وهو العزيز الحكيم) فهذا تحريف لفظي، وما المراد منه؟! المراد منه نفي اتصاف الله عز وجل بالسمع والبصر.

ومنه قول جهم: وددت أن أحك من المصحف: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه:٥] ، أحك يعني: أزيل، فهذا تحريف لفظي.

النوع الثالث من التحريف: التحريف اللفظي المعنوي، وهو مجتمع في تحريف بعضهم لقوله تعالى: (وكلم الله موسى تكليما) وجه ذلك: أنهم غيروا الحركة المتفق عليها بين القراء، وهي الضم في لفظ الجلالة، فالآية: ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾ [النساء:١٦٤] فمن الفاعل للتكليم؟ الله جل وعلا، فقلبوا الأمر، وجعلوا الله مكلما لا متكلما فقالوا: (وكلم الله موسى تكليما) فجعلوا المتكلم موسى، وهذا تحريف لفظي ومعنوي، والرد عليهم من أسهل ما يكون، حيث قال الله تعالى: ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه﴾ [الأعراف:١٤٣] ، فهذا لا يمكن تحريفها، فماذا يفعلون بالضمير: (وكلمه ربه) ؟! وهذا يدل على أن كل من أراد أن يبطل شيئا في كتاب الله عز وجل فإنه ينقلب عليه ما استدل به، وهذه قاعدة مطردة: أن كل من استدل بشيء من الكتاب والسنة على باطله، كان فيما استدل به ما يبطل ما ادعاه من الباطل والزور، المهم أن التحريف الذي يتوصلون به إلى التعطيل قد يكون في اللفظ، وقد يكون في المعنى، وقد يكون في **اللفظ والمعنى**.." [(١)]

"موقف أهل التحريف والتعطيل من إثبات صفة الرجل والقدم، والرد عليهم

أما أهل التحريف وأهل التعطيل فقالوا: إن معنى الرجل هنا هو الجماعة من الناس، ومن أين أتوا بهذا المعنى؟ قالوا: إن الرجل يطلق على الجماعة من الجراد، كما أنك تقول لجماعة الطير: سرب، فتقول لجماعة الجراد: رجل، فيكون معنى: (حتى يضع رب العزة فيها رجله) أي: جماعة من الناس يتهافتون في النار كتهافت الجراد على النار.

فنقول: هذا المعنى -أيها المحرفون- من سبقكم إليه من سلف الأمة؟ أعطونا واحدا من الصحابة أو من التابعين أو من تابعيهم من أئمة السلف قال بهذا القول، قالوا: اللغة دلت على هذا، فنقول: لا بأس، هذا المعنى قد يكون موجودا في اللغة، لكن نحن نتلقى السنة لفظا ومعنى عن الصحابة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم إنما أنزل عليه القرآن وأنزل عليه الذكر ليبينه للناس، فهو قد بلغ لفظه ومعناه، والله سبحانه وتعالى حفظ للأمة الألفاظ والمعاني فقال سبحانه: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [الحجر:٩] ، والحفظ ليس فقط حفظ اللفظ إنما حفظ **اللفظ والمعنى**؛ ولذلك ما تلقته الأمة بالقبول عن الرسول صلى الله عليه وسلم من المعاني الظاهرة لا يجوز الانصراف عنه إلى مثل هذه الإرادات الواهية.

فنقول: الرجل معلومة عند العرب، وما ذكرتموه استعارة وتشبيه، والأصل في الكلام هو الحقيقة لا المجاز.

وقوله: (حتى يضع رب العزة عليها قدمه) ، قالوا: القدم هو: اسم لمن قدمهم الله عز وجل في النار، فيكون واقعا على الجماعة، وقالوا أيضا: القدم: هم اسم لمن تقدم في علم الله أنهم من أهل النار.

---

(١) شرح العقيدة الواسطية لخالد المصلح خالد المصلح ٧/٢

كل هذا -يا إخوة- تحريف وفرار مما دلت عليه النصوص وسلم له صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتلقته الأمة بالقبول، ولو أنهم اكتفوا بالنصوص، وعدلوا عن هذا الانحراف وعن هذه الشبه لسلموا ولسلكوا طريق أهل السنة والجماعة.." (١)

"القرآن كلام الله حروفه ومعانيه

ثم قال رحمه الله: [وهو كلام الله حروفه ومعانيه] الضمير يعود إلى أي شيء؟ إلى القرآن، فهو كلام الله حروفه ومعانيه، وهذا الذي يعتقده أهل السنة والجماعة، أن **اللفظ والمعنى** من الله؛ ولذلك سمى الله سبحانه وتعالى مجموع **اللفظ والمعنى** قرآنا، قال سبحانه وتعالى: ﴿الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾ [هود:١] ، فجعل الكتاب الذي هو المكتوب وما تضمنه من لدن حكيم خبير جل وعلا، وقال سبحانه وتعالى: ﴿الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين﴾ [الحجر:١] ، الإشارة إلى أي شيء؟ إلى ما يقرأه المسلمون من قول تلقوه عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو القرآن، فالحروف والمعاني كلها من الله جل وعلا.

يقول رحمه الله: [ليس كلام الله الحروف دون المعاني] ، هذا قول جماعة من أهل اللغة قالوا: إن الكلام هو الحروف لا المعاني، أشار إلى هذا القول شيخ الإسلام رحمه الله، وأشار إلى القول الثاني بقوله: [ولا المعاني دون الحروف] إلى قول الأشاعرة والكلابية، وأما الجهمية فالحروف والمعاني عندهم مخلوقة؛ ولذلك هم يقولون ويطلقون: القرآن مخلوق، ويريدون بالخلق خلق الحروف وخلق المعاني ما عندهم إشكال، وقولهم أطرد من قول الأشاعرة والكلابية، لكنه أوغل في الضلالة.." (٢)

"١- أن جمهور أهل السنة وافقوا الكتاب والسنة في **اللفظ والمعنى** فتأدبوا مع النصوص، ومرجئة الفقهاء وافقوا الكتاب والسنة معنا وخالفوهما لفظا، ولا يجوز للمسلم أن يخالف النصوص لا لفظا ولا معنى. قال الله تعال: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون﴾ ﴿الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾ ﴿أولئك هم المؤمنون حقا﴾ فبين الله تعالى أن هذه الأعمال كلها من الإيمان، فوجل القلب عند ذكر الله هذا عمل قلبي، وزيادة الإيمان عند تلاوة القرآن عمل قلبي ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ عمل قلبي ويشمل أيضا أعمال الجوارح من فعل الأسباب والإنفاق مما رزقهم الله، كل هذه الأشياء سماها إيمانا. وقال تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون﴾ وقال تعالى: ﴿فلا وربك لا." (٣)

"ولا ننكر أن بعض الاكتشافات العلمية الحديثة قد تيسر من أمور الشريعة أما أن نقول أن بعض أمور الشريعة تتوقف معرفته على بعض الاكتشافات العلمية أو العلوم الكونية. فهذا الذي لا نقبله أبدا.

قال الإمام الشاطبي في ((الموافقات)) (٢ / ٨٥) :

((هذه الشريعة المباركة أمية؛ لأن أهلها كذلك، فهو أجرى على اعتبار المصالح، ويدل على ذلك أمور:

---

(١) شرح العقيدة الواسطية لخالد المصلح خالد المصلح ٣/١٢

(٢) شرح العقيدة الواسطية لخالد المصلح خالد المصلح ٤/١٧

(٣) أسئلة وأجوبة في الإيمان والكفر عبد العزيز الراجحي ص/١٤

أحدها: النصوص المتواترة **اللفظ والمعنى**، كقوله تعالى: (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم) (الجمعة: ٢) : وقوله: (فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه) (الأعراف: ١٥٨) ، وفي الحديث: ((بعثت إلى أمة أمية)) لأنهم لم يكن لهم علم بعلوم الأقدمين، والأمي منسوب إلى الأم، وهو الباقي على أصل ولادة الأم لم يتعلم كتابا ولا غيره، فهو على أصل خلقته التي ولد عليها، وفي الحديث: ((نحن أمة أمية، لا نحسب ولا نكتب، الشهر هكذا وهكذا وهكذا)) . وقد فسر معنى الأمية في الحديث، أي: ليس لنا علم بالحساب ولا الكتاب. ونحوه قوله تعالى: (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك) (العنكبوت: ٤٨) . وما أشبه هذا من الأدلة المبثوثة في الكتاب والسنة، الدالة على أن الشريعة موضوعة على وصف الأمية؛ لأن أهلها كذلك. ..) أهـ.

وقال الإمام الشاطبي رحمه الله أيضا في ((الموافقات)) (٢ / ٦٦، ٧٤ / ٧٦) : ((ما تقرر من أمية الشريعة وأنها جارية على مذاهب أهلها — وهم العرب — ينبني عليه قواعد:. .. ومنها: أن تكون التكاليف الاعتقادية والعلمية مما يسع الأمي تعقلها ليسعه الدخول تحت حكمها.." (١)

"ثانيا: الإيمان بما جاء عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على ما أراده رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من غير زيادة ولا نقص ولا تحريف، وفي هذا الكلام رد على أهل التأويل وأهل التمثيل؛ لأن كل واحد منهم لم يؤمن بما جاء عن الله ورسوله على مراد الله ورسوله، فإن أهل التأويل نقصوا وأهل التمثيل زادوا.

وعلى هذا درج السلف وأئمة الخلف –رضي الله عنهم– كلهم متفقون على الإقرار والإمرار والإثبات لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – من غير تعرض لتأويله، وقد أمرنا باقتفاء آثارهم والاهتداء بمنارهم، وحذرنا المحدثات، وأخبرنا أنها من الضلالات، قال النبي – صلى الله عليه وسلم – " عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ".

هذه طريقة السلف الإقرار والإمرار لما جاء في نصوص الكتاب، وعدم التعرض لنصوص الصفات بالتحريف أو التأويل، تمر كما جاءت يثبت **اللفظ والمعنى**، أما الكيفية فيفوض أمرها إلى الله – عز وجل – يفوض علمها إلى الله – عز وجل – نثبت الاستواء، نثبت العلم، نثبت القدرة، نثبت السمع، نثبت البصر، نثبت لفظها ومعناها، نعرف أن السمع ضد الصمم والبصر ضد العمى والعلم ضد الجهل المعنى معروف كما قال الإمام مالك: الاستواء معلوم، الاستواء معناه: الاستقرار والعلو والارتفاع معلوم معناه، معنى الصفات معلومة؛ لأنها باللغة العربية، والله أمرنا أن نتدبرها: ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر (١٧) ﴾ (١) ولم يقل إلا آيات الصفات فلا تتدبروها، كل يتدبر المعاني معروفة لكن الكيفية –كيفية اتصاف الله لهذه الصفات– هي المجهولة لنا.

---

(١) الانتصار للسلف الأخيار محمد محب الدين أبو زيد ص/٥

(١) – سورة القمر آية: ١٧.." (١)

"الذي درج عليه السلف في الصفات هو الإقرار والإثبات لما ورد من صفات الله تعالى في كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – من غير تعرض لتأويله بما لا يتفق مع مراد الله ورسوله، والاقتداء بهم في ذلك واجب؛ لقوله – صلى الله عليه وسلم – " عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة " رواه أحمد وأبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني وجماعة.

وهذا واضح طريقة السلف إمرار الصفات لا يتعرض للكيفية، وإنما يثبت **اللفظ والمعنى**.

الترغيب في السنة والتحذير من البدعة

وقال عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم) .

وقال عمر بن عبد العزيز – رضي الله عنه – كلاما معناه: قف حيث وقف القوم فإنهم على علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا، وهم على كشفها كانوا الأقوى وبالفضل لو كان فيها أحرى، فلئن قلتم حدث بعدهم فما أحدثه إلا من خالف هديهم ورغب عن سنتهم، ولقد وصفوا منه ما يكفي، وتكلموا منه بما يكفي، فما فوقه محسر وما دونهم مقصر لقد قصر عنهم قوم فجفوا، وتجاوزهم آخرون فغلوا، وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم.

وقال الإمام أبو عمرو الأوزاعي – رضي الله عنه – عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول.." (٢)

"مذهب الكلابية والأشاعرة

القول الثاني: أن كلام الله جل وعلا معنى قائم في نفسه، ولكنه أربعة أمور: الخبر والاستفهام والأمر والنهي، وهذا قول ابن كلاب ومن تبعه، وأما القرآن الذي بين أيدينا فهو حكاية عن هذا المعنى وعن هذه الأمور الأربعة، ومذهب ابن كلاب قد انقرض، ولكن تبعه الأشاعرة إلا أنهم غيروا شيئا من ذلك وقالوا: إنه لا يكون أربعة، ولكنه معنى واحد؛ ولا يكون حكاية، ولكنه عبارة؛ لأن الحكاية تحاكي المحكي وتمثله، فلا يجوز أن نقول: إن القرآن حكاية عن كلام الله، ولكن نقول: إنه عبارة عن كلام الله! والمعبر إما جبريل أو محمد صلوات الله وسلامه عليه! ويلزم على هذا القول أن الله جل وعلا لا يستطيع أن يتكلم، فعلم جبريل ما في نفس الله فعبر عما في نفسه! وهم يقولون: ما علم جبريل ولكن الله أعلمه بما في نفسه فعبر عنه! وموسى عليه السلام لما سمع الكلام ما سمع من الله –على قولهم– وإنما سمع كلاما خلق إما في الشجرة أو في الهواء! ويلزم من هذا أن الشجرة هي التي قالت: ﴿إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني﴾ [طه:١٤] ، وهذا كفر بالله جل وعلا.

ثم إنهم قالوا: الدليل على هذا: أن الله جل وعلا لا يجوز أن يكون مشابها لخلقه، والتشبيه كفر بالله، فإذا وصف الإنسان

---

(١) تعليقات على شرح لمعة الاعتقاد للراجحي عبد العزيز الراجحي ص/٤٠

(٢) تعليقات على شرح لمعة الاعتقاد للراجحي عبد العزيز الراجحي ص/٤١

ربه جل وعلا بأنه مثل المخلوق فهذا كفر، فلا يجوز أن نقول بشيء يدل على التشبيه، ولو قلنا بالكلام الحقيقي للزم من ذلك التشبيه، كيف يلزم؟ يقولون: الكلام يتطلب لسانا، ويتطلب شفتين، ويتطلب لهوات وحبالا صوتية، ويتطلب زمنا بعد زمن ليكون الكلام متعاقبا، وهذا كله تشبيه لله جل وعلا بالمخلوق.

هذا دليلهم، وأيدوه بقوله جل وعلا: ﴿إنه لقول رسول كريم﴾ [الحاقة:٤٠] جاء هذا في آيتين من كتاب الله: في آية الحاقة، وفي آية التكوير، فهذا نص في أن القرآن قول الرسول، فإذا كان قول الرسول فلا يمكن أن يكون قول الله تعالى، هذا أهم ما استدلوا به، واستدلوا بأشياء أخرى منها: ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن الله عفا لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل) ، فجعل الذي في النفس غير الكلام، وكذلك قول عمر رضي الله عنه: (زورت في نفسي كلاما كنت أريد أن أتكلم به يوم السقيفة) ، قالوا: إذا: يصح أن نسمي ما في النفس كلاما وحديثا فصح قولنا: إن كلام الله جل وعلا ما قام في نفسه، وسلمنا من التشبيه، وأثبتنا الكلام لله جل وعلا على هذا الوضع! هذا خلاصة قولهم واستدلالهم.

والجواب عن هذا: أولا: مذهب المعتزلة والجهمية يقولون: إن كلام الله مخلوق، وهذا واضح وصريح ولا إشكال في رده وفي كفره.

ثانيا: الكلام ينقسم عند الأشاعرة إلى قسمين: الأول: كلام هو المعنى الذي يقوم بالنفس، وهذا هو كلام الله، ولا يجوز أن يكون مخلوقا.

القسم الثاني: كلام يكون ملفوظا ومكتوبا ومنطوقا به وهذا مخلوق؛ لأن هذا هو كلام البشر وليس كلام الله جل وعلا، إذا: فهؤلاء يفرقون بين **المعنى واللفظ**، فالمعنى -عندهم- هو كلام الله، أما اللفظ فليس هو كلام الله.." (١)

"مذهب أهل السنة

المذهب الثالث: مذهب أهل السنة والحق، وهو: أن مسمى الكلام يدخل فيه **المعنى واللفظ**، وأن كلام الله كلام حقيقي يتكلم متى شاء إذا شاء، ويكلم من يشاء، ولم يزل متكلما بما يشاء، ولم يكن في وقت من الأوقات لا يستطيع الكلام ثم حدث له الكلام تعالى وتقدس، بل يتكلم بما يشاء في الأزل، وجنس كلامه تعالى ونوعه أزلي؛ لأنه من صفاته الأزلية، أما أفراده فهي تتجدد وتحدث بعد أن لم تكن بمعنى: أنه إذا شاء أن يكلم أحدا كلمه كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (إن الله يحدث من أمره ما يشاء، ومما أحدث ألا تتكلموا في الصلاة) ، ويقول جل وعلا: ﴿لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا﴾ [الطلاق:١] ، فحدث الله هو أمره وقوله وفعله، وهذا لا حصر له، وهذا هو القول الحق الذي يجب أن يعتقد، ولا فرق بين كتاب الله وقول الله والقرآن والنزول، وإذا شاء الله جل وعلا أن يبدله بدله بالنسخ ورفع بعضه وأنزل غيره، والقرآن يمكن تحريفه من قبل المحرفين ولكن الله تولى حفظ هذا القرآن بنفسه، فأصبح محفوظا لا يستطيع أحد أن يبدله، وإلا فقد بدلت التوراة والإنجيل، وكونه يجوز عليه التبديل يدل على أنه غير مخلوق؛ لأن خلق الله لا يبدل.." (٢)

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للغنيمان عبد الله بن محمد الغنيمان ٨/٦

(٢) شرح العقيدة الواسطية للغنيمان عبد الله بن محمد الغنيمان ٩/٦

"لا يجوز إطلاق الألفاظ المجملة في صفات الله

لا يجوز إطلاق الألفاظ المجملة في صفات الله جل وعلا، مثل: لفظ الجهة أو لفظ الحيز أو لفظ العرض أو الجسم وما أشبه ذلك، فإن هذه ألفاظ مجملة تحتمل حق وتحتمل باطل، وإذا كانت ما جاءت في الكتاب والسنة فيجب أن تبين وتفصل، فإذا تبين أن مراد القائل لهذه الأمور حق قبل الحق ورد الباطل، وقيل له: يجب أن تعبر عن المعاني الصحيحة بالألفاظ الشرعية التي جاءت في كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، أما الألفاظ المبتدعة فلا يجوز استعمالها في هذا، أما إذا تبين أنه يريد باطلا فيقال له: **اللفظ والمعنى** مردود.

مثال ذلك: إذا قال: إن الله في جهة، أو قال: إنه ليس في جهة، نقول: هذا الكلام يحتاج إلى تفصيل: ماذا تريد بأن الله في جهة؟ فإن قال: أريد أن الله في العلو، وأنه عال على خلقه، ومستو على عرشه.

نقول: هذا المعنى صحيح ومقبول، ولكن يجب أن تعبر عن ذلك بالعبارات التي جاءت في كتاب الله وسنة رسوله: بأن الله فوق، وأنه في السماء، وأنه استوى على العرش، وما أشبه ذلك، وإن قال: أريد أن الله في جهة تحويه أو تحيط به.

نقول: هذا باطل لفظا ومعنى، ومثل الجهة الحيز، فإذا قال: إن الله في حيز أو ليس في حيز.

وكذلك كلمة العرض أو الجوهر إذا قال: إن الله ليس بعرض، أو إن الله ليس بجوهر، فمن المعلوم عند المتكلمين أن العرض: هو الذي لا يقوم بنفسه وإنما يقوم بغيره، وأما الجوهر: فهو القائم بنفسه ويرى، العرض مثل: العلم والألوان وما أشبه ذلك التي لابد أن تقوم بغيرها، فإذا قال هذا، نقول: ما مرادك؟ فإن قال: أريد بهذا أنه جل وعلا منزه عن العوارض التي تعرض للناس أو تحل بهم من النقائص، نقول: هذا حق، ولكن التعبير عن هذا يكون بالعبارات الشرعية كقوله جل وعلا: ﴿ولم يكن له كفوا أحد﴾ [الإخلاص:٤] ، ﴿هل تعلم له سميا﴾ [مريم:٦٥] ، ﴿فلا تجعلوا لله أندادا﴾ [البقرة:٢٢] وما أشبه ذلك، فإنه لا ند له، ولا مثل له، ولا سمي له، ولا نظير له، فهذه العبارات هي التي يجب أن تعبر بها، أما هذه العبارة فخطأ، وإن قال: أريد أن أنفي عنه الشيء الذي يدل على أنه جسم مثل الكلام والسمع وما أشبه ذلك؛ لأننا لا نعقل شيئا تقوم به هذه الأمور إلا الأجسام، فنقول: هذا الكلام باطل لفظا ومعنى.

وهكذا بقية الألفاظ المجملة يسلك فيها هذا المسلك، وهذه طريقة أهل السنة.." [1]

"٣٢- وهو المبعوث إلى عامة الجن (١) وكافة الورى، بالحق والهدى، وبالنور والضياء.

[الإيمان بالقرآن الكريم]

٣٣- وأن القرآن كلام الله (٢) ، منه بدا بلا كيفية قولا، وأنزله على رسوله وحيا، وصدقه المؤمنون على ذلك حقا، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر، وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر، حيث قال تعالى: ﴿سأصليه سقر﴾ [المدثر:٢٦] فلما أوعد الله بسقر لمن قال: ﴿إن هذا إلا قول البشر﴾ [المدثر:٢٥] ، علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر، ولا يشبه قول البشر (٣)

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للغنيمان عبد الله بن محمد الغنيمان ١٩/٦

(١) ...أقول: ومن ضلالات القاديانية إنكارهم لـ (الجن) كخلق غير الإنس ويتأولون كل الآيات والأحاديث المصرحة بوجودهم ومباينتهم للإنس في الخلق، بمايعود إلى أنهم الإنس أنفسهم أو طائفة منهم حتى إبليس نفسه يقولون إنه إنسي شرير! فما أضلهم! . (ن)

(٢) ...القرآن العظيم كلام الله لفظه ومعانيه: فلا يقال القرآن اللفظ دون المعنى كما هو قول أهل الاعتزال، ولا المعنى دون اللفظ كما هو قول الكلابية الضلال، ومن تابعهم على باطلهم من أهل الكلام الباطل المذموم، فأهل السنة والجماعة يقولون ويعتقدون أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، ألفاظه ومعانيه عين كلام الله سمعه جبريل من الله، والنبي سمعه من جبريل، والصحابة سمعوه من النبي فهو المكتوب بالمصاحف المحفوظ بالصدور المتلو بالألسنة.

قال الحافظ ابن القيم رحمه الله:

وكذلك القرآن عين كلامه الـ...مسموع منه حقيقة ببيان

هو قول ربي كله لا بعضه...لفظا ومعنى ماهما خلقان

تنزيل رب العالمين **ووحيه...اللفظ والمعنى** بلا روغان (م)

(٣) ...نقل هذا الكلام عن المصنف رحمه الله شيخ الإسلام ابن تيمية في ((مجموع الفتاوى)) (٥٠٧/١٢) مستشهدا به، وقال الشارح ابن أبي العز رحمه الله (ص١٧٩ الطبعة الرابعة) :

((وهذا الذي حكاه الطحاوي رحمه الله هو الحق الذي دلت عليه الأدلة من الكتاب والسنة لمن تدبرهما، وشهدت به الفطرة السليمة التي لم تغير بالشبهات والشكوك والآراء الباطلة. وقد افترق الناس في مسألة الكلام على تسعة أقوال)) :

ثم ساقها، ومنها الثالث، وهو أنه معنى واحد قائم بذات الله، هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار، وإن عبر عنه بالعربية كان قرآنا، وإن عبر عنه بالعبرانية كان توراة، وهذا قول ابن كلاب ومن وافقه، كالأشعري وغيره. قال:

وسابعها أن كلامه يتضمن معنى قائما بذاته هو ما خلقه في غيره وهذا قول أبي منصور الماتريدي ...

وتاسعها أنه تعالى لم يزل متكلما إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وهو يتكلم به بصوت يسمع، وأن نوع الكلام قديم وإن لم يكن الصوت المعين قديما، وهذا المأثور عن أئمة الحديث والسنة.

وقوله: ((كلام الله منه بدا بلا كيفية قولا)) - رد على المعتزلة وغيرهم.

فإن المعتزلة تزعم أن القرآن لم يبد منه، كما تقدم حكاية قولهم. وقال الشيخ محمد بن مانع رحمه الله تعالى (ص٨) :

((القرآن العظيم كلام الله لفظه ومعانيه فلا يقال اللفظ دون المعنى كما هو قول أهل الاعتزال، ولا المعنى دون اللفظ كما هو قول الكلابية الضلال، ومن تابعهم على باطلهم من أهل الكلام الباطل المذموم، فأهل السنة والجماعة يقولون ويعتقدون أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، ألفاظه ومعانيه عين كلام الله سمعه جبريل من الله والنبي سمعه من جبريل، والصحابة سمعوه من النبي، فهو المكتوب بالمصاحف المحفوظ بالصدور المتلو بالألسنة.

=...قال الحافظ ابن القيم رحمه الله:

وكذلك القرآن عين كلامه الـ

ـمسموع منه حقيقة ببيان

هو قول ربي كله لا بعضه

لفظا ومعنى ما هما خلقان

تنزيل رب العالمين ووحيه

اللفظ والمعنى بلا روغان))

وقال الشارح رحمه الله (ص١٩٤-١٩٥) :

((وكلام الطحاوي رحمه الله يرد قول من قال: إنه معنى واحد لا يتصور سماعه منه، وأن المسموع المنزل المقروء والمكتوب ليس كلام الله، وإنما هو عبارة عنه. فإن الطحاوي رحمه الله يقول: ((كلام الله منه بدا)) . وكذلك قال غيره من السلف، ويقولون: منه بدأ، وإليه يعود. وإنما قالوا: منه بدأ، لأن الجهمية من المعتزلة وغيرهم كانوا يقولون إنه خلق الكلام في محل، فبدأ الكلام من ذلك المحل. فقال السلف: ((منه بدأ)) أي هو المتكلم به، فمنه بدأ، لا من بعض المخلوقات، كما قال تعالى: ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم﴾ [الزمر:١] . ﴿ولكن حق القول مني﴾ [السجدة:١٣] ﴿قل نزله روح القدس من ربك بالحق﴾ [النحل:١٠٢] . ومعنى قولهم: ((وإليه يعود)) : يرفع من الصدور والمصاحف، فلا يبقى في الصدور منه آية ولا في المصاحف. كما جاء ذلك في عدة آثار.

وقوله ((بلا كيفية)) : أي: لا تعرف كيفية تكلمه به ((قولا)) ليس بالمجاز، ((وأنزله على رسوله وحيا)) أي: أنزله إليه على لسان الملك، فسمعه الملك جبرائيل من الله، وسمعه الرسول محمد – صلى الله عليه وسلم – من الملك، وقرأه على الناس. قال تعالى: ﴿وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا﴾ [الإسراء:١٠٦] وقال تعالى: ﴿نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين﴾ [الشعراء:١٩٣-١٩٥] . وفي ذلك إثبات صفة العلو لله تعالى. (ن)." [١]

"أسماء الله وصفاته توقيفية

الأصل الأول: أن أسماء الله وصفاته كلها توقيفية، لا يجوز إطلاق شيء منها على الله تعالى في الإثبات والنفي إلا بنص من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ولذلك يقول العلماء رحمهم الله تعالى تفريعا لهذا الأساس: باب الأسماء والصفات ينبني على ركنين: الركن الأول: الإثبات.

الركن الثاني: النفي.

فمن أتى بالإثبات وحده دون النفي لم يأت بالمنهج الصحيح، ومن أتى بالنفي دون الإثبات لم يأت بالمنهج الصحيح،

---

(١) التعليقات الأثرية على العقيدة الطحاوية مجموعة من المؤلفين ص/١٣

ولذلك يعتبر عقيدة أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات يقولون: إثبات ما أثبته الله لنفسه، ثم قالوا: وإثبات ما أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم، فهل يكفي الإثبات وحده؟ نقول: لا، ثم يأتون بالركن الثاني: ونفي ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم.

جاءوا بقضية الإثبات قالوا: من غير تشبيه ولا تكييف ولا تمثيل، هذا الإثبات عندهم.

ثم جاءوا إلى قضية النفي فقالوا: من غير تعطيل ولا تحريف ولا تأويل، حتى يبتعدوا عن طوائف المبتدعة من المشبهة والمعطلة، ولذلك لا إثبات إلا بنص، ولا نفي إلا بنص.

عندنا ألفاظ أطلقت على الرب لم يرد عليها دليل لا من كتاب ولا سنة، ووجدت في بعض كتب العقائد، فيقول السلف رحمهم الله تعالى: ما لم يرد نفيه ولا إثباته في كتاب ولا سنة فإنا نتوقف فيه مثل: الجسم، والحيز، والعرض، والجوهر، والجهة، كل هذه لا دليل عليها من كتاب ولا سنة، فما موقفنا منها؟ قالوا: لا نثبت ولا ننفي.

الواجب علينا أن نتوقف فنسأل القائل أو المطلق لهذا اللفظ: ماذا تقصد منه؟ فإن قصد حقا قبل منه المعنى الحق، ونقول له: إن هذا اللفظ لم يرد في كتاب ولا سنة، فالأولى لك ألا تتكلم فيه، وإن كان مدلوله باطلا رددنا عليه **اللفظ والمعنى** جميعا، والسؤال هنا يرد: لماذا تكلم السلف فيها؟ شيخ الإسلام رحمه الله تعالى تكلم فيها وغيره تكلموا فيها لأن المبتدعة تكلموا فيها، وأطلقوها بألفاظ موهمة، فلابد من التفصيل فيها، فإن قصد معنى الحق قبل المعنى الحق ورد اللفظ، وإن قصد معنى باطلا رد **اللفظ والمعنى** جميعا، حتى لا يتورط الإنسان بشيء، فيأتيك مثلا: الجهمي أو المعتزلي فيقول: أنا أقول: إن الله ليس بجسم، فيسألني: أنت تثبت لله الجسم؟ إذا قلت على القاعدة: الله لا نثبت له إلا ما ورد في نص من كتاب وسنة، فهل ورد نص من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم في هذا الأمر؟ لم يرد، فإذا قلت: إذا أنا أقول: الله ليس بجسم، قال: إذا أنا وإياك سواء، المعتزلي إذ يقول هذه الكلمة لا يقصد بها يقصد بها أن الله ليس له شيء من الأسماء، والجهمي يقول: ليس لله أسماء ولا صفات، فيصبح السني قد قارب أن يكون جهميا أو معتزليا.

إذا نسألك أنت أيها الجهمي ما تقصد بالجسم؟ فإن قال: أقصد به أن الله ليس له أسماء ولا صفات أصلا، قلنا له: هذا الكلام باطل، فنحن نقول: الله له أسماء وصفات تليق بجلاله وعظمته، مما دل عليه الكتاب والسنة، ولكن لفظ الجسم لا أطلقه على الله تعالى لأنه لا دليل عليه.

نتساءل: لماذا باب الأسماء والصفات توقيفي؟ السبب: لأن الله سبحانه وتعالى أعلم بنفسه من خلقه، ومن أصدق من الله قيلا، ومن أهدى من الله سبيلا، ومن أصدق من الله حديثا، والرسول صلى الله عليه وسلم لا شك أنه أعلم الخلق بالله سبحانه وتعالى بما يجب له وما يمتنع عليه وما يجوز له، ولا يمكن لأحد كائنا من كان أن يأتي من عقله بشيء من هذه الأسماء والصفات.

ومن رحمة الله تعالى بنا أنه لم يكل هذا المبحث إلى عقول الناس، بل جعل ما ورد من كتاب وسنة فقط، ولو كان لعقول

الناس ما نستطيع، نأخذ بعقل من؟ أنأخذ بعقل المعتزلي، أو الجهمي، أو الأشعري، أو الماتريدي، أو الكلابي، أو الكرامي، أو نأخذ بعقول السلف؟ نقول: من رحمة الله تعالى أن جعل هذا الأمر توقيفيا، ولم يجعل لعقول الناس مجالا في ذلك.." (١)

"وهذا النوع- توحيد الألوهية- جحده المشركون، وهم أكثر أهل الأرض في قديم الزمان وحديثه، أبوا أن يتركوا آلهتهم، وأن يفردوا العبادة لله عز وجل، ويخلصوا الدين لله عز وجل؛ زاعمين أن هذه الوسائط وهؤلاء الشفعاء يشفعون لهم عند الله، وأنهم يقربونهم إلى الله، وأنهم ... وأنهم.. إلى آخره ﴿وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين﴾ .

النوع الثالث: توحيد الأسماء والصفات، بمعنى: أننا نثبت لله سبحانه وتعالى ما أثبته لنفسه، أو أثبته له رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأسماء والصفات، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، على حد قوله- تعالى-: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ .

فنثبت لله الأسماء كما قال- تعالى-: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون﴾ .

وكذلك الصفات، نصف الله عز وجل بما وصف به نفسه؛ أنه عليم، وأنه رحيم، وأنه سميع بصير، يسمع ويبصر سبحانه وتعالى، ويعلم، ويرحم، ويغضب، ويعطي ويمنع، ويخفض ويرفع. وهذه صفات الأفعال.

وصفات الذات كذلك؛ أن له وجها- سبحانه، وأن له يدين، وأن له سبحانه وتعالى الصفات الكاملة، نثبت لله ما أثبته لنفسه، أو أثبته له رسوله من صفات الذات ومن صفات الأفعال، ولا نتدخل بعقولنا وآرائنا وأفكارنا، ونقول: هذه الصفات أو هذه الأسماء موجودة في البشر، فإذا أثبتناها شبهنا- كما يقوله المعطلة، بل نقول: إن لله سبحانه وتعالى أسماء وصفات تليق بجلاله سبحانه وتعالى، وللمخلوقين أسماء وصفات تليق بهم، والاشتراك في الاسم، أو الاشتراك في المعنى؛ لا يقتضي الاشتراك في الحقيقة. خذ- مثلا-: الجنة، فيها أعناب وفيها نخيل- كما ذكر الله، وفيها رمان، وفيها أسماء موجودة عندنا في الدنيا، لكن ليس ما في الجنة مثل ما في الدنيا، أبدا، ليس النخيل التي في الجنة مثل النخيل التي في الدنيا، الرمان ليس مثل الرمان الذي في الدنيا، وإن اشترك في الاسم والمعنى، كذلك أسماء الله وصفاته وإن اشتركت مع أسماء المخلوقين وصفاتهم **باللفظ والمعنى**، فالحقيقة والكيفية مختلفة، لا يعلمها." (٢)

"هذا عن مذهب السلف المقابل لمذهب البيهقي ومن هو على رأيه.

أما ما استدل به البيهقي - رحمه الله - من قول عمر رضي اللله عنه: "زورت في نفسي كلاما" وما استدل به غيره مما ذهب نفس المذهب من مثل قوله تعالى: ﴿ويقولون في أنفسهم﴾ ١ فليس لهم فيه حجة، لأن الكلام إذا أطلق فإنما يراد به **اللفظ والمعنى** جميعا وليس المعنى وحده، أما إذا قيد الكلام بالنفس ونحوها، فإن دلالة المقيد خلاف دلالة المطلق، وهنا قيد الكلام بالنفس، ولم يطلقه وهذا دليل على أن الكلام المطلق إنما هو **اللفظ والمعنى** جميعا، على أنه يحتمل أنهم قالوا

---

(١) شرح لامية ابن تيمية عمر العيد ٤/١٠

(٢) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد صالح الفوزان ٢٢/١

بألسنتهم قولا خفيا٢.

ويرد على البيهقي وجميع من وافقه في القول بالكلام النفسي يرد عليهم بقوله صلى الله عليه وسلم: "إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الناس" ٣. وقوله: "إن الله يحدث من أمره ما يشاء وإن مما أحدث أن لا تكلموا في الصلاة" ٤ . واتفق العلماء على أن المصلي إذا تكلم في الصلاة عامدا لغير مصلحتها بطلت صلاته واتفقوا كلهم على أن ما يقوم بالقلب، من تصديق بأمور دنيوية وطلب لا يبطل الصلاة، وإنما يبطلها التكلم بذلك، فعلم اتفاق المسلمين على أن هذا ليس بكلام٥.

---

١ سورة المجادلة آية: ٥٨.

٢ انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية١٥/٣٥.

٣ رواه مسلم. انظر: حديث رقم: ٥٣٧، ١/٣٨١.

٤ أورده البخاري في صحيحه باب رقم: ٤٢ من كتاب التوحيد١٣/٤٩٦، والنسائي في سننه٣/١٧.

٥ شرح الطحاوية ص: ١٣٧.." (١)

"وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم به، أو تعمل به" ١ . فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الله عفا عن حديث النفس إلا أن تتكلم ففرق بين حديث النفس وبين الكلام، وأخبر أنه لا يؤخذ به حتى يتكلم به، والمراد: حتى ينطق به اللسان، باتفاق العلماء، فعلم أن هذا هو الكلام في اللغة، لأن الشارع إنما خاطبنا بلغة العرب٢.

فقول البيهقي في الكلام غير صحيح، لما ذكرناه من أدلة قاطعة بأن الكلام إذا أطلق فإنه إنما يراد به **اللفظ والمعنى** جميعا وأن حديث النفس لا يسمى كلاما إلا إذا قيد.

أما ما أورده أصحاب البيهقي من استدلال بقول الأخطل:

إن الكلام لفي الفؤاد........ فإني أعجب من استدلالهم بقول هذا النصراني على مسألة من أهم مسائل العقيدة الإسلامية ويزيد العجب من ذلك إذا علمنا أنهم كثيرا ما يردون استدلالات السلف على مسائل العقيدة بأنها أحاديث آحاد، كيف وقد قيل إن هذا البيت مصنوع وليس للأخطل، بل مصنوع ومنسوب إليه.

وعلى فرض صحته فإنه نصراني، وليس من اللائق أن يستدل بكلام قوم ضلوا في معنى الكلام حيث زعموا أن عيسى عليه السلام هو نفس كلمة الله، واتحد اللاهوت بالناسوت. وفي هذا المعنى يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله - في نونيته:

---

(١) البيهقي وموقفه من الإلهيات أحمد بن عطية بن علي الغامدي ص/٢٤٤

١ رواه البخاري في كتاب الإيمان حديث رقم: ٦٦٦٤، ١١/٥٤٩.

٢ شرح الطحاوية ص: ١٣٧.." (١)

"وهو وهم العوام، لا فهم العلماء، فليثبت الموفق في هذه المزلة قدمه لئلا يضل عن سواء السبيل، ولا توفيق إلا بالله.

المسألة الثالثة عشرة

إن ها هنا نظرا لفظيا في الحديث هو من تمام الكلام فيه، وذلك أنه لما أخبر، أخبر عليه الصلاة والسلام أن جميع الفرق في النار إلا فرقة واحدة، وهي الجماعة المفسرة في الحديث الآخر، فجاء في الرواية الأخرى السؤال عنها . سؤال التعيين . فقالوا: من هي يا رسول الله؟ فأصل الجواب أن يقال: أنا وأصحابي، ومن عمل مثل عملنا، أو ما أشبه ذلك مما يعطي تعيين الفرقة، إما بالإشارة إليها أو بوصف من أوصافها، إلا أن ذلك لم يقع، وإنما وقع في الجواب تعيين الوصف لا تعيين الموصوف، والمراد هنا الأوصاف التي هو عليها – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه رضي الله عنهم، فلم يطابق السؤال الجواب في اللفظ، والعذر عن هذا أن العرب لا تلتزم ذلك النوع إذا فهم المعنى، لأنهم لما سألوا عن تعيين الفرقة الناجية بين لهم الوصف الذي به صارت ناجية، فقال: ((ما أنا عليه وأصحابي)) .

ويمكن أن يقال: إن النبي – صلى الله عليه وسلم – لما ذكر الفرق وذكر أن فيها فرقة ناجية، كان الأولى السؤال عن أعمال الفرقة الناجية، لا عن نفس الفرقة، لأن التعريف فيها من حيث هي لا فائدة فيه إلا من جهة أعمالها التي نجت بها، فالمقدم في الاعتبار هو العمل لا العامل، فلو سألوا: ما وصفها؟ أو ما عملها؟ أو ما أشبه ذلك لكان أشد مطابقة في **اللفظ والمعنى**، فلما فهم عليه الصلاة والسلام منهم ما قصدوا أجابهم على ذلك.

ونقول: لما تركوا السؤال عما كان الأولى في حقهم، أتى به جوابا عن سؤالهم، حرصا منه عليه الصلاة والسلام على تعليمهم ما ينبغي لهم تعلمه والسؤال عنه.." (٢)

"أنواع الإخبار عن الله فيما جاء عن السلف (١) :

النوع الأول: مرادفات لأسماء الله وصفاته وأفعاله ، وما يفهم من سياق آي القرآن كما سبق في تعريف الإخبار شرعا وهو الذي لم يثبت عنهم الخلاف في جوازه.

النوع الثاني: ما جاء صريحا في إجماع السلف لتقرير معنى صحيحا في العقيدة أو للرد على معنى باطل مثل " البائن من خلقه – ذات الله " وهو ملحق بالنوع الأول في جوازه.

النوع الثالث: الألفاظ التي تكلم بها بعض السلف للرد على خصومهم مثل " القديم – الحد " ، وحكمها: أنه يسأل عن المعنى المراد وما دام هناك لفظ أحسن في التعبير عن المعنى فاستخدامه هو الموافق لمذهب السلف ، مع الاشتراط ألا تتضمن نقصا في حق الله.

النوع الرابع: الألفاظ المجملة التي تكلم بها المبتدعة مثل " الجسم – المماسة – التحييز " ولا شك في المنع من استخدامها

---

(١) البيهقي وموقفه من الإلهيات أحمد بن عطية بن علي الغامدي ص/٢٤٥

(٢) مختصر كتاب الاعتصام علوي السقاف ص/١٣٢

والتكلم بها بين المسلمين في الإخبار عن الله ، وإن كان في مقام مجادلة أهل البدع فالتفصيل في المعنى هو مذهب السلف فإن كان المعنى حقا قبل ويرد اللفظ ، وإن كان المعنى باطلا فيرد **اللفظ والمعنى**.

معنى الاسم والصفة والفرق بينهما لغة وشرعا – نقلا من كتاب فضيلة الدكتور علوي بن عبد القادر السقاف حفظه الله :-

تعريف الاسم والصفة لغة والفرق بينهما:

الاسم: هو ما دل على معنى في نفسه (٢) ، وأسماء الأشياء هي الألفاظ الدالة عليها (٣) .

الصفة: هي الاسم الدال على بعض أحوال الذات وهي الأمارة اللازمة بذات الموصوف الذي يعرف بها (٤) ، وهي ما وقع الوصف مشتقا منها، وهو دال عليها، وذلك مثل العلم والقدرة ونحوه.

---

(١) – من ٢ – ٤ تلخيص من كتاب الصفات الإلهية للدكتور محمد التميمي وسيأتي جزء منه في الفصل الثالث.

(٢) – التعريفات للجرجاني (ص٢٤) .

(٣) – مجموع الفتاوى (٦/١٩٥) .

(٤) – التعريفات (ص ١٣٣) .." [١]

"الإثبات يراعى فيه **اللفظ والمعنى**

هذه القاعدة الشرعية الرسالية التي اتفق عليها الرسل في صفات الله سبحانه وتعالى، يحصل بها التنبيه على مسائل الحروف والمعاني، بمعنى: أن صفات الله سبحانه وتعالى معتبرة بالكتاب والسنة من جهة الحروف ومن جهة المعاني.

أما اعتبار المعاني: فإن هذه المعاني المثبتة لله سبحانه وتعالى لا بد أن تكون معلومة من الكتاب والسنة.

وأما اعتبار الحروف: فإنه يقصد به التنبيه على مسألة أن يكون الإثبات للباري سبحانه وتعالى موافقا لنصوص الكتاب والسنة من جهة السياقات.

ويقصد بمسألة السياقات: أن صفات الباري في القرآن جاءت على سياقين:

الأول: سياق الإطلاق.

الثاني: سياق التقييد.

فإن بعض الصفات ذكرها الله سبحانه وتعالى مطلقة؛ كاتصافه سبحانه بالعلم، والحكمة، والقدرة، ونحو ذلك.

وبعض الصفات جاء ذكرها في القرآن في سياق التقييد، كصفة المكر؛ قال تعالى: ﴿ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾ [الأنفال:٣٠] وكصفة الكيد؛ فإنه جاء في القرآن في سياق التقييد، قال تعالى: ﴿إنهم يكيدون كيدا * وأكيد كيدا﴾ [الطارق:١٥ – ١٦] وما إلى ذلك.

---

(١) شرعية الإخبار عن الله بما لم يأت به قرآن ولا سنة أبو عبد الله المصري ص/١٠

وعليه: فما ذكره الله في القرآن مطلقا من الصفات فإن المشروع للعباد أن يثبتوه لربهم من جهة معانيه، ومن جهة سياقاته، أي: أن يذكروه مطلقا كما ذكر، وما ذكره الله مقيدا فإنه يذكر مقيدا ولا يسوغ إطلاقه، وإن كان بعض المتأخرين من أهل العلم توسعوا في الإطلاق، ولم يفرقوا بين المطلق وبين المقيد، والأصل أن يقتدى بطريقة القرآن، فإنك إذا قلت: إن من صفات الله: العلم، والعزة، والحكمة، والقوة، والقدرة، فإن هذا عند العقلاء، وعند المخاطبين والمكلفين؛ بل وغير المسلمين، لا يفهم منه ما يشكل في مقام صفات الباري.

ولكن ليس من المناسب في العقل وحتى في الشرع أن يقال: إن من صفات الله الكيد، ومن صفات الله المكر؛ لأن هذا ليس من الحكمة ولا من الفقه، ولا من تحقيق كمال الباري سبحانه وتعالى؛ لأن صفة الكيد ليست كصفة العلم مثلا، فإن العلم صفة كمال في سائر موارده، وأما صفة الكيد والمكر فإنها تكون كمالا في مقامها المناسب لها، فيقال مثلا: إن الله تعالى يمكر بالماكرين، ويكيد على الكائدين من أعدائه ..

وهكذا.

ومن هنا قيل: إنه لا بد من اعتبار سياق القرآن في إثبات صفات الله سبحانه وتعالى، وعليه: فتكون طريقة أهل السنة والجماعة معتبرة بسياق الحروف، ومعتبرة بالمعاني.." (١)

"الجبرية

الطائفة الثانية: وهي الجبرية، وهم الذين يقولون: إن العباد مجبرون على أفعالهم، وهؤلاء الجبرية غلوا في الأصول الأربعة الأولى، ولا سيما في الأصل الثالث والرابع، حتى سلبوا العبد قدرته ومشيئته وإرادته، فينكرون الأصل السادس الذي هو: أن العباد لهم مشيئة وإرادة مختصة في وجود الفعل من عدمه، ويقولون: إن العبد ليس له إرادة بل هو مجبور على فعله، وهذا مذهب الجهم بن صفوان، وهو مهجور عند جمهور طوائف المسلمين فضلا عن سواد العامة، وإنما تأثر به من تأثر لما استقى من مادة هذا القول بعض متكلمة الصفاتية، وأخصهم أبو الحسن الأشعري رحمه الله، فإن الأشعري لما رجع عن قول المعتزلة ومذهبهم -والمعتزلة قدرية في باب القدر- رجع إلى مذهب كان يظن أنه مذهب السنة والجماعة، وهو ما سماه الأشعري في كتبه بمذهب الكسب، والكسب حرف قرآني، أما الجبر فليس حرفا قرآنيا، فليس في القرآن أن أفعال العباد جبر، لكن في القرآن أن أفعال العباد كسب، كقول الله تعالى: ﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾ [البقرة:٢٨٦]، فهي كسب للعباد، ولكن الأشعري أقام على لفظ الكسب وفسره بما هو فاسد في معناه، فصارت حقيقته الجبر، فيؤخذ على الأشعري في **اللفظ والمعنى**.

أما في اللفظ: فيؤخذ عليه إقامته عليه، فإنه إذا ذكر مسألة القدر قصرها على هذا الحرف، مع أن القرآن في أفعال العباد فيه حروف كثيرة، وإنما اجتنبها الأشعري لأن مادتها تشكل على مادته، فكان يقصد إلى عدم ذكرها هو وأكثر أصحابه، فيؤخذ عليهم إقامتهم على هذا الحرف من جهة وتركهم للحروف والألفاظ الأخرى؛ هذا من جهة اللفظ.

أما من جهة المعنى: فإن الأشعري فسر الكسب تفسيرا منغلقا حتى على كثير من أصحابه، وقد صرح بأنه منغلق، والمحصل

---

(١) شرح القواعد السبع من التدمرية يوسف الغفيص ٨/٣

من هذا التفسير أن العبد له إرادة ومشيئة، ولكنها مسلوبة التأثير، وهذا لا بد أن يكون جبرا.

وقد صرح بأن هذا جبر جماعة من أهل العلم كـ شيخ الإسلام ابن تيمية، ولكن إذا أردت مقام الرد، وقلت: إن شيخ الإسلام قال: إنه جبر، فإن المخالف في هذا قد لا يكون مستجيبا؛ لأن المفسر لقوله إمام خارج عن مذهبه، فيكون الأقوى هنا إذا وجد في كلامهم من يلتزم بهذا اللازم من جهة الحروف.

وقد صرح الشهرستاني في كتبه، وكذلك محمد بن عمر الرازي في المطالب العالية، أن مذهبهم في هذا الذي ذكره الأشعري جبر متوسط، فليسوا جبرية غالية، وهذا القول الذي قاله الرازي والشهرستاني صحيح، فإنهم ليسوا جبرية غالية من جنس غلو جهم بن صفوان.

وكما أن ثمة فرقا بين رجال الإسناد والمعتزلة، فثمة فرق بين الأشعرية وجهم بن صفوان، وإن كان الأشعرية أنفسهم قد صرحوا بأن قولهم هذا جبر، ولكنهم قالوا: جبر متوسط.

فالمقصود: أن هذا القول حقيقته أنه جبر.

وقد تقلد هذا القول بعض الفقهاء من أصحاب الشافعي وأصحاب مالك الذين تأثروا بمذهب أبي الحسن الأشعري في مسألة القدر، فقول الأشعري في القدر هو قول منغلق، ومادته في نفس الأمر هي مادة جبرية، وإن كان حرفه من الأحرف القرآنية.

فهذه هي الطوائف المخالفة للسلف في باب القضاء والقدر.." (١)

"وقال: ﴿ذو القوة﴾ [الذاريات: ٥٨]، وقال: ﴿ذو الرحمة﴾ [الكهف: ٥٨]، وفي ذلك دلالة على أن أسماء الرب مشتقة من صفاته. بمعنى أنها ملاقية لمصادرها في **اللفظ والمعنى** لا أنها متولدة منها تولد الفرع من أصله، بحيث يسوغ إثبات ما لم يرد من الأسماء اشتقاقا من صفات الرب وأفعاله. فالعليم مشتق من العلم، والقوي من القوة، والرحيم من الرحمة، ولولا ثبوت مصادر ما ورد من الأسماء الحسنى لانتفت حقيقتها، بل لانتفت حقيقة الذات، لأنه لا يمكن في الوجود الخارجي وجود ذات بلا صفات، إذ قيام الصفات بالذات مقتضى الذاتية لا يختلف شاهدا ولا غائبا! (١).

وقد اعتبر علماء السلف إنكار حقائق الأسماء الحسنى ومعانيها من أعظم أنواع الإلحاد فيها، ورأوا فيه مخالفة ظاهرة لما هو معلوم من الدين بالضرورة، إذ لو كانت أعلاما جامدة لكفى أحدها في الدلالة على الذات، واعتبر سائرها لغوا لا فائدة منه، ولما شرع في التوسل مراعاة الأسماء المناسبة للأدعية، ولجاز أن يسمى الله بما اتفق من الأسماء حتى لو تضمن نقصا! (٢).

ثالثا: التنزيه عن النقص النسبي:

ثبوت المثل الأعلى والكمال المطلق يعني تنزيه الرب عن

---

(١) شرح الواسطية - يوسف الغفيص يوسف الغفيص ١٣/١٨

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ٦/ ٩٥ – ١٠٥، شفاء العليل لابن القيم ص٤٤٨، شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص١٦.

(٢) انظر: شرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية ص٧٦، ٧٧، بدائع الفوائد لابن القيم ١/ ١٦٩، ابن حزم وموقفه من الإلهيات للدكتور أحمد الحمد ص١٨٨ – ٢٠٣.." (١)

"وقد أوضح رحمه الله أن معارضة القرآن بمعقول أو قياس ليس من فعل السلف. ولم يكونوا يستحلونه، وإنما ابتدع ذلك لما ظهرت الجهمية والمعتزلة ونحوهم (١) .

ويحيل رحمه الله وجود تعارض بين النص الصحيح، والعقل الصريح؛ لأن هذا لا يمكن، فالنص الصحيح موافق للعقل الصريح، وكذلك العكس، يقول رحمه الله (وهذه حال المؤمنين للرسول، الذين علموا أنه رسول الله الصادق فيما يخبر به، يعلمون من حيث الجملة أن ما ناقض خبره فهو باطل، وأنه لا يجوز أن يعارض خبره دليل صحيح لا عقلي ولا سمعي) (٢) ، وقد فصل رحمه الله هذا الموضوع في درء تعارض العقل والنقل، وبيان تلبيس الجهمية، وكثير من كتبه الأخرى.

٤ – الأخذ في أبواب الاعتقاد بظواهر النصوص. والمراد بالظاهر هو: ما يتعرف إليه الذهن من المعاني على معناها الظاهر، وأنه ليس لها معنى باطن يخالف ظاهرها، وقد نبه شيخ الإسلام رحمه الله إلى أن بعض النفاة يستخدمون الألفاظ المعروفة في غير معانيها، فيصرفونها عن حقيقتها، ومن هذه الألفاظ لفظة: (الظاهر) فيجعلون ظواهر النصوص غير مرادة؛ لأنها تقتضي – بزعمهم – التجسيم والتشبيه، وبين خطأهم في **اللفظ والمعنى** (٣) .

قال رحمه الله: (ومن قال: إن ظاهر شيء من أسمائه وصفاته غير مراد فقد أخطأ؛ لأنه ما من اسم يسمى الله تعالى به إلا والظاهر الذي يستحقه المخلوق غير مراد به، فكأن قول هذا القائل يقتضي أن يكون جميع أسمائه وصفاته قد أريد بها ما يخالف ظاهرها، ولا يخفى ما في هذا الكلام من الفساد) (٤) .

---

(١) انظر: الاستقامة ١/٢٣.

(٢) درء تعارض العقل والنقل ٥/٢٥٥.

(٣) انظر: الفتوى الحموية الكبرى ص١٠٦ – ١١٠، مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٣/١٧٥.

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية ٦/٣٥٧.." (٢)

"وقال أحمد (ت – ٢٤١هـ) رحمه الله: (لا يفلح صاحب كلام أبدا، ولا تكاد ترى أحدا نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل (١) (٢) .

وقال – أيضا –: (علماء الكلام زنادقة) (٣) .

وأما موقف ابن تيمية – رحمه الله تعالى – من الألفاظ المجملة المبتدعة التي أطلقها أهل الكلام، وجعلوها من الاعتقاد،

---

(١) حقيقة المثل الأعلى وآثاره عيسى السعدي ص/٢٥

(٢) دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية – عرض ونقد عبد الله بن صالح الغصن ص/٥٥

وبيان موقف السلف منها في مجموع كلام ابن تيمية رحمه الله فيمكن إجماله في الملحوظات التالية:

١ – كان السلف يتحرون في إطلاق الألفاظ على الله عز وجل، فلا يطلقون إلا الألفاظ الشرعية، ويحرصون على اجتماع الحسن بين **اللفظ والمعنى**، ولا يلجؤون إلى المعنى الحسن، ليعبروا عنه بأفضل الألفاظ التي لم ترد في الكتاب والسنة، إلا إذا لم يهتدوا إلى لفظ مناسب موجود في الكتاب أو في السنة (٤) .

٢ – حين يرد السلف على النفاة: يردون على ألفاظهم القريبة من الإثبات، ويبطلونها، فيكون ذلك رد من باب أولى على ألفاظهم الموغلة في النفي، البعيدة عن الحق، قال رحمه الله: (إن السلف والأئمة كانوا يردون من أقوال النفاة ما هو أقرب إلى الإثبات، فيكون ردهم لما هو أقرب إلى النفي بطريق الأولى) (٥) .

٣ – نهى السلف عن إطلاق الألفاظ الكلامية، فذكر رحمه الله أقسام مثبتة

---

(١) الدغل: هو الفساد، انظر: لسان العرب لابن منظور ٢٤٤/١١ مادة (دغل) .

(٢) انظر: جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٩٥/٢.

(٣) انظر: تلبيس إبليس لابن الجوزي ص٨٣، وانظر في ذم الكلام: ذم الكلام للهروي، تحريم النظر في كتب الكلام لابن قدامة، صون المنطق والكلام عن علم الكلام للسيوطي.

(٤) انظر: منهاج السنة النبوية ٤٢٢/١، درء تعارض العقل والنقل ٢٧١/١، شرح حديث النزول ص٢٥٦.

(٥) درء تعارض العقل والنقل ١٨١/٦.." [١]

"بين النبي صلى الله عليه وسلم العلة في ذلك فقال:"كلكم عبيد الله، فنهى عن التطاول في اللفظ" ١٠

وقال ابن القيم:"إن النبي صلى الله عليه وسلم نهى الرجل أن يقول لغلامه وجاريته: عبدي وأمتي، ولكن يقول: فتاي وفتاتي، ونهى أن يقول لغلامه: وضيء ربك، أطعم ربك سدا لذريعة الشرك في **اللفظ والمعنى**، وإن كان الرب ههنا هو المالك كرب الدار، ورب الإبل، فعدل عن لفظ العبد والأمة إلى لفظ الفتى والفتاة، ومنع من إطلاق لفظ الرب على السيد حماية لجانب التوحيد وسدا لذريعة الشرك" ٢٠

وقال عبد الرحمن بن حسن:"هذه الألفاظ المنهي عنها، وإن كانت تطلق لغة، فالنبي صلى الله عليه وسلم نهى عنها تحقيقا للتوحيد، وسدا لذرائع الشرك لما فيها من التشريك في اللفظ، لأن الله تعالى هو رب العباد جميعهم، فإذا أطلق على غيره شاركه في الاسم فينهى عنه لذلك، وإن لم يقصد بذلك التشريك في الربوبية التي هي وصف الله تعالى...، فالنهى عنه حسما لمادة التشريك بين الخالق والمخلوق، وتحقيقا للتوحيد، وبعدا عن الشرك حتى في اللفظ، وهذا من أحسن مقاصد الشريعة لما فيه من تعظيم الرب تعالى، وبعده عن مشابهة المخلوقين، فأرشدهم صلى الله عليه وسلم إلى ما يقوم مقام هذه الألفاظ، وهو قوله: "سيدي ومولاي" وكذا قوله: "ولا يقل أحدكم عبدي وأمتي"، لأن العبيد عبيد الله والإماء إماء الله. قال الله تعالى: ﴿إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا﴾ ٣، ففي إطلاق هاتين الكلمتين على غير الله

---

(١) دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية – عرض ونقد عبد الله بن صالح الغصن ص/١٩٢

تشريك في اللفظ، فنهاهم عن ذلك تعظيما لله تعالى وأدبا وبعدا عن الشرك وتحقيقا للتوحيد، وأرشدهم إلى أن يقولوا: "فتاي وفتاتي وغلامي"، وهنا من باب حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد، فقد بلغ صلى الله عليه وسلم أمته كل ما فيه نفع لهم، ونهاهم عن كل ما فيه نقص في الدين، فلا خير إلا دلهم

---

١ شرح النووي على مسلم جـ١٥ / ٧.

٢ إعلام الموقعين جـ٣ / ١٦٢، ١٦٣.

٣ مريم / آية: ٩٣.." [(١)]

"ثم ضرب مثالين ليبين مباينة الخالق للمخلوق (الأول في الجنة ونعيمها والثاني في الروح) ، وبين أن نعيم الجنة يباين موجودات الدنيا مع الاتفاق في الأسماء، فمباينة الخالق أولى، وكذلك الروح موصوفة بأنها تذهب وتجيء، ومع ذلك هي مباينة لغيرها من المخلوقات فمباينة الخالق أولى.

ثم ذكر سبع قواعد لمناظرة أهل التعطيل والتفويض:

القاعدة الأولى: أن الله تعالى موصوف بالإثبات خلافا للمعطلة، وموصوف بالنفي خلافا للمشبهة.

القاعدة الثانية: أن ما يضاف إلى الله منه ما هو ثابت في الكتاب والسنة فيثبت لله، ومنه ما لم يرد فيهما فلفظه غير مقبول، وأما المعنى فيستفصل عنه ويتوقف في لفظه، فإن كان حقا قبل وإلا رد **اللفظ والمعنى**.

القاعدة الثالثة: في بيان معنى ظاهر النصوص، وهل هو مراد أم لا؟.

القاعدة الرابعة: ومحورها يدور على ما يترتب من التوهم في صفات الله عند المعطلة فمن يتوهم التشبيه ثم ينفي الصفات يقع في محاذير أربعة:

أ. تعطيل النصوص، ب. وتعطيل الله عن صفاته، ج. ثم تشبيه الله بخلقه، د. ووصفه بما لا يليق به سبحانه.

القاعدة الخامسة: في بيان أن ما وصف الله به نفسه معلوم المعنى دون الكيف.

القاعدة السادسة: في بيان الضابط السديد في باب الأسماء والصفات وهو إثبات ما أثبته الله لنفسه ونفي ما نفاه عن نفسه، وما لا دليل على نفيه وإثباته يتوقف فيه وكل كمال لا نقص فيه فالله أولى به، وكل نقص فالله منزه عنه.

القاعدة السابعة: تدور على أن ما جاءت به الأدلة في هذا الباب تعرف عن طريق العقل كذلك، إذ العقل الصريح لا يعارض النقل الصحيح، وبهذه القاعدة ختم شيخ الإسلام هذه القواعد المباركة.

ونظرا لأهمية الرسالة التدمرية، وما فيه من أصول وردود على أهل." [(٢)]

"١ . ضرب المثل بالعلامة اللغوية بين ما في الدنيا وما في الآخرة، والذي بفهمنا لهذه العلامة المشتركة بينهما يحصل في نفوسنا الرغبة والرهبة كما في الآخرة، وفرع على ذلك الخلاف بين أهل السنة والجماعة وبين أهل البدع في إثبات حقائق

---

(١) سد الذرائع في مسائل العقيدة عبد الله الجنيدي ص/٢١٤

(٢) شرح الرسالة التدمرية محمد بن عبد الرحمن الخميس ص/٧

اليوم الآخر، وكيف أن إنكار هذا النوع من المعاني أدى بهم إلى الإنكار لبعض حقائق اليوم الآخر.

٢ ـ وضرب المثل بالروح، وذلك لأن كل واحد منا فيه روح، وهذه الروح موصوفة بالصفات، وموصوفة بأنها تذهب وتجيء، ومع ذلك هي مباينة لغيرها من المخلوقات، فمباينة الخالق أولى.

سابعا ـ ذكر شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ سبع قواعد لمناظرة أهل التعطيل والتفويض هي:

القاعدة الأولى: أن الله تعالى موصوف بالإثبات خلافا للمعطلة، وموصوف بالنفي خلافا للمشبهة الممثلة.

القاعدة الثانية: أن ما يضاف إلى الله؛ منه ما هو ثابت في الكتاب والسنة فيثبت لله، ومنه ما لم يرد فيهما؛ فيستفصل عن المعنى، فإن كان حقا قبل وإلا رد **المعنى واللفظ**.

القاعدة الثالثة: في بيان ظاهر النصوص وهل هو مراد أم لا؟

القاعدة الرابعة: ومحورها يدور على ما يترتب من التوهم في صفات الله عند المعطلة فمن يتوهم التشبيه ثم ينفي الصفات يقع في محاذير أربعة:

١ ـ تعطيل النصوص.

٢ ـ وتعطيل الله عن صفاته.

٣ ـ ثم تشبيه الله بخلقه.

٤ ـ ووصفه بما لا يليق به سبحانه.

القاعدة الخامسة: في بيان أن ما وصف الله به نفسه معلوم المعنى دون الكيف.." (١)

"الحادث: معنى الحادث هو المخلوق.

الممكن: ما استوى وجوده وعدمه.

الواجب: ما كان وجوده ضروريا، فالله سبحانه واجب الوجود.

الممتنع: هو ما كان عدمه ضروريا كوجود خالقين مثلا، أو الشريك لله فإنه لا يمكن أن يكون لله شريكا.

الاسم المطلق: وهو الاسم العام الذي لا تقييد فيه، فمن هذه الناحية: يشترك وجود الله تعالى والخلق في الوجود المطلق العام، لأنه مفهوم عام مطلق غير مقيد.

لكن إذا قيل الوجود بإضافته إلى الله تعالى صار فيه تخصيص، وكذا إذا أضيف الوجود إلى المخلوق صار فيه تخصيص، لأن كل صفة تناسب موصوفها فوجود الله تعالى غير وجود الخلق.

تماثلها: هو كون الشيئين متساويين متشابهين من كل وجه.

اتفاقهما: الاتفاق: هو كون الشيئين متفقين في **اللفظ والمعنى**.

الإضافة: ضم الشيء إلى الشيء للتخصيص والتعريف.

التقييد: الوصف بأمر زائد عن الحقيقة.

---

(١) شرح الرسالة التدمرية محمد بن عبد الرحمن الخميس ص/٣٨

التخصيص: هو قصر المعنى العام على بعض أفراده.

عناصر الموضوع:

١ . الرد على المعطلة إجمالا:

بعد أن بين شيخ الإسلام أصول فرق المعطلة، بدأ بإبطال تلك المذاهب فبدأ هنا بالرد الإجمالي ثم سيفصل الرد عليهم عند كلامه عند الأصلين والرد الإجمالي مركب من وجهين:

الوجه الأول: في الوجود.

الوجه الثاني: في الاتفاق في الأسماء.

وإليك تفصيل الوجه الأول: هو أن الموجود إما خالق وهو الله، وإما." (١)

"١٨- الأدلة على بطلان مذهب التأويل البدعي:

الأدلة على بطلان مذهب التأويل البدعي كثيرة نورد بعضا منها:

١ . إن ما أثبته السلف رضوان الله عليهم من مسائل العقيدة هو من عند الله والكتاب والسنة قد دلا عليه.

أما المتأولة فلا يملك أحدهم أن يدعي ما نفاه من دلالة النصوص، أو ما أوله عليها من المعاني البعيدة، لا يستطيع أن يقول هذا من عند الله جازما ذللك.

٢ . القول بمذهب التأويل يلزم منه أن يكون الصحابة والسلف بين أمرين، كليهما باطل: إما أن الصحابة لم يفهموا الحق في ذلك وأن ظواهر هذه النصوص باطلة، أو أنهم علموا الحق وفهموه ولكنهم كتموه ولم يقوموا بواجب النصح للمسلمين وكلا الأمرين باطل، لا يصح ولا يستقيم في حق الصحابة وسلف الأئمة. ٣ . حالة المتأولة هذه تجعلهم يخضعون النصوص إلى معطيات العقل والحس، فخرجوا عن حد الاتصاف بالإيمان بالغيب.

٤ . المتأولة يردون النصوص إلى اعتقاداتهم وأصولهم الباطلة وإن كانت واضحة في الحجة والإثبات

٥ . التأويل من أسباب تفرق الأمة وتمزقها والاختلاف في أصول الدين وجعل بعضهم يلعن بعضا، وبعضهم يكفر، وترى طوائف منهم تسفك دماء الآخرين، وتستحل منهم الأنفس والأموال والأعراض.

١٩- المراد بالمحكم والمتشابه في القرآن:

١- الإحكام الذي وصف به جميع القرآن هو الإتقان والجودة في **اللفظ والمعنى**.

٢- الإحكام الذي وصف به بعض القرآن هو الوضوح والظهور وهو كثير في الأخبار والتشابه الذي وصف به بعض القرآن فهو الاشتباه." (٢)

"التواطؤ: اتفاق **اللفظ والمعنى** . نور الشمس ونور القمر.

التباين: اختلاف **اللفظ والمعنى** مثل السماء والأرض.

---

(١) شرح الرسالة التدمرية محمد بن عبد الرحمن الخميس ص/١١٥

(٢) شرح الرسالة التدمرية محمد بن عبد الرحمن الخميس ص/٢٨٣

س٢٢ . وصف الله القرآن كله بأنه محكم ووصفه بأنه متشابه. اذكر دليلا لذلك ووضح التشابه والإحكام وبين هل هناك تعارض؟

ج . وصف القرآن بأنه متشابه فقال الله تعالى: ﴿الله نزل آحسن الحديث كتابا متشابها مثاني﴾ [الزمر: ٢٣] ، ووصفه بأنه محكم حين قال: ﴿منه آيات محكمات﴾ [آل عمران: ٧] وقال: ﴿كتاب أحكمت آياته﴾ [هود: ١١] ، ومعنى أنه محكم أي أنه كلام متقن فصيح يميز بين الحق والباطل من أوامره، وبين الصدق والكذب من أخباره وهذا هو الإحكام العام.

ومعنى كونه متشابها، أي يشبه بعضه بعضا في الكمال والجودة ويصدق بعضه بعضا، وهذا هو التشابه العام وليس في ذلك تعارض بل المراد بإحكامه أنه متقن يصدق بعضه بعضا ولا ينافي بعضه بعضا فيكون متشابها أي يشبه بعضه بعضا في الصدق والإعجاز.

س٢٣. قال تعالى: ﴿هو الذي آنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات﴾ [آل عمران: ٧] ، ما المراد بالإحكام والتشابه هنا؟ مع تعريف التشابه والإحكام الخاص، وما منشأ التشابه وهل هو متشابه على كل الناس أم ماذا؟

ج . المراد بالإحكام والتشابه في هذه الآية هو الإحكام والتشابه الخاصان، والمتشابه الخاص هو خفاء المعنى وغموضه وهو مشابهته لغيره من وجه مع مخالفته له من وجه آخر بحيث يشتبه على بعض الناس أنه هو وليس كذلك، ومنشؤه وجود قدر مشترك بين الشيئين مع وجود الفاصل بينهما الذي قد يهتدى إليه وقد لا يهتدى إليه.

والإحكام الخاص: ظهور المعنى ووضوحه وهو الفاصل بين الشيئين مع وجود الفاصل بين الشيئين." (١)

"معاني الكلمات:

ضابط: ضبط الشيء أي حفظه بالجزم.

في هذا الباب: أي باب الصفات.

نفي التشبيه: أي نفي التشبيه بدون إثبات كمال الضد وإثبات الصفات الواردة في الكتاب والسنة.

الأسماء المتواطئة: التواطؤ: اتفاق **اللفظ والمعنى**.

قدر الاشتراك: هو المعنى العام.

عناصر الموضوع:

١ . موضوع القاعدة السادسة:

أ. هو الضابط الذي يعرف به ما يجوز على الله سبحانه وتعالى وما لا يجوز.

ب . بيان خطأ طريقة في النفي والتنزيه.

٢ . على من يرد شيخ الإسلام بالقاعدة السادسة:

يرد شيخ الإسلام بالقاعدة بين شيخ الإسلام أن الصفات معلومة لنا باعتبار المعنى مجهولة لنا باعتبار الكيفية والحقيقة،

---

(١) شرح الرسالة التدمرية محمد بن عبد الرحمن الخميس ص/٣٠٣

فناسب بعد ذلك أن يضع ضابطا إثبات الصفات اللائقة بالله والضابط في نفي الصفات، وبيان خطأ من خالف هاتين الطريقتين من المعطلة.

٣ . الصلة بين القاعدتين الخامسة والسادسة:

في القاعدة الخامسة بين شيخ الإسلام أن الصفات معلومة لنا باعتبار المعنى مجهولة لنا باعتبار الكيفية والحقيقة، فناسب بعد ذلك أن يضع ضابطا لإثبات الصفات اللائقة بالله والضابط في نفي الصفات، وبيان خطأ من خالف هاتين الطريقتين من المعطلة.

٤ . شرح القاعدة السادسة:

صفات الله تعالى دائرة بين النفي والإثبات، فتثبت لله جميع ما وصف به نفسه، أو وصف به رسوله عليه السلام، وينفي ما نفاه الله عن نفسه، وما نفاه عنه رسوله عليه السلام كما قال تعالى: ﴿ليس كمثله شيء وهو." (١)

"شيء﴾ [الشورى: ١١] وهذه طريقة أهل السنة المنزهة عن التناقض والاضطرب.

٥. الوليد بن أبان الكرابيس أحد أئمة الكلام، قال لبنيه عند وفاته: (تعلمون أحدا أعلم بالكلام مني؟ قالوا: لا قال: فتتهموني؟ قالوا: لا، قال: فإني أوصيكم أتقبلون؟ قالوا: نعم. قال: عليكم بما عليه أصحاب الحديث فإني رأيت الحق معهم) . وشهادات المتكلمين على أنفسهم بالشك والاضطراب أكثر من أن تحصى.

س٩ . ما القول الحق في المسائل التالية:

أ. وجود الرب هل هو عين ماهيته، أو زائد عنها؟

ب . لفظ الوجود هل هو من قبيل المشترك اللفظي، أم المتواطئ، أم المشكك؟

ج . إثبات الأحوال؟

د . هل المعدوم شيء أم لا؟

هـ . هل وجود الموجودات عين ماهيتها أم لا؟

ج . هذه المسائل من المسائل التي وقع فيها اضطراب المتكلمين بسبب الاضطراب في الاشتراك والقول الحق فيها ما يلي:

أ. أن وجود الموجودات هو عين ماهيتها . خصائصها الذاتية . أو حقيقتها في الخارج، لكنه زائد عن ماهيتها في الذهن، فإنه في الذهن يكون عاما كليا وفي الخارج يزيد بتقييدات وتخصيصات هي عين حقيقته الخارجية الزائد عما في الذهن.

ب . القول الصحيح فيها هو أن الوجود متواطئ؛ أي متحد لفظا ومعنى والفرق بين التواطؤ اتفاق في **اللفظ والمعنى** مع الاتحاد في المعنى الكلي، كلفظ (الإنسان) فإن زيدا وعمرا متفقان في الإنسانية ولا يتفاوتان فيها. أما التشكيك: فهو اتفاق في **اللفظ والمعنى** أيضا، ولكن مع التفاوت في المعنى الكلي مثل البياض فإن الثلج والإنسان متفقان في البياض مع التفاوت بين بياض كل منهما.." (٢)

---

(١) شرح الرسالة التدمرية محمد بن عبد الرحمن الخميس ص/٣٢٠

(٢) شرح الرسالة التدمرية محمد بن عبد الرحمن الخميس ص/٣٣٠

"عليه من المعاني وهي بالاعتبار الأول (١) مترادفة (٢) لدلالتها على مسمى واحد وهو الله عز وجل وبالاعتبار الثاني (٣) متباينة (٤) لدلالة كل واحد منهما على معناه الخاص ف " الحي العليم القدير السميع البصير الرحمن الرحيم العزيز الحكيم "كلها أسماء لمسمى واحد وهو الله سبحانه وتعالى لكن معنى الحي غير معنى العليم غير معنى القدير وهكذا (٥) وإنما قلنا بأنها أعلام وأوصاف لدلالة القرآن عليه (٦) كما في قوله تعالى (وهو الغفور الرحيم) [الأحقاف:٨]

---

(١) أي باعتبار دلالتها على الذات فإنها مترادفة لأن العليم بمعنى السميع بمعنى البصير وهكذا لدلالته على مسمى واحد

(٢) الترادف هو الألفاظ الكثيرة لمعنى واحد مثل: أسد وليث، وقمح وبر وحنطة وهكذا

انظر شرح تنقيح الفصول للقرافي ص ٣١ وشرح المنهاج للجاربردي (٣٠٦/١) وشرح مختصر ابن الحاجب للأصفهاني (١٧٥/١)

(٣) أي باعتبار ما تدل عليه من المعاني فإنها متباينة لأن السمع غير البصر وهكذا

قال في مراقي السعود:

اللفظ والمعنى إذا تعددا ... معا تباين كراح واغتدا

انظر شرح الولاتي على المراقي ص٢٤وانظر شرح النونية لابن عيسى (٢٥٢/٢)

(٤) التباين هو الاختلاف بين الألفاظ باعتبار تعدد معناها.

مثل: حديد، كتاب، سماء، سيف

انظر توضيح المنطق للمدلوح ص٣٠

وقال في مراقي السعود المطبوع مع شرح الولاتي ص٢٦:

وما يرى لنوع ذا يخالف ... كالبر والقمح هو المرادف

وليس منه ما به لمقصد ... زيادة كالسيف والمهند

(٥) يقول الإمام ابن القيم في كتاب الأسماء الحسنى الذي جمعه يوسف بن علي ص ٢٥٥:

اختلف النظار في هذه الأسماء: هل هي متباينة نظرا إلى تباين معانيها وأن كل اسم يدل على معنى غير ما يدل الآخر أم هي مترادفة لأنها تدل على ذات واحدة فمدلولها لا تعدد فيه وهذا شأن المترادفات؟ والنزاع لفظي في ذلك.

والتحقيق أن يقال: هي مترادفة بالنظر إلى الذات متباينة بالنظر إلى الصفات وكل اسم منها يدل على الذات الموصوفة بتلك الصفة بالمطابقة وعلى أحدهما وحده بالتضمن وعلى الصفة الأخرى بالالتزام.

وانظر التدمرية لشيخ الإسلام وشرحها لفالح آل مهدي ص٢٢٦

(٦) ذكر المؤلف الأدلة على أن أسماء الله أعلام وأوصاف من القرآن ولإجماع أهل اللغة = = والعرف وسيأتي للمسألة مزيد

من التفصيل في الملحق.

انظر تمهيد الأوائل للباقلاني ص ٢٢٨ وتبصرة الأدلة في أصول الدين لأبي المعين النسفي (٢٠١/١إلى ٢٠٩)." [١]

"يدل على جزء المعنى (١)

ودلالة المطابقة هي الدلالة الأصلية في الألفاظ التي لأجلها مباشرة وضعت لمعانيها (٢)

ومن أمثلة دلالة المطابقة: دلالة الرجل على الإنسان الذكر، والمرأة على الإنسان الأنثى (٣)

وسميت بالمطابقة لمطابقته أي موافقة المعنى للفظ من قولهم: طابق النعل النعل إذا توافقا (٤)

والمراد من تطابق **اللفظ والمعنى** هو عدم زيادة اللفظ على المعنى حتى يكون مستدركا أو عدم زيادة المعنى على اللفظ حتى يكون قاصرا (٥)

وقد عبر المناطقة عن دلالة المطابقة بأنها ما تدل على تمام المعنى ولم يعبروا بجميع المعنى لأن لفظ الجميع يشعر بالتركيب فيلزم تخصيص المطابقة بالمركب مع أنها عامة في المركب والمفرد كالنقطة (٦)

الثاني: دلالة التضمن: هي دلالة اللفظ الوضعية على جزء مسماه (٧) أو هي دلالة اللفظ الوضعية على جزء المعنى الموضوع له (٨) كدلالة الإنسان على الحيوان أو الناطق (٩) ، وكدلالة لفظ الكتاب على الورق وحده

---

(١) حاشية العطار على شرح الخبيصي ص٥٠، وحاشية البناني على شرح المحلى على جمع الجوامع (٢٣٧/١)

(٢) المنطق لمحمد المظفر ص ٣٧

(٣) مذكرة الشنقيطي ص١٣

(٤) شرح الملوي مع حاشية الصبان ص ٥٢

(٥) حاشية العطار على شرح الخبيصي ص ٥٠

(٦) حاشية العطار على شرح الخبيصي ص ٥٠

(٧) شرح الكوكب المنير لابن النجار (١٢٦/١) .

(٨) المنطق لمحمد المظفر ص٣٨.

(٩) شرح الخبيصي على التهذيب (٨٨/١) .." [٢]

"(ذو الجلال والإكرام) اسم من أسماء الله الحسنى وهو تعظيم لله عن كل شيء وتنزيه له وقد قرأت لسماحتكم رسالة مرسلة إلى العاهل السعودي وكنتم قد بدأتموها بقولكم " جلالة الملك " ألستم معي في أن الجلالة لله وحده وأن الملك اسم من أسمائه الحسنى لا يجوز تسمية شخص بها أيا كانت صفته وشخصيته فنرجو إيضاح ذلك من سماحتكم حتى لا يقع المسلمون في إثم من جراء تنزيه الأشخاص بهذه الصفات التي اختصها الله لنفسه دون غيره اللهم إلا " رؤوف رحيم " صفة

---

(١) المجلى في شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى كَامِلَةُ الكَوارِي ص/٦٢

(٢) المجلى في شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى كَامِلَةُ الكَوارِي ص/١٠٣

لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وفي نفس الوقت تصادفت تحت يدي وأنا أتصفح في المجلة العربية في العدد (٨٩) منها رسالة شكر من الأستاذ / محمد النويصر رئيس المكتب الخاص للعاهل السعودي إلى القائمين على إخراج المجلة وهو يبدأ رسالته بقوله: (لقد تسلم جلالة مولاي حفظه الله خطابكم المرسل وبه أعداد المجلة ...)

الجواب:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه ... . وبعد

إن كثيرا من الأسماء مشتركة بين الله تعالى وبين غيره من مخلوقاته في **اللفظ والمعنى** الكلي الذهني فتطلق على الله بمعنى يخصه تعالى ويليق بجلاله سبحانه وتطلق على المخلوق بمعنى يخصه ويليق به، فيقال مثلا: الله حليم، وإبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام حليم، وليس حلم إبراهيم كحلم الله، والله رؤوف رحيم ومحمد صلى الله عليه وسلم رؤوف رحيم وليس رأفة محمد صلى الله عليه وسلم ورحمته كرأفة الله بخلقه ورحمته والله تعالى جليل كريم ذو الجلال والإكرام على وجه الإطلاق، وكل نبي كريم جليل، وليست جلالة كل نبي وكرمه كجلالة غيره من الأنبياء وكرمه ولا مثل جلال الله وكرمه بل لكل من الجلالة والكرم ما يخصه والله تعالى حي، وكثير من مخلوقاته حي، وليست حياتهم كحياة الله تعالى، والله سبحانه مولى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وجبريل وصالح المؤمنين وليس ما لجبريل وصالح المؤمنين من ذلك مثل ما لله من الولاية والنصر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ... ..إلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة المذكورة في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم الثابتة عنه، ولا يلزم من." (١)

"ومما تقدم يتضح أن قتل المسلم بالكافر ليس حدا لا تصح الزيادة فيه أو النقص منه، ولذلك عارض جمهور العلماء مسألة القصاص في قتل المسلم بالكافر، للحديث الصحيح في ذلك «وألا يقتل مسلم بكافر» (١) والمرتد عن الإسلام كافر من جنس الكفار، فالذي ينتمي إلى الأحزاب الشيوعية، أو الأحزاب البعثية، أو الأحزاب الاشتراكية، أو المنظمات الماسونية، فإنه كافر ومرتد لخروجه من حزب الله إلى أحزاب الكفر والضلال، ولذلك لو قتل المسلم واحدا ممن ينتمون إلى تلك الأحزاب الكافرة، فإنه لا يعاقب باعتباره قاتلا عمدا سواء قتل المرتد قبل الاستتابة أو بعدها، لأن كل جناية على المرتد هدرا ما دام باقيا على ردته (٢).

ولكن للأسف الشديد ونظرا لغياب الحكومة الإسلامية الحقة فإن المسلم اليوم لو قتل جاسوسا من جواسيس اليهود والنصارى أو راهبا من رهبانهم الذين ينشرون الفساد والإلحاد في بلاد الإسلام لأخذته السلطات الدخيلة على الإسلام والمسلمين، بالنواصي والأقدام، ولقتلته بهذا الكافر المحارب لله ورسوله والمؤمنين، وكذلك الشأن لو قتل المسلم شيوعيا ينكر وجود الله ثم اقتيد إلى إحدى المحاكم التي يتربع على مقاعدها بعض القضاة الذين لا هم لهم إلا التكسب والأجر الزهيد، لحاولوا بشتى الوسائل وبالشاذ من الأقوال أن يحققوا رغبة الحاكم في قتل المسلم بالكافر المرتد عن الإسلام، وهذا ليس من قبيل الادعاء والتجني، بل هو الواقع، فعندما قتل أحد دعاة الشيوعية بالمغرب بأيدي مجهولة، عمدت السلطة إلى إلصاق

(١) المجلى في شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى كَامِلَةُ الكَوارِي ص/١٥٤

التهمة بالمخلصين من المسلمين، وأجرت لهم، أو للبعض منهم محاكمات صورية كان من نتائج ذلك الحكم بالسجن المؤبد على بعضهم والبعض

---

(١) رواه البخاري، انظر فتح الباري ج١٢ ص٢٦١ وصححه كذلك بعد تنقيح جميع طرقه، وتخريج الأحاديث المعارضة له في اللفظ والمعنى الشيخ ناصر الدين الألباني، حيث يرى وجوب العمل به وضعف ما ذهب إليه الحنفية من جواز قتل المسلم بالكافر بعد تضعيفه لجميع الروايات التي يحتجون بها. انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة ج١ ص٤٧٣ - ٤٧٦.

(٢) انظر التشريع الجنائي الإسلامي/ عبد القادر عودة ج١ ص٥٣٤ - ٥٣٥.." [١]

"الخاتمة

لقد اتضح لي مما أجملناه في نتائج ما سبق من مباحث هذه الرسالة أن «الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية» ترتكز على أساس ما دل عليه القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وكلاهما وحي من الله تعالى: الأول باللفظ والمعنى والثاني بالمعنى دون اللفظ.

وقد طبق هذا الأصل العظيم من أصول الإسلام في صدر هذه الأمة عندما كانت هذه الأمة جادة في إسلامها مخلصة في انتمائها للإسلام والمسلمين.

لقد كان المسلمون في الصدر الأول كالجسد الواحد في آلامهم وآمالهم، عندهم كانت شجرة الإيمان باسقة الأغصان ندية الأوراق مزهرة مثمرة، تستقي من النبع الصافي كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم -، ولكن ذلك لم يدم طويلا، حيث قد تخبثت النفوس بانصرافها إلى التزود من المصادر الكدرة، والمستنقعات العكرة الآسنة، فجفت الأوراق وذبلت الأغصان وتداعى كيان الأمة الإسلامية، وكان أول شرخ أصاب الأمة في مقتلها هو." [٢]

"(والله سبحانه وتعالى عندما يبعث الناس لا يسألهم عن العلوم الحسية والبدهية، والمنطق، والطبيعي، والجوهر والعرض - بل يسألهم عن استجابتهم للرسل أو عدمها

﴿كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير ﴿٨﴾ قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير ﴿٩﴾ وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير ﴿١٠﴾ فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير ﴾ [سورة الملك ٨-١١] . (١)

ووحدانية الخالق التي هي غاية علم الكلام: لم تنفع المشركين الذين حاربهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنهم كانوا يقرون بها كما أخبر الله عنهم:

﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ [سورة لقمان:٢٥] .

(٣) قوة التأثير: الذي هو طابع العقيدة الربانية: مما يجعل لها سلطانا قويا على نفوس معتنقيها. بعكس الفلسفة والكلام

---

(١) الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية محماس الجلعود ٢/٨٣٧

(٢) الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية محماس الجلعود ٢/٩٣١

اللذين يدلان على جهل أصحابها كما قال أحدهم – وهو سقراط – (الشيء الذي لا أزال أعلمه جيدا هو أنني لست أعلم شيئا) (٢) .

(٤) الأسلوب: فالعقيدة الربانية تخاطب الكينونة الإنسانية بأسلوبها الخاص، وهو أسلوب يمتاز بالحيوية والإيقاع. واللمسة المباشرة والإيحاء بالحقائق الكبيرة، مع بساطة في العرض ووضوح في البيان وإعجاز في **اللفظ والمعنى**.

---

(١) "العقيدة في الله " للأشقر (ص٣١)

(٢) المصدر السابق (ص٣٢) .." [1]

"أنواع الدلالة اللفظية الوضعية

يرد في كتب العقائد مصطلح الدلالات اللفظية الوضعية، وهي ثلاثة أنواع:

١ــ دلالة المطابقة، وتسمى الدلالة المطابقية: وتعرف بأنها:

-دلالة اللفظ على جميع معناه.

-أو هي: تفسير اللفظ بجميع مدلوله.

-أو هي: دلالته على تمام ما وضع له من حيث إنه وضع له.

وسميت بذلك؛ لتطابق **اللفظ والمعنى**، وتوافقهما في الدلالة.

٢ــ الدلالة التضمنية، أو دلالة التضمن: وهي تفسير اللفظ ببعض مدلوله، أو بجزء معناه.

-أو هي دلالة اللفظ على جزء ما وضع له في ضمن كل المعنى.

وسميت بذلك لأنها عبارة عن فهم جزء من الكل؛ فالجزء داخل ضمن الكل أي في داخله.

٣ــ دلالة التزام، أو الدلالة الالتزامية: وهي الاستدلال باللفظ على غيره.

-أو هي دلالة اللفظ على خارج معناه الذي وضع له.

يقول المناطقة: إن بين الدلالة المطابقية والدلالة التضمنية العموم والخصوص المطلق؛ فإذا وجدت التضمنية وجدت المطابقية دون العكس، أي لا يلزم من وجود المطابقية وجود التضمنية.

أمثلة على ذلك: اسم الخالق يدل على ذات الله، وعلى صفة الخلق بالمطابقة، ويدل على الذات وحدها بالتضمن، وعلى صفة الخلق وحدها." [2]

"في **اللفظ والمعنى**.

أما المشتركة فإنها متفقة اللفظ مختلفة المعنى، وهذا ما يؤكده ابن تيمية بقوله: "الأسماء المتفقة اللفظ قد يكون معناها متفقا وهي المتواطئة، وقد يكون معناها متباينا وهي المشتركة اشتراكا لفظيا كلفظ سهيل المقول على الكوكب، وعلى الرجل"١ .

---

(١) الولاء والبراء في الإسلام محمد بن سعيد القحطاني ص/٩٩

(٢) مصطلحات في كتب العقائد محمد بن إبراهيم الحمد ص/١٥٨

ولزيادة الإيضاح ولأجل أن يميز بين المشترك والمتواطئ فهذان مثالان على ذلك، الأول: العين تطلق على عدة معان مختلفة، فهذا مثال للمشترك، وقد مرت أمثلة عديدة من ذلك.

والمثال الثاني: لفظ الوجود فهو يطلق على وجود الخالق وعلى وجود المخلوق، فمعنى الوجود ـ بمفهومه العام ـ واحد وهو ضد العدم، ولكنه يختلف من جهة إضافته فهذا مثال للمتواطئ.

وبناءا على ذلك يمكن أن يقال: إن المشترك ما اتحد لفظه واختلف معناه، والمتواطئ هو ما اتحد لفظه ومعناه، ولكنه يختلف باختلاف السياق والإضافة.

ثم إن من أنواع المتواطئ المشكك، أو ما يعرف بالمتواطئ المشكك؛ فهو نوع من المتواطئ العام الذي يراعى فيه دلالة اللفظ على القدر المشترك سواء كان المعنى متفاضلا في موارده أو متماثلا ٢.

فإن كان المعنى متساويا في الجميع فهو المتواطئ المطلق، مثل لفظ الإنسان والرجل يدلان على زيد وعمرو.

١ــ مجموع الفتاوى ٢٠/٢٣٤، وانظر الدراسات اللغوية والنحوية ١٦٥ــ١٦٧ ففيها تفصيل جيد.

٢ــ انظر التدمرية ص١٣٠.." (١)

"ويقولون: هذا الرجل مسمى بزيد، ولا يقولون: هذا الرجل اسم زيد!. ويقولون: باسم الله، ولا يقولون بمسمى الله١.

٢- أن الاسم ليس هو المسمى وإن كان قد يراد به المسمى مع أنه في نفسه "اسم" وليس هو المسمى، ولكن يراد به المسمى، وذلك لأن الاسم يتناول **اللفظ والمعنى** المتصور في القلب، وقد يراد به مجرد اللفظ، وقد يراد به مجرد المعنى، فإنه من "الكلام"، والكلام اسم للفظ والمعنى وقد يراد به أحدهما٢، وهذا يعني أن الاسم تارة يراد به المسمى، وتارة يراد به اللفظ الدال عليه.

فإذا قلت: قال الله تعالى، واستوى الله على عرشه، وخلق الله السموات والأرض. فهذا المراد به المسمى نفسه.

وإذا قلت: الله اسم عربي، والرحمن اسم عربي، والرحمن من أسماء الله، والرحمن وزنه فعلان، والرحمن مشتق من الرحمة، فالاسم هنا هو اللفظ الدال على المسمى٣.

٣- أن اسم هذه الألفاظ "ألف- سين- ميم" لا هو المسمى الذي هو الذات، ولا يراد به المسمى الذي هو الذات، ولكن يراد به مسماه الذي هو الاسم، كأسماء الله الحسنى في قوله: ﴿ولله الأسماء الحسنى﴾ ٤٥.

٤- أن التسمية هي النطق بالاسم والتكلم به، وليست هي الاسم نفسه،

---

١ المصدر السابق ١/ ١٧.

٢ مجموع الفتاوى ٦/ ٢١٠،٢٠٩

٣ شفاء العليل ص ٢٧٧

---

(١) مصطلحات في كتب العقائد محمد بن إبراهيم الحمد ص/٢٢١

٤ الآية ١٨٠ من سورة الأعراف

٥ مجموع الفتاوى ٦/ ٢٠١." (١)

"يتبحروا في حقائق العلم بالله، ولم يتفطنوا لدقائق العلم الإلهي١

وهذا القول إذا تدبره الإنسان وجده في غاية الجهالة، بل في غاية الضلالة، فإنه من المعلوم أن الله سبحانه وصف نفسه بأنه بين لعباده غاية البيان، وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم بالبيان، وأخبر أنه أنزل عليه كتابه ليبين للناس ولهذا قال الزهري: "من الله البيان وعلى رسوله البلاغ، وعلينا التسليم" فهذا البيان الذي تكفل به سبحانه وأمر به رسوله، إما أن يكون المراد به بيان اللفظ وحده، أو المعنى وحده، أو **اللفظ والمعنى** جميعا.

ولا يجوز أن يكون المراد به بيان اللفظ دون المعنى، فإن هذا لا فائدة فيه ولا يحصل به مقصود الرسالة.

وبيان المعنى وحده بدون دليله، وهو اللفظ الدال عليه ممتنع.

فعلم قطعا أن المراد بيان **اللفظ والمعنى**.

والله تعالى أنزل كتابه- ألفاظه ومعانيه- وأرسل رسوله ليبين **اللفظ والمعنى**، فكما أنا نقطع ونتيقن أنه بين اللفظ، فكذلك نقطع ونتيقن أنه بين المعنى، بل كانت عنايته ببيان المعنى أشد من عنايته ببيان اللفظ وهذا هو الذي ينبغي، فإن المعنى هو المقصود، وأما اللفظ فوسيلة إليه ودليل عليه، فكيف تكون عنايته بالوسيلة أهم من عنايته بالمقصود؛ وكيف نتيقن بيانه للوسيلة ولا نتيقن بيانه للمقصود؟ وهل هذا إلا من أبين المحال؟ ٢.

ولقد جاءت رسالة النبي صلى الله عليه وسلم بإثبات الصفات إثباتا مفصلا على وجه أزال الشبهة وكشف الغطاء، وحصل العلم اليقيني، ورفع الشك والريب، فثلجت

---

١ مجموع الفتاوى ٨/٥- ١٠ بتصرف.

٢ الصواعق المنزلة ٢/ ٧٣٧، ٧٣٨.." (٢)

"وسموه تأويلا، وهو اصطلاح فاسد حادث لم يعهد به استعمال في اللغة١.

ومن أمثلة تحريف المعنى:

كقول المعطلة في معنى استوى: استولى في قوله: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ ٢.

وفي معنى اليد في قوله تعالى: ﴿بل يداه مبسوطتان﴾ ٣ النعمة والقدرة.

وفي معنى المجيء في قوله تعالى: ﴿وجاء ربك﴾ ٤ وجاء أمر ربك.

وقد ذكر الله التحريف وذمه حيث ذكره، وهو مأخوذ في الأصل عن اليهود، فهم الراسخون فيه، وهم شيوخ المحرفين وسلفهم، فإنهم حرفوا كثيرا من ألفاظ التوراة وما غلبوا عن تحريف لفظه حرفوا معناه، ولهذا وصفوا بالتحريف في القرآن دون

---

(١) معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى محمد بن خليفة التميمي ص/٢٧٥

(٢) معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى محمد بن خليفة التميمي ص/٣٥٨

غيرهم من الأمم.

وقد درج على آثارهم الرافضة، فهم أشبه بهم من القذة بالقذة، وكذلك الجهمية، فإنهم سلكوا في تحريف النصوص مسالك إخوانهم في اليهود٥.

وأصحاب تحريف الألفاظ شر من أصحاب تحريف المعنى من وجه.

وأصحاب تحريف المعنى شر من أصحاب تحريف اللفظ من وجه.

فأصحاب تحريف اللفظ عدلوا **باللفظ والمعنى** جميعا عما هما عليه فأفسدوا **اللفظ والمعنى**، بينما أصحاب تحريف المعنى أفسدوا المعنى وتركوا اللفظ على حاله فكانوا خيرا من أولئك من هذا الوجه.

---

١ مختصر الصواعق ١٤٧/٢

٢ الآية ٥ من سورة طه

٣ الآية ٦٤ من سورة المائدة

٤ الآية ٢٢ من سورة الفجر

٥ الصواعق المرسلة ٢١٥/١-٢١٦." (١)

"فأصحاب تحريف اللفظ لما أرادوا المعنى الباطل حرفوا له لفظا يصلح له لئلا يتنافر **اللفظ والمعنى**، بحيث إذا أطلق ذلك اللفظ المحرف فهم منه المعنى المحرف، فإنهم رأوا أن العدول بالمعنى عن وجهه وحقيقته مع بقاء اللفظ على حاله مما لا سبيل إليه، فبدأوا بتحريف اللفظ ليستقيم لهم حكمهم على المعنى الذي قصدوا١.

وأما كون أصحاب تحريف المعنى شرا من أصحاب تحريف اللفظ من وجه، فلأن تحريف المعنى هو الأكثر استعمالا عند أصحاب التحريف، ولأنه أسهل رواجا وسوقا عند الجهلة والعوام من الناس، فيفتتن به من ليس لديه زاد من العلم الصحيح المعتمد على الكتاب والسنة وفهم سلف الأمة.

ب- معنى التعطيل:

التعطيل لغة: مأخوذ من "العطل": الذي هو الخلو والفراغ والترك، ومنه قوله تعالى: ﴿وبئر معطلة﴾ ٢ أي أهملها أهلها وتركوا وردها٣.

والتعطيل في جانب الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: تعطيل المصنوع عن صانعه وخالقه، وهو المتمثل فيمن ينكر وجود خالق لهذا الكون، وهو قول الدهرية الملاحدة.

القسم الثاني: تعطيل عبادته عز وجل، أي ما يجب له عز وجل على عباده من حقيقة التوحيد وإفراده بالعبادة، وهو المتمثل في أهل الشرك الذين صرفوا شيئا من العبادة لغير الله عز وجل.

---

(١) معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات محمد بن خليفة التميمي ص/٦١

---

١ مختصر الصواعق ٢/١٤٧، ١٤٨

٢ الآية ٤٥ من سورة الحج

٣ شرح الواسطية ص ٢٠." (١)

"ألفاظه الصحيحة، وما فسرها به الذي تلقوا عنه **اللفظ والمعنى**، ولغتهم التي كانوا يتخاطبون بها، وما حدث من العبارات وتغير من الاصطلاحات " (١) . ومعنى ذلك أنه لابد من ثلاثة أمور:

- معرفة الألفاظ الصحيحة الثابتة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وتمييزها عن الأحاديث والألفاظ الضعيفة والباطلة.

- ثم بمعرفة ما فسرها به الصحابة الذين تلقوا عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ألفاظ النصوص ومعانيها، فهم أعرف الخلق بها.

- ثم ونحن نتلقى ما قالوه في تفسيرهم وشرحهم للنصوص لابد من معرفة اللغة والمصطلحات التي كانوا يتخاطبون، حتى لا تختلط بالمصطلحات الحادثة التي جاءت عند المتأخرين وهي تحمل معاني ودلالات خاصة.

وبهذا الفهم والتدرج في تلقي عقيدة السلف، وتفسيرهم لنصوص الكتاب والسنة، نأمن من الخطأ والزلل في تفسير النصوص، أو تحميل أقوالهم وعباراتهم ملا تتحمله من المعاني الفاسدة.

جـ - ولما كان شيخ الإسلام في مصر - إبان محنته المشهورة - سنة ٧١٢هـ، حصل نزاع بين بعض المغاربة المالكين حول صفات الله والعلو على العرش: هل يجب معرفة هذا والبحث عنه، أو أنه يكره، والقائل به مجسم حشوي، وما الدليل على أنه يجب على الناس أن يعتقدوا إثبات الصفات والعلو على العرش؟ (٢) .

وقد أجاب شيخ الإسلام بجواب عظيم سمي بالقاعدة المراكشية، وهي من القواعد المهمة والنادرة لشيخ الإسلام، وقد بين فيها أن الصحابة والتابعين تلقوا العلم والعمل جميعا، وأنهم كانوا أشد الناس حرصا على تفهم كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - والعمل بهما، وكيف لا يكونون كذلك وأبو عبد الرحمن السلمي

---

(١) نقض التأسيس المطبوع (١/١٥٩) .

(٢) انظر: القاعدة المراكشية (ص: ٢٣-٢٤) ، محققة.." (٢)

"أولا: الأقوال في مسمى "الكلام" و"المتكلم":

والمقصود مسمهما عند الإطلاق، ويلاحظ أن الخلاف في ذلك قد بنت عليه كل طائفة قولها في كلام الله تعالى.

والأقوال في مسمى "الكلام" أربعة:

---

(١) معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات محمد بن خليفة التميمي ص/٦٢

(٢) موقف ابن تيمية من الأشاعرة عبد الرحمن بن صالح المحمود ٢/٧٦٨

١- قيل هو اسم لمجرد الحروف، ومسماه هو اللفظ، وأما المعنى فليس جزء مسماه؛ بل هو مدلول مسماه، وهذا قول المعتزلة وغيرهم، فعندهم أن الكلام اسم للفظ بشرط دلالته على المعنى. ولذلك قالوا في كلام الله إنه مخلوق منفصل عن الله، لأن الكلام هو الألفاظ والحروف، وهذه لا يجوز أن تقوم بالله فجعلوها مخلوقة منفصلة.

٢- وقيل: هو اسم لمجرد المعنى، فمسماه هو المعنى، وإطلاق الكلام على اللفظ والحروف مجاز، لأنه دال عليه، وهذا قول الكلابيةوالأشعرية الذين يقولون إن الكلام هو المعنى المدلول عليه باللفظ. ولقولهم هذا قالوا في كلام الله إنه معنى قائم بالنفس، ليس بحروف ولا أصوات، ثم قالوا عن القرآن المتلو إنه ليس كلام الله، بل هو حكاية أو عبارة عن كلام الله، لأن الكلام عندهم هو المعنى فقط، أما إطلاق اللفظ عليه فمجاز.

٣- وقيل: إن الكلام يطلق على كل من **اللفظ والمعنى** بطريق الاشتراك اللفظي. وهذا قول بعض متأخري الأشعرية لجأوا إليه كمخرج من التناقض الذي وقعوا فيه، ومن هؤلاء الجويني والرازي (١) . ويلاحظ أن التعبير بالمشترك اللفظي لا يقتضي أن يكون بينهما تقارب في المعنى، بل هما بمنزلة المشتري الذي يطلق على الكوكب وعلى المبتاع.

---

(١) هذا هو القول الثاني للأشاعرة بعد القول السابق، وقد ذكر شيخ الإسلام أن للأشاعرة قولا ثالثا يروى عن أبي الحسن وهو: أن اللفظ مجاز في كلام الله حقيقة في كلام الآدميين، لأن حروف الآدميين تقوم بهم، فلا يكون الكلام قائما بغير المتكلم، بخلاف الكلام القرآني فإنه لا يقوم عنده بالله، فيمتنع أ، يكون كلامه. الإيمان (ص:١٦٢) .." (١)

"٤- وقيل: إن الكلام يتناول **اللفظ والمعنى** جميعا، كم يتناول لفظ الإنسان للروح والبدن جميعا، وهذا قول السلف والفقهاء والجمهور الذين يقولون إن الكلام اسم عام لهما جميعا، يتناولها عند الإطلاق وإن كان مع التقييد يراد به هذا تارة، وهذا تارة. ولقول السلف هنا في الكلام قالوا في كلام الله تعالى - من القرآن وغيره مما تكلم به - إنه شامل للفظ والمعنى، وإن القرآن حروفه ومعانيه كلامه الله تعالى (١) .

أما أهم الأقوال في من "المتكلم" فثلاثة:

١- أحدها أن المتكلم من فعل الكلام، ولو كان منفصلا عنه، فعله في غيره. وهذا قول المعتزلة والجهمية. وهؤلاء يقولون: هو صفة فعل منفصل عن الموصوف لا صفة ذات. ولذلك أنكروا صفة الكلام الثابتة لله، وقالوا إن كلام الله مخلوق.

٢- الثاني: أن المتكلم هو من قام به الكلام، ولو لم يكن بفعله، ولا هو بمشيئته وقدرته، وهذا قول الكلابية والأشعرية والسالمية وغيرهم فهؤلاء يقولون: هو صفة ذات لازمة للموصوف لا تتعلق بمشيئته ولا قدرته. ولذلك قالوا في كلام الله إنه المعنى النفسي القائم بالله، وإن الله لا يتكلم إذا شاء متى شاء، بل كلامه أزلي قائم به كحياته وعلمه.

٣- الثالث: أن المتكلم من جمع الوصفين، فقام به الكلام وقدر عليه. فهو من تكلم بفعله ومشيئته وقدرته، وقام به الكلام، وهذا قول السلف وأكثر أهل الحديث وطوائف من المرجئة والكرامية متعلق بمشيئته وقدرته. وهذا مطابق لمذهب السلف في كلام الله (٢) .

---

(١) موقف ابن تيمية من الأشاعرة عبد الرحمن بن صالح المحمود ١٢٥٤/٣

(١) انظر في هذه الأقوال: الإيمان (ص:١٦٢) ط المكتب الإسلامي، ودرء التعارض (٢/٣٢٩، ١٠/٢٢٢) ، والاستقامة (١/٢١١) ، ومسألة الأحرف - مجموع الفتاوى - (١٢/٦٧) ، ومجموع الفتاوى (٦/٥٣٣) .

(٢) انظر: منهاج السنة (٢/٢٩٤) - ط دار العروبة المحققة، ودرء التعارض (١٠/٢٢٢) ، والتسعينية (ص:١٤٦) ، وشرح الأصفهانية (ص:٦٧-٦٩) - ت مخلوف.." [1]

"أحدهما: قولهم إن نصف القرآن من كلام الله، والنصف الآخر ليس كلام الله عندهم، أي أن المعنى كلام الله أما القرآن العربي فليس كلام الله، وإنما خلقه الله في الهواء أو في اللوح المحفوظ، أو أحدثه جبريل، أو محمد - صلى الله عليه وسلم - ومعنى ذلك أنهم في هذا النصف العربي موافقون لمذهب المعتزلة، لكن المعتزلة يقولون هو كلام الله، وهو مخلوق، وهؤلاء يقولون: هو مخلوق وليس كلام الله. وكل منهم وقع في البدعة.

والثاني: قولهم إن القرآن المنزل إلى الأرض ليس هو كلام الله، فما نزل به جبريل من **المعنى واللفظ**، وما بلغه محمد - صلى الله عليه وسلم - لأمته من **المعنى واللفظ** ليس هو كلام الله، لا حروفه ولا معانيه، بل هو مخلوق عندهم، وإنما يقولون: هو عبارة عن كلام الله القائم بالنفس، لأن العبارة لا تشبه المعبر عنه (١) .

هذه خلاصة مذهب الأشاعرة في القرآن، كما عرضها شيخ الإسلام، ولعل تصورها، مع ما سبق من مناقشات لأقوالهم في الكلام النفسي، وفي قولهم إنه معنى واحد - كاف في بيان بطلانها، ومع ذلك فقد رد عليهم شيخ الإسلام، ويمكن بيان مناقشته لهم من خلال ما يلي:

١- لا شك أن قول الأشاعرة في القرآن قد بنوه على أن الكلام عندهم معنى قائم بالنفس، قديم أزلي، لا يتعلق بمشيئة الله وقدرته، وأنه ليس بحرف ولا صوت، لذلك قالوا في هذا القرآن الذي يتلى إنه مخلوق، خلقه الله في الهواء أو في اللوح المحفوظ، أو إنه أحدثه جبريل أو محمد - صلى الله عليه وسلم -، وليس هو كلام الله. ولا شك أن الأساس الذي بنوا عليهم مذهبهم هذا باطل - كما سبق بيانه -:

- فالكلام هو **اللفظ والمعنى**، ولا يسمى كلاما ما دام قائما بالنفس.

- كما أن النصوص دلت على أن الله يتكلم بمشيئته وقدرته، وأن كلامه مثل فعله، وهذا ثابت لله وإن سماه هؤلاء حلولا.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٢/٢٧٢-٢٧٣، ٣٧٦-٣٧٩) .." [2]

"يقولون إنما يعلمه بشر﴾ ، وهم كانوا يقولون إنما يعلمه بشر، ولم يكونوا يقصدون أنه يعلمه معانيه فقط، لقوله بعد ذلك: ﴿لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾ والله تعالى أبطل قول الكفار، لأن لسان الذي يضيفون إليه القرآن أعجمي، والقرآن بلسان عربي مبين (١) .

---

[1] موقف ابن تيمية من الأشاعرة عبد الرحمن بن صالح المحمود ٣/١٢٥٥

[2] موقف ابن تيمية من الأشاعرة عبد الرحمن بن صالح المحمود ٣/١٣٠٠

ومن الأدلة – أيضا – قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الأنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا﴾ (الأنعام: من الآية١١٢) إلى قوله: ﴿أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين﴾ (الأنعام:١١٤) والكتاب اسم للقرآن العربي بالضرورة والاتفاق، وهذا يرد على الكلابية والأشعرية، وقوله: ﴿وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا﴾ يتناول نزول القرآن العربي على كل قول من الأقوال التي تفرق بين كتاب الله وكلام الله، أو بين القرآن (المعنى) ، والقرآن (اللفظ) . لأن الله سمى مجموع **اللفظ والمعنى** كتابا وقرآنا وكلاما (٢) .

والقرآن الكريم يجب أن يعلم فيه أصلان عظيمان:

أحدهما: "أن القرآن له بهذا اللفظ والنظم العربي اختصاص لا يمكن أن يماثله في ذلك شيء أصلا، أعني خاصة في اللفظ، وخاصة فيما دل عليه من المعنى، ولهذا لو فسر القرآن ولو ترجم، فالتفسير والترجمة قد يأتي أصل المعنى أن يقربه، وأما الإتيان بلفظ يبين المعنى كبيان لفظ القرآن فهذا غير ممكن أصلا، ولهذا كان أئمة الدين على أنه لا يقرأ بغير العربية، لا مع القدرة عليها، ولا مع العجز عنها ... ".

الأصل الثاني: أن القرآن إذا ترجم أو قرئ بالترجمة فله معنى يختص به لا يماثله فيه كلام أصلا، ومعناه أشد مباينة لفظه ونظمه لسائر اللفظ والنظم، والإعجاز في معناه أعظم بكثير كثير من الإعجاز في لفظه ... " (٣) . ومعلوم

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٢/١٢٣-١٢٤) .

(٢) انظر: المصدر السابق (١٢/١٢٤-١٢٦) .

(٣) التسعينية (ص:٢١٥) .." (١)

"٦- أن التصديق نوع من أنواع الكلام، واستعماله في اللغة دالا على **اللفظ والمعنى**، أكثر من استعماله في المعنى المجرد عن اللفظ الذي هو تصديق القلب.

وهذا المبحث هو نفسه مبحث الكلام النفسي – الذي سبق – حيث زعموا أن الكلام معنى قائم بالنفس فقط، دون الحروف والألفاظ، وقد سبق عرض أدلتهم ومناقشتها في مبحث كلام الله، والعجيب أن شيخ الإسلام استوفى مباحث هذه المسألة – مسألة الكلام النفسي والرد على الأشاعرة فيه – في كتاب الإيمان أكثر من غيره من كتبه ورسائله. وهذا يبين أن مأخذ الأشاعرة في المسألتين واحد (١) .

٧- أما احتجاجهم بقوله تعالى: ﴿وما أنت بمؤمن لنا﴾ (يوسف: من الآية١٧) أي بمصدق لنا، وقولهم إن الإيمان مرادف للتصديق. فقد رد عليهم شيخ الإسلام من عدة وجوه، منها:

أ – أن لفظ الإيمان تكرر في القرآن والحديث أكثر من غيره من الألفاظ، والإيمان أصل الدين، وكل مسلم يحتاج إلى معرفته، فلا بد أن يؤخذ معنى الإيمان من جميع موارده، لا من آية واحدة (٢) .

---

(١) موقف ابن تيمية من الأشاعرة عبد الرحمن بن صالح المحمود ٣/١٣٠٣

ب – أن الإيمان ليس مرادفا للتصديق من وجوه: منها:

أحدها: أنه يقال للمخبر إذا صدقته: صدقه، ولا يقال: آمنه وآمن به، بل يقال آمن له، كما قال: ﴿فآمن له لوط﴾ (العنكبوت: من الآية٢٦) ، وقال: ﴿فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه﴾ (يونس: من الآية٨٣) ، وقال فرعون: ﴿آمنتم له قبل أن آذن لكم﴾ (الشعراء: من الآية٤٩) ، فلفظ الإيمان يتعدى إلى الضمير باللام دائما، لا يقال آمنته، وإنما يقال آمنت له، كما يقال أقررت له.

الثاني: وليس مرادفا له في المعنى، فإن كل مخبر عن مشاهدة أو غيب يقال له في اللغة: صدقت، كما يقال: كذبت. أما لفظ الإيمان فلا يستعمل

---

(١) انظر: الإيمان (ص:١٢٦-١٣٤) ط المكتب الإسلامي.

(٢) انظر: المصدر السابق (ص:٢٧٤) .." [(١)]

"المتشابه أو كما قتل علي رضي الله عنه الزنادقة، التي ظهرت في عصره، ولقتلوا كما قتل أهل الردة) (١) .

ويرى الدارمي أن آراء جهم والمريسي بمثابة الردة، لأن القول بأن القرآن مخلوق يضاهي ما قاله الوليد بن المغيرة المخزومي (إن هذا إلا قول البشر) والنضر ابن الحارث قال: (لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين) أي كما قال جهم والمريسي سواء، لا فرق بينهما في **اللفظ والمعنى**، إن هذا إلا مخلوق، فأنكر عليهم قولهم، وكأن نور النبوة قد بدد ظلام العصر الجاهلي وعقائده الباطلة، ولكن أقوال الجاهلية عادت للظهور مرة أخرى في عصر جهم ثم المريسي ونظرائهم (٢) .

وأمام هذه الموجة التي بدأت تهب على عقائد المسلمين، رأى علماء الحديث أن واجباتهم تقتضي الوقوف في وجهها وحماية المسلمين منها، واندفعوا بنية أداء ما أوجبه الله عليهم. يقول ابن قتيبة (كما رأيت إعراض أهل النظر عن الكلام في هذا الشأن منذ وقع، وتركهم تلقيه بالدواء حين بدأ.. إلى أن استحكم أساسه ... لم أر لنفسي عذرا في ترك ما أوجبه الله علي بما وهب من فضل المعرفة في أمر استفحل بأن قصر مقصر، فتكلفت بمبلغ علمي ومقدار طاقتي ما رجوت أن يقضي بعض الحق عني، لعل الله ينفع به، فإنه بما شاء نفع) (٣) ، ولكنه كان حريصا في منهج رده على المخالفين توضيح الأسرار اللغوية التي جهلوها فحادت بهم عن التفسير الصحيح للكلمات والآيات فأخذ يذكر ما تأولته الجهمية في الكتاب والحديث ليعلم المسلمون أن الحق مستغن عن الحيل، ولهذا لم يتعد في أكثر الرد عليهم طريق التفسير والشرح.

وقال بعد توضيح منهجه هذا: (فأما الكلام فليس من شأننا ولا أرى أكثر من

---

(١) نقض الدارمي على المريسي ص ٣٤٩.

---

(١) موقف ابن تيمية من الأشاعرة عبد الرحمن بن صالح المحمود ١٣٦٤/٣

(٢) نفس المصدر ص ٤٦٥، ٤٦٩.

(٣) ابن قتيبة: الاختلاف في اللفظ ص ٢٢٥.." [1]

"وقد عده السفاريني (١) صفة لله تعالى، بل اسما له (٢)، وعلق عليه الشيخ عبد الله بابطين (٣) بقوله: "قوله: (إن القديم اسم من أسمائه تعالى): فيه نظر - إلى أن قال - ولا يصح إطلاق القديم على الله باعتبار أنه من أسمائه، وإن كان يصح الإخبار به عنه؛ كما قلنا: إن باب الإخبار أوسع من باب الإنشاء، والله أعلم" (٤).

- الاشتراك في الأسماء:

بين الشيخ عبد الرزاق عفيفي - رحمه الله - بأن: "كثيرا من الأسماء مشتركة بين الله تعالى وبين غيره من مخلوقاته في **اللفظ** **والمعنى** الكلي الذهني، فتطلق على الله بمعنى يخصه ويليق بجلاله سبحانه، وتطلق على المخلوق بمعنى يخصه ويليق به، فقال مثلا: الله حليم، وإبراهيم الخليل ﷺ حليم، وليس حلم إبراهيم كحلم الله، والله رؤوف رحيم، ومحمد - صلى الله عليه وسلم - رؤوف رحيم، وليست رأفة محمد - صلى الله عليه وسلم - ورحمته كرأفة الله بخلقه ورحمته ... إلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة المذكورة في كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - الثابتة عنه، ولا يلزم من ذلك تشبيه المخلوق بالخالق في الاسم أو الصفة. وأسلوب الكلام وما احتف به من القرائن يدل على الفرق بين

---

(١) هو محمد بن أحمد بن سليمان السفاريني النابلسي، شمس الدين، سلفي حنبلي، من مؤلفاته: الدرة المضيئة في عقيدة الفرقة المرضية وشرحها، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأثرية، والذخائر لشرح منظومة الكبائر، توفي سنة ١١٨٨ هـ. ينظر: سلك الدرر للمرادي (٤/ ٣١)، الأعلام للزركلي (٦/ ١٤).

(٢) قال - رحمه الله -: " (القديم) نعت لله، وهو اسم من أسمائه ... وإن جرى مجرى الأعلام، فهو وصف يراد به الثناء، فأسماؤه - تعالى - أسماء ونعوت. والقديم هو الذي لم يسبق وجوده عدم، فإنه - سبحانه وتعالى - متصف بالقدم ... فقدمه - تعالى - ذاتي واجب له - تعالى، غير مسبوق بعدم، إذ هو - تعالى - لا ابتداء لوجوده. واعلم أن القدم إما ذاتي كقدم الواجب، وإما زماني كقدم زمان الهجرة بالنسبة لليوم، ومنه ﴿حتى عاد كالعرجون القديم (٣٩)﴾، ومنه القدم الإضافي كقدم الأب بالنسبة للابن. (فائدة): القديم أخص من الأزلي؛ لأن القديم موجود لا ابتداء لوجوده، والأزلي ما لا ابتداء له وجوديا كان أو عدميا، فكل قديم أزلي ولا عكس".

لوامع الأنوار (١/ ٣٨).

(٣) هو عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عبد الرحمن أبو بطين، من أعلام الدعوة السلفية في نجد، وأحد الفقهاء الحنابلة المتأخرين، من مؤلفاته: الانتصار لحزب الموحدين، وتأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس، وتعليقات على لوامع الأنوار للسفاريني، توفي سنة ١٢٨٢ هـ.

---

(١) منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين مصطفى حلمي ص/١٠٥

ينظر: علماء الدعوة (ص ٧٩)، الأعلام (٤/ ٩٧).

(٤) كلام الشيخ في تعليقه على لوامع الأنوار (١/ ٣٨).." [١]

"اسم الإله الأعظم اشتملا على اسـ ... ـم الحي والقيوم مقترنان

فالكل مرجعها إلى الاسمين يد ... ري ذاك ذو بصر بهذا الشان (١).

القسم الثاني:

- الصفات الفعلية:

وهي الصفات المتعلقة بمشيئة الله وقدرته، إن شاء فعلها، وإن شاء لم يفعلها؛ كالمجيء، والنزول، والغضب، والفرح، والضحك ... ونحو ذلك، وتسمى (الصفات الاختيارية).

والصفات الفعلية من حيث قيامها بالذات تسمى صفات ذات، ومن حيث تعلقها بما ينشأ عنها من الأقوال والأفعال تسمى صفات أفعال، ومن أمثلة ذلك صفة الكلام؛ فكلام الله - عز وجل - باعتبار أصله ونوعه صفة ذات، وباعتبار آحاد الكلام وأفراده صفة فعل، وقد بين المحققون أن الصفات الفعلية قديمة النوع حادثة الآحاد (٢).

ومن الصفات التي تناولها الشيخ - رحمه الله -:

١ - صفة الكلام لله - عز وجل -:

يقرر الشيخ - رحمه الله - صفة الكلام لله - عز وجل - على ما يليق به، وأن كلام الله اسم لمجموع **اللفظ والمعنى**، وأنه كوني خبري، وأنه بصوت وحرف، وأنه تكلم مع من أراد من رسله وملائكته وسمعوا كلامه حقيقة، ولا يزال يتكلم بقضائه وتسمعه ملائكته وسيتكلم مع أهل الجنة ومع أهل النار يوم القيامة كل بما يناسبه (٣).

---

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (نونية ابن القيم) تحقيق: محمد بن عبدالرحمن العريفي، وناصر بن يحي الحنيني، عبد الله بن عبدالرحمن الهذيل، وفهد بن علي المساعد (١/ ١٨٤).

(٢) ينظر: الدرء (٢/ ١٢٤ - ١٤٥، ١٤٧ - ١٤٨)، مجموع الفتاوى (٦/ ٢١٧)، صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة (ص ٢٨ - ٢٩)، الصفات الإلهية تعريفها، أقسامها لمحمد بن خليفة بن علي التميمي (ص ٦٥ - ٦٦)، الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه للدكتور محمد أمان بن علي الجامي (١/ ١٥٣).

(٣) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام (١ج١/ ٢٠٤)،وتفسير الجلالين (٨، ٢٨، ٢٥٢)، وفتاوى اللجنة (٣/ ٢٠٨).." [٢]

---

(١) منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين أحمد بن علي الزاملي ص/١٠٢

(٢) منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين أحمد بن علي الزاملي ص/١٦٢

"ومذهب المعتزلة أنه مخلوق.

أما مذهب الأشاعرة فمن منطلق التوفيقية – التي لم يخالفها التوفيق – فرقوا بين **المعنى واللفظ**. فالكلام الذي يثبتونه لله تعالى هو معنى أزلي أبدى قائم بالنفس ليس بحرف ولا صوت ولا يوصف بالخبر ولا الإنشاء.

واستدلوا بالبيت المنسوب للأخطل النصراني:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما ... جعل اللسان على الفؤاد دليلا

أما الكتب المنزلة ذات الترتيب والنظم والحروف – ومنها القرآن – فليست هي كلامه تعالى على الحقيقة بل هي "عبارة عن كلام الله النفسي. والكلام النفسي شيء واحد في

ذاته لكن إذا جاء التعبير عنه بالعبرانية فهو توراة، وإن جاء بالسريانية فهو إنجيل، وإن جاء بالعربية فهو قرآن، فهذه الكتب كلها مخلوقة ووصفها بأنها كلام الله مجاز لأنها تعبير عنه.

واختلفوا في القرآن خاصة فقال بعضهم: "إن الله خلقه أولا في اللوح المحفوظ ثم أنزله في صحائف إلى سماء." (١)

"أحقر من أن يسأل الله ولدا ليرثه في ماله كيف؟، وإنما كان نجارا يأكل من كسب يده كما رواه البخاري١ ولم يكن ليدخر فوق قوته حتى يسأل الله ولدا يرث عنه ماله ـ أن لو كان له مال ـ وإنما سأل ولدا صالحا يرثه في النبوة والقيام بمصالح بني إسرائيل وحملهم على السداد.

الوجه الثاني: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خص من بين الأنبياء بأحكام لا يشاركونه فيها ... فلو قدر أن غيره من الأنبياء يورثون وليس الأمر كذلك ـ لكان ما رواه ـ الصحابة وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ـ مبينا لتخصيصه بهذا الحكم دون سواه.

الوجه الثالث: أنه يجب العمل بهذا الحديث والحكم بمقتضاه كما حكم به الخلفاء واعترف بصحته العلماء سواء كان من خصائصه أم لا، فإنه قال: "لا نورث ما تركنا صدقة"، أن يكون خبرا عن حكمه، أو حكم سائر الأنبياء معه وهو الظاهر، ويحتمل أن يكون إنشاء وصيته كأنه يقول: لا نورث لأن جميع ما تركناه صدقة، ويكون تخصيصه من حيث جواز حمله ماله كله صدقة والاحتمال الأول أظهر، وهو الذي سلكه الجمهور، وقد يقوى المعنى الثاني ـ بما رواه ـ مالك وغيره ـ عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا يقتسم ورثتي دينارا ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة" ٢، وهو يرد تحريف من قال من الجهلة من طائفة الشيعة في رواية هذا الحديث: "ما تركناه صدقة" بالنصب ـ جعل ـ ما ـ نافية فكيف يصنع بأول الحديث وهو قوله لا نورث ـ؟ وبهذه الرواية "ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة"؟ ... والمقصود أنه يجب العمل بقوله صلى الله عليه وسلم: "لا نورث ما تركنا صدقة" على كل تقدير احتمله **اللفظ والمعنى**، فإنه مخصص لعموم آية

---

(١) منهج الأشاعرة في العقيدة – تعقيب على مقالات الصابوني سفر الحوالي ٤١/١

١. لم أقف عليه في البخاري، وإنما هو في صحيح مسلم ٤/١٨٤٧.

٢. الموطأ ٢/٩٩٣، صحيح البخاري ٢/١٨٨.." (١)

"بلا ريب وهي قديمة، والقديم لا مادة له ولا شيء قبله، ومعنى اشتقاقها أنها ملاقية لمصادرها في **اللفظ والمعنى**، لا أنها متولدة منه تولد الفرع من أصله، وتسمية النحاة للمصدر المشتق منه أصلا وفرعا ليس معناه أن أحدهما تولد من الآخر، وإنما باعتبار أن أحدهما يتضمن الآخر وزيادة؛ لأن معنى الاشتقاق أن ينتظم الصيغتين فصاعدا معنى واحد١.

ويرد الطبري كذلك فيقول: "فإن قال قائل: فهل لذلك في فعل ويفعل أصل كان منه بناء هذا الاسم؟ قيل: أما سماعا من العرب فلا ولكن استدلالا، فإن قال: وما دل على أن الألوهية هي العبادة وأن الإله هو المعبود وأن له أصلا في فعل ويفعل؟ قيل: لا تمانع بين العرب في الحكم لقول القائل يصف رجلا بعبادة ويطلب مما عند الله جل ذكره: تأله فلان"٢.

---

١ انظر تيسير العزيز الحميد ص١٤- وبدائع الفوائد ج١ ص٢٢.

٢ تفسير الطبري ١/٥٤.." (٢)

"أما توحيد الأسماء والصفات: وهو الإقرار بها كما وردت في الكتاب والسنة نفيا وإثباتا من غير تمثيل ولا تعطيل، ولا تحريف في **اللفظ والمعنى** عن ظاهره اللائق بالله تعالى ولا تكييف، فان الشيخ يجعله مع توحيد الربوبية بجامع أنهما نوع واحد هو: توحيد المعرفة والإثبات.

ويقول الشيخ: وأما توحيد الصفات فلا يستقيم توحيد الربوبية، ولا توحيد الألوهية إلا بالإقرار بالصفات، لكن الكفار أعقل ممن أنكر الصفات١. ذلك أن العلم بأسماء الله وصفاته هو أصل العلوم، وبمعرفتها يستدل على التوحيد٢.

وأن التوحيد لا يكون إلا عن العلم بأنه لا إله إلا الله بيقين، والشهادة بذلك نطقا باللسان مع تصديق القلب، وعمل الجوارح بمقتضاه، وهذا يعني المعرفة التامة بتفرد الله في ربوبيته وأسمائه وصفاته، كما عليه المسلمون من أهل السنة والجماعة، أتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي هو أعلم الأمة برب العالمين ووحدانيته.

وقد بين السلف أن العبادة إذا كانت كلها لله فلا تكون إلا بإثبات الصفات والأفعال فمن شهد أن لا إله إلا الله، لابد أن يثبت الصفات، لأنه يشهد أن لا معبود بحق إلا الله وكون الله تعالى هوالمعبود وحده، يدل

---

١ مؤلفات الشيخ، القسم الثالث، الفتاوى رقم ٧ ص ٤٢.

٢ مؤلفات الشيخ، القسم الرابع، التفسير، العلق ص ٣٧٢.." (٣)

---

(١) عقيدة أهل السنة في الصحابة لناصر بن علي ناصر بن علي عائض حسن الشيخ ٣/٩٩٣

(٢) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم محمد خليل ملكاوي ص/٧٥

(٣) عقيدة محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي صالح بن عبد الله العبود ٣٧٣/١

"غموض وتلبيس؛ يتضح ذلك بالإشارة إلى واحد منها، وهو نفي الجسم، فإنه يحتمل أن يراد به ذات مشابهة للمخلوقات، وعلى هذا الاحتمال يرد **اللفظ والمعنى** جميعا؛ لأن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وإن أريد به ذات قائمة بنفسها، مباينة للمخلوقات، متصفة بصفات الكمال، فإن هذا المعنى حق، ولا يجوز نفيه عن الله، وإنما يرد هذا اللفظ لاشتماله على معنى حق ومعنى باطل.

وسيأتي في كلام المقريزي (ص: ١٤، ١٥) قوله عن الصحابة: "فأثبتوا رضي الله عنهم بلا تشبيه، ونزهوا من غير تعطيل، ولم يتعرض مع ذلك أحد منهم إلى تأويل شيء من هذا، ورأوا بأجمعهم إجراء الصفات كما وردت، ولم يكن عند أحد منهم ما يستدل به على وحدانية الله تعالى وعلى إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم سوى كتاب الله، ولا عرف أحد منهم شيئا من الطرق الكلامية ولا مسائل الفلسفة".

وسيأتي أيضا في كلام أبي المظفر السمعاني (ص: ١٦) قوله في بيان فساد طريقة المتكلمين: "وكان مما أمر بتبليغه التوحيد، بل هو أصل ما أمر به فلم يترك شيئا من أمور الدين أصوله وقواعده وشرائعه إلا بلغه، ثم لم يدع إلى الاستدلال بما تمسكوا به من الجوهر والعرض، ولا يوجد عنه ولا عن أحد من أصحابه من ذلك حرف واحد فما فوقه، فعرف بذلك أنهم ذهبوا خلاف مذهبهم وسلكوا غير سبيلهم بطريق محدث مخترع لم يكن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه رضي الله عنهم، ويلزم من سلوكه العود على السلف بالطعن والقدح، ونسبتهم إلى قلة المعرفة واشتباه الطرق، فالحذر من الاشتغال بكلامهم والاكتراث بمقالاتهم؛ فإنها سريعة التهافت كثيرة التناقض"، وقول أبي المظفر السمعاني هذا أورده الحافظ ابن." [١]

(١) قطف الجني الداني شرح مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني عبد المحسن العباد ص/١١